

کتابخانه آستانقدس

اسم کتاب: مجمع البیان — عربی

مصنف / مؤلف: شیخ ابوعلی فضل بن حسن طبرسی

خطی / چاپی: نسخ ۲۹ سطری بخط محمد امین شهرزادی. کاغذ آهار مهره حنایی. جلد تیماج عنابی

سال چاپ یا تحریر: بتاریخ ۷ جمادی الثانی ۱۰۶۹ — عدد اوراق: ۳۶۵

جزء کتب: تفسیر — شماره خصوصی:

شماره عمومی: ۱۲۴۸۴ — شماره قبض:

واقف: حسین کی استوان — تاریخ وقف: آبان ۱۳۴۸

طول: ۳۵/۵ — عرض: ۲۳ — شماره صفحات:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة النساء هي مدنية كلها وقيل انها مدنية

كلها الا قوله ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية وقوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الى
آخرها فان الآيتين نزلتا بمكة عدد آيها مائة وسبع وسبعون آية شامي ست كوفي وخمس في الباقين خلافها آيتان
ان تضلوا السبيل كوفي شامي يعذبهم عذابا اليما شامي **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وآله قال من قرأها فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان
في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم وروي عن بعض الصحابة انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة عن عمر بن الخطاب رض
المائدة وسورة الحج وسورة النور فان فيهن الفرائض وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال من قرأ
سورة النساء في كل جمعة أمن من ضغطة القبر اذا ادخل في قبره **تفسيرها**
لما ختم الله سبحانه السورة التي يذكر فيها آل عمران بالامر بالتقوى افتتح ايضا هذه السورة بذلك الا ان هناك خص
به المؤمنين وعم به هنا سائر المكلفين فقال بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا
آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة تساءلون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة و
الارحام بالجر والباقون بالنصب وقرئ في الشواذ والارحام بالرفع **الحجة** من خفف تساءلون اراد
تتساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد فقال تساءلون فانه ادغم التاء في
السين وحذف وحسن ذلك لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعهما في الهمس
فخفف هنا بالادغام كما خفف هناك بالحذف قال ابو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين احدهما
ان يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور والآخر ان يكون معطوفا على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام
فصلوها ولا تقطعوها واما من جر فانه عطفه على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال
وما كان كذلك فترك الاخذ به احسن وانما ضعف في القياس لان الضمير قد صار عوضا مما كان متصلا بالاسم من التنوين
فقبح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدلك على انه جرى عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى
المضاف اليها كما حذفوا التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الاكثر من غيره وجهة الشبه بينهما انه على حرف كما ان
التنوين كذلك واجتماعهما في السكون وانه لا يوقف على الاسم منفصلا منه كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة
التنوين من المظهر لانه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه اذا كان ظاهرا بالظروف وبغيرها نحو قول الشاعر
كأن اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج وقول الآخر من قرع القسي الكنائن وليس المضمر في هذا كالظاهر

فلما كان كذلك

فلما كان كذلك لم يستجيزوا عطف الظاهر عليه لان المعطوف ينبغي ان يكون مشاكلا للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة
الشعر انشد سيبويه فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب فعطف الايام على موضع الكاف
وقال آخر تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف فعطف بالكعب على الهاء و
الالف في بينها ومثل ذلك لا يجوز في القرآن والكلام الفصيح قال المازني وذلك لان الثاني في العطف شريك الاول فان
كان الاول يصلح ان يكون شريكا للثاني والا لم يصلح ان يكون الثاني شريكا للاول فكما لا تقول مررت بزيد وك
كذلك لا تقول مررت بك وزيد فاما القراءة الشاذة في رفع الارحام فيه حمل على الابتداء اي والارحام مما يجب
ان تتقوه وحذف الخبر للعلم **اللغة** البث النشر يقال بث الله الخلق ومنه قوله كالفراش المبثوث
وبعضهم يقول ابث بمعناه ويقال بثثتك سري وابثثتك سري لغتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار
ومنه الرقبى لان كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه يقال رقب يرقب رقوبا ورقبة ورقبانا فعلى هذا يكون الرقيب
فعيلا بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء **المعنى** ابتدأ الله سبحانه هذه السورة
بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل النداء انما كان
في سائر كتب الله السالفة بيا ايها المساكين واما في القرآن فما نزل بمكة فالنداء بيا ايها الناس وما نزل بالمدينة
فمرة بيا ايها الذين آمنوا ومرة بيا ايها الناس اتقوا ربكم معناه اتقوا معصية ربكم اي مخالفة ربكم بترك ما امر به
وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضيعوه وقيل اتقوا عقابه فكأنه قال يحق عليكم ان تتقوا
عذاب من انعم عليكم باعظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة واوجدكم ومن عظمت عنده النعمة فهو بالتقوى اولى
وقيل ان المراد به بيان كمال قدرته فكأنه قال الذي قدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر
فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله الذي خلقكم من نفس واحدة المراد بالنفس هنا آدم عند
جميع المفسرين وانما لم يقل نفس واحد بالتذكير وان كان المراد آدم لان لفظ النفس مؤنث بالصيغة وهو كقول
الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال فانث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز
وخلق منها زوجها يعني حواء عليها السلام وذهب اكثر المفسرين الى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم ورووا
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خلقت المرأة من ضلع ان اقمتها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت
بها وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام ان الله تعالى خلق حواء من فضل الطينة التي خلق منها آدم وفي تفسير علي بن ابرهيم
من اسفل اضلاعه وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اي نشر وفرق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالا
كثيرا ونساء وانما من علينا تعالى بان خلقنا من نفس واحدة لانه اقرب ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا
بعضا لرجوعنا جميعا الى اصل واحد ولان ذلك ابلغ في القدرة وادل على العلم والحكمة وقوله واتقوا الله الذي
تساءلون به قيل في معناه قولان احدهما انه من قولهم اسألك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله وبالرحم وتذكر
الله والرحم كذا كانت العرب تقول عن الحسن وابرهيم وعلى هذا يكون قوله والارحام عطفا على موضع قوله به والمعنى
انكم كما تعظمون الله باقوالكم فعظموه بطاعتكم اياه والآخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم به و
الارحام معناه واتقوا الارحام ان تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع وهو المروي عن ابي جعفر

علیهم السلم فعلی هذا یکون مضوبا عطفا علی اسم الله تعالی وهذا یدل علی وجوب صلة الرحم ویؤیده ما روی عن النبی صلی الله علیه وآله انه قال قال الله تعالی انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمی فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفی امثال هذا الخبر کثرة وصلة الرحم قد یکون بقبول النسب وقد یکون بالانفاق علی ذی الرحم وما یجری مجراه وروی الاصبغ بن نباتة عن امیر المومنین علیه السلم قال ان احدکم لیغضب فما یرضی حتی یدخل به النار فایما رجل منکم غضب علی ذی رحمه فلیمسه فان الرحم اذا مستها استقرت وانها معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلنی واقطع من قطعنی ان الله کان علیکم رقیبا ای حافظا عن مجاهد وقیل الرقیب العالم عن ابن زید والمعنی متقارب وانما اتی بلفظة کان المفیدة للماضی لانه اراد انه کان حفیظا علی من تقدم زمانه من عهد آدم وولده الی زمان المخاطبین وعالما بما صدر منهم لم یعزب عنه من ذلک شیء قوله تعالی وآتوا الیتامی اموالهم ولا تتبدلوا الخبیث بالطیب ولا تاکلوا اموالهم الی اموالکم انه کان حوبا کبیرا آیة

اللغة

الحوب الاثم یقال حاب یحوب حوبا وحیابة والاسم الحوب وروی عن الحسن انه قرا حوبا ذهب الی المصدر ویحوب فلان کذا اذا تحرج منه ونزلنا بحوبة من الارض ای بموضع سوء والحوبة الحزن والتحوب التحزن والحوبآء الروح

المعنی

لما امر الله سبحانه بالتقوی وصلة الارحام عقبه بباب آخر من التقوی وهو توفیر حقوق الیتامی فقال وآتوا الیتامی اموالهم وهذا خطاب لاوصیاء الیتامی ای اعطوهم اموالهم بالانفاق علیهم فی حالة الصغر وبالتسلیم الیهم عند بلوغهم اذا اونس منهم الرشد وسماهم یتامی بعد البلوغ مجازا لان النبی صلی الله علیه وآله قال لا یتم بعد احتلام کما قالوا للنبی صلی الله علیه وآله یتیم ابی طالب بعد کبره یعنون انه رباه کقوله سبحانه والقی السحرة ساجدین ای الذین کانوا سحرة ولا تتبدلوا الخبیث بالطیب معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله علیکم من اموال الیتامی بما احله الله لکم من اموالکم واختلف فی صفة التبدیل فقیل کان اوصیاء الیتامی یاخذون الجید من مال الیتیم والرفیع منه ویجعلون مکانه الردی والخسیس عن ابرهیم النخعی والسدی وسعید بن المسیب والزهری والضحاک وقیل معناه لا تتبدلوا الخبیث بالطیب بان تتعجلوا الحرام قبل ان یاتیکم الرزق الحلال قدر لکم عن ابی صالح ومجاهد وقیل معناه ما کان اهل الجاهلیة یفعلونه من انهم لم یکونوا یورثون النساء ولا الصغار بل یاخذه الکبار عن ابن زید واقوی الوجوه الاول لانه انما ذکر عقیب اموال الیتامی فیکون معناه لا تاخذوا السمین والجید من اموالهم وتضعوا مکانها المهزول والردی فتحفظون علیهم عدد اموالهم ومقادیرها وتجحفون بهم فی صفاتها ومعانیها وقوله ولا تاکلوا اموالهم الی اموالکم ای مع اموالکم ومعناه لا تضیفوا اموالهم الی اموالکم فتاکلوهما جمیعا ویحتمل ان یکون معناه لا تخلطوا الجید من اموالهم بالردی من اموالکم فتاکلوها فان فی ذلک اجحافا واضرارا بهم فاما اذا لم یکن فی ذلک اضرار ولا ظلم فلا باس بخلط مال الیتیم بماله فقد روی انه لما نزلت هذه الآیة کرهوا مخالطة الیتامی فشق ذلک علیهم فشکوا ذلک الی رسول الله صلی الله علیه وآله فانزل الله سبحانه ویسالونک عن الیتامی قل اصلاح لهم خیر وان تخالطوهم فاخوانکم الآیة عن الحسن وهو المروی عن السیدین الباقر والصادق علیهما السلم انه کان حوبا کبیرا ای اثما عظیما قوله تعالی وان خفتم الا تقسطوا فی الیتامی فانکحوا ما طاب

لکم من النساء

تنادی ح

علیکم غلط مال الیتیم ح

لکم من النساء مثنی وثلاث ورباع وان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملکت ایمانکم ذلک ادنی الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لکم عن شیء منه نفسا فکلوه هنیئا مریئا آیتان عدان لا تعولوا آیة بالاتفاق وهذا مما یشکل علی غیر

بالرفع وحده

القراءة

قرا ابو جعفر فواحدة رفع والباقون بالنصب

الحجة

القراءة بالنصب علی انه مفعول به وتقدیره فانکحوا واحدة ومن رفع فعلی انه فواحدة کافیة او فواحدة مجزیة کقوله فان لم یکونا رجلین فرجل وامراتان

اللغة

الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور ویقال ثنی ومثنی وثلث ومثلث ورباع ومربع وطربیع فیما زاد علیه مثل خماس ومخمس الاعشار وفی بیت الکمیت وهو قوله

فلم یستریثوک حتی رمیت ٭ فوق الرجال خصالا عشارا ٭ وقال صخر الغی

ولقد قتلتکم ثنی وموحدا ٭ وترکت مرة مثل امس الدابر ٭ وعال الرجل یعول عولا وعیالة ای مال وجار ومنه عول الفرایض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص قال ابو طالب

بمیزان قسط لا یخیس شعیرة ٭ له شاهد من نفسه غیر عائل ٭

وعال یعیل عیلة اذا احتاج قال الشاعر

فما یدری الفقیر متی غناه ٭ وما یدری الغنی متی یعیل ٭

ای یفتقر فمن قال معنی قوله الا تعولوا الا تفتقروا فقد اخطا لانه من باب الیاء کما تری ومن قال ان معناه لا یکثر عیالکم فقد اخطا ایضا لان ذلک یکون من الاعالة فقال اعال الرجل یعیل فهو معیل اذا کثر عیاله وعال العیال اذا مانهم ومنه قوله علیه السلم ابدا بمن تعول وقد حکی الکسائی الرجل یعول اذا کثر عیاله والصداق والصدقة والصدقة المهر والنحلة عطیة یکون علی غیر جهة المثامنة یقال نحلت الرجل اذا وهبت له نحلة ونحلا وسمی النحل نحلا لان الله تعالی نحل منها الناس العسل الذی فی بطونها وهنیئا ماخوذ من هنات البعیر بالقطران فالهنیء شفاء من المرض کما ان الهناء الذی هو القطران شفاء من الجرب قال

ما ان رایت ولا سمعت بمثله ٭ کالیوم هانی اینق جرب ٭ متبذل لا تبتدی محاسنه ٭ یضع الهناء مواضع النقب ٭ ویقال منه هنانی الطعام ومرانی ای صار لی دواء وعلاجا وشفاء وهنینی ومرینی بالکسر وهی قلیلة ویقول فی المستقبل یهنانی ویمرانی وهنینی ویمرینی واذا افردوا قالوا امرانی ولا یقولون اهنانی وقد مراه الطعام مرات ویقال هنات القوم اذا علتهم وهنات فلانا المال اذا وهبته له اهنؤه وهنا ومنه المثل انما سمیت هانیا لتهنا ای لتعطی

الاعراب

قوله ما طاب ما ههنا مصدریة عن الفراء ای فانکحوا الحلال وروی عن مجاهد ایضا فانکحوا النساء نکاحا طیبا قال المبرد وما ههنا للجنس کقولک ما عندک فالجواب رجل وامراة وقیل لما کان المکان مکان ابهام جاءت ما لما فیها من الابهام کقول العرب خذ من عندی ما شئت وقوله مثنی وثلث ورباع بدل من ما طاب وموضعه النصب وتقدیره اثنین اثنین وثلثا ثلثا واربعا اربعا الا انه لا ینصرف لعلتین العدل والوصف قال الزجاج انه لا ینصرف لجهتین لا اعلم احدا من النحویین ذکرهما غیره انه معدول عن اثنین واثنین وثلث وثلث وانه عدل عن تانیث وخطاه ابو علی الفارسی فی ذلک واورد علیه کلاما کثیرا یطول بذکره الکتاب ثم قال لو جاز ان یقول قائل ان مثنی وبابه معدول عن مونث لمجیء علی النساء واحدتهن مونثة لجاز الآخر ان یقول انه معدول عن مذکر لانه جری

صفة على الحجر وواحدها مذكر وانما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها تأنيث الجمع وهذا الضرب من التأنيث
ليس بحقيقي انما هو من اجل اللفظ نحو مثل النار والدار وما اشبه ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكر الحقيقي قال
صخر الغي منيت بان تلاقيني المنايا احاد احاد في شهر حلال ويبت الكتائب ولكنما اهلي بواد انيسه
ذئاب تبغي الناس مثنى وموحد جرى فيه مثنى وموحد على ذئاب وهو جمع مذكر وقال تميم بن مقبل
ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى اصعقتها صواهله فاحاد ومثنى حال من النعرات وقال ابو علي
في الهفرات ان مثنى وثلث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جئتك ماشيا وراكبا ومنحدرا
وصاعدا تريد انك جئته في كل حال من هذه الاحوال ولست تريد انك جئته وهذه الاحوال لك في وقت واحد
ومن قدرها على البدل من قال انما جاءت الواو هنا ولم يات او لانه على طريق البدل كانه قال وثلث بدلا من مثنى
ورباع بدلا من ثلث ولو جاء باو لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلث ولا لصاحب الثلث رباع وقوله نحلة نصب على
المصدر وقوله نفسا منصوب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي
وقرت به عيني ولذلك وحد النفس لما كانت مفسرة والمعنى المراد بالجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر
بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل جلودها ولو قال فان طبن لكم انفسا
لجاز وقوله بالاخسرين اعمالا انما جمع لئلا يوهم انه عمل يضاف الى الجمع كما يضاف القتل الى جماعة اذا رضوا به

في النزول والنظم

اختلف في سبب نزوله وكيفية نظم محصوله واتصال فصوله على اقوال احدها انها نزلت في اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا عن ان ينكحوهن الا ان يقسطوا
لهن في اكمال مهور امثالهن وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء الى اربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير اصحابنا
وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الاية وبه قال الحسن
والجبائي والمبرد وثانيها انها نزلت في الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعني ان
اتزوج كما تزوج فلان فاذا فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع
لئلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة وثالثها
انهم كانوا يتشددون في اموال اليتامى ولا يتشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال
سبحانه كما تخافون ان لا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى الاربع عن سعيد بن جبير والسدي
وقتادة والربيع والضحاك واحدى الروايات عن ابن عباس ورابعها انهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى
واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تحرجتم من ذلك فكذلك تحرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح
من واحدة الى اربع عن مجاهد وخامسها ما قاله الحسن ان خفتم الا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه
الى ولي اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها وسادسها ما قاله الفراء ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامى فتحرجوا

من جمع

من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بينهن ولا تتزوجوا منهن الا من تأمنون معه الجور وقال القاضي ابو عاصم القول الاول
اولى واقرب الى نظم الاية ولفظها

المعنى

وان خفتم الا تقسطوا اي ان لا تنصفوا
ولا تعدلوا يا معشر اولياء اليتامى في اليتامى وذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول فانكحوا ما طاب لكم اي ما
حل لكم ولم يقل من طاب لكم لان معناه فانكحوا الطيب من النساء والحلال منهن اي من اللاتي يحل نكاحهن دون المحرمات
اللاتي ذكرن في قوله حرمت عليكم امهاتكم الاية ويكون تقديره على القول الاول ان خفتم ان لا تعدلوا في نكاح اليتامى
ان نكحتموهن فانكحوا البوالغ من النساء وذلك انه ان وقع حيف في حق البوالغ امكن طلب التخلص منهن بتطييب نفوسهن
والتماس تحليلهن لانهن من اهل التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فانه ان وقع حيف في حقهن لم يمكن التخلص منه
لانهن ليس من اهل التحليل ولا من اسقاط الحقوق وقوله مثنى وثلث ورباع معناه اثنتين اثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا
لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولان هذا العدد
لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلث ورباع نوع من العي جل كلامه سبحانه عن ذلك وتقدس وقال
الصادق عليه السلم لا يحل لماء الرجل ان يجري في اكثر من اربعة ارحام من الحرائر فان خفتم ان لا تعدلوا بين الاربع والثلث
في القسم او النفقة وسائر وجوه التسوية فواحدة اي تزوجوا واحدة او ما ملكت ايمانكم اي واقتصروا على الاماء
حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن لانهن لا حق لهن في القسم وذلك اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد
عليها ادنى ان لا تعولوا اي اقرب ان لا تميلوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال ان معناه ادنى
ان لا تكثر عيالكم فانه مع ضعفه في اللغة ففي الاية ما يبطله وهو قوله او ما ملكت ايمانكم ومعلوم ان ما يحتاج اليه
من النفقة عند كثرة الجواري من النساء مثل ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الاية
يتزوج ما شاء من النساء وقوله واتوا النساء صدقاتهن نحلة معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله
تعالى وذلك ان الله سبحانه جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم اوجب لها بازاء الاستمتاع مهرا على زوجها
فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد نحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين
كما يقال فلان ينتحل كذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله واتوا النساء
صدقاتهن فقيل هم الازواج امرهم الله باعطاء المهر المدخول بها كاملا ولغير المدخول بها على النصف على ما
نشرحه من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة
وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاولياء لان الرجل منهم كان اذا زوج
ايمة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عز وجل عن ذلك عن ابي صالح وهو المروي عن الباقر عليه السلم رواه ابو الجارود
عنه والاول اشبه بالظاهر فان طبن لكم عن شيء منه نفسا خطاب للازواج معناه فان طابت نفوسهن بهبة شيء من
الصداق فكلوه اي فكلوا الموهوب لكم هنيئا مريئا فالهنيء الطيب السائغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة الساوغ له
التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي وفي كتاب العياشي مرفوعا الى امير المؤمنين عليه السلم انه جاءه رجل فقال
يا امير المؤمنين اني يوجع بطني فقال الك زوجة قال نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر
به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فاني سمعت الله سبحانه يقول في كتابه ونزلنا من السماء ماء مباركا

وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء المريء شفيت ان شاء الله قال ففعل ذلك فشفي وقد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من حيث ان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا آية **القراءة** قرا نافع وابن عامر قيما بغير الف والباقون قياما بالالف **الحجة** قال ابو الحسن في قيام ثلث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك بمعنى يمسك قال لبيد افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها قال ابو علي ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشيء وانما القيم بمعنى القيام وهو مصدر يدل عليه قوله دينا قيما فالقيمة هي التي معادلة الشيء ومقاومته لا مذهب له ههنا انما المعنى دينا ثابتا دائما لا ينسخ كما نسخت الشرائع التي قبله فيكون مصدرا وصف الدين به ولا وجه للجمع هنا ولا للصفة فلم يجي هذا البناء في الصفة الا ترى انه انما جاء في قوله قوم عدى ومكان سوى وقل في المصادر كالشبع والرضا ونحوهما اوسع من الوصف فاذا كان كذلك حمل على الاكثر

المعنى لما امر الله سبحانه فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع اليهم فقال ولا تؤتوا السفهاء اي لا تعطوا السفهاء اموالكم اختلف في المعنى بالسفهاء على اقوال احدها انهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وابي مالك وقتادة ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة للمال وعلم ان ولده سفيه مفسد للمال لم ينبغ له ان يسلطهما على ماله وثانيها ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن انس بن مالك قال جاءت امراة سوداء جرية المنطق ذات ملح الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت بابي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيرا مرة واحدة فانه بلغني انك تقول فينا كل شر قال اي شيء قلت فيكن قالت سميتنا السفهاء قال الله سماكن السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصانا ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال اما يكفي احداكن انها اذا حملت كان لها كاجر المرابط في سبيل الله فاذا وضعت كانت كالمتشحط في دمه في سبيل الله فاذا ارضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد اسمعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة من ولد اسمعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكلفن العشير قال قالت السوداء يا له فضلا لولا ما يتبعه من الشرط وثالثها انه عام في كل سفيه من صبي او مجنون او محجور عليه للتبذير وقريب منه ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال ان السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول اولى لعمومه وقوله التي جعل الله لكم قياما اي اموالكم التي جعلها الله قواما لمعاشكم ومعادكم يقيمكم فتقومون بها قياما وقيل معناه ما تعطي ولدك السفيه من مالك الذي جعله الله قواما لعيشك فيفسده عليك وتضطر اليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك وارزقوهم فيها واكسوهم اختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقته واكسوهم الآية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امراتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك واطعمهم

من مالك

من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا امر باحراز المال وحسن سياسته كقوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ويلتفت اليه قول النبي صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وقيل عنى بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم اي لا تؤتوا السفهاء اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاولى حمل الآية على العموم فلا يجوز ان يعطى المال السفيه الذي يفسده ولا اليتيم الذي لم يبلغ ولا الذي بلغ ولم يؤنس منه الرشد وانما يكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بامرهم ضربا من المجاز او يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي انه سئل الصادق عليه السلام عن هذا فقيل كيف يكون اموالهم اموالنا فقال اذا كنت انت الوارث له وقولوا لهم قولا معروفا اي تلطفوا لهم في القول ولا تخاشنوهم وقولوا لهم ما ينبههم على الرشد والصلاح في امر المعاش والمعاد حتى اذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم اذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد لان الله تعالى منع من دفع المال الى السفهاء وفيها ايضا دلالة على وجوب الوصية اذا كانت الورثة سفهاء لان ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال اهل السفه وانما سمي الناقص العقل سفيها لان السفه خفة الحلم ولذلك سمي الفاسق ايضا سفيها لانه لا وزن له عند اهل الدين قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا آية **اللغة** الايناس الابصار من قوله آنس من جانب الطور نارا اخذ من انسان العين وهو حدقتها التي يبصر بها وآنست بن آنسنا الفتنه وفي قراءة عبد الله فان احستم اي احسستم بمعنى وجدتم فحذف احدى السينين نحو قوله فظلتم تفكهون واصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك في الافراط وربما كان في التقصير غير انه اذا كان في الافراط يقال منه اسرف يسرف اسرافا واذا كان في التقصير يقال سرف يسرف سرفا ويقال مررت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم واخطاتكم قال الشاعر اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف يريد انهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر لامتلائه نورا والبدرة لامتلائها بالمال والبيدر لامتلائه بالطعام وعين حدرة بدرة مكتنزة والحسيب الكافي من قولهم احسبني الشيء اذا كفاني والحسيب المرتجل المرتفع به الذنب وقيل الحسيب بمعنى المحاسب **الاعراب** قوله اسرافا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بدارا وموضع ان يكبروا نصب بالمبادرة اي لا تاكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وكفى بالله الباء مزيدة والجار والمجرور ههنا موضع رفع بانه فاعل كفى وحسيبا منصوب على الحال والتقدير كفى الله في حال الحساب **المعنى** لما امر الله سبحانه بايتاء الايتام اموالهم ومنع من دفع المال الى السفهاء بين هنا الحد الفاصل بين ما يحل ذلك للولي وما لا يحل فقال وابتلوا اليتامى هذا خطاب لاولياء اليتامى امرهم الله ان يختبروا عقول اليتامى في افهامهم وصلاحهم في دينهم واصلاحهم اموالهم

وهو قول قتاده والحسن والسدي ومجاهد وابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح معناه حتى اذا بلغوا الحد الذي يقدرون معه على المواقعة وينزلون وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لان في الناس من لا يحتلم او يتاخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين فمنهم من قال اذا كمل عقله واونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم ماله عليه وان كان عاقلا حتى يبلغ خمسة عشرة سنة وقال اصحابنا حد البلوغ اما كمال خمسة عشرة سنة او بلوغ النكاح او الانبات وقوله فان انستم منهم رشدا معناه فان وجدتم منهم رشدا او عرفتموه واختلف في معنى قوله رشدا فقيل عقلا ودينا وصلاحا عن قتاده والسدي وقيل صلاحا في الدين واصلاحا للمال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلا عن مجاهد والشعبي قالا لا يدفع الى اليتيم ماله وان اخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يونس منه رشد العقل والاقوى ان يحمل على ان المراد به العقل واصلاح المال على ما قال ابن عباس والحسن وهو المروي عن الباقر عليه السلم للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله وان كان فاجرا في دينه فكذلك اذا بلغ وهو بهذه الصفة وجب تسليم ماله اليه وفيه ايضا دلالة على جواز الحجر على العاقل اذا كان مفسدا لماله من حيث انه اذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ اذا كان مفسدا له بعد البلوغ وهو المشهور في اخبارنا وقوله وادفعوا اليهم اموالهم خطابا بالاولياء اليتيم وهو تعليق لجواز الدفع بالشرطين البلوغ وايناس الرشد فلا يجوز الدفع قبلهما ولا تاكلوها اسرافا وبدارا اي بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تاكلوا من مال اليتيم فوق ما تحتاجون اليه فان لولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت اذا كان محتاجا على وجه الاجرة على عمله في مال اليتيم وقيل ان كل شي اكل من مال اليتيم فهو الاكل على وجه الاسراف والاول الوجه هاهنا فقد روى محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلم قال سالته عن رجل بيده ماشية لابن اخ له يتيم في حجره ايخلط امرها بامر ماشيته قال ان كان يليط حياضها ويقوم على هنائها ويرد نادها فليشرب من البانها غير منهك للحلاب ولا مضر بالولد وقوله وبدارا اي تكبروا اي مبادرة كبرهم ومعناه لا تبادروا باكل مالهم كبرهم ورشدهم حذرا ان يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان غنيا من الاولياء فليستعفف بماله عن اكل مال اليتيم ولا ياخذ لنفسه منه لا قليلا ولا كثيرا يقال استعف عن الشي وعف عنه اذا امتنع منه وتركه ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف معناه من كان فقيرا فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما اخذ اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العاليه والزهري وعبيدة السلماني وهو المروي عن الباقر عليه السلم وقيل معناه ياخذ قدر ما يسد جوعته ويستر عورته لا على جهة القرض عن عطاء بن رباح وقتاده وجماعة ولم يوجبوا اجرة المثل ربما كان اكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا ان له اجرة المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن وسال ابن عباس عن ولي يتيم له ابل هل له ان يصيب من البانها فقال ان كنت تلوط حوضها وتهنأ جرباها فاصب من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب والرسل اللبن والمنهك المبالغة في الحلب فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وهذا ايضا للاولياء اليتيم اي اذا دفعتم الى اليتامى اموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لانفسكم بالاشهاد عليهم كيلا يقع منهم جحود وتكونوا ابعد من التهمة ثم انظر الى حسن نظر الله سبحانه لليتامى وللاوصياء وكمال لطفه لهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه بجميع عباده في امور معاشهم ومعادهم وكفى بالله حسيبا اي شاهدا على دفع المال اليهم وكفى بعلمه وثيقة وقيل

محاسبا فاحذروا المحاسبة في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا آية

اللغة الفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض يقتضي فارضا فرضه وليس كذلك الواجب لانه قد يجب الشي في نفسه من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه سبحانه ولم يجز ان يقال لذلك فرض ومفروض واصل الفرض الثبوت فالفرض في سية القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما اثبته على نفسك من هبة او صلة والفرض ما اعطيت من غير قرض لثبوت تمليكه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوبا اذا وقع وسمعت وجبة اي وقعة كالهدة ووجب الحق وجوبا اذا وقع سببه ووجب القلب وجيبا اذا خفق من فزع وقعه

الاعراب نصيبا مفروضا نصب على الحال لان المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيبا مفروضا حالا موكدا وقيل هو اسم في موضع المصدر كقولك قسما واجبا وفرضا ولازما ولو كان اسما ليس بمصدر فيه لم يجز كقولك عندي حق درهما ويجوز لك عندي درهم هبة مقبوضة

النزول قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الاناث فنزلت الآية ردا لقولهم عن قتاده وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون الا من طاعن بالرماح وزاد عن الحريم والمال فقال سبحانه مبينا حكم اموال الناس بعد موتهم بعد ان بين حكمها في حال حيوتهم

المعنى للرجال نصيب اي حظ وسهم مما ترك الوالدان والاقربون اي وللنساء من قرابة الميت حظ وسهم من تركته مما قل منه او كثر اي من قليل التركة وكثيرها نصيبا مفروضا اي حظا فرض تسليمه الى مستوجبه ومستحقه لا محالة وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة لان الله تعالى فرض الميراث للرجال والنساء فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز ان يمنع الرجال مع فيهن في المنع من الميراث وتدل ايضا على ان ذوي الارحام يرثون لانهم من جملة الرجال والنساء الذين مات عنهم الاقربون على ما ذهبنا اليه وهو مذهب ابي حنيفة ايضا وتدخل في عموم اللفظ ايضا الانبياء وغير الانبياء فدل على ان الانبياء يورثون كغيرهم على ما ذهبت اليه الفرقة المحقة قوله تعالى واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا آية

المعنى لما بين سبحانه فيما تقدم حال من يرث بين هنا حال من لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابرهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروي عن الباقر عليه السلم واختاره الجبائي والبلخي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء والثاني انها منسوخة باي المواريث عن سعيد بن المسيب وابي مالك والضحاك واختلف من قال انها محكمة على قولين احدهما ان الامر فيها على الوجوب واللزوم عن مجاهد وقال هو ما طابت به نفس الورثة وقال الآخرون ان الامر فيها على الندب قوله واذا حضر القسمة معناه اذا شهد قسمة الميراث اولوا القربى اي فقراء قرابة الميت واليتامى والمساكين اي ويتاماهم ومساكينهم يرجون ان تعودوا عليهم فارزقوهم منه اي اعطوهم من التركة قبل القسمة شيئا واختلف في المخاطبين بقوله

كالهدة ح ل

مما ترك الوالدين والاقربين وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون اي ح

فارزقوهم على قولين احدهما ان المخاطب بذلك الورثة امروا ان يرزقوا المذكورين اذا كانوا لا سهم لهم في الميراث
عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير واكثر المفسرين والآخر ان المخاطب بذلك من حضرته الوفاة واراد الوصية
فقد امر بان يوصي لمن لا يرث من المذكورين بشيء من ماله عن ابن عباس ايضا وسعيد بن المسيب واختاره الطبري وقولوا لهم
قولا معروفا اي حسنا غير خشن واختلف فيه ايضا فقال سعيد بن جبير امر الله الولي ان يقول للذي لا يرث من المذكورين
قولا معروفا اذا كان الورثة صغارا يقول ان هذا لليتامى صغار وليس لكم حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقيل
المامور بذلك الرجل الذي يوصي في ماله والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغنى وما اشبه ذلك وقيل الآية
في الوصي على ان يوصوا للقرابة ويقولوا لغيرهم قولا معروفا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على ان الانسان الوصية ح ر
قد يرزق غيره على معنى التمليك فهي حجة على المجبرة قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا آيتان **القراءة** قرأ ابن عامر وابو بكر
عن عاصم سيصلون بضم الياء والباقون بفتحها **الحجة** قال ابو علي حجة من
فتح الياء قوله تعالى اصلوها فاصبروا وجهنم يصلونها والامر هو صال الجحيم وحجة من ضم الياء انه من اصلاه الله النار اولا تصبروا ح ر
كقوله فسوف نصليه نارا **اللغة** ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل
الفساد واصله من سد الخلل يقال سددته اسده سدا والسداد الصواب ومنهم سداد من عوز بالكسر و
سدد السهم اذا قومه والسد الردم وصلي الرجل النار يصلاها صليا وصلاء وصليا اي لزمها واصلاه الله
اصلاء وهو صالي النار من قوم صلي وصالين ويقال صلي بالامر اذا قاسى حره وشدته قال العجاج
وصاليات للصلي صلي وقال الفرزدق وقاتل كلب الحي عن نار اهله ليربض فيها والصلا متكنف وشاة باب ح ر
مصلية اي مشوية وسعير بمعنى مسعورة مثل كف خضيب والسعر اشتعال واسعرت النار في الحطب ومنه
سعر السوق لاستعارها في النفاق **الاعراب**
ظلما نصب على المصدر لان معنى قوله يأكلون اموال اليتامى يظلمونهم ويجوز ان يكون في موضع الحال كقولهم جاء
فلان ركضا اي يركض **المعنى** لما امر الله سبحانه بالقول المعروف ونهاهم عن خلافه وامر بالاقوال
السديدة والافعال الحميدة فقال وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فيه اقوال احدها انه
كان الرجل اذا حضرته الوفاة قعد عنده اصحاب رسول الله صلعم فقالوا انظر لنفسك فان ولدك لا يغنون عنك
من الله شيئا فيقدم جل ماله فقال وليخش الذين لو تركوا من بعدهم اولادا ضعافا خافوا عليهم الفقر وهذا
نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة وامر لمن حضر الميت عند الوصية ان يامره بان يبقي لورثته ولا يزيد وصيته
على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو الموصي لاحب ان يحثه من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالة
اي كما تحبون ورثتكم فاحبوا ورثة غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة و
مجاهد والضحاك وثانيها ان الامر في الآية لولي مال اليتيم يامره باداء الامانة فيه والقيام بحفظه كما لو كان
خاف على مخلفيه اذا كانوا ضعافا واحب ان يفعل بهم عن ابن عباس ايضا فيكون معناه من كان في حجره يتيم

فليفعل به

فليفعل به ما يحب ان يفعل بذريته من بعده والى هذا المعنى يؤول ما روي عن موسى بن جعفر قال ان الله اوعد في مال اليتيم ب
عقوبتين ثنتين اما احداهما فعقوبة الدنيا وليخش الذين لو تركوا الآية قال يعني بذلك ليخش ان اخلفه في ذريته
كما صنع بهؤلاء اليتامى وثالثها انها وردت في حرمان ذوي القربى ان يوصي لهم بان يقول الحاضر لا توص لاقاربك
ووفر على ورثتك وقوله خافوا عليهم معناه خافوا من ضياع الحقهم او ظلم يصيبهم او عضاضة او ضعف فليتقوا الله
اي فليتق كل واحد من هؤلاء في يتامى غيره ان يجفوهم ويظلمهم وليعاملهم بما يحب ان يعامل به يتاماه بعد موته وقيل
فليتقوا الله في الاضرار بالمؤمنين وليقولوا قولا سديدا اي مصيبا عدلا موافقا للشرع والحق وقيل انه يريد قولا لا
خلل فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل وفي معنى الآية ما روي عن النبي صلى الله عليه
وآله انه قال من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ويحب ان يأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يوصي باكثر من الثلث وقال والثلث
كثير وقال لسعد لان تدع ورثتك اغنياء احب الي من ان تدعهم عالة يتكففون الناس ثم اوعد الله سبحانه آكلي
مال اليتيم نار جهنم فقال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي ينتفعون باموال اليتامى ويأخذونها ظلما بغير
حق ولم يرد به قصر الحكم على الاكل الذي هو عبارة عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الاكل بالذكر انه معظم منافع
المال المقصودة فذكر الله سبحانه تنبيها على ما في معناه من وجوه الانتفاع وكذلك معنى قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم
بالباطل ولا تأكلوا الربوا وانما علق الوعيد بكونه ظلما لانه قد يأكله الانسان على وجه الاستحقاق بان يأخذ منه
اجرة المثل او يأكل منه بالمعروف او يأخذه قرضا على نفسه على ما تقدم القول في ذلك فلا يكون ظلما فان قيل اذا
اخذه قرضا او اجرة المثل فانما اكل مال نفسه ولم يأكل مال اليتيم قلنا ابدا لا يكون اكلا مال اليتيم لكن على وجه
لا يكون ظلما بان التزم عوضه على نفسه او استحقه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون انما ذكر كونه ظلما لضرب
من التأكيد والبيان لان اكل مال اليتيم لا يكون الا ظلما وسئل الرضا عليه السلام كم ادنى ما يدخل به اكل مال اليتيم
تحت الوعيد في هذه الآية فقال قليله وكثيره واحد اذا كان من نيته ان لا يرده اليهم وقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا قيل فيه وجهان احدهما ان النار تلتهب من افواههم واسماعهم وانافهم يوم القيامة ليعلم به
اهل الموقف انهم اكلة اموال اليتامى عن السدي وروي عن الباقر عليه السلام انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج افواههم نارا فقيل له يا رسول الله من هؤلاء فقرأ هذه الآية والآخر
انه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان من فعل ذلك يصير الى جهنم فيمتلي بالنار اجوافهم عقابا على اكلهم مال
اليتيم كما قال الشاعر
وان الذي اصبحتم تحلبونه ... دم غير ان اللون ليس باحمرا
يصف قوما اخذوا الابل في الدية يقول انما تحلبون دم القتيل لا الالبان وسيصلون سعيرا اي سيلزمون النار المسعرة
للاحتراق وانما ذكر البطون تأكيدا كما يقال نظرت بعيني وقلت بلساني واخذت بيدي ومشيت برجلي وروى
الحلبي عن الصادق عليه السلام قال ان في كتاب علي عليه السلام ان آكل مال اليتيم ظلما سيدركه وبال ذلك في عقبه من
بعده ويلحقه وبال ذلك في الآخرة اما في الدنيا فان الله يقول وليخش الذين لو تركوا الآية واما في الآخرة فان الله
يقول الذين يأكلون اموال اليتامى الآية قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن

نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد
وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان
عليما حكيما آية **القراءة** قرا اهل المدينة فان كانت واحدة بالرفع والباقون
بالنصب وقرا حمزة والكسائي فلامه وفي امها وعنه بكسر الهمزة والميم وحمزة بطون امهاتكم وبيوت امهاتكم
بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرا ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصى
بفتح الصاد في الموضعين وقرا حفص الاولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرهما **الحجة**
الاختيار في واحدة النصب لان التي قبلها لها خبر منصوب وهو قوله فان كن نساء اي ان كانت الوارثة واحدة
ووجه الرفع ان وقعت واحدة او وجدت واحدة اي ان حدث حكم واحدة لان المراد حكمها لا ذاتها ووجه
قراءة حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم لها فاتبعوها ما قبلها من الكسرة والياء
ليكون العمل فيهما من وجه واحد ويقوي ذلك انها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء في نحو عليه وبه ومن قرا يوصي
فلان ذكر الميت قد تقدم في قوله فان كان له اخوة فلامه السدس ومن قرا يوصى فانما عينه انه ليس لميت معين انما
هو شائع في الجميع فهو في المعنى يؤول الى يوصي **الاعراب**
للذكر مثل حظ الانثيين جملة من مبتدا وخبر تفسير لقوله يوصيكم الله انما لم يعمل للذكر مثل حظ الانثيين بنصب لام مثل
يتعدى قوله يوصيكم اليه لانه في تقدير القول في حكاية الجملة بعده فكانه قال قال الله تعالى في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين
وقوله الثلث والسدس والربع ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال ثلث وسدس وربع وثمن قال الزجاج
ومن زعم ان الاصل التخفيف فيها فثقل فخطا لان الكلام موضوع على الايجاز لا على التثقيل وانما قيل للاب والام
ابوان تغليبا للفظ الاب ولا يلزم ان يقال في ابن وابنة ابنان لانه يوهم فان لم يوهم جاز ذكره الزجاج
وفريضة منصوبة على التوكيد والحال من قوله لابويه ولهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضا فريضة مؤكدة لقوله يوصيكم
ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من يوصيكم الله لان معناه يفرض عليكم فريضة **النزول**
روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر و
هما يمشيان فاغمي علي فدعا بماء وتوضا ثم صبه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي فسكت رسول
الله صلى الله عليه وآله فنزلت في آية المواريث وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات وترك
امراة وخمس اخوات فجاءت الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا امراته شيئا فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فانزل الله سبحانه آية المواريث عن السدي وقيل كانت المواريث للاولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين
فنسخ الله ذلك وانزل آية المواريث فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى لم يرض بملك مقرب ولا نبي
مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس **المعنى** ثم بين سبحانه ما اجمله
فيما قبل من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان بما فصله في هذه الآية فقال يوصيكم اي يامركم ويفرض عليكم لان
الوصية منه سبحانه امر وفرض يدل على ذلك قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من

الحكم

الحكم علينا في اولادكم اي في توريث اولادكم وقيل في امور اولادكم اذا متم ثم بين سبحانه ما اوصى به فقال للذكر مثل
حظ الانثيين اي للابن من الميراث مثل نصيب البنتين ثم ذكر نصيب الاناث من الاولاد فقال فان كن نساء
فوق اثنتين اي فان كانت المتروكات او الاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك من الميراث ظاهر الكلام يقتضي
ان البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الامة اجمعت على ان حكم البنتين حكم من زاد عليهما في البنات وذكر في النظم
وجوه احدها ان في الآية بيان حكم البنتين فما فوقهما لان معناه فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما
ترك الا انه قدم ذكر الفوق على الاثنتين كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تسافر المراة فوق ثلاثة ايام الا ومعها زوجها سعرا
او ذو محرم لها ولا تسافر سفر ثلاثة ايام فما فوقها وثانيها ما قاله ابو العباس المبرد ان في الآية دليلا على ان للبنتين
الثلثين لانه اذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث
علم من ذلك ان للبنتين الثلثين ثم اعلم الله تعالى ان ما فوق البنتين لهن الثلثان وثالثها ان البنتين اعطيتا
الثلثين بدليل لا بفرض لهما مسمى والدليل قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله
اخت فلها نصف ما ترك فقد صار للاخت النصف كما ان للبنت النصف وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
فاعطيت الابنتان الثلثين كما اعطيت الاختان الثلثين واعطيت جملة الاخوات الثلثين كما اعطيت
البنات الثلثين ويدل عليه ايضا الاجماع على ان حكم البنتين حكم البنات في استحقاق الثلثين الا ما روي
عن ابن عباس ان للبنتين النصف وان الثلثين فرض الثلاث من البنات وحكى النظام في كتاب النكت
عن ابن عباس انه قال للبنتين نصف وقيراط لان للواحدة النصف وللثلاث الثلثين فينبغي ان يكون للبنتين
ما بينهما وان كانت واحدة اي وان كانت المولودة والمتروكة واحدة فلها النصف اي نصف ما ترك الميت
ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ولابويه يعني لابوي الميت الاب والام والهاء التي اضيف اليه الابوان كناية
عن غير مذكور تقديره ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فللاب السدس
مع الولد وكذلك الام لها السدس معه ذكرا كان او انثى واحدا كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكرا كان له
الباقي وان كانوا ذكورا فالباقي لهم بالسوية وان كانوا ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وان
كانت بنتا فلها النصف بالتسمية ولاحد الابوين السدس او لهما السدسان والباقي عند ائمتنا عليهم السلام
يرد على البنت وعلى احد الابوين او عليهما على قدر سهامهم بدلالة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في
كتاب الله وقد ثبت ان قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية لان الولد يتقرب الى الميت بنفسه كما ان الوالدين
يتقربان اليه بانفسهما وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفي منهم ر
بعض هذه المسائل خلاف بين الفقهاء فان لم يكن له اي للميت ولد اي ابن ولا ابنة ولا اولادهما لان اسم الولد يعم
جميعهم وورثه ابواه فلامه الثلث وظاهر هذا يدل على ان الباقي للاب وفيه اجماع فان كان في الفريضة زوج
فان له النصف وللام الثلث والباقي للاب وهو مذهب ابن عباس وائمتنا عليهم السلام ومن قال في هذه المسالة
ان للام ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وكذلك ان كان بدل الزوج زوجة فلها الربع وللام الثلث والباقي للاب
وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس قال اصحابنا انما يكون لها السدس اذا كان هناك اب ويدل عليه

ما تقدم من قوله وورثه أبواه فإن هذه الجملة معطوفة على قوله فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث وتقديره فإن كان له إخوة وورثه أبواه فلأمه السدس وقال بعض أصحابنا إن لها السدس مع وجود الإخوة وإن لم يكن هناك أب وبه قال جميع الفقهاء واتفقوا على أن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس وقد روي عن ابن عباس أنه قال لا تحجب الأم عن الثلث إلى السدس بأقل من ثلاثة من الإخوة والأخوات كما يقتضيه ظاهر الآية وأصحابنا يقولون لا تحجب الأم عن الثلث إلى السدس إلا بأخوين أو بأخ وأختين أو أربع أخوات من قبل الأب والأم أو من قبل الأب خاصة دون الأم وفي ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع في كثير من كلامهم حكى سيبويه أنهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلي راحلتيهما وقال سبحانه وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان وقال قتادة إنما تحجب الإخوة الأم مع أنهم لا يرثون من المال شيئا معونة للأب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الأم وهذا يدل على أنه ذهب إلى أن الإخوة للأم لا يحجبون على ما ذهب إليه أصحابنا لأن الأب لا يلزمه نفقتهم بلا خلاف من بعد وصية يوصي بها أو دين أي يقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وإنفاذ الوصية ولا خلاف في أن الدين مقدم على الوصية والميراث وإن أحاط بالمال فأما الوصية فقد قيل إنها مستقرة على الميراث وقيل بل الموصى له شريك الوارث له الثلث ولهم الثلثان وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إنكم تقرؤون في هذه الآية الوصية قبل الدين وإن رسول الله صلعم قضى بالدين قبل الوصية والوجه في تقديم الدين على الوصية في الآية أن لفظة أو إنما هي لأحد الشيئين أو الأشياء ولا يوجب الترتيب فكأنه قال من بعد أحد هذين مفردا أو مضموما إلى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن وابن سيرين أي جالس أحدهما مفردا أو مضموما إلى الآخر آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ذكر فيه وجوه أحدها أن معناه لا تدرون أي هؤلاء أنفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله سبحانه قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد وثانيها أن معناه لا تدرون بأيهم أنتم أسعد في الدين والدنيا والله يعلم فاقتسموا على ما بينه من تعليم المصلحة فيه عن الحسن وثالثها أن معناه لا تدرون أن نفعكم بتربية آبائكم لكم أكثر أم نفع آبائكم بخدمتكم إياه وإنفاقكم عليه عند كبره أكثر عن الجبائي ورابعها أن المعنى لا تدرون أطوعكم لله عز وجل من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة لأن الله تعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فإن كان الولد أرفع درجة في الجنة من والده رفع الله إليه والده في درجته ليقر بذلك عينه وإن كان الوالد أرفع درجة من الولد رفع الله الولد إلى درجته لتقر بذلك أعينهم عن ابن عباس وخامسها أن المراد لا تدرون أي الوارثين والموروثين أسرع موتا فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن أبي مسلم فريضة من الله تعالى أي فرض الله ذلك فريضة أو كما ذكرناه في الإعراب إن الله كان عليما حكيما أي لم يزل عليما بمصالحكم حكيما فيما حكم به عليكم من هذه الأموال وغيرها قال الزجاج في كان هنا ثلاثة أقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم إن الله تعالى كان كذلك أي لم يزل الله على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليما بالأشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبر عن الله سبحانه في هذه الأشياء بالمضي كالخبر بالاستقبال والحال لأن الأشياء عند الله في حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع

مما تركن

مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم آية

القراءة روي في الشواذ قراءة الحسن يورث كلالة بكسر الراء وقرأ عيسى بن عمر الثقفي يورث وقرأ الحسن أيضا غير مضار وصية مضاف **الحجة** كلاهما منقول من ورث فهذا من أورث وذاك من ورّث وفي كلتي القراءتين المفعولان محذوفان فكأنه قال يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكميت

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب

فلم يعد تحسب وأما قوله غير مضار وصية فيعني به غير مضار من جهة الوصية أو عند الوصية كقول طرفة بضة المتجرد أي بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسألة أي شجاع عند الحرب وكريم عند المسألة **اللغة** أصل الكلالة الإحاطة ومنه الإكليل لإحاطته بالرأس ومنه الكل لإحاطته بالعدد فالكلالة تحيط بأصل النسب الذي هو الولد والوالد وقال أبو مسلم أصلها من كل أي أعيا فكأنه تناول الميراث من بعد على كلال وإعياء وقال علي بن عيسى المغربي أصلها عندي ما تركه الإنسان وراء ظهره مأخوذ من الكل وهو الظهر يقول العرب ولاني فلان كله على وزن ظله أي ولاني ظهره قال والعرب تخبر بهذا الاسم عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل

وإني وإن كنت ابن فارس عامر وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن كلالة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ويروى عن وراثة قال زيادة بن زيد العذري

ولم ترث المجد التليد كلالة ولم يأن مني فترة لعقيب

ويقال رجل كلالة وقوم كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر **الإعراب** ينتصب كلالة على أنه مصدر وضع موضع الحال ويكون كان التامة ويورث صفة رجل وتقديره إن وجد رجل موروث متكلل النسب والعامل في الحال يورث وذو الحال الضمير في يورث ويجوز أن ينتصب كلالة على أنه خبر كان على أن يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرأ يورث بكسر الراء فكلالة مفعول ومن قرأ يورث بفتح الراء فكلالة منصوب على الحال غير مضار منصوب على الحال أيضا وصية نصب على المصدر أي يوصيكم الله بذلك وصية **المعنى** ثم خاطب الله سبحانه الأزواج فقال ولكم أيها الأزواج نصف ما ترك أزواجكم أي زوجاتكم إن لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا أنثى ولا ولد ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن أي من ميراثهن من بعد وصية يوصين بها أو دين قد مر تفسيره ولهن أي لزوجاتكم الربع مما تركتم من الميراث إن لم يكن لكم ولد واحدة كانت الزوجة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا لم يكن لهن أكثر من ذلك فإن كان لكم ولد ذكرا أو أنثى أو ولد ولد فلهن الثمن مما تركتم من الميراث واحدة كانت الزوجة أو أكثر من ذلكم من بعد وصية توصون بها أيها الأزواج أو دين وقد مر بيانه مضى بيان ميراث الأزواج ثم ذكر ميراث ولد الأم فقال وإن كان رجل يورث كلالة اختلف في معنى الكلالة فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم أبو بكر وعمر وابن عباس في إحدى الروايتين عنه وقتادة والزهري وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس

قال طرفة:
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة
بجس الندامى بضة المتجرد

انه من عدا الولد وقال الضحاك والسدي انه اسم للميت الذي يورث عنه والمروي عن ائمتنا عليهم السلام ان الكلالة الاخوة
والاخوات والمذكور في هذه الاية من كان من قبل الام منهم والمذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الاب والام
او قبل الاب او امراة هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلالة يورث ماله او امراة كلالة يورث
مالها على قول من قال ان الميت يسمى نفسه كلالة ومن قال انه الحي الوارث فتقديره فان كان رجل يورث في حال
تكلل نسبه به او امراة تورث كذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روي عن جابر انه قال اتاني رسول الله
صلى الله عليه وآله وانا مريض فقلت وكيف الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت آية الفرايض فالكلالة في النسب من
احاط بالميت وتكلله من الاخوة والاخوات والولد والوالدان ليسا بكلالة لانهما اصل النسب الذي ينتهي الى الميت
ومن سواهما خارج عنهما وانما يشتمل عليهما بالانساب من غير جهة الولادة فلهذا تكون الكلالة كالاكليل يشتمل
على الراس ويحيط به وليس من اصله فان الوالد والولد طرفان للرجل فاذا مات الرجل ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب
طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلالة وقوله وله اخ او اخت يعني الاخ والاخت من الام فلكل واحد منهما السدس فان
كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث جعل الانثى والذكر هنا سواء ولا خلاف بين الامة ان الاخوة والاخوات من
قبل الام يتساوون في الميراث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار منع الله سبحانه من الضرار في الوصية
اي غير موص وصية تضر بالورثة وقيل اراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحيوة وبعد الممات عن قتادة
وتقديره لا يضار بعض الورثة بعضا وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية
راجع الى الميراث وهو ان يضر في وصية بماله او بعضه لاجنبي او يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه
او يقر باستيفاء دين له في مرضه او يبيع ماله في مرضه واستيفاء ثمنه لئلا يصل الى وارثه وجاء في الحديث ان
الضرار في الوصية من الكباير والله عليم بمصالح عباده يحكم بما يوجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها
حليم لا يعاجل العصاة بالعقوبة ويمن عليهم بالانظار والامهال وفي هاتين الايتين دلالة على تقدير سهام
اصحاب الفرايض ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن اهل البيت عليهم السلام دون غيرهم فان الاختلاف في
مسائل المواريث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن اراده وجده في مظانه اعلم ان الارث يستحق
بامرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء والميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب والميراث بالولاء لا
يثبت الا مع فقد كل نسب واما النسب فعلى ضربين احدهما ابوا الميت ومن يتقرب بهما والآخر ولده وولد ولده
وان سفل والمانع من الارث بعد وجوب سببه ووجوبه ثلثة الكفر والرق وقتل الوارث من كان يرثه لولا القتل
ولا يمنع الابوين والولد والزوج والزوجات من اصل الارث مانع ثم هم على ثلثة اضرب الاول الولد يمنع من يتقرب
بالابوين به ومن يجري مجراه من ولد اخوته واخواته من اصل الارث ويمنع من يتقرب بالابوين عما زاد على السهام
الا على سبيل الرد مع البنت او البنات والابوان يمنعان من يتقرب بهما او باحدهما ولا يتعدى منعهما الى غير ذلك
والزوج والزوجة لاحظ لهما في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الادنى عند فقده في الارث
والمنع ويترتبون الاقرب فالاقرب وهذه سبيل ولد الاخوة والاخوات وان سفل عند فقد الاخوة والاخوات
مع الاجداد والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة فالفرض ما سماه الله ولا يجتمع

ذلك

قرابت ٤ د

في ذلك الا من كانت له قرابة متساوية الى الميت مثل البنت او البنات مع الابوين او احدهما لان كل واحد
منهم يتقرب الى الميت بنفسه فمتى انفرد احدهم بالميراث اخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي بالقرابة وعند
الاجتماع ياخذ كل واحد منهم ما سمي له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فان نقصت التركة عن سهامهم
لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنات دون الابوين او احدهما ودون
الزوج والزوجة ويصح اجتماع الكلالتين معا لتساوي قرابتيهما واذا فضلت التركة عن سهامهم
يرد الفاضل على كلالة الاب والام او الاب دون الكلالة الام وكذلك اذا نقصت عن سهامهم لمزاحمة
الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا عليهم دون كلالة الام فان كلالة الام والزوج والزوجة
لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلى هذا اذا اجتمع كلالة الاب مع كلالة الام كان لكلالة الام للواحد السدس
وللاثنين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلالة الاب ولا يرث كلالة الاب مع كلالة الاب والام
ذكورا كانوا او اناثا فاما من يرث بالقرابة دون الفرض فاقربهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد
ويأخذ نصيب من يتقرب به ذكرا كان او انثى والبطن الاول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الاب ياخذ جميع
المال اذا انفرد ثم من يتقرب به اما ولده او والده ومن يتقرب بهما من عم وعمة فالجد ابو الاب مع الاخ الذي
هو ولده في درجة وكذلك الجد مع الاخت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان
يمنع من له سبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام ابائهم وامهاتهم في مقاسمة الجد والجدة
كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب مع الاب وكذلك الجد والجدة وان علوا يقاسمان الاخوة والاخوات
واولادهم وان نزلوا على حد واحد واما من يرث بالقرابة ممن يتقرب بالام فهم الجد والجدة من قبلها
او من يتقرب بهما من الخال والخالة فان اولادهم يرثون بالفرض دون القرابة فالجد والجدة من قبلها
تقاسمان الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الاب مع قرابة الام مع استوائهم في الدرج كان
لقرابة الام الثلث بينهم بالسوية والباقي لقرابة الاب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد احدى القرابتين
بدرجة سقطت مع التي هي اقرب سواء كان الاقرب من قبل الاب او من قبل الام الا في مسئلة واحدة في ابن عم
لاب وام مع عم لاب فان المال لابن العم هذه اصول مسائل الفرايض ولتفريعها شرح طويل وقد ذكرنا في المبسوط
في كتب الفقه قوله تعالى تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ۝ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
ايتان **القراءة** قرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء
الحجة من قرأ بالياء فلان ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأه بالنون
عدل عن لفظ الغيبة الى الاخبار عن الله سبحانه بنون الكبرياء ويقوى ذلك قوله يوصيكم الله ثم قال
سنلقي **اللغة** الحد الحاجز بين الشيئين واصله المنع والفصل وحدود الدار وفصلها
من غيرها والفوز والفلاح والنجاح نظاير **الاعراب**
خالدين فيها نصب على الحال وقال الزجاج والتقدير يدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها نقول

مررت برجل معه باز صائدا به غدا اي مقدرا الصيد به غدا وقوله خالدين فيها منصوب على احد وجهين احدهما الحال من الهاء في يدخله نارا والتقدير على ما ذكرناه والآخر ان يكون صفة لقوله نارا وهذا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لان اسم الفاعل اذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت يسكن فيها ويجب ابرازه فيقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها

المعنى لما فرض الله سبحانه فرائض المواريث عقبها بذكر الوعد في الاتمام لها والوعيد على التعدي لحدودها فقال تلك حدود الله اي هذه التي بينت في امر الفرائض وامر اليتامى حدود الله اي الامكنة التي لا ينبغي ان تتجاوز عن الزجاج واختلف في معنى الحدود على اقوال احدها تلك شروط الله عن السدي وثانيها تلك طاعة الله عن ابن عباس وثالثها تلك تفصيلات الله لفرائضه وهو الاقوى فيكون المراد هذه القسمة التي قسمها الله تعالى لكم والفرائض التي فرضها لاحيائكم من اموانكم فصول بين طاعة الله ومعصيته فان معنى حدود الله حدود طاعة الله وانما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين ومن يطع الله ورسوله فيما امر به من الاحكام وقيل فيما فرض الله من فرائض المواريث يدخله جنات تجري من تحتها اي من تحت اشجارها وابنيتها الانهار اي من ماء الانهار حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الموضعين خالدين فيها اي دائمين فيها وذلك الفوز العظيم اي الفلاح العظيم ووصفه بالعظيم ولبيين بالاضافة والى ما ذا والمراد انه عظيم بالاضافة الى منفعة الخيانة في التركة من حيث كان امر الدنيا حقيرا بالاضافة الى امر الآخرة وانما خص الله سبحانه الطاعة في قسمة الميراث بالوعد عليه ولحب في كل طاعة اذا فعلت لوجهها او لوجه وجوبها ليبين سبحانه عظم موضع هذه الطاعة بالترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعديها ومن يعص الله ورسوله فيما بينه من الفرائض وغيرها ويتعد حدوده اي ويتجاوز ما حدله من الطاعات يدخله نارا خالدا اي دائما فيها وله عذاب مهين سماه مهينا لان الله يفعله على وجه الاهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الآية على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة مخلد في النار ومعاقب لا محالة فقوله بعيد لان قوله تعالى ويتعد حدوده يدل على ان المراد به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولان صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج من عموم الآية وان كان فاعلا للمعصية ومتعديا حدا من حدود الله واذا جاز لهذا القائل اخراجه منه بدليل جاز لغيره ان يخرج من عمومها من يشفع النبي صلى الله عليه وآله او يتفضل الله تعالى عليه بالعفو بدليل آخر وايضا فان التائب لا بد له من اخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة فكذلك يجب اخراج من يتفضل الله تعالى باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فان جعلوا الآية دلالة على ان الله سبحانه لا يختار العفو جاز لغيرهم ان يجعلها دلالة على ان العاصي لا يختار التوبة على ان في المفسرين من حمل الآية على ان من تعدى حدود الله وعصاه مستحلا لذلك ومن كان كذلك لا يكون الا كافرا قوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما آيتان **القراءة** قرأ ابن كثير واللذان يأتيانها بتشديد

النون وكذلك

النون وكذلك هذان وفذانك وهاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله الا ابا عمرو فانه شدد فذانك وحدها

الحجة قال ابو علي القول في تشديد نون التثنية انه عوض من الحذف الذي لحق الكلمة الا ترى ان ذا قد حذف لامها وقد حذف الياء من اللذان ان في التثنية واتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا في فتح الاوايل منهما في التحقير مع ضمها في غيرهما وذلك نحو اللذيا واللتيا وذيا وتيا

الاعراب اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال

من اللواتي والتي واللاتي ... زعمت اني كبرت لداتي

وقد يحذف التاء من اللاتي فيقال الكفار

من اللاي لم يحججن يبغين حسبة ... ولكن ليقتلن البري المغفلا

المعنى لما بين سبحانه حكم الرجال والنساء في باب الميراث والنكاح بين حكم الحدود فيهن اذا ارتكبن الحرام فقال واللاتي يأتين الفاحشة اي يفعلن الزنا من نسائكم الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من المسلمين يخاطب الحكام والائمة ويامرهم بطلب اربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للازواج في نسائهم اي فاشهدوا عليهن اربعة منكم وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة في الآية ان تخلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون فانهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا فان شهدوا يعني الاربعة فامسكوهن اي فاحبسوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت اي يدركهن الموت فيمتن في البيوت وكان في مبدأ الاسلام اذا فجرت المرأة وقام عليها اربعة شهود حبست في البيت ابدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين او يجعل الله لهن سبيلا قالوا لما نزل قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي صلى الله عليه وآله خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة جلدة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وقال بعض اصحابنا ان من وجب عليه الرجم يجلد اولا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة من الفقهاء وقال اكثر اصحابنا ان ذلك مختص بالشيخ والشيخة فاما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الآية منسوخة عند جمهور المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقال بعضهم انه غير منسوخ لان الحبس لم يكن مؤبدا بل كان مستندا الى غاية فلا يكون بيان الغاية نسخا له كما لو قال افعلوا كذا الى رأس الشهر وقد فرق بين الموضعين فان الحكم المعلق بمجيء الشهر لا يحتاج الى بيان صاحب الشرع بخلاف ما في الآية وقوله واللذان يأتيانها اي يأتيان الفاحشة وفيه ثلثة اقوال احدها انهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطا وثانيها انهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد وثالثها انهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لانه لو كان كذلك لما كان للتثنية معنى لان الوعد والوعيد انما يأتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم او بلفظ الواحد لدلالته على الجنس فاما التثنية فلا فائدة فيها وقال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة في الآية الاولى عنده السحق وفي الآية الثانية اللواط فحكم الآيتين عنده ثابت غير منسوخ والى هذا التاويل ذهب اهل العراق فلا حد عندهم في اللواط والسحق وهذا بعيد لان الذي عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة في الآية الزنا وان الحكم في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور ذهب اليه الحسن ومجاهد وقتادة والسدي

والسدي والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخهما الحدود بالرجم او الجلد وقوله
فآذوهما قيل في معناه قولان احدهما هو التعيير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس والاخر انه التعيير والتوبيخ باللسان
عن السدي ومجاهد واختلف في الاذى والحبس كيف كان فقال الحسن كان الاذى اولا والاية الاخيرة نزلت من
قبل ثم امران توضع في التلاوة من بعد فكان الاول الاذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم وقال السدي كان الحبس
في الثيبين والاذى في البكرين وقيل كان الحبس للنساء والاذى للرجال وقال الفراء ان الاية الاخيرة نسخت
الاية الاولى وقوله فان تابا اي رجعا عن الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا عنهما اي اصفحوا عنهما وكفوا عن
اذاهما ان الله كان توابا رحيما يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائي في الاية دلالة على نسخ القرآن بالسنة
لانها بالرجم او الجلد قد ثبت بالسنة ومن لم يجوز نسخ القرآن بالسنة يقول ان هذه الاية نسخت بالجلد في الزنا
واضيف اليه الرجم زيادة لا نسخا واما الاذى المذكور في الاية فغير منسوخ فان الزاني يؤذى ويعنف على
فعله ويذم لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بان اضيف الجلد او الرجم اليه قوله تعالى انما التوبة على الله للذين
يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما آيتان

اللغة

اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبيح وقيل يكفي في حدها الندم
على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله في القبح اعتدنا قيل ان اصله اعددنا فابدلت الدال تاء وقيل هو افعلنا
من العتاد وهو العدة قال عدي بن الرقاع ناتيه اسلاب الاعزة عنوة قسرا ويجمع للحروب عتادها
ويقال للفرس المعد للحرب عتد وعتد

الاعراب

موضع الذين يموتون جر
يكون عطفا على قوله للذين يعملون السوء تقديره ولا للذين يموتون

المعنى

لما وصف نفسه
بالتواب الرحيم بين عقيبه شرائط التوبة فقال انما التوبة ولفظة انما تتضمن النفي والاثبات فمعناه لا توبة مقبولة
على الله اي عند الله الا للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب واختلف في معنى قوله بجهالة على
وجوه احدها ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وان كانت على سبيل العمد لانه يدعو اليها الجهل و
يزينها للعبد عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتاده وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام فانه قال كل ذنب عمله
وان كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لاخوته هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله وثانيها
ان معنى قوله بجهالة انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة عن الفراء وثالثها ان معناه انهم
يجهلون انها ذنوب ومعاصي فيفعلونها اما بتاويل يخطئون فيه واما بان يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن
الجبائي وضعف الرماني هذا القول لانه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لا يكون لمن علم
انها ذنوب توبة لان قوله انما التوبة يفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وقال ابو العالية وقتادة اجمعت الصحابة
على ان كل ذنب اصابه العبد فبجهالة وقال الزجاج انما قال بجهالة لانهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة

[في الهامش: وقتاده]

الباقية جهال فهو جهل في الاختيار ومعنى يتوبون من قريب اي يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان
وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين
الموت وقال السدي هو ما دام في الصحة قبل المرض والموت وروي عن علي عليه السلام انه قيل له فان عاد وتاب
مرارا قال يغفر الله له قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وفي كتاب من لا يحضره الفقيه
قال رسول الله صلى الله عليه واله في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان
السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وان الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله
عليه ثم قال وان يوما لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب قبل
موته وقد بلغت نفسه هذه واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه وروى الثعلبي باسناده عن عبادة بن الصامت
عن النبي صلى الله عليه واله هذا الخبر بعينه الا انه قال في آخره وان الساعة لكثيرة من تاب قبل ان يغرغر بها
تاب الله عليه[عليه] وروى ايضا باسناده عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لما هبط ابليس قال وعزتك
وعظمتك لا افارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال الله سبحانه وعزتي وعظمتي لا احجب التوبة عن
عبدي حتى يغرغر بها فاولئك يتوب الله عليهم اي يقبل توبتهم وكان الله عليما بمصالح العباد حكيما فيما يعاملهم
به وليست التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها للذين يعملون السيئات اي المعاصي ويصرون عليها
ويسوفون حتى اذا حضر[حضر] احدهم الموت اي اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطاع الرجاء عن
الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها غير المحتضر قال اني تبت الآن اي فليس عند ذلك توبة واجمع اهل
التاويل على ان هذه قد تناولت عصاة اهل الاسلام الا ما روي عن الربيع انه قال انها في المنافقين وهذا
لا يصح لان المنافقين من جملة الكفار وقد بين الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم كفار ومعناه ليست التوبة
ايضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت اولئك اعتدنا اي هيأنا لهم عذابا اليما موجعا وانما لم
يقبل الله عز اسمه التوبة في حال اليأس واليأس من الحيوة لانه يكون العبد هناك ملجأ الى فعل الحسنات وترك
القبائح فيكون خارجا عن حد التكليف اذ لا يستحق على المدح ولا الذم واذا زال عنه التكليف لم يصح منه
التوبة ولهذا لم يكن اهل الاخرة مكلفين ولا يقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله سبحانه اعتدنا لهم عذابا
اليما على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي الكبائر من المؤمنين قبل التوبة فالانفصال عن استدلاله ان
يقال ان معنى اعداد العذاب لهم انما هو خلق النار التي هي مصيرهم فالظاهر يقتضي استحقاقهم لدخولها وليس في
الاية ان الله تعالى يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون اولئك اشارة الى الذين يموتون وهم كفار
لانه اقرب اليه من قوله للذين يعملون السيئات ويحتمل ايضا ان يكون التقدير اعتدنا لهم العذاب اي عاملناهم
بالعدل ولم نشأ العفو عنهم وتكون الفائدة فيه اعلامهم ما يستحقونه من العقاب وان لم يوجب ان يفعل
بهم ذلك فان قوله سبحانه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا ينافي المشيئة فيه ان المؤمنين من اهل الكبائر الذين
يموتون قبل التوبة لان المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التائب اذ لا خلاف في ان الله تعالى لا يعذب اهل
الطاعة من المؤمنين ولا التائبين من المعصية والكافر خارج ايضا عن المشيئة لاخبار الله عز وجل بانه لا يغفر الكفر

ثم يموت المشية الامرسات مومنا موحدا وقد ارتكب كبيرة لم يتب منها وقال الربيع ان الآية منسوخة بقوله ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء لانه حكم من الله تعالى والنسخ جائز في الاحكام كما جاز في الاوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ في
الاخبار بان يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن او يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون كذا وهذا لا يصح لان
قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في ساير الاخبار قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
آية **القراءة** قرا حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والاحقاف ووافقهما
عاصم وابن عامر ويعقوب في الاحقاف وقرا الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرا بفاحشة مبينة بفتح الياء
ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس مبينة مكسورة الياء خفيفة
الحجة الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدف والدف وقال
سيبويه بين الشيء وبينته وابان الشيء وابنته واستبان الشيء واستبنته وتبين وتبينته ومن اتيان
الكتاب
سل الهموم بكل معطي راسه ... ناج مخالط صهبة متعيس
مغتال احبله مبين عنقه ... في منكب زبن المطي عرندس
وفي نوادر ابي زيد
يبينهم ذو اللب حتى يراهم ... بسيماهم بيضا لحاهم واصلعا
ومن كلامهم قد بين الصبح لذي عينين **اللغة** العضل التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة
ببيضتها اذا عسرت عليها وعضل الفضاء بالجيش الكثير اذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال الذي لا يبرأ
والفاحشة المصدر كالعافية والعاقبة قال ابو عبيدة الفاحشة الشناعة والفحش القبح والمعاشرة المصاحبة
وهو من العشرة **الاعراب** ان ترثوا النساء في موضع رفع بانه فاعل يحل
وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل في الحال ترثوا ولا تعضلوهن يجوز ان يكون نصبا بكونه معطوفا
على ترثوا او بتقدير لا يحل لكم ان ترثوا ولا ان تعضلوا ويجوز ان يكون مجزوما على النهي
النزول قيل ان ابا قيس بن الاسلت
لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن القى ابنه محصن بن ابي قيس ثوبه عليها وورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق
عليها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وآله فقالت يا نبي الله لا انا ورثت زوجي ولا انا تركت فانكح فنزلت هذه الآية
عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او وليه فورث
امرأته كما يرث ماله والقى عليها ثوبا فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها
فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في الرجل يكون تحته المرأة
يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليها ويضارها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن وقيل نزلت في الرجل يحبس
المرأة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام **المعنى**
لما نهى الله سبحانه فيما تقدم عن عادات اهل الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبه بالنهي عن الاستنان بسنتهم في
النساء فقال يا ايها الذين آمنوا اي ايها المؤمنون لا يحل لكم اي لا يسعكم في دينكم ان ترثوا النساء اي نكاح النساء

ابيات ح د

كرها اي على كره منهن وقيل ليس لكم ان تحبسوهن على كره منهن طمعا في ميراثهن وقيل ليس لكم ان تسيئوا صحبتهن
ليفتدين بمالهن او باسقاط الصداق من مهورهن او ليمتن فترثوهن ولا تعضلوهن اي ولا تحبسوهن وقيل
ولا تمنعوهن عن النكاح لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن واختلف في المعنى بهذا النهي على اربعة اقوال
احدها انه الزوج امره الله سبحانه بتخلية سبيلها اذا لم يكن له فيها حاجة وان لا يمسكها اضرارا بها حتى
تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام و
ثانيها انه الوارث نهي عن منع المرأة من التزويج كما كان يفعله اهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن و
ثالثها انه المطلق اي لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعل قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة
الشريفة فاذا لم توافقه فارقها على ان لا تتزوج الا باذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها
خاطب فان ارضته اذن لها وان لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله سبحانه عن ذلك عن ابن زيد ورابعها
انه الولي خوطب بان لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول الاول اصح واظهر الا ان ياتين بفاحشة مبينة
اي ظاهرة وقيل فيه قولان احدهما انه يعني الا ان يزنين عن الحسن وابي قلابة والسدي وقالوا اذا اطلع
منها على زنية فله اخذ الفدية والآخر ان الفاحشة النشوز عن ابن عباس والاولى حمل الآية على كل معصية
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله الا ان ياتين مما ذا هو
فقيل هو من اخذ المال وهو قول اهل التفسير وقيل كان هذا قبل الحدود وكان الاخذ منهن على وجه العقوبة
لهن ثم نسخ عن الاصم وقيل هو من الحبس والامساك على ما تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي
وابي مسلم الا ان ابا علي قال هو منسوخ وابى ابو مسلم النسخ وعاشروهن بالمعروف اي خالقوهن من العشرة التي
هي المصاحبة بما امركم الله به من اداء حقوقهن التي هي النصفة في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل و
قيل المعروف ان لا يضربها ولا يسيء القول فيها ويكون منبسط الوجه معها وقيل هو ان يتصنع لها كما تتصنع
له فان كرهتموهن اي كرهتم صحبتهن وامساكهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه اي في ذلك الشيء وهو
امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد يرزقكم او عطفكم عليهن بعد الكراهة وبه قال ابن عباس ومجاهد وعلى
هذا يكون المعنى ان كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفي هذا حث للازواج على حسن
الصبر فيما يكرهون من الازواج وترغيبهم في امساكهن مع كراهة صحبتهن اذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس
او الدين او المال ويحتمل ان تكون الهاء عائدا الى الذي تكرهونه اي عسى ان يجعل الله فيما تكرهونه خيرا كثيرا والمعنى
مثل الاول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا كثيرا عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته قال القاضي وهذا بعيد لان الله سبحانه حث على الاستمرار على الصحبة فكيف يحث على المفارقة قوله تعالى
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا
غليظا آيتان **اللغة** القنطار اصله ماخوذ من القنطرة ومنه القنطر الداهية لانها كالقنطرة
في عظم الهوة ويقال تقنطر في الامر يقنطر اذا عظم بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه والبهتان الكذب الذي

بواجبه من صحبة على وجه المكابرة له واصله التحير من قوله فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء الى الشيء هو الوصول اليه بالملامسة واصله من الفضاء وهو السعة وفضا يفضوا

فضوا اذا اتسع

الاعراب

بهتانا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله واثما المعنى اتاخذونه مباهتين واثمين

المعنى

لما حث الله سبحانه على حسن معاشرة النساء عند الامساك عقبه ببيان حال الاستبدال فقال مخاطبا للازواج وان اردتم ايها الازواج استبدال زوج مكان زوج اي اقامة امراة مقام امراة واتيتم احداهن اي اعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها قنطارا اي مالا كثيرا على ما قيل فيه من انه ملء مسك ثور ذهبا او انه دية الانسان او غير ذلك من الاقوال التي ذكرناها في اول آل عمران فلا تاخذوا منه اي من المؤتى اي المعطى شيئا اي لا ترجعوا فيما اعطيتموهن من المهر اذا كرهتموهن واردتم طلاقهن اتاخذونه بهتانا هذا استفهام انكار اي تاخذونه باطلا وظلما كالظلم بالبهتان وقيل معناه اتاخذونه بانكار التمليك وسماه بهتانا لان الزوج اذا انكر تمليكه اياها بغير حق استوجب المعطى لها في ظاهر الحكم كان انكاره بهتانا وكذبا واثما مبينا اي ظاهرا لا شك فيه ومتى قيل في الآية لم خص الاستبدال بالنهي عن الاخذ مع ان الاخذ حرام مع عدم الاستبدال ايضا فجوابه ان مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اخذت الاولى فبين سبحانه ان ذلك لا يجوز وازال هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المراة واستبدلتم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا تاخذوا مما اتيتموها شيئا وكيف تاخذونه هذا تعجيب من الله سبحانه وتعظيم اي عجبا من فعلكم كيف تاخذون ذلك منهن وقد افضى بعضكم الى بعض وهو كناية عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل المراد به الخلوة الصحيحة وان لم يجامع وسمي الخلوة افضاء لوصوله بها الى مكان الوطي وكلا القولين قد رواه اصحابنا وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان الافضاء حصوله معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر في الحالين واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل فيه اقوال احدها ان الميثاق الغليظ هو العهد الماخوذ على الزوج حالة العقد من امساك بمعروف او تسريح باحسان عن الحسن وابن سيرين والضحاك وقتاده والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وثانيها ان المراد به كلمة النكاح التي يستحل بها الفرج عن مجاهد وابن زيد وثالثها قول النبي صلى الله عليه وآله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عن عكرمة والشعبي والربيع وقد قيل في هاتين الايتين ثلثة اقوال احدها انهما محكمتان غير منسوختين لكن للزوج ان ياخذ الفدية من المختلعة لان النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون في حكم المكره لا المختار للاستبدال ولا تنافي حكم الايتين وحكم آية الخلع فلا يحتاج الى نسخهما بها وهو قول الاكثرين وثانيها انهما محكمتان فليس للزوج ان ياخذ من المختلعة شيئا ولا من غيرها لاجل هذه الآية عن بكر بن عبد الله المزني وثالثها ان حكمها منسوخ بقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به عن الحسن قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا آية

اللغة

النكاح اسم يقع على العقد ومنه وانكحوا الايامى ويقع على الوطي ومنه الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يطاها بالحرام الا من تطاوعه

ومنه ملعون

ومنه ملعون من نكح يده ملعون من نكح بهيمة وقال الشاعر كبكر تشهى لذيذ النكاح وتفزع من صولة الناكح

اصله الجمع ومنه انكحنا الفرى فسترى والمقت بغض عن امر قبيح يرتكبه صاحبه يقال مقت الرجل الى الناس مقاتة ومقته الناس مقتا فهو مقيت وممقوت ويقال لولد الرجل من امراة ابيه كان يسمى المقتي ومنهم الاشعث بن قيس ومعيط جد الوليد بن عقبة

الاعراب

الا ما قد سلف استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل ونظيره لا اتبع من مالي الا ما بعت ولا تاكل الا ما اكلت ومنه لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى المعنى لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم فيه وقال المبرد جائز ان يكون زائدة في قوله انه كان فاحشة فالمعنى انه فاحشة وانشد في ذلك قول الشاعر فكيف اذا حللت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام قال الزجاج هذا منه لان كان زائدة لم يكن ينصب خبرها والدليل عليه البيت الذي انشده وجيران كانوا كرام ولم يقل كراما قال علي بن عيسى انما دخلت كان ليدل على ان ذلك قبل تلك الحال فاحشة ايضا كما دخلت في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وساء سبيلا اي بئس طريقا ذلك الطريق سبيلا منصوب على التفسير وفاعل ساء مضمر يفسره النكرة والمخصوص بالذم محذوف

النزول

قيل نزلت فيما كان يفعله اهل الجاهلية من نكاح امراة الاب عن ابن عباس وقتاده وعكرمة وعطا قالوا تزوج صفوان بن امية امراة ابيه فاختة بنت الاسود بن المطلب وتزوج حصين بن ابي قيس امراة ابيه كبيشة بنت معن وتزوج منظور بن زبان امراة ابيه مليكة بنت خارجة قال الاشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار فخطب قيس ابنه امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وآله استامره فاتته فاخبرته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله ارجعي الى بيتك فانزل الله هذه الآية

المعنى

لما تقدم ذكر شرايط النكاح عقبه سبحانه بذكر من يحل من النساء ومن لا يحل فقال ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء اي لا تتزوجوا ما تزوج اباؤكم وقيل ما وطئه اباؤكم من النساء حرم عليهم ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امراة الاب عن ابن عباس وعطا وقتاده وعكرمة وقيل ان التقدير لا تنكحوا نكاح ابائكم فيكون ما نكح بمنزلة المصدر ويكون ما حرفا موصولا فعلى هذا يكون النهي عن حلائل الاباء وكل نكاح كان لهم فاسد وهو اختيار الطبري وفي الوجه الاول يكون اسما موصولا يحتاج الى عائد من صلته اليه قال الطبري ان الوجه الثاني اجود لانه لو اراد حلائل الاباء لقال لا تنكحوا من نكح اباؤكم وقد اجيب عن ذلك بانه يجوز ان يكون ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تاخذ ما اخذ ابوك من الاماء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره بمن الا ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به وقيل معناه الا ما قد سلف فدعوه فهو جائز لكم قال البلخي وهذا خلاف الاجماع وما علم من دين الرسول وقيل معناه لكن ما سلف فاجتنبوه ودعوه عن قطرب وقيل انما استثنى ما قد مضى ليعلم انه لم يكن مباحا لهم انه كان فاحشة اي زنا ومقتا اي بغضا يعني يورث بغض الله ويجوز ان يكون الهاء في انه عائدا الى النكاح بعد النهي فيكون معناه ان نكاح امراة الاب فاحشة اي معصية محرمة قبيحة ويجوز ان يكون عائدا الى النكاح الذي كان عليه اهل الجاهلية اي انه كان فاحشة قبل هذا ولا يكون كذلك الا وقد قامت عليهم الحجة بتحريمه من قبل الرسل والاول اقوى وهذا

اختيار الجبائي قال وتكون الا سلف معناه ما قد سلف في الاقلاع عنه بالتوبة والانابة قال البلخي وليس كل نكاح حرمه الله تعالى يكون زنا لان الزنا فعل مخصوص ولا يجري على طريقة لازمة وسنة جارية ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية اولاد زنا ولا لاولاد اهل الذمة والمعاهدين اولاد زنا اذا كان ذلك عقد بينهم متعارفا وقوله وساء سبيلا اي بئس الطريق ذلك النكاح الفاسد وفي هذه الاية دلالة على ان كل من عقد عليها الاب من النساء تحرم على الابن دخل بها الاب او لم يدخل وهذا اجماع فان دخل بها الاب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن فيه خلاف وعموم الاية يقتضي انه تحرم عليه لان النكاح قد يعبر به عن الوطء وهو الاصل فيه كما يعبر به عن العقد فينبغي ان تحمل اللفظة في الاية على الامرين وامراة الاب وان علا تحرم على الابن وان سفل بلا خلاف قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما آية واحدة

اللغة

الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته اياها فهي في معنى مربوبة نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز ان تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها او لم يتول وسواء كانت في حجره او لم تكن لانه اذا تزوج بامها فهو رابها وهي ربيبته والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه ويقولون هذا مقتول وان لم يقتل بعد وهذا ذبيح وان لم يذبح بعد اذا كان يراد ذبحه او قتله وكذلك يقولون هذه اضحية لما اعد للتضحية وهذه قتوبة وحلوبة اي مما تقتب وتحلب وقد يقال لزوج المراة ربيب ابن امراته يعني انه رابه كما يقال شهيد وخبير بمعنى شاهد وخابر والحلائل جمع حليلة وهي بمعنى محلة مشتقة من الحلال والذكر حليل وجمعه احلة كعزيز واعزة سميا بذلك لان كل واحد منهما تحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول لان كل واحد منهما يحل مع صاحبه اي يحل معه في الفراش

المعنى

ثم بين سبحانه المحرمات من النساء فقال حرمت عليكم امهاتكم لا بد فيه من محذوف لان التحريم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بافعال المكلف ثم يختلف باختلاف ما اضيف اليه فاذا اضيف الى ماكول نحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم فالمراد الاكل واذا اضيف الى النساء فالمراد العقد والتقدير حرم عليكم نكاح امهاتكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امراة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك باناث رجعت اليها او بذكور فهي امك وبناتكم اي ونكاح بناتكم وكل امراة رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات باناث رجع نسبها اليك او بذكور فهي بنتك واخواتكم هي جمع الاخت وكل انثى ولدها شخص ولدك في الدرجة الاولى فهي اختك وعماتكم هي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الام مثل اخت ابي امك واخت جد امك فصاعدا وخالاتكم هي جمع الخالة وكل انثى رجع نسبك اليها بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب مثل اخت ام ابيك واخت جدة ابيك فصاعدا واذا خاطب سبحانه المكلفين بلفظ الجمع بقوله حرمت عليكم ثم اضاف المحرمات بعده اليهم بلفظ الجمع فالاحاد يقع بازاء الاحاد فكانه سبحانه قال حرم على كل واحد منكم نكاح امه ومن يقع عليها اسم الام ونكاح بنته

ومن يقع

ومن يقع عليها اسم البنت وكذلك الجمع وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا ايضا على ما ذكرناه جمع بازاء جمع فتقع الاحاد بازاء الاحاد والتحديد في هؤلاء كالتحديد في بنات الصلب فهؤلاء السبع هن المحرمات بالنسب وقد صح عن ابن عباس انه قال حرم الله سبحانه من النساء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب وتلا الاية ثم قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم سماهن امهات للحرمة وكل انثى انتسبت اليها باللبن فهي امك فالتي ارضعتك او ارضعت امراة ارضعتك او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولده فهي امك من الرضاعة وكذلك كل امراة ولدت امراة ارضعتك او رجلا ارضعك فهي امك من الرضاعة واخواتكم من الرضاعة يعني بنات المرضعة وهن ثلث الصغيرة الاجنبية التي ارضعتها امك بلبان ابيك سواء ارضعتها معك او مع ولد قبلك او بعدك والثانية اختك لامك دون ابيك وهي التي ارضعتها امك بلبان رجل غير ابيك والثالثة اختك لابيك دون امك وهي التي ارضعتها زوجة ابيك بلبن ابيك وام الرضاعة واخت الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرما والرضاعة سبب تحريمهما وكل من تحرم من النسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم امثالهن بالرضاع لقول النبي صلى الله عليه وآله ان الله تعالى حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر ان السبع المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره الله تعالى بالرضاع والكلام في الرضاع يشتمل على ثلثة فصول احدها مدة الرضاع وقد اختلف فيها فقال اكثر اهل العلم لا يحرم الا ما كان في مدة الحولين وهو مذهب اصحابنا وبه قال الشافعي وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة مدة الرضاع حولان ونصف وقال مالك حولان وشهر واتفقوا على ان رضاع الكبير لا يحرم وثانيها قدر الرضاع واختلف فيه ايضا فقال ابو حنيفة ان قليله وكثيره يحرم وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالك والاوزاعي وقال الشافعي انما يحرم خمس رضعات وبه قالت عايشة وسعيد بن جبير فقال اصحابنا رضي الله عنه لا يحرم الا ما انبت اللحم واشتد العظم وانما يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة لا يفصل بينه برضاع امراة اخرى او بخمس عشرة رضعة متواليات لا يفصل بينها برضاع امراة اخرى وقال بعض اصحابنا المحرم عشر رضعات متواليات وثالثها كيفية الرضاع فعند اصحابنا لا يحرم الا ما وصل الى الجوف من الثدي في المجرى المعتاد الذي هو الفم فاما ما يوجر او يسعط او يحقن به فلا يحرم بحال ولبن الميتة لا حرمة له في التحريم وفي جميع ذلك خلاف وقوله وامهات نسائكم اي وحرم عليكم نكاحهن وهذا يتضمن تحريم نكاح امهات الزوجات وجداتهن قربن ام بعدن من اي وجه كن سواء كن من النسب او من الرضاع وهن يحرمن بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت او لم يدخل لان الله تعالى اطلق التحريم ولم يقيده بالدخول وربائبكم يعني بنات نسائكم من غيركم اللاتي في حجوركم وهو جمع حجر الانسان والمعنى في ضمانكم وتربيتكم ويقال فلان في حجر فلان اي في تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن في حجره ليس بشرط في التحريم وانما ذكر ذلك لان الغالب انها تكون كذلك وهذا يقتضي تحريم بنت المراة من غيره على زوجها وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت ام بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهذا نعت لامهات الربائب لا غير لحصول الاجماع على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل بامها قال المبرد ومن اجاز ان يكون قوله من نسائكم اللاتي

اخره

وانشده

دخلتم بهن هو لامهات نسائكم فيكون المعنى وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن ويخرج ان يكون اللاتي دخلتم
بهن لامهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز
النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء
النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده عن اسحق بن عمار عن جعفر بن محمد عن ابيه قال ان عليا عليه السلم
كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات اللاتي قد دخلتم بهن هن في الحجور او غير الحجور والامهات مبهمات دخل
بالبنات او لم يدخل بهن فحرموا ما حرم الله وابهموا ما ابهم الله واختلف في معنى الدخول على قولين احدهما ان المراد
به الجماع عن ابن عباس والاخر انه الجماع وما يجري مجراه من المسيس والتجريد عن عطا وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف
بين الفقهاء فان لم تكونوا دخلتم بهن يعني بام الربيبة فلا جناح عليكم اي لا اثم عليكم في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن
او متن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اي وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال الشبهة في امر زوجة
المتبنى به فقال الذين من اصلابكم لئلا يظن ان زوجة المتبنى به تحرم على المتبني وروى عن عطا ان هذه
نزلت حين نكح النبي صلى الله عليه وآله امراة زيد بن حارثة فقال المشركون في ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم وقوله وما جعل ادعيائكم ابنائكم وما كان محمد ابا احد من رجالكم واما حلائل الابناء من
الرضاع فمحرمات ايضا بقوله عليه السلم ان الله عز وجل حرم من الرضاع ما حرم من النسب وان تجمعوا بين الاختين
اي حرم عليكم الجمع بين الاختين لان ان مع صلتها في حكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع بين الاختين
في العقد على الحراير وتحريم الجمع بينهما في الوطي بملك اليمين فاذا وطي احديهما فقد حرمت عليه الاخرى حتى يخرج
تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء الا ما قد سلف استثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف
لا يواخذكم الله به وليس المراد به ان ما سلف حال النهي يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه الا ما كان من يعقوب
اذ جمع بين الاختين ليا ام يهودا وراحيل ام يوسف عن عطا والسدي ان الله كان غفورا رحيما لا يواخذكم بحكم ما جمعات ح
سلف من هذه الانكحة قبل نزول التحريم وكل ما حرمه الله سبحانه في هذه الاية فانما هو على وجه التابيد سوا كن مجتمعات
او منفردات الا الاختين فانهما يحرمان على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الاية على ان هؤلاء المحرمات
من ذوات الانساب لا يحل لاحد ان تملك واحدة منهن لان التحريم عام والمحرمات بالنسب او السبب على وجه
التابيد يسمون مبهمات لانهن يحرمن من جميع الجهات وهي ماخوذة من البهيم التي لا تخالطه معظم لون لون آخر
يقال فرس بهيم لا شية له ۞ قوله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل
لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن
اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما
آية **القراءة** قرا الكسائي وحده والمحصنات ومحصنات بكسر الصاد في ساير القرآن
الا قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فانه فتح الصاد فيه وقرا الباقون بفتح الصاد في كل القرآن
وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر وابو جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرا الباقون بفتح الهمزة والحاء
الحجة وقع الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات في هذه الاية ومعناها النساء اللاتي احصن

... ربوب
... لعباده المؤمنين 222

بالازواج والاحصان يقع على الحرية يدل عليه قوله والذين يرمون المحصنات الاية لا يعني الحراير لان من قذف غير حرة
لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة يدل عليه قوله ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها وقد فسر قوله ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات بالعفايف ويقع على التزويج كما في الاية ويقع على الاسلام كما فسر من قرا فاذا احصن بفتح الهمزة
بالسلمن واصل الجميع المنع لان الحرية تمنع عن امتهان الرق والعفة حظر النفس عما حظر الشرع والتزويج في المراة يحظر
خطبتها التي كانت مباحة قبل ويمنع تصديها للتزويج والاسلام يحظر الدم والمال اللذين كانا مباحين قبل
الاسلام ومن قرا واحل لكم ما وراء ذلكم فان بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لان معنى كتاب الله عليكم كتب الله عليكم
كتابا واحل لكم ومن قرا واحل لكم فان الاثر في المعنى يؤل الى الاول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت عليكم
اللغة قال الازهري يقال للرجل اذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج اذا
اعدم وافنز واسهب فهو مسهب اذا اكثر الكلام وكلام العرب كله على افعل فهو مفعل وقال سيبويه حصنت المراة
حصنها فهي حصان مثل جبنت جبنا فهي جبان وقد قالوا حصنا كما قالوا علما والحصان الفحل من الافراس
واحصن الرجل امراته واحصنت المراة فرجها من الفجور المسافحة والسفاح الزنا واصله من السفح وهو صب الماء
بالاطلاق وسفح الجبل اسفله لانه مصب الماء لانه مصبت الماء منه قال الزجاج المسافحة والسافح الزانيان لا يمتنعان
من احد فاذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن **الاعراب**
كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف واصله كتب الله كتابا عليكم ثم اضمر الفعل لدلالة ما تقدم من الكلام
عليه وهو قوله حرمت عليكم فانه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقي كتاب الله عليكم ثم اضيف المصدر
الى الفاعل كما اضيف الى المفعول في قولهم من ضرب زيد ومثل ذلك قوله تعالى صنع الله وعلى ذلك قول الشاعر
ما ان يمس الارض الا جانب منه وحرف الساق طي المحمل لان ما في البيت يدل على انه طيان وكان تقديره
طوي طي المحمل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز ان
يكون منصوبا بعليكم لان عليكم لا يجوز تقديم منصوبه وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول في موضع نصب بانه
مفعول على قراءة من قرا واحل لكم بفتح الهمزة ومن قرا واحل بالضم فمحله رفع ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا
نصبا على البدل من ما ان كان منصوب الموضع او رفعا او كان محله رفعا ويجوز ان يكون على حذف اللام
من لان تبتغوا على ما تقدم امثاله فيما مضى فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا
غير مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال اي مفروضة
المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال والمحصنات اي وحرمت
عليكم اللاتي احصن من النساء واختلف في معناه على اقوال احدها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت
ايمانكم من سبي من كان لها زوج عن علي عليه السلم وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري واستدل بعضهم على ذلك
بخبر ابي سعيد الخدري ان الاية نزلت في سبي اوطاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن ازواج في دار
الحرب فلما نزلت نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله الا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى ولا الحبالى ح ر
حتى يستبرئن بحيضة ومن خالف فيه ضعف هذا الخبر بان سبي اوطاس كانوا عبدة الاوثان ولم يدخلوا في الاسلام

ولا يحل نكاح الوثنية واجيب عن ذلك بان الخبر محمول على ما بعد الاسلام وثانيها ان المراد بهن ذوات الازواج
الا ما ملكت ايمانكم ممن كان لها زوج فان بيعها طلاقها عن ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس وابن المسيب والحسن
وقال ابن عباس طلاق الامة ست بيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها
هو الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليس بيع الامة طلاقها بل طلاقها كطلاق
الحرة وانما هو في السبي خاصة لان النبي صلى الله عليه وآله خير بريرة بعد ما اعتقتها عائشة ولو بانت بالعتق لم
يصح تخييرها وقال الاولون ان زوج بريرة كان عبدا ولو كان حرا لم يخيرها النبي صلى الله عليه وآله وثالثها
ان المراد بالمحصنات العفايف الا ما ملكت ايمانكم بالنكاح او بالثمن ملك استمتاع بالمهر والنفقة او ملك استخدام
بالثمن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وعطاء والسدي كتاب الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم وتحليل ما حلل
عليكم كتابا فلا تخالفوه وتمسكوا به وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم قيل في معناه اربعة اقوال
احدها احل لكم ما وراء ذوات المحارم من اقاربكم عن عطاء وثانيها ان معناه احل لكم ما دون الخمس وهي
الاربع فلا تحلوا ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح عن السدي وثالثها ما وراء ذلكم مما ملكت ايمانكم عن
قتادة ورابعها احل لكم ما وراء ذات المحارم والزيادة على الاربع ان تبتغوا باموالكم نكاحا او ملك يمين
وهذا الوجه احسن الوجوه ولا تنافي بين هذه الاقوال ومعنى ان تبتغوا ان تطلبوا او تلتمسوا باموالكم اما شراء
بثمن او نكاحا بصداق عن ابن عباس محصنين غير مسافحين اي متزوجين غير زانين وقيل معناه اعفة غير زناة
وقوله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء
الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد فمعناه على هذا فما انتفعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن
وقيل المراد به نكاح المتعة وهي النكاح المنعقد بمهر معين الى اجل معلوم عن ابن عباس والسدي وسعيد بن جبير وجماعة من
التابعين وهو مذهب اصحابنا الامامية وهو الواضح لان لفظ الاستمتاع والتمتع وان كان في الاصل واقعا على الانتفاع
والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لا سيما اذا اضيف الى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى
عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن اجورهن ويدل على ذلك ان الله سبحانه علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع
وذلك يقتضي ان يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لان المهر لا يجب الا به هذا وقد روي
عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم انهم قرأوا فما استمتعتم به منهن
الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وفي ذلك تصريح بان المراد به عقد المتعة وقد اورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن
ثابت قال اعطاني ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة ابي فقرأت فيه فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده
عن ابي نضرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرأ سورة النساء فقلت بلى قال فما تقرأ فما استمتعتم به منهن الى
اجل مسمى قلت لا اقرأها هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله ثلاث مرات وباسناده عن سعيد بن جبير انه
قرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سألته عن هذه الآية فما استمتعتم
به منهن امنسوخة هي قال لا قال الحكم قال علي بن ابي طالب عليه السلم لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي وباسناده
عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله عز وجل لم ينزل آية بعدها تنسخها فامرنا بها رسول الله

صلى الله عليه وآله وتمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومات ولم ينهنا عنها فقال رجل بعد برأيه ما شاء
ومما اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله
معتمرا فجئناه في منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه
وآله وابي بكر وعمر ومما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه
لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف
المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد لانه قال فآتوهن اجورهن
اي مهورهن ولا خلاف في ان ذلك غير واجب وانما يجب المهر كاملا بنفس العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به
في هذه المسألة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
حلالا وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فاخبر بان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
واضاف النهي عنها الى نفسه لضرب من الرأي فلو كان النبي صلى الله عليه وآله نسخها او نهى عنها او اباحها في وقت
مخصوص دون غيره لاضاف التحريم اليه عليه السلم دون نفسه وايضا فانه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي
ولا خلاف ان متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب ان يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من قال ان المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا اثم عليكم
فيما تراضيتم به من زيادة مهر او نقصانه او حط او ابراء او تأخير قال السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من استيناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الاجل المضروب في عقد المتعة يزيدها الرجل في الاجر وتزيده في المدة وهذا
قول الامامية وتظاهرت به الروايات عن ائمتهم عليهم السلم ان الله كان عليما بما يصلح امر الخلق حكيما فيما فرض لهم
من عقد النكاح الذي به تحفظ الاموال والانساب قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض
فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي
العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص فاذا احصن مفتوحة الهمزة والباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد

اللغة

الطول الغنى وهو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنى به لانه ينال به معالي الامور والتطول الافضال
بالمال والتطاول على الناس التفضل عليهم وكذلك الاستطالة وطاول فلان فلانا اذا فاضله في القدرة يقال
طاولته فطلته ولم يحل منه فلان بطائل اي بشيء له مزية اي فضل وطالت طولك وطيلك اي طالت مدتك
قال الشاعر
انا محيوك فاسلم ايها الطلل ... وان بليت وان طالت بك الطيل
والطول الحبل قال طرفة
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى ... لكالطول المرخى وثنياه باليد
والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الامة وان كانت عجوزا لانها كالصغيرة في انها لا توقر توقير
الحرة والفتوة حالة الحداثة ومنه الفتيا لقولهم افتى الفقيه يعني لانه في مسألة حادثة والخدن الصديق

وجمعه اخدان نحو ترب واتراب ويستوي فيه المؤنث والمذكر والواحد والجمع والخدن بمعناه والعنت الجهد والشدة
والمكروه وهو معنى المرتقى قال المبرد العنت الهلاك ههنا **المعنى** ثم بين سبحانه
نكاح الاماء فقال ومن لم يستطع منكم طولا اي من لم يجد منكم غنى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة و
السدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ان ينكح اي يتزوج المحصنات المؤمنات اي الحراير المسلمات يعني من لم يقدر
على شيء مما يصلح لنكاح الحراير من المهر والنفقة فمما ملكت ايمانكم اي فلينكح مما ملكت ايمانكم من فتياتكم اي امائكم المؤمنات
فان مهور الاماء اقل ومؤنتهن اخف في العادة والمراد بر اماء الغير لانه لا يجوز ان يتزوج الرجل بامة نفسه بالاجماع
وقيل ان المعنى من هوى الامة فله ان يتزوجها وان كان ذا يسار عن جابر وعطا وابرهيم وربيعة والقول الاول
هو الصحيح وعليه اكثر الفقهاء وفي الاية دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية لانه تعالى قيد جواز العقد عليهن
بالايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وهو مذهب مالك والشافعي والله اعلم بايمانكم اراد عز اسمه بهذا بيان انه
لم يوجد عليها الايمان تاخذا بالظاهر في هذا الحكم اذ لا سبيل لنا الى الوقوف على حقيقة الايمان والله سبحانه هو
المتفرد بعلم ذلك لا علم به احد غيره فانه العالم بالسراير المطلع على الضماير بعضكم من بعض قيل فيه قولان احدهما
ان المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الاماء فانهن من جنسكم كالحراير والاخر ان معناه كلكم على الايمان
ودينكم واحد فلا ينبغي ان يعير بعضكم بعضا بالهجنة نهى الله سبحانه عن عادة اهل الجاهلية في الطعن والتعيير
بالاماء فانكحوهن يعني فتيات المؤمنات اي تزوجوهن باذن اهلهن اي باذن اسيادهن ومواليهن وفي هذا
دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة بغير اذن مالكها واتوهن اجورهن اي اعطوا مالكهن مهورهن بالمعروف
اي بما لا ينكر في الشرع وهو ما تراضى عليه الاهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل وضرار محصنات
اي عفايف يريد تزوجوهن عفايف غير مسافحات اي غير زوان وقيل معناه متزوجات غير زانيات
وقد قرئ محصنات ومحصنات بفتح الصاد وكسرها على ما مر ذكره في الاية الاولى ولا متخذات اخدان اي اخلاء
في السر لان الرجل منهم كان يتخذ صديقة فيزني بها والمراة تتخذ صديقا فتزني به وروي عن ابن عباس انه
قال كان قوم في الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه فنهى سبحانه عن الزنا سرا وجهرا فعلى
هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان غير زانيات لا سرا ولا جهرا فاذا احصن من قرا
بضم الهمزة فمعناه فاذا زوجن فاحصنهن ازواجهن وهو معنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبير و
مجاهد وقتادة ومن قرا بالفتح فمعناه اسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابرهيم والشعبي والسدي وقال
الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الاسلام فان اتين بفاحشة اي فان زنين فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب اي نصف ما على الحراير من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرة وذلك اشارة الى
نكاح الامة عند عدم الطول لمن خشي العنت منكم يعني الزنا وهو ان يخاف ان يحمله شدة الشبق على الزنا
فيلقى الحد في الدنيا او العذاب في الاخرة وعليه اكثر المفسرين وقيل معناه لمن خاف ان يهواها ويزني بها وقيل
معنى العنت الضرر الشديد في الدين او الدنيا لغلبة الشهوة والاول اصح وان تصبروا خير لكم معناه وصبركم
عن نكاح الاماء وعن الزنا خير لكم وان تصبروا ابتداء وخير خبره والله غفور لذنوب عباده رحيم بهم

وفائدته انه لم يصبر عما امر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله له ورحمه واستدلت الخوارج بهذه الاية على بطلان الرجم
لانه لا يمكن تبعيضه وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فعلمنا ان الرجم لا اصل له والجواب
عن ذلك اذا كان المراد بالمحصنات الحراير سقط هذا القول ويدل على ذلك قوله سبحانه في اول الاية ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات ولا اشكال انه اراد بها الحراير والعفايف لان اللاتي هن ازواج لا يمكن العقد
عليهن على ان في الناس من قال ان المحصنات هنا المراد بها الحراير دون العفايف لانه لو كانت مختصة بالعفايف
لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم ان ذلك جايز هذا والرجم اجمعت الامة على انه من احكام الشرع وتواتر النقل
بان النبي صلى الله عليه وآله رجم ماعز بن مالك الاسلمي ورجم يهوديا ويهودية ولم يختلف فيه الفقهاء من
عهد الصحابة الى يومنا هذا والخلاف للخوارج في ذلك شاذ عن الاجماع فلا يعتد به قوله تعالى يريد الله ليبين
لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ۝ و
الله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ۝
يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثلث آيات **الاعراب**
ذكر في اللام من قوله ليبين لكم ثلثة اقوال احدها ان معناها ان وان ياتي مع امرت واردت لانها
تطلب الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت فلما كانت ان في ساير الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا لها
باللام وربما جمعوا بين اللام وكي لتاكيد الاستقبال قال الشاعر   اردت لكيما لا ترى لي عثرة
ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل هذا قول الكسائي والفراء وانكره الزجاج والثاني   اردت لكيما يعلم الناس انها
سراويل قيس والوفود شهود قال ولو كانت اللام بمعنى ان لم تدخل على كي كما لا تدخل ان على كي قال
ومذهب سيبويه واصحابه ان اللام دخلت هنا على تقدير المصدر اي الارادة للبيان نحو قوله تعالى ان كنتم
للرؤيا تعبرون اي ان كانت عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله لربهم والذين هم لربهم يرهبون اي هم رهبتهم لربهم
قال كثير   اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل والقول الثالث ان بعض النحويين منع
هذين الوجهين بان جعل اللام بمعنى ان لم يقم به حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى
ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم والتاخير نحو لزيد ضربت وللرؤيا تعبرون لان عمل الفعل
في التقديم يضعف كعمل المصدر في التاخير ولذلك لم يجز الا في المعرف فاما ردف لكم فمعناه تاويل ردف
ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وامرنا لنسلم وهذه الاقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه
انه معمول يريد محذوف وتقديره يريد الله تبصيركم ليبين لكم **المعنى** ثم بين سبحانه
نعمة التحليل والتحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال الله سبحانه يريد الله ما يريد ليبين لكم احكام
دينكم ودنياكم وامور معاشكم ومعادكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم فيه قولان احدهما يهديكم الى طرق
الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لما لكم فيه من المصلحة والاخر سنن
الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرايقهم ويتوب عليكم اي
ويقبل توبتكم وقيل يريد عليكم بالدعاء اليها والحث عليها ونشر السبيل اليها وفي هذا دلالة على بطلان مذهب

اي امرنا بامرنا لنسلم ... يريد تبصيركم ...

المجبرة لانه سبحانه بين انه لا يريد الا الخير والصلاح والله عليم حكيم مر تفسيره والله يريد ان يتوب عليكم اى
ملطف فى توبتكم ان وقع منكم زلل وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقوى دواعيكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات
فيه اقوال احدها ان المعنى بذلك جميع المبطلين فان كل مبطل متبع شهوة نفسه فى باطله عن ابن زيد
وثانيها ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد وثالثها انهم اليهود والنصارى عن السدى ورابعها
انهم اليهود خاصة اذ قالوا ان الاخت من الاب حلال فى التورية والقول الاول اقرب ان تميلوا ميلا عظيما
اى تعدلوا عن الاستقامة عدولا بينا بالاستكثار من المعصية وذلك ان الاستقامة هى المودية الى الثواب والفوز
من العقاب والميل عنها يودى الى الهلاك واستحقاق العذاب واذا قيل لم كرر قوله سبحانه يتوب عليكم مع
مجرا به انه للتاكيد وايضا فان فى الاول بيان انه يريد الهداية والانابة وفى الثانى بيان ان ارادته خلاف
ارادة اصحاب الاهواء وايضا انه اتى فى الثانى بان لبزول الايهام انه يريد ليتوب ولا يريد ان يتوب
فانما قال سبحانه ميلا عظيما لان العاصى يانس بالعاصى كما يانس المطيع بالمطيع ويسكن الشكل الى الشكل ويالف به
ولان العاصى يريد مشاركة الناس اياه فى المعصية ليسلم من ذمهم وتوبيخهم ونظيره قوله سبحانه ودوا لو تدهن
فيدهنون ودوا لو تكفرون كما كفروا وفى المثل من احرق كدسه تمنى احراق كدس غيره على ذلك جبلت
القلوب يريد الله ان يخفف عنكم يعنى فى التكليف فى امر النساء والنكاح باباحة نكاح الاماء عن مجاهد و
طاوس ويجوز ان يريد التخفيف بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد التخفيف فى التكليف على العموم
وذلك انه سبحانه خفف عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامم الماضية وخلق الانسان ضعيفا فى امر
النساء وقلة الصبر عنهن وقيل خلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن
تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا آيتان

القراءة

قرا اهل الكوفة تجارة نصبا والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو على من رفع فتقديره الا
ان تقع تجارة فالاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل ضربين
احدهما الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض ومثل ذلك قال الشاعر اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
اى اذا كان اليوم يوما والاخر الا ان تكون الاموال اموال تجارة فحذف المضاف واقيم المضاف مقامه فا
الاستثناء على هذا الوجه منقطع

المعنى

لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجه
المشروع عقبه بتحريم الاموال فى الوجه الباطل فقال يا ايها الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا اموالكم
بينكم ذكر الاكل واراد سائر التصرفات وانما خص الاكل لانه معظم المنافع وقيل لانه يطلق على وجوه الانفاق
اسم الاكل فيقال اكل ماله بالباطل وان انفقه فى غير الاكل ومعناه لا ياكل بعضكم اموال بعض وفى قوله بالباطل
قولان احدهما انه الربا والقمار والبخس والظلم عن السدى وهو المروى عن الباقر عليه السلام والاخر ان
معناه بغير استحقاق من طريق الاعواض عن الحسن قال فكان الرجل يتحرج ان ياكل عند احد من الناس بعد ما نزلت

هذه الآية الى ان نسخ

هذه الآية الى ان نسخ ذلك بقوله فى سورة النور ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله ان تاكلوا جميعا او
اشتاتا والاول اقوى لان ما اكل على وجه مكارم الاخلاق لا يكون اكلا بالباطل وثالثها ان
معناه اخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل الا ان تكون تجارة اى مبايعة ثم وصف التجارة فقال عن تراض منكم
اى يرضى كل واحد منكما بذلك وقيل فى معنى التراضى بالتجارة قولان احدهما انه امضاء البيع بالتفرق او التخاير
بعد العقد وهو قول شريح والشعبى وابن سيرين ومذهب الشافعية والامامية لقوله البيعان بالخيار ما
لم يتفرقا او يكون بيع خيار وربما قالوا او يقول احدهما للاخر اختر والثانى انه البيع بالعقد فقط عن مالك
وابى حنيفة ولا تقتلوا انفسكم فيه اربعة اقوال احدها ان معناه لا يقتل بعضكم بعضا لانكم اهل دين واحد
وانتم كنفس واحدة كقوله فسلموا على انفسكم عن الحسن وعطا والسدى والجبائى وثانيها انه نهى الانسان
عن قتل نفسه فى حال غضب او ضجر عن ابى القسم البلخى وثالثها معناه لا تقتلوا انفسكم بان تهلكوها بارتكاب
الاثام والعدوان فى اكل المال بالباطل وغيره من المعاصى التى تستحقون بها العذاب ورابعها ما روى عن
ابى عبد الله عليه السلام ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم فى القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه ان الله كان بكم
رحيما اى لم يزل سبحانه كان بكم رحيما ومن رحمته انه حرم عليكم قتل الانفس والاموال ومن يفعل
ذلك قيل ان ذلك اشارة الى اكل الاموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل اشارة الى المحرمات فى هذه السورة
من قوله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وقيل اشارة الى فعل كل ما نهى الله عز وجل عنه
من اول السورة وقيل الى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا عدوانا وظلما قيل هما واحد واتى بهما لاختلاف
اللفظين كما قال الشاعر والفى قولها كذبا ومينا وقيل العدوان تجاوز ما امر به والظلم ان
ياخذه على غير وجه الاستحقاق وقيل انما قيده سبحانه بالعدوان والظلم لانه اراد به المستحلين فسوف
نصليه نارا اى نجعله صلى نار ونحرقه بها وكان ذلك اى ادخاله النار وتعذيبه فيها على الله يسيرا هينا
لا يمنعه مانع ولا يدفعه عن دافع ولا ينفعه عنه الاباء ذنب شافع قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما آية

القراءة

قرا ابو جعفر ونافع مدخلا كريما مفتوحة الميم وقرا الباقون مدخلا بالضم

الحجة

قال
ابو على من قرا مدخلا يحتمل ان يكون مصدرا ويحتمل ان يكون مكانا قال ان حملته على المصدر اضمرت له فعلا
دل عليه الفعل المذكور وتقديره يدخلكم فتدخلون مدخلا وان حملته على المكان فتقديره يدخلكم مكانا كريما
هذا اشبه هنا لان المكان قد وصف بالكريم فى قوله سبحانه ومقام كريم ومن قرا مدخلا فيجوز فيه ايضا ان
يكون مكانا وان يكون مصدرا

اللغة

الاجتناب المباعدة عن الشىء وتركه جانبا ومنه
الاجنبى ويقال ما يأتينا فلان الا عن جنابة اى عن بعد قال علقمة بن عبدة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة
فانى امرؤ وسط القباب غريب وقال الاعشى واتيت حريثا زائرا عن جنابة وكان حريث عن عطاى جامدا
والتكفير اصله الستر

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر السيئات عقبه بالترغيب فى اجتنابها ان
تجتنبوا اى تتركوا جانبا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اختلف فى معنى الكبيرة فقيل كل ما اوعد الله

عز اسمه عليه في الآخرة عقابا واوجب في الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله
عنه فهو كبيرة عن ابن عباس والى هذا ذهب اصحابنا رضي الله عنهم فانهم قالوا المعاصي كلها كبائر من حيث كانت
قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما يكون صغيرا بالاضافة الى ما هو اكبر منه ويستحق
العقاب عليها اكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم ان العقاب
اللازم عليه يحبط بالاتفاق بينهم وهل يحبط مثله من ثواب صاحبه فعند ابي هاشم ومن قال بالموازنة
يحبط وعند ابي علي الجبائي لا يحبط بل يسقط الاقل ويبقى الاكثر على حاله والكبيرة عندهم ما كبر عقابه عن ثواب
صاحبه قالوا ولا يعرف شيء من الصغائر ولا معصية الا ويجوز ان يكون كبيرة فان في تعريف الصغائر اغراء
بالمعصية لانه اذا اعلم المكلف انه لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة اليها فعلها وقالوا عند اجتناب
الكبائر يجب غفران الصغائر ولا يحسن معه المواخذة بها وليس في ظاهر الآية ما يدل عليه فان معناه على ما رواه
الكلبي عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب التي اوجب الله فيها الحد وسمى فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك
من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان وقيل معنى ذلك ان تجتنبوا كبائر ما
نهيتم عنه في هذه السورة من المناكح واكل الاموال والظلم وغيره من المحرمات من اول السورة الى هذا الموضع
وتركتموها في المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف وبهذا قال ابن مسعود كل ما نهى الله عنه
من اول السورة الى رأس الثلثين فهو كبيرة ويعضد هذا القول من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وندخلكم مدخلا كريما اي مكانا طيبا
حسنا لا ينغصه شيء وقد ذكرنا المعنى في القراءتين فاما تفصيل الكبائر الموبقة على ما وردت به الآثار والآيات
مسندا فنذكر منه جملة مقنعة روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن ابي جعفر محمد بن علي عن ابيه علي بن موسى
الرضا عن ابيه موسى بن جعفر عليهم السلام قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام
فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله عليه السلام ما اسكتك
قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل قال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك بالله يقول الله عز وجل
ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وبعده اليأس من روح
الله لان الله يقول ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر الله لان الله يقول ولا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لان الله عز وجل جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبرا
بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ومنها قتل النفس التي حرم الله الا بالحق لانه سبحانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقذف المحصنات لان الله عز وجل يقول ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم واكل مال اليتيم ظلما لقوله عز وجل ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير واكل الربا لان الله عز وجل يقول ان الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر

لان الله

لان الله عز وجل قال ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق والزنا لان الله تعالى يقول ومن يفعل ذلك
يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس لان الله تعالى يقول ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم الآية والغلول قال سبحانه ومن يغلل يأت بما غل يوم
القيمة ومنع الزكوة المفروضة لان الله عز وجل يقول يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
الآية وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وشرب الخمر لان الله
تعالى عدل بها عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله عز وجل لان رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لان
الله تعالى يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه
ونازعكم في الفضل والعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الكبائر سبع اعظمهن الاشراك بالله وقتل
النفس المؤمن واكل الربوا واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقي الله سبحانه
وهو بريء منهن كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس
كم الكبائر سبع هي قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار رواهما الواحدي
في تفسيره بالاسناد مرفوعا قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما آية

القراءة

قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بغير همز وكذلك كل ما كان امرا للمواجه في كل القرآن والباقون بالهمز ولم
يختلفوا في وليسألوا ما انفقوا انه مهموز

الحجة

قال ابو علي الهمز وترك الهمز حسنان
ولو خففت الهمزة في قوله وليسألوا كان ايضا حسنا

اللغة

التمني هو قول القائل لما لم يكن ليته
كان كذا او ليته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب ومن قال بذلك قال ليس هو من
قبيل الشهوة ولا من قبيل الارادة لان الارادة لا تتعلق الا بما يصح حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالارادة والتمني
قد يتعلق بما مضى واهل اللغة ذكروا التمني في اقسام الكلام

النزول

قيل جاءت وافدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله اليس الله تعالى رب الرجال والنساء
وانت رسول الله اليهم جميعا فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا
حاجة فنزلت هذه الآية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث
فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية المواريث قالت الرجال
نرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر
النساء وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث
على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسدي

المعنى

لما بين سبحانه حكم الميراث
وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض اي لا يقل احدكم ليت ما اعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فان ذلك يكون حسدا ولكن

والتمني قد تعلق بما لا يصح حدوثه

يجوز ان يقول اللهم اعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل
ان يتمنى ان لو كان امراة ولا للمراة ان تتمنى ان لو كانت رجلا لان الله تعالى لا يفعل الا ما هو الاصلح فيكون
قد تمنى ما ليس بالاصلح او ما يكون مفسدة عن البلخي ويمكن ان يقال في ذلك انه يجوز ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة
كما نقول في حسن السؤال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قيل فيه وجوه
احدها ان لكل حظا من الثواب على حسب ما كلفه الله سبحانه من الطاعات بحسن تدبيره فلا تتمنوا خلاف هذا
التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتادة وثانيها ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيبا مما اكتسب
من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقنع كل منهم ويرضى بما قسم الله
له وثالثها ان لكل منهما نصيبا من الميراث على ما قسمه الله تعالى عن ابن عباس فالاكتساب على هذا القول
بمعنى الاصابة والاحراز واسألوا الله من فضله معناه ان احتجتم الى ما لغيركم واعجبكم ان يكون لكم مثل ماله
فاسألوا الله ان يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لان المسألة لا تحسن
الا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان
يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وقال سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسألة الا ليعطي ان الله كان بكل شيء
عليما معناه ان الله عليم بكل شيء ولم يزل كذلك فيعلم ما يظهرونه وما يضمرونه من الحسد ويقسم الارزاق بين العباد
على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فانه لا يحصل من تمنيه الا على الغم والاثم
قوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
ان الله كان على كل شيء شهيدا آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة عقدت
بغير الف والباقون عاقدت بالف **الحجة** قال ابو علي الذكر الذي
يعود من الصلة الى الموصول ينبغي ان يكون ضميرا منصوبا فالتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم فجعل الايمان
في اللفظ هي العاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب الايمان والمعنى الذين عاقدت حلفهم ايمانكم
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعاقدت اشبه بهذا المعنى لان لكل نفر من المعاقدين يمينا على
المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام المضاف اليه مقامه
والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على المعنى اذ كان من كل واحد من الفريقين يمين والذين قالوا عقدت
حملوا الكلام على لفظ الايمان لان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان في اللفظ انما اسند الى الايمان
اللغة اصل المولى من ولي الشيء يليه ولاية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى
يقع على وجوه المعتق والمعتق وابن العم والورثة والحليف والولي والسيد المطاع والاولى بالشيء والاحق
وهو الاصل في الجميع فسمي المعتق مولى لانه اولى بميراث المعتق او اولى بنصرة المعتق من غيره وابن العم اولى بنصرة ابن
عمه لقرابته والورثة اولى بميراث الميت من غيرهم والحليف اولى بامر محالفه للمحالفة التي جرت بينهما والولي اولى
بنصرة من يواليه والسيد اولى بتدبير من يسوده من غيره ومنه الخبر ايما امراة نكحت بغير اذن مولاها اي من هو اولى بالعقد
عليها وقال ابو عبيدة في قوله تعالى النار مولاكم اي هي اولى بكم وانشد بيت لبيد

تغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها والايمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة
والقوة والاصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون الصفقة للبيع والتبايع بايمانهم فيأخذ بعضهم يد بعض
على الوفاء والتمسك بالعهد ثم يتحالفون عليه فسمي القسم يمينا وقال
اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين
اي بالقوة **الاعراب** قوله مما ترك الوالدان والاقربون
والذين الجار والمجرور وقع موقع الصفة لقوله موالي اي موالي كائنين مما ترك اي خلف الوالدان والاقربون
والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون مما ترك
الوالدان متعلقا بفعل محذوف وتقديره موالي يعطون مما ترك الوالدان والاقربون ويكون والذين عقدت
ايمانكم مبتدأ وقوله فآتوهم نصيبهم خبره **المعنى** ثم عاد سبحانه الى ذكر المواريث فقال ولكل
واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي اي ورثة هم اولى بميراثه عن السدي وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن و
الاول اصح لقوله سبحانه فهب لي من لدنك وليا يرثني فجعل مولى لما يرث ووليا له لما كان اولى به من غيره ومالكا
كما يقال لمالك العبد مولاه مما ترك الوالدان اي يرثون او يعطون مما ترك الوالدان والاقربون الموروثون
والذين عقدت ايمانكم اي ويرثون مما ترك الذين عقدت ايمانكم لانهم ورثتهم اولى بميراثهم فيكون
قوله والذين عقدت ايمانكم عطفا على قوله الوالدان والاقربون فآتوهم نصيبهم اي فآتوا كلا نصيبه من الميراث
وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يؤمر له بشيء اصلا وقال اكثر المفسرين ان قوله والذين عاقدت ايمانكم
مقطوع من الاول فكانه قال والذين عاقدت ايمانكم ايضا فآتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال احدها
ان المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وقالوا ان الرجل في الجاهلية كان يعاقد
الرجل فيقول دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف
السدس من ميراث الحليف وعاقد ابو بكر مولى فورثه فذلك قوله فآتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم من الميراث
ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال مجاهد معناه فآتوهم نصيبهم من النصر والعقل
والرفد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة ويؤيده قوله تعالى اوفوا بالعقود وقول النبي صلى الله عليه
وآله في خطبته يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا
حلفا في الاسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال شهدت حلف المطيبين
وانا غلام مع عمومتي فما احب ان لي حمر النعم واني انكثه وثانيها ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله صلى الله
عليه وآله من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض عن
ابن عباس وابن زيد وثالثها انهم الذين كانوا يتبنون ابناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله
صلى الله عليه وآله فامروا في الاسلام ان يوصوا لهم عند الموت بوصية فذلك قوله فآتوهم نصيبهم عن سعيد بن
المسيب ان الله كان على كل شيء شهيدا اي لم يزل عالما بجميع الاشياء مطلعا عليها جليها وخفيها قوله تعالى
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات
حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن

فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا اية **القراءة**
قرا ابو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والباقون بالرفع وقرى في الشواذ فالصوالح قوانت قرارة طلحة بن مصرف
الحجة قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كانه قال حفظ عهد الله او دين الله كقوله سبحانه
ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير في الكلام والوجه في قراءة من قرا فالصوالح قوانت ان جمع
التكسير يدل على الكثرة والالف والتاء موضوعتان للقلة فهما على حد التثنية بمنزلة الزيدين من الواحد فيكون
من الثلث الى العشرة والكثرة التي هذا الموضع غيران الالف والتاء قد جاء ايضا على معنى الكثرة كقوله تعالى ان المسلمين
والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والغرض في الجمع الكثرة لا ما هو بين الثلثة الى العشرة وقال
ابن جني كان ابو علي الفارسي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار الى قوله
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما قال له النابغة لقد قللت جفانك وسيوفك
قال وهذا خبر مجهول لا اصل له لان الله تعالى يقول وهم بالغرفات آمنون ولا يجوز ان تكون الغرف التي في
الجنة من الثلث الى العشر **اللغة** يقال رجل قيم وقيام وقوام وهذا البناء للمبالغة و
التكثير واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام فيه واصل النشوز الترفع على الزوج
بخلافه ماخوذ من قولهم فلان على نشز من الارض اى ارتفاع يقال نشزت المرأة تنشز وتنشز والهجر الترك
عن قلى يقال هجرت الرجل اذا تركت كلامه عن قلى والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر فيه
العمل وهجر الرجل البعير اذا ربطه بالهجار واصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع
اضطجاعا اذا استلقى للنوم واضجعته انا وكل شيء املته فقد اضجعته والبغي الطلب يقال
بغيت الضالة اذا طلبتها وقال الشاعر يصف الموت بغاك وما تبغيه حتى
وجدته كانك قد واعدته امس موعدا **الإعراب** الباء في قوله
بما فضل الله وبما انفقوا تتعلق بقوله قوامون وما في الموضعين مصدرية لا تحتاج الى عائد اليها من
صلتها لانها حرف وقوله بما حفظ الله ايضا يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بان يحفظن الله
من قرا بما حفظ الله نصبا يكون ما اسما موصولا فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ الله اى يحفظ
امر الله **النزول** قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان
من النقباء وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه فلطمها
فانطلق ابوها معها الى النبي صلى الله عليه وآله فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله
عليه وآله لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وآله ارجعوا
هذا جبرائيل اتاني وانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وآله اردنا امرا واراد الله
امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبي نزلت في سعد بن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن مسلمة
وذكر القصة نحوها وقال ابو روق نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس
وذكر قريبا منه **المعنى** لما بين سبحانه فضل الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلهم في القيام

بامر النساء فقال

بامر النساء فقال الرجال قوامون على النساء اى قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير والتاديب
والرياضة والتعليم بما فضل الله بعضهم على بعض هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن اى انما ولاهم
الله امرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم وبما انفقوا من اموالهم
عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان علة تقديمهم عليهن وتوليتهم امورهن فالصالحات قانتات
اى مطيعات لله تعالى ولازواجهن عن قتادة والثوري ويدل عليه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك
اى قومي على طاعته حافظات للغيب يعني لانفسهن وفروجهن في حال غيبة ازواجهن عن قتادة
والثوري وعطا وقيل حافظات لاموال ازواجهن في حال غيبتهم راعيات لحقوقهم وحرمتهم
والاولى ان يحمل على الامرين لانه لا تنافي بينهما بما حفظ الله اى بما حفظهن الله في مهورهن والزام ازواجهن النفقة
عليهن عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهن وعصمته ولولا ان حفظهن الله تعالى وعصمهن لما حفظن ازواجهن بالغيب
واللاتي تخافون نشوزهن معناه والنساء اللاتي تخافون نشوزهن بظهور اسبابه وامارته ونشوز المرأة
عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها اياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد
تكون الخوف بمعنى العلم لان الخوف الشر العلم بوقعه فعظوهن واهجروهن في المضاجع معناه فعظوهن اولا
بالقول والنصيحة فان لم ينجع فيهن الوعظ ولم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن
جبير قال وعني به الجماع الا انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها وقيل معناه فاهجروهن في الفراش والمبيت
وذلك انه يظهر بذلك حبها للزوج وبغضها له فان كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه في المضجع وان كانت بخلاف
ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطا والى هذا المعنى يؤول ما روي عن ابي جعفر عليه السلام قال يحول ظهره اليها
وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله ولا وذلك ان يقول اتقي الله وارجعي الى طاعتي فان رجعت
والا اغلظ لها القول فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح وقيل في معنى غير المبرح ان لا يقطع لحما ولا يكسر عظما
وقد روي عن ابي جعفر عليه السلام انه الضرب بالسواك فان اطعنكم اى رجعن الى طاعتكم في الايتمار لامركم فلا تبغوا عليهن
سبيلا اى فلا تطلبوا عليهن عللا بالباطل وقيل سبيلا للضرب والهجران تماديا لكم فعله عند النشوز عن ابي مسلم وابي
علي الجبائي وقيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفيان بن عيينة فيكون المعنى اذا استقام لكم ظاهرهن فلا تتعللوا
عليهن بما في باطنهن ان الله كان عليا كبيرا اى متعاليا عن ان يكلف الا بالحق ومقدار الطاقة والعلو والكبرياء
من صفات الله تعالى وفائدة ذكرهما هنا بيان انتصاره لهن وقدرته على الانتصار ان هن ضعفن وقيل المراد انه جل
مع علوه وكبريائه لم يكلفكم الا ما تطيقونه فكذلك لا تكلفوهن الا ما يطقن قوله تعالى وان خفتم شقاق
بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان
الله كان عليما خبيرا آية **اللغة** الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه
من الشق وهو الجزء البائن فالمتشاقان كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه بالعداوة اى في ناحية واصل
التوفيق الموافقة وهي المساواة في امر من الامور فالتوفيق هو اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعة لمساواته
في الوقت والتوفيق بين نفسين هو الاصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق

في الوقوع كرهير من غير دوام لهما وانهما نادرا

الاعراب

اصل بين ان تكون ظرفا ثم استعمل اسما هاهنا باضافة شقاق اليه كما قال سبحانه هذا فراق بيني وبينك وقال ومن بيننا وبينك حجاب وكان في الاصل فان خفتم شقاقا بينهما

المعنى

لما قدم الله سبحانه الحكم عند مخافة احد الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم عند التباس الامر في المخالفة فقال وان خفتم اي خشيتم وقيل علمتم والاول اصح لانه لو علم الشقاق يقينا لما احتيج الى الحكمين شقاق بينهما اي مخالفة وعداوة بين الزوجين فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اي وجهوا حكما من قوم الزوج وحكما من قوم المراة لينظرا فيما بينهما ويحكم الفيم بما يسند اليه واختلف في المخاطب بانفاذ الحكمين من هو فقيل هو السلطان الذي يترافع الزوجان اليه من سعيد بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر في الاخبار عن الصادق عليه السلام وقيل انه الزوجان او اهل الزوجين عن السدي واختلفوا في ان الحكمين هل لهما ان يفرقا بالطلاق ان رأياه ام لا فالذي رواه اصحابنا رضي الله عنهم انه ليس لهما ذلك الا بعد ان يستأمراهما ويرضيا بذلك وقيل ان لهما ذلك عن سعيد بن جبير والسدي والشعبي وابراهيم ورووه عن علي عليه السلام ومن ذهب الى هذا القول قال ان الحكمين وكيلان ان يريدا اصلاحا يعني الحكمين يوفق الله بينهما حتى يحكما بما فيه الصلاح والضمير في بينهما عائد الى الحكمين عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقيل ان يرد الحكمان اصلاحا بين الزوجين يوفق بين الزوجين اي يؤلف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق ان الله كان عليما بما يريد الحكمان من الصلاح والافساد خبيرا بما فيه مصالحكم ومنافعكم قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا آية

اللغة

الجار اصله من العدول يقال جاوره مجاورة وجوارا فهو مجاور له وجار له لعدوله الى ناحيته في مسكنه من قولهم جار عن الطريق وجار السهم اذا عدل عن القصد واستجار بالله لانه يسئله العدول به عن النار والجار ذي القربى القريب والجار الجنب الغريب قال ابو علي الجنب صفة على فعل مثل ناقة احد ومشي سجح فالجنب المتباعد من اهله يدلك على ذلك مقابلته بقوله والجار ذي القربى والقربى من القرب كالبشرى من البشر واصل المختال من التخيل وهو التصور لانه يتخيل بالمرح البطر فالمختال الصلف التياه ومنه الخيل لانه يختال في مشيها اي تتبختر بالخيلاء والكبر والفخور الذي يعدد مناقبه كبرا وتطاولا واما الذي يعددها اعترافا بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور

الاعراب

احسانا نصب على المصدر كما تقول ضربا بالزيد وتقديره احسنوا بالوالدين احسانا ويكون نصبا على تقدير استوصوا بالوالدين احسانا فيكون مفعولا به

المعنى

لما امر الله سبحانه بمكارم الاخلاق في امر اليتامى والازواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معالي الامور ومحاسن الافعال مبتدئا بالامر بعبادته فقال واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اي وحدوه واعظموه ولا تشركوا في عبادته غيره فان العبادة لا تجوز لغيره لانها لا يستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه عز اسمه وبالوالدين احسانا واستوصوا بهما برا وانعاما واحسانا واكراما وقيل ان فيه اضمارا وتقديره واوصاكم الله بالوالدين احسانا وبذي

القربى واليتامى والمساكين معناه احسنوا بالوالدين خاصة وبالقرابة عامة يقال احسنت اليه واحسنت به واحسنوا الى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها وغيره من وجوه الاحسان واحسنوا الى المساكين فلا تمنعوهم واعطوهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وساير ما لا بد منه لهم والجار ذي القربى والجار الجنب قيل معناه الجار القريب في النسب والجار الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذي القربى منك بالاسلام والجار الجنب المشرك البعيد في الدين وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق الجوار المشرك من اهل الكتاب وقال الزجاج الجار ذي القربى الجار الذي يقاربك ويقاربك ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروي ان حد الجوار الى اربعين دارا وروي الى اربعين ذراعا قال ولا يجوز ان يكون المراد القربى القريب من القرابة لانه قد سبق ذكر القرابة والامر بالاحسان اليهم بقوله وبذي القربى ويمكن ان يجاب عنه بان يقال هذا جار وان كان سبق ذكر القرابة لان الجار اذا كان قريبا فله حق القرابة والجوار والقريب الذي ليس بجار له حق القرابة حسب فخص افراد الجار القريب بالذكر والصاحب بالجنب في معناه اربعة اقوال احدها انه الرفيق في السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه بالمواساة وحسن العشرة وثانيها انه الزوجة عن عبد الله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي وثالثها انه المنقطع اليك يرجو نفعك ورفدك عن ابن عباس في احدى الروايتين وابن زيد ورابعها انها الخادم الذي يخدمك والاولى حمله على الجميع وابن السبيل معناه صاحب الطريق وفيه قولان احدهما انه المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال والضيافة ثلثة ايام وما فوقها وهو مروع وكل معروف صدقة وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله قال كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في اناء اخيك وما ملكت ايمانكم يعني به المماليك من العبيد والاماء وذكر اليمين كما يقال مشت رجلك وبطشت يدك موضع ما من قوله وما ملكت ايمانكم جر بالعطف على ما تقدم اي واحسنوا الى عبيدكم واماءكم بالنفقة والكسوة ولا تحملوهم من الاعمال ما لا يطيقونه امر الله سبحانه بعبادته بالاحسان الى هؤلاء ان الله لا يحب اي لا يرضى من كان مختالا في مشيه فخورا وعلى الناس بكثرة المال تكبرا عن ابن عباس وانما ذكرهما سبحانه لانهما يأنفان من اقاربهم وجيرانهم اذا كانوا فقراء ولا يعينانهم عشيرتهم وهذه آية جامعة تضمنت بيان اركان الاسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكرها حق التذكر اغنته عن كثير من مواضع الوعاظ وهدته الى جنب غفير من علوم العلماء قوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتيهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا آية

القراءة

قرا اهل الكوفة غير عاصم بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بالبخل بالضم

الحجة

قال سيبويه هما لغتان

اللغة

البخل اصله مشقة الاعطاء وقيل في معناه انه منع الواجب لانه اسم ذم لا يطلق الا على مرتكب كبيرة وقيل هو منع ما لا ينفع منعه ولا يضر بذله

ومثله الشح وضده الجود والاول انتفى والآية لانه سبحانه نفى محبته عمن كان بهذه الصفة وقال علي بن عيسى معناه منع الاحسان لمشقة ابتاع ونقيضه الجود ومعناه بذل الاحسان لانتفاء الطباع

الاعراب

الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعا من وجهين فاما النصب فعلى ان يكون بدلا من من في قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضا واما الرفع فعلى الاستيناف بالذم فعلى الابتدا فيكون الآية الثانية عطفا عليها ويكون الخبر ان الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير في فخور

المعنى

الذين يبخلون اي يمنعون ما اوجب الله عليهم من الزكوة وغيرها واختاره الجبائي وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهارهم ما علموا من صفة النبي صلى الله عليه وآله عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد ويامرون الناس بالبخل ويامرون غيرهم بذلك وقيل يامرون الانصار بترك الانفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه عن ابن عباس وقيل يامرون بكتمان الحق ويكتمون ما آتاهم من فضله اي يجحدون ما آتاهم الله من اليسار والثروة اعتلالا منهم بالبخل وقيل معناه يكتمون ما عندهم والعلم ببعث محمد وصفته والاولى ان تكون الآية عامة في كل من بخل باداء ما يجب عليه اداؤه ويامر الناس به وعامة في كل من كتم فضلا آتاه الله تعالى من العلم وغيره من انواع النعم التي يجب اظهارها ويحرم كتمانها وقد ورد في الحديث اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى اثرها عليه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا معناه اعددنا للجاحدين ما انعم الله عليهم عذابا يهانون فيه ويذلون فاضاف الاهانة الى العذاب اذ كان بحصوله قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما آيتان

اللغة

القرين اصله من الاقتران ومنه القرن لاهل العصر لاقترانهم والقرن المقاون في الحرب والقرين الصاحب المالوف وقال عدي بن زيد عن المرء لا تسال وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي

الاعراب

اعراب الذين يحتمل ان يكون ما قلناه في الآية المتقدمة ويحتمل ان يكون عطفا على الكافرين فكانه قال واعتدنا للكافرين وللذين ينفقون اموالهم رئاء الناس رئاء مصدر وضع موضع الحال فكانه قال ينفقون مرائين الناس وقرينا نصب على التفسير وموضع ذا من ماذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون مرفوعا لانه في موضع الذي وتقديره وما الذي عليهم لو آمنوا والثاني ان يكون لا موضع له لانه مع ما بمنزلة اسم واحد وتقديره واي شيء عليهم لو آمنوا

المعنى

ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي مراءاة الناس ولا يؤمنون اي ولا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر الذي فيه الثواب والعقاب جعلهم سبحانه في الذم والوعيد بمن ينفق ماله بالرياء والسمعة ومن لم ينفق اصلا ومن يكن الشيطان له قرينا اي صاحبا وخليلا في الدنيا يتبع امره ويوافقه على الكفر وقيل يعني في القيمة وفي النار فساء قرينا اي بئس القرين الشيطان لانه يدعوه الى المعصية المؤدية الى النار وقيل القرين الشيطان حيث يتلاعنان ويتباعدان في النار وماذا عليهم اي اي شيء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله

سبحانه

سبحانه بهذا عذر الكفار في العدول عن الايمان وابطل به قول من قال انهم لا يقدرون على الايمان لانه لا يحسن ان يقال للعاجز عن الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ماذا عليك لو كنت طويلا وللاعمى ماذا عليك لو كنت بصيرا وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا الى انفاقهم الايمان بالله لينفعهم الانفاق وكان الله بهم عليما يجازيهم بما يسرون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء وفي الآية دلالة ايضا على ان الحرام لا يكون رزقا من حيث انه سبحانه حثهم على الانفاق مما رزقهم واجمعت الامة على ان الانفاق من الحرام محظور قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما آية

القراءة

قرا ابن عامر ونافع وان تك حسنة بالرفع والباقون بالنصب وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد والباقون يضاعفها بالالف

الحجة

من نصب حسنة فمعناه وان تك زنة الذرة حسنة وان يك فعله حسنة ومن رفعها فمعناه وان تقع حسنة وان تحدث حسنة فيكون كان تامة لا تحتاج الى خبر ويضاعف ويضعف بمعنى واحد قال سيبويه يجيء فاعلت ولا يراد به عمل اثنين وذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله قال ونحو ذلك ضاعفت وضعفت وناعمت ونعمت وهذا يدل على انهما لغتان

اللغة

الظلم هو الالم الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا آجلا ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة واصله وضع الشيء غير موضعه وقيل اصله الانتقاص من قوله ولم تظلم منه شيئا فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بذهابه وسقاء مظلوم اذا شرب منه قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لانه يضع الشيء غير موضعه من حيث يحفر في غير موضعه واصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشيء في الثقل والثقل ما ثقل من متاع السفر

الاعراب

اصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونها وسكون النون فاما سكون النون فلكثرة الاستعمال فكانهم ارادوا ان يجزموا الكلمة مرة اخرى فلم يجدوا حركة يسقطونها فاسقطوا الحرف وقد ورد القرآن بالحذف والاثبات قال سبحانه ان يكن غنيا او فقيرا ومثل ذلك قولهم لا ادر ولم ابل والاصل لا ادري ولم ابال ولدن في موضع جر وفيه لغات لدن ولدى ولد ولدا والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك وعند يكون لما يليك ولما بعد منك تقول عندي مال وان كان بينك وبينه بعد واذا اضفته الى نفسك شددت النون لتسلم سكون النون تقول لدني وكذلك مني ومنا

المعنى

ان الله لا يظلم احدا قط مثقال ذرة اي زنة ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى عن ابن عباس وابن زيد وهي اصغر النمل وقيل هي جزء من اجزاء الهباء في الكوة من اثر الشمس وانما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لانه عالم بقبحه مستغن عنه وعالم باستغنائه عنه وانما يختار القبيح من يختاره لجهله بقبحه او لحاجته اليه لدفع ضرر او لجر نفع او لجهله باستغنائه عنه والله سبحانه منزه عن جميع ذلك وعن ساير صفات النقص والعجز وانما ذكر سبحانه الذرة ليقصر الحكم عليها بل انما خصها بالذكر لانها اقل شيء مما يدخل في وهم البشر وان تك حسنة يضاعفها ومعناه وان تك زنة الذرة حسنة يقبلها ويجعلها اضعافا كثيرة وقيل

يجعلها مضعفين عن ابي عبيدة وقيل معناه يديمها ولا يقطعها ومثل قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكلتا الايتين غاية في الحث على الطاعة والنهي عن المعصية وقوله ويؤت من لدنه اي يعطي من عنده اجرا عظيما اي جزاء عظيما وهو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على ان منع الثواب والنقصان منه ظلم لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا الترتيب في الآية معنى وفيها ايضا دلالة على انه سبحانه قادر على الظلم لانه نزه نفسه عن فعل الظلم ويمدح بذلك قادرا عليه لم يكن فيه مدح قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا آيتان **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم تسوى مفتوحة التاء خفيفة السين وقرا نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرا الباقون تسوى بضم التاء وتخفيف السين **الحجة** قال ابو علي قراءة نافع وابن عامر تسوى معناه تتسوى فادغم التاء في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالادغام واما تسوى فهو فعل من التسوية **الاعراب**

كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ وتقديره فكيف حال هؤلاء يوم القيمة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف الابتداء المحذوف فهو في موضع الرفع بانه خبر المبتدا ولا يجوز ان يكون العامل في كيف جئنا لانه في موضع جر باضافة اذ اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة في ما قبل الموصول لانه من تمام الاسم ومن كل امة في موضع نصب على الحال لانه صفة شهيد فلما تقدم عليه انتصب على الحال والعامل في اذا جواب المحذوف لا لانه ما تقدم عليه وشهيدا منصوب على الحال والعامل في يومئذ يود وانما عمل في يومئذ ما بعد اذ ولم يجز ذلك في اذا جئنا لانه لما اضيف يوم الى اذ وانطلقت اضافة اذ الى الجملة ونون اذ فالتنوين ليدل على تمام الاسم

المعنى لما ذكر الله سبحانه اليوم الآخر وصف حال المنكرين له فقال فكيف اي فكيف حال الامم وكيف يصنعون اذا جئنا من كل امة من الامم بشهيد وجئنا بك يا محمد على هؤلاء يعني قومك شهيدا وهذا كما تقول العرب للرجل والامر الهايل يتوقعه كيف بك اذا كان كذا يريد بذلك تعظيمه وتهويله وتحذير الرجل عنه وانذاره به وحثه على الاستعداد ومعنى الآية ان الله يستشهد يوم القيمة كل نبي على امته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا على امته وفي الآية مبالغة في الحث على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحيى منه على رؤس الاشهاد لانه يشهد للانسان وعليه يوم القيامة شهود عدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم ولا يوقع القدح فيها وهم الانبياء والمعصومون والكرام الكاتبون والجوارح والمكان والزمان كما قال سبحانه وجعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ويوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الاخبار ان المكان والزمان يشهدان على الرجل باعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة وليستعد لهذه الحالة فكان قد وقعت كان الشهادة قد اقيمت روي ان عبد الله بن مسعود قرا هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله ففاضت عيناه فاذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقالة فعظم

هذه الحالة فماذا المعري ينبغي ان يصنع المشهود عليه يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض معناه لو يجعلون والارض سواء كما قال سبحانه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومن التسوية قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي نجعلها صفحة واحدة لا تفصل بعضها على بعض فيكون كالخف ويعجز ذلك عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان وروي عن ابن عباس ان معناه يودون ان يمشي عليهم اهل الجمع يطؤن باقدامهم كما يطؤن الارض وعلى القول الاول فالمراد به ان الكفار يوم القيمة يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار وروي ايضا ان البهائم يوم القيمة تصير ترابا فيتمنى عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك ترابا وهذا لا يجوز الا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض لم يصح هذا الخبر وقوله ولا يكتمون الله حديثا قيل فيه اقوال احدها انه عطف على قوله لو تسوى اي ويودون ان لو لم يكتموا الله حديثا لانهم اذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا ترابا وليتنا لم نكتم الله شيئا وليس ذلك بحقيقة الكتمان فانه لا يكتم شيئا عن الله تعالى لكنه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس وثانيها مستانف والمراد به انهم لا يكتمون الله من امور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم وانما لا يكتمون لعلمهم بانه لا ينفعهم الكتمان وانما يقولون والله ربنا ما كنا مشركين في بعض الاحوال فان للقيامة مواطن واحوالا ففي موطن لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر الله سبحانه عنهم وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصي ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وفي موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن وثالثها ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله تعالى لان جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا تكتمه جوارحهم وان كتموه ورابعها ان المراد ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وآله ونعته عن عطا وخامسها ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله شيئا لانهم ملجئون الى ترك القبايح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين عند انفسنا لانهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث تقربهم الى الله تعالى عن ابي القسم البلخي قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا آية **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم او لمستم النساء بغير الف ههنا وفي المائدة وقرا الباقون لامستم بالف **الحجة** من قرا لمستم ان هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلتم في غير موضع قال سبحانه لم يطمثهن انس ولم يمسسني بشر وحجة من قرا لامستم ان فاعل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص وطارقت النعل **اللغة** يقال قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب الماء يقربه اذا ورده اصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم الموضع السكر فالسكر يسد طريق المعرفة وسكرة الموت غشيته ورجل سكران من قوم

سكارى وسكرى والمراة سكرى ايضا رجل جنب اذا اجنب ويستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع يقال
رجل جنب وقوم جنب وامراة جنب والعابر من العبور يقال عبرت النهر وطريق معبر اذا قطعته من هذا الجانب
الى الجانب الآخر والغائط اصله المطمئن من الارض يقال غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا
عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا بالتغوط عن الحدث في الغائط وقيل انهم كانوا يلقون
النجو في هذا المكان فسمى باسمه على سبيل المجاز والغوطة موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال مؤرج الغائط
قرارة من الارض يحفها آكام تسترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه
فاوقع على غيره وقالوا التمس وهو افتعل من اللمس فاوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال
الحز والجهر والتنفس تلمس فانهم تلمس ابراديهم تطلب وملتمس المعروف طالب ليس هناك مما يستر ولا
مباشرة والتيمم القصد ومثله التأمم قال الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من
مهمه ذو شزن وقال آخر تيممت دارا ويممن دارا وقد صار في الشرع اسما لقصد مخصوص
وهو ان يقصد الصعيد ويستعمل التراب واعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر
وقال ذو الرمة كانه بالضحى ترمي الصعيد به دبابة في عظام الرأس خرطوم
وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وانما سمي صعيدا لانه
نهاية ما يصعد اليه من باطن

الاعراب

وانتم سكارى جملة
منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا انما انتصب لكونه عطفا عليه
والمراد به الجمع وعابري سبيل منصوب على الاستثناء وتغتسلوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط
النون ثم انه مع ان المضمرة في موضع الجر بحتى والجار مع المجرور في موضع النصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك
قوله حتى تغتسلوا او قوله على سفر في موضع نصب عطفا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين

المعنى

لما امر سبحانه في الآية المتقدمة بالعبادة ذكر عقيبها ما هو من اكبر العبادات وهو الصلوة فقال
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اى لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد
وابن زيد وقيل معناه لا تقربوا اماكن الصلوة اى المساجد للصلوة وغيرها كقوله وصلوات اى مواضع الصلوة
عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيد هذا قوله الا عابري سبيل فان العبور
انما يكون في الموضع دون الصلوة وقوله وانتم سكارى اى نشاوى واختلف فيه على قولين احدهما ان المراد به
سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروى ذلك عن موسى بن جعفر عليهما السلام
وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين
احدهما انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهي والآخر ان النهي
انما ورد عن التعرض للسكر في حال وجوب اداء الصلوة عليهم واجاب ابو علي الجبائي بجواب ثالث وهو
ان النهي انما دل على ان اعادة الصلوة واجبة عليهم ان ادوها في حال السكر وقد سئل ايضا فقيل اذا
كان السكران مكلفا فكيف يجوز ان ينهى عن الصلوة في حال سكره مع عمل المسلمين على خلافه واجيب عنه

وذكر ايضا

ذلك ايضا عن ابن احدهما انه منسوخ والآخر انهم لم يؤمروا بتركها لكن امروا بان يصلوها في بيوتهم ونهوا
عن الصلوة مع النبي صلى الله عليه وآله في جماعة تعظيما له وتوقيرا والقول الثاني ان المراد بقوله
وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروى ذلك عن ابي جعفر عم ويعضد ذلك ما روته عائشة
عن النبي صلعم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعو على نفسه وهو لا يدري حتى تعلموا ما
تقولون اى حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله ولا
جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا في معناه قولان احدهما ان المراد به ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب
الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها بالتيمم وان كان لا يرتفع حكم الجنابة به فان التيمم وان كان
يبيح الصلوة فانه لا يرفع الحدث عن علي عم وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وعطا والزهري
وابرهيم والمروي عن ابي جعفر عليه السلم وعابري سبيل اى مارين في طريق حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا
القول الاخير اقوى لانه سبحانه بين حكم الجنب في آخر الآية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا
وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب في دخول المساجد في اول الآية ويبين حكمه في الصلوة عند عدم
الماء في آخر الآية وان كنتم مرضى قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضا ولم يستطع ان يقوم فيتوضأ
فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف صاحبها من مس الماء عن ابن عباس
وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء
ولا يكون هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين
الباقر والصادق عليهما السلم جواز التيمم في جميع ذلك او على سفر معناه ان كنتم مسافرين او جاء احد منكم من
الغائط وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او هاهنا بمعنى الواو كقوله سبحانه وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون بمعنى وجاء احد منكم من الغائط وذلك لان المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى
يصح عطفه عليهما فانهما سبب لاباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لايجاب الطهارة او لامستم
النساء المراد به الجماع عن علي عم وابن عباس ومجاهد وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائي وقيل المراد به
اللمس باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطا واختاره الشافعي والصحيح الاول لانه سبحانه
بين حكم الجنب في حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم
المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر
في الآية ويبين حكم المحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله لامستم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم
الماء واللمس والملامسة معناهما واحد لانه لا يمسها الا وهي تلمسه وروي ان العرب والموالي اختلفوا فيه
فقالت الموالي المراد به مس المراة وقالت العرب المراد به الجماع فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس
فقال غلبت الموالي الجماع وسمي الجماع لمسا لان به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله فلم تجدوا ماء راجع
الى المرضى والمسافرين جميعا اى مسافرا لا يجد الماء ومريضا لا يجد من يوضيه او يخاف الضرر من استعمال
الماء لان الاصل ان حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها

على المارّ منيمّموا اى تعمّدوا او تحرّوا او اقصدوا صعيدا قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة فى ان الصعيد وجه الارض وهذا اوفق مذهب اصحابنا فى ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن طيبا او طاهرا وقيل حلالا عن سفين وقيل منبتا دون السبخة التى لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا بوجوهكم وايديكم هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف فى كيفية التيمم على اقوال احدها ان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابى حنيفة والشافعى وغيرهما وبه قال قوم من اصحابنا وثانيها ان ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب بن عمار بن يسار ومكحول واختاره الطبرى وهو مذهبنا فى التيمم اذا كان بدلا من الجنابة واذا كان بدلا من الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره الى طرف انفه ويديه من الزندين الى اطراف اصابعهما وهو المروى عن سعيد بن المسيب وثالثها انه الى الابطين عن الزهرى ان الله كان عفوا غفورا العفو لان فى قوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الامر علينا وقيل عفوا كثير الصفح والتجاوز غفورا كثير الستر لذنوب عباده وفى الآية دلالة على ان السكران شى من العقود كالنكاح والشراء وغير ذلك ولا ايقاعها كالطلاق والعتاق وفى الطلاق خلاف بين الفريقين فعند ابى حنيفة يقع طلاقه وعند الشافعى لا يقع فى احد القولين فاما ما يلزم من الحدود والقصاص فعندنا انه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف والزنا لعموم الآيات المتناولة لذلك والاجماع الطائفة عليه قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا آيتان فى الكوفى عد والله

اللغة

تضلوا السبيل آية وآية واحد فى عدهم العداوة الابعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهى التقريب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستخفاف والاهانة وضدها المحبة وهى ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية فى مقدار الحاجة كفى يكفى كفاية وهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشى دون الشى ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة فى القوة للغلبة ومثله المعونة وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقابا لان منع المعونة ممن يحتاج اليها عقوبة

الاعراب

فى دخول الباء فى قوله بالله قولان احدهما انه لتاكيد الاتصال والثانى انه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه رفع بالاتفاق

النزول

نزلت فى رفاعة بن زيد بن التابوت ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلعم لويا لسانهما وعاباه عن ابن عباس

المعنى

لما ذكر سبحانه الاحكام التى وجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا الى خلافها فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى الم ينته علمكم الى الذين اعطوا حظا من علم الكتاب يعنى التورية وهم اليهود عن ابن عباس يشترون الضلالة اى يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبى صلى الله عليه وآله بدلا من التصديق وقيل كانت اليهود تعطى احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصنعونه لهم فجعل ذلك اشتراءهم عن ابى على الجبائى وقيل كانوا ياخذون الرشى عن الزجاج

يريدون ان تضلوا

يريدون ان تضلوا السبيل اى يريد هؤلاء اليهود ان تزلوا ايها المومنون عن طريق الحق وهو الدين والاسلام فتكذبوا بمحمد صلى الله عليه وآله فتكونوا ضلالا وفى ذلك تحذير للمومنين ان يستنصحوا احدا من اعداء الدين فى شى من امورهم الدينية والدنياوية ثم اخبر سبحانه بانه اعلم بعداوة اليهود فقال والله اعلم باعدائكم ايها المومنون فانتهوا الى طاعتى فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم فى دينكم فانى اعلم بما هم منكم وما هم عليه من الغش والحسد والعداوة لكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا معناه ان ولاية الله لكم ونصرته اياكم تغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون فى نصره قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يومنون الا قليلا آية

اللغة

اصل اللى الفتل يقال لويت العود الوية ليا ولوية الغريم اذا مطلته واللوية ما تتحف به المراة ضيفها لتلوى بقلبه اليها والوى بهم الدهر اذا افناهم ولوى البقل اذا اصفر ولم يستحكم يبسه والالسنة جمع اللسان وهو الة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ويقول لسنته السنه اذا اخذته بلسانك قال طرفة: واذا تلسننى السنها انتى لست بموهون فقر واصل الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان

الاعراب

قيل فى من هاهنا وجهان احدهما انه تبيين للذين اوتوا نصيبا من الكتاب ويكون العامل فيه نصيرا او تراوهو صلة الذين ويجوز ان لا يكون فى الصلة كما تقول انظر الى النمر من قومك ما صنعوا والثانى ان يكون على الاستيناف والتقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم والغى الموصوف لدلالة الصفة عليه كما قال ذو الرمة:

فظلوا ومنهم دمعه سابق لهم وآخر يثنى دمعة العين بالمهل

وانشد سيبويه:

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش واكدح

وقال الفراء المحذوف من الموصولة والتقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا يقول ذاك ومنا لا يقوله قال والعرب تضمر من فى مبتدا الكلام بمن لان من بعض لما هى منه كما قال وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها وانكر المبرد والزجاج هذا القول قالا لان من يحتاج الى صلة او صفة تقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة غير مسمع نصب على الحال وراعنا من نونها جعلها كلمة الامر كقولك رويدا وهنيئا ومن لم ينونه جعلها من المراعاة كما تقول راعنا ليا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وطعنا وتقديره يلوون السنتهم ليا ويطعنون فى الدين طعنا الا قليلا تقديره يومنون وهم قليل فيكون قليلا منتصبا على الحال ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره ايمانا قليلا كما قال الشاعر:

فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا

يريد الا ذكرا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين

المعنى

ثم بين سبحانه صفة من تقدم ذكرهم فقال من الذين هادوا اى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله يحرفون الكلم فى موضع الحال وان جعلته كلاما مستانفا

معناه من اليهود فريق يحرفون الكلم عن مواضعه اي يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها وقال مجاهد يعني به بالكلم التورية وذلك انهم كتموا ما في التورية من صفة النبي صلى الله عليه وآله ويقولون سمعنا وعصينا معناه يقولون بالسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اي و يقولون هولاء اليهود للنبي صلى الله عليه وآله اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بل تاويله اسمع غير مجاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا كله اخبار من الله سبحانه عن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في عصر النبي صلى الله عليه وآله لانهم كانوا يسبونه ويؤذونه بالسيء من القول وراعنا قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي صلى الله عليه وآله تواضعوا عليه وقيل كانوا يقولونه استهزاء وسخرية وقيل انهم كانوا يقولونه على حد التجبر كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا وانما هو من المراعاة التي هي المراقبة ليّا بالسنتهم اي تحريكا منهم السنتهم بتحريف منه لمعناه اي المكروه وطعنا في الدين اي وقيعة فيه ولو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وقبلنا ما جئتنا به واسمع منا وانظرنا اي انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم يعني انفع لهم عاجلا وآجلا واقوم اي اعدل واصوب في الكلام من الكفر والطعن في الدين ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ابعدهم عن ثوابه ورحمته بسبب كفرهم ثم اخبر سبحانه عنهم فقال فلا يؤمنون في المستقبل الا قليلا منهم يخرج مخبره سبحانه على وفق خبره فلم يؤمن منهم الا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نفر قليل وقيل معناه لا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا لا اخلاص فيه ولكنهم عصموا دماءهم واموالهم به ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون الا بقليل مما يجب الايمان به قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا آية

اللغة

الطمس هو عفو الاثر والطامس والدابر والدارس بمعنى والادبار جمع دبر واصله من الدبر يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذ ادبر معناه تبع النهار والتدبر احكام ادبار الامور وهي عواقبها

المعنى

ثم خاطب سبحانه اهل الكتاب بالتخويف والتحذير فقال يا ايها الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا علم الكتاب آمنوا اي صدقوا بما نزلنا يعني بما نزلناه على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن وغيره من احكام الدين مصدقا لما معكم من التورية والانجيل الذين تضمنا صفة نبينا صلى الله عليه وآله وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها واختلف في معناه على اقوال احدها ان معناه من قبل ان نطمس ان نمحو آثار وجوهكم حتى تصير كالاقفية ونجعل عيونها في اقفيتها فتمشي القهقرى عن ابن عباس وعطية العوفي وثانيها ان المعنى نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها ذما لها بانها لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر ع وثالثها ان معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القردة عن الفراء وابو القسم البلخي والحسين بن علي المغربي ورابعها ان المراد حتى نمحو آثارهم من وجوههم اي نواحيهم التي هم بها وهي الحجاز الذي هو مسكنهم ونردها على ادبارها

جبتنا له

حتى يعودوا

حتى يعودوا الى حيث جاؤا وهو الشام وحملوا على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات من الشام عن ابن زيد وهذا اضعف الوجوه لانه ترك للظاهر فان قيل على القول الاول كيف اوعد سبحانه ولم يفعل فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم لو لم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعة منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعنة واسد بن ربيعة واسعد بن عبيد ومخيريق واسلم كعب في ايام عمر رفع العذاب عن الباقين وثانيها ان يفعل بهم ذلك في الآخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم والمعنى انه يفعل احدهما وقد لعنهم الله بذلك وثالثها ان الوعيد يقع بهم في الآخرة بانه سبحانه لم يذكر انه يفعل ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخي والجبائي ورابعها ان هذا الوعيد باق منتظر ولا بد من ان يطمس الله وجوها قبل قيام الساعة بان يمسخها عن المبرد او نلعنهم اي نخزيهم ونعذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسخهم قردة كما لعنا اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن وانما قال سبحانه نلعنهم بلفظ الغيبة وتقدم خطابهم لاحد امرين اما لتصرف في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك مخاطب ثم قال وجرين بهم بريح طيبة فكنى عنهم واما لان الضمير عاد الى اصحاب الوجوه لانهم في حكم المذكورين وكان امر الله مفعولا فيه قولان احدهما ان كل امر من امور الله سبحانه من وعد او وعيد وخبر فانه يكون على ما اخبر به عن الجبائي والآخر ان معناه ان الذي يامر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها دلالة على ان لفظة قبل يستعمل في الشيء انه قبل غيره ولم يوجد ذلك الغير ولا خلاف في ان استعماله يصح ولذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما آية

اللغة

افترى اختلق وكذب واصله من فلق الاديم يقال فريت الاديم افريه فريا اذا قطعته على وجه الاصلاح وافريته اذا قطعته على وجه الافساد

الاعراب

اثما عظيما منصوب على المصدر لان افترى بمعنى اثم وهذا كما يقول حمدته شكرا

النزول

قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انا قد ندمنا على الذي صنعناه وليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآيتان وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه لاتبعناك فنزلت الآية الا من تاب وآمن واصلح الآيتان فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى وحشي واصحابه فلما قرؤوا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من اهل هذه الآية فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فقرؤوها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فلما قرؤوها دخل هو واصحابه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك

عنى ظلى وجئنى بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات ابو مجلز عن ابن عمر قال نزلت فى المومنين و
انه لما نزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا الآية قام النبى صلى الله عليه وآله على المنبر قلنا ها على الناس
فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت فقام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية
فاثبت هذه وفى النساء وروى مطرف الشخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وآله اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بانه من اهل النار حتى نزلت الآية فامسكنا عن الشهادات

المعنى ثم انه سبحانه ايس الكفار من رحمته فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء معنى ان الله لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب المشرك لمن يشاء قال المحققون
هذه الآية ارجى آية فى القرآن لان فيه ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصى فى مشية الغفران ووقف الله
سبحانه المومنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المومن
ولذلك قال الصادق عليه السلم لو وزن رجاء المومن وخوفه لاعتدلا ويؤيده قوله سبحانه ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وروى عن ابن عباس قال ثمان آيات
نزلت فى سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت اولها قوله سبحانه يريد الله ليبين لكم ويهديكم
ان يخفف عليكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ان الله
لا يغفر ان يشرك به فى الموضعين ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على ان الله
تعالى يغفر الذنوب من غير توبة انه نفى غفران على كل حال بل نفى ان يغفره من غير توبة لان الامة اجمعت
على انه سبحانه يغفره بتوبة وان كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه
التفضل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انه يغفر ما دون الشرك من
الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وانما قلنا ذلك لان موضوع الكلام الذى يدخله
النفى والاثبات وينضم اليه الاعلى والادون ان يخالف الثانى الاول الا ترى انه لا يحسن
ان يقول الرجل الامير لا ادخل على وادخل على من دونه اذا دعانى وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال
وادخل على من دونه وان لم يدعنى ولا معنى لقولهم يقول من المعتزلة ان فى حمل الآية على ظاهرها وادخال ما دون
الشرك فى المشية اغراء على المعصية لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران متعلقا بالمشية فلا اغراء فيه
بل يكون العبد به واقفا بين الخوف والرجاء على الصفة التى وصف الله عز اسمه بها عباده المرتضين فى قوله
يدعون ربهم خوفا وطمعا ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة من طريق الخاص
والعام وانعقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان فى غفران ذنوب البعض دون البعض ميلا و
محاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله سبحانه فجوابه ان الله سبحانه متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل
على قوم وانسان دون انسان وهو عادل فى تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع عن الفضل
والعدل ومن قال منهم ان لفظة ما دون ذلك وان كانت عامة فى الذنوب التى هى دون الشرك فانا
نخصها ونحملها على الصغائر او ما يقع منه التوبة لاجل عموم ظاهر آيات الوعيد فجوابه انا نعكس عليكم ذلك

فنقول

فنقول بل خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية وهذا اولى لما روى عن بعض السلف انه قال ان هذه
الآية استثناء على جميع القرآن يريد به والله اعلم جميع آيات الوعيد وايضا فان الصغائر تقع عندكم محبطة
ولا يجوز المواخذة بها وما هذا حكمه فكيف يعلق بالمشية فان احدا لا يقول انى افعل الواجب ان شئت
وارد الوديعة ان شئت وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اى فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها غير الله
تعالى واثم اثما عظيما اى غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المومنين عليه السلم انه قال ما فى القرآن آية ارجى عندى
من هذه الآية قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر
كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا آيتان **اللغة** التزكية التطهير
والتنزيه وقد يكون الوصف بالتطهير تزكية واصله من الزكوة وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكاء وزكا
الشئ اذا نما فى اصلاح الفتيل من الفتل وهو لى الشئ والفتيل معروف وناقة فتلاء اذا كان فى ذراعيها
فتل عن الجنب والفتيل بمعنى المفتول وهو عبارة عن الشئ الحقير قال النابغة يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو
ثم لا يرزأ العدو فتيلا والنظر هو الاقبال على الشئ بالبصر ومنه النظر بالقلب لانه اقبال على الشئ بالقلب
وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشئ التأميل له والانتظار الاقبال على الشئ بالتوقع له والمناظرة اقبال
كل واحد على الآخر بالمحاجة والنظير مثل الشئ لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية ان الرؤية
هو ادراك المرئى والنظر الاقبال بالبصر نحو المرئى ولذلك قد ينظر ولا يراه ولذلك يقال الله تعالى انه راء
ولا يقول انه ناظر **الاعراب** فتيلا منصوب على انه مفعول
ثان كقولك ظلمته حقه قاله على بن عيسى ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز كقولك تصببت
النزول قيل نزلت فى رجال من
اليهود اتوا باطفالهم الى النبى صلى الله عليه وآله فقالوا هل على هولاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن
الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله تعالى عن
الكلبى وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى عن الحسن والضحاك والسدى وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم
المعنى ثم ذكر سبحانه تزكية هولاء انفسهم مع كفرهم وعتوهم فقال الم تر معناه
الم تعلم وقيل الم تخبر وهو سوال على وجه الاعلام وتاويله اعلم قصتهم المنبئة علمك الى هولاء الذين يزكون انفسهم
اى يمدحونها ويصفونها بالزكاء والطهارة بان يقولوا نحن ازكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود
وانما قال انفسهم لانهم على دين واحد فهم كنفس واحدة بل الله يزكى من يشاء رد الله سبحانه عليهم ذلك وبين
ان التزكية اليه يزكى من يشاء اى يطهر من الذنوب من يشاء وقيل معناه يقبل عمله فيصيره زكيا ولا يزكى اليهود
بل يعذبهم ولا يظلمون فتيلا معناه لا يظلمون فى تعذيبهم وترك تزكيتهم فتيلا اى مقدار فتيل وذكر الفتيل
مثلا واختلف فى معناه فقيل هو ما يكون فى شق النواة عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتادة وقيل الفتيل ما فى
بطن النواة والنقير ما على ظهرها والقطمير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل ما فتلته بين اصبعيك من الوسخ

عن ابن عباس وابي مالك والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله سبحانه عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم انه
لا يظلم قليلا ولا كثيرا انظر يا محمد كيف يفترون على الله الكذب في تحريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم انفسهم وقولهم
نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن ابن جريج وكفى به اي كفى هو انما مبينا
اي وزرا بينا وانما يقال كفى به في العظم على جهة المدح او الذم يقال كفى بحال المؤمن نبلا وكفى بحال الكافر خزيا
وكانه قيل ليس يحتاج الى حال اعظم منه ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما اي ليس يقصر عن منزلة الاثم قوله تعالى
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ٥ اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ٥
آيتان **اللغة** الجبت لا تصريف له في اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبير انه قال
انه الساحر بلغة الحبشة وهذا يحمل على موافقة اللغتين او على ان العرب ادخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم
واللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس بعاقل من المجانين
والاطفال لانه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن بهيمة او حشرة او نحو ذلك فقد اخطا لانه سال الله تعالى ما
لا يجوز في حكمته فان قصد بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة جاز **الاعراب**
سبيلا منصوب على التمييز كما تقول هذا احسن منك وجها واولئك لفظ جمع وواحده ذا في المعنى كما تقول
نسوة في جمع امراة وغلب على اولها التي للتنبيه وليس ذلك في اولئك لان في حرف الخطاب تنبيها للمخاطب فصار الكاف معاقبا لها
التي للتنبيه في اكثر الاستعمال **النزول**
قيل كان ابو برزة كاهنا في الجاهلية فتنافر اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل وهو قول اكثر المفسرين
ان كعب بن الاشرف خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلعم
وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت
اليهود في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل الكتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان
اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال
كعب يا اهل مكة ليجيء منا ثلاثون ومنكم ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال
محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد قال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء
ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق
دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه
محمد فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فالمعنى بذلك كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود الذين
كانوا معه **المعنى** ثم بين سبحانه افعالهم القبيحة ومنها الى ما عدده فيما تقدم فقال
يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني بهما الصنمين اللذين كانا لقريش وسجد لهما كعب بن الاشرف ويقولون
للذين كفروا ابي سفيان واصحابه هؤلاء اهدى من الذين آمنوا محمد واصحابه سبيلا اي دينا عن عكرمة وجماعة

من المفسرين

من المفسرين وقيل ان المعني بالآية حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن ابي الحقيق وابو رافع في جماعة من
علماء اليهود والجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام الذين كانوا يتكلمون بالتكذيب عنها عن ابن
عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل الجبت السحر عن مجاهد والشعبي وقيل
الجبت الساحر والطاغوت الكاهن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وقيل الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه
وقيل هما كل معبود من دون الله من حجر او صورة او شيطان عن ابي عبيدة وقيل الجبت ههنا حيي بن اخطب
والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل في الآية الدين
وانما سمي سبيلا لانه كالطريق في الاستمرار عليه ليؤدي الى المقصود اولئك اشارة الى الذين تقدم
ذكرهم الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واخزاهم وخذلهم واقصاهم ومن يلعن الله اي من يلعنه الله
فلن تجد له نصيرا اي معينا يدفع عنه عقاب الله تعالى الذي اعده له وقيل فلن تجد له نصيرا في الدنيا
والآخرة ولانه لا يعتد بنصرة من ينصره مع خذلان الله تعالى اياه قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك فاذا لا
يؤتون الناس نقيرا ٥ ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ٥ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ٥
ثلث آيات **اللغة** النقير من النقر وهو النكت ومنه المنقار لانه ينقر
به والناقور الصور لانه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة ينقر وينبذ فيها وانتقر اختص كما يختص
بالنقر واحدا واحدا قال طرفة
نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر
والحسد
تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيلها وهو خلاف الغبطة لان الغبطة تمني مثل تلك النعمة
لاجل السرور بها لصاحبها ولهذا صار الحسد مذموما والغبطة غير مذمومة وقيل ان الحسد من امارات البخل
لان البخل منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمني زوالها لمشقة نيل صاحبها والعمل فيهما على المشقة بنيل
النعمة واصل السعير من السعر وهو ايقاد النار واستعرت النار او الحرب والشر وسعرتها واسعرتها وسعرتها
والسعر سعر المتاع وسعره تسعيرا وذلك لاستعارة السوق بحماها في البيع والساعور كالتنور **الاعراب**
ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام التي تسمى المتصلة وتقديره بل الهم نصيب من الملك
وقال بعضهم ان همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لان ام لا تجيء مبتداة بها وتقديره اهم اولى
بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لان حذف الهمزة انما يجوز في ضرورة الشعر
ولا ضرورة في القرآن واذا لا يعمل في يؤتون لانها اذا وقعت بين الفاء والفعل او بين الواو والفعل
جاز ان تقدر متوسطة فتلغى كما تلغى ظننت واخواتها اذا توسطت او تاخرت لان النية بها التاخير
فالتقدير فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ولا يلبثون خلفك الا قليلا اذن ويجوز ان تقدر مستانفة فتعمل
مع حرف العطف فلو قرئ فاذن لا يؤتوا الناس لجاز لكن القرآن سنة متبعة واذن لا تعمل في الفعل النصب الا
بشروط اربعة ان تكون جوابا للكلام وان تكون مبتداة في اللفظ وان لا يكون ما بعدها متعلقا بما قبلها
ويكون الفعل بعدها مستقبلا **المعنى** لما حكم اليهود بان المشركين اهدى من

النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه بين الله سبحانه ان الحكم ليس اليهم اذ الملك ليس لهم فقال ام لهم نصيب من
الملك وهذا استفهام معناه الانكار اي ليس لهم ذلك وقيل المراد بالملك هنا النبوة وعن الجبائي اي الهم نصيب من
النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك ما كانت اليهود تدعيه من ان الملك يعود اليهم في آخر
الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملتهم ويدعو الى دينهم فكذبهم الله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو
اعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق قليلا ولا كثيرا وفي تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك لما
ما اعطوا محمدا واصحابه شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا لا يعطون الفقراء شيئا ام يحسدون
معناه بل يحسدون الناس واختلف في معنى الناس هنا فقيل اراد به النبي صلى الله عليه وآله حسدوه على ما آتاه
الله من فضله من النبوة واباحة تسع نسوة وميله الى النساء وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلك فبين الله
سبحانه ان النبوة ليست ببدع في آل ابرهيم فقد آتينا آل ابرهيم والحكمة يعني النبوة وقد آتينا داود وسليمن الملك
وكان لداود تسع وتسعون امراة ولسليمن مائة امراة وقال بعضهم كان لسليمان الف امراة سبعمائة سرية وثلاثمائة
امراة وكان لداود مائة امراة فلا معنى لحسدكم محمدا صلعم على هذا وهو من اولاد ابرهيم ع وهو كانوا اكثر ازواجا
واوسع مملكة منه عن ابن عباس والضحاك والسدي وقيل لما كان قوام الدين به صار حسدهم له كالحسد
لجميع الناس وثانيها ان المراد بالناس النبي وآله صلعم عن ابي جعفر عليه السلام والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الامامة
وفي تفسير العياشي باسناده عن ابي الصباح الكناني قال قال ابو عبد الله عليه السلام يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله
طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله تعالى في كتابه
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال والمراد بالكتاب النبوة وبالحكمة الفهم والقضاء وبالملك
العظيم افتراض الطاعة وثالثها ان المراد بالناس محمد واصحابه لانه قد جرى ذكرهم في قوله هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا ومن فضله نعمة عن ابي علي الجبائي ورابعها ان المراد بالناس العرب اي يحسدون
العرب لما صارت النبوة فيهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التورية والانجيل و
الزبور وبالحكمة ما اوتوا العلم وقوله وآتيناهم ملكا عظيما المراد الملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل
الملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما احل لداود وسليمان من النساء عن السدي وقيل الجمع بين سياسة
الدنيا وشرع الدين فمنهم من آمن به فيه قولان احدهما ان المراد من اهل الكتاب من آمن بمحمد صلعم ومنهم
من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن عن مجاهد والزجاج والجبائي ووجه اتصال هذا المعنى بالآية انهم
مع هذا الحسد وغيره من افعالهم القبيحة فقد آمن بعضهم به والآخر ان المراد فمن امة ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم
من اعرض عنه كما انكم في امر محمد صلعم كذلك وليس ذلك بموهن امره كما لم يكن اعراضهم عن ابرهيم موهنا امر
ابرهيم وكفى بجهنم سعيرا اي كفى هؤلاء المعرضين عنها في العذاب النار لهم جهنم نارا موقدة ايقادا شديدا
يريد بذلك انهم ان صرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد اعد لهم عذاب جهنم في العقبى قوله تعالى ان الذين
كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
ان الله كان عزيزا حكيما ٥ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات

تجري

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا اللغة
تقول اصليته النار اذا القيته فيها وصليته صليا اذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء
والصلاء وقود النار والتبديل التغيير يقال ابدلت الشيء بالشيء اذا ازلت عينا كما قال الشاعر
عزل الامير بالامير المبدل فبدلت بالتشديد اذا غيرت هيئته والعين واحد يقولون بدلت جبتي
قميصا اي جعلتها قميصا ذكره المغربي وقد يكون التبديل بان يوضع غيره موضعه قال الله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والظل اصله الستر من الشمس قال دونه كل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفي
ما سوى ذلك فظل لا يقع فيه في الظل الاسيل كانه لستره من الشمس والظل الستر والظليل الكنين

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الايمان والكفر فقال
ان الذين كفروا باياتنا اي بحججنا وكذبوا انبياءنا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق
نبينا سوف نصليهم نارا اي نلزمهم نارا نحرقهم فيها ونعذبهم بها ودخلت سوف لتدل على انه يفعل ذلك في
المستقبل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قيل فيه اقوال احدها ان الله سبحانه
يجددهم جلودا غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في انها غيرها عن قتادة وجماعة من المفسرين
واختاره علي بن عيسى ومن قال على هذا ان هذا الجلد المجدد لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب
نجيب بان المعذب ولا اعتبار بالاطراف والجلود وقال علي بن عيسى انما يزاد الاليم بالمس ولا موضع للالم انما
هو شيء يحصل الالم الا المستحق له وثانيها ان الله سبحانه يجددها بان يردها الى الحالة التي كانت
عليها غير محترقة كما يقال جئتني بغير ذلك الوجه اذا كان قد تغير وجهه من الحالة الاولى وكما اذا انكسر
خاتم فاتخذ منه خاتما آخر يقال هذا غير الخاتم الاول وان كان اصلهما واحدا فعلى هذا يكون الجلد
واحدا وانما تغير الاحوال عليه وهو اختيار الزجاج والبلخي وابي علي الجبائي وثالثها ان التبديل
انما هو لسرابيل التي ذكرها سبحانه سرابيلهم من قطران وسميت السرابيل الجلود على المجاورة للزومها له
الجلود هذا ترك للظاهر بغير دليل على القولين الاخرين لا يلزم سؤال التعذيب لغير العاصي فاما من قال
ان الانسان غير هذه الجملة المشاهدة وانه المعذب في الحقيقة فقد تخلص من هذا السؤال وقوله ليذوقوا
العذاب معناه ليجدوا الم العذاب وانما قال ذلك ليبين انهم كالمبتدأ عليهم العذاب في كل حال
فيحسون في كل حالة الما لكن يستمر به الشيء فانه يصير احف عليه ان الله كان عزيزا اي لم يزل منيعا لا
يدافع ولا يمانع وقيل معناه انه قادر لا يمتنع عليه انجاز ما توعد به او وعد حكيما في تدبيره وتقديره و
في تعذيبهم بعذيبه وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة و
الذين آمنوا بكل ما يجب به الايمان وعملوا الصالحات اي الطاعات الخالصة سندخلهم جنات تجري من تحتها
اي من تحت اشجارها وقصورها الانهار اي ماء الانهار خالدين فيها اي دائمين فيها ابدا لهم
فيها ازواج مطهرة طهرن من الحيض والنفاس ومن جميع المعايب والادناس والاخلاق الدنية

والضبايع الرديه لا يفعلن ما يوحش ازواجهن ولا يوخذ منهن ما ينفر عنهن وندخلهم مع ذلك ظلا ظليلا
اى كنينا ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقيل ظلا دائما لا تنسخه الشمس كما فى الدنيا وقيل ظلا مستمكنا
قويا كما يقال يوم ايوم وليل اليل وداهية دهيا يصفون الشئ بمثل لفظه اذا ارادوا المبالغة قوله تعالى
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا آية

القراءة

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء فى نعما ووجوه قراءاتهم وحججها فى سورة البقرة

اللغة

يقال اديت الشئ تادية وقد يوضع الاداء موضع التادية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع هو من كان على
صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لاجلها ان يبصر المبصرات
اذا وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك للمبصرات ولهذا يوصف القديم سبحانه فيما لم يزل
بانه سميع بصير ولا يوصف فى القدم بانه سامع مبصر

الاعراب

قوله نعما يعظكم به تقديره نعم شيئا شئ يعظكم به فيكون شيئا تمييزا للاسم المضمر الذى هو فاعل نعم والمخصوص
بالمدح قد حذف واقيمت صفته مقامه وقوله نعما يعظكم به جملة فى موضع رفع بانها خبر ان

المعنى

ثم امر سبحانه باداء الامانة فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل فى المعنى بهذه الآية اقوال
احدها انها فى كل من ائتمن امانة من الامانات امانات الله تعالى اوامره ونواهيه وامانات عباده فيما يأتمن
بعضهم بعضا من المال وغيره عن ابن عباس وابى بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروى عن
ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وثانيها ان المراد به ولاة الامر امرهم الله سبحانه ان يقوموا برعاية
الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو اختيار الجبائى
ورواه اصحابنا عن ابى جعفر الباقر وابى عبد الله عليهما السلام قالا امر الله سبحانه كل واحد من الائمة ان يسلم الامر الى
من بعده ويعضده انه سبحانه امر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الامر وروى عنهم عليهم السلام انهم قالوا آيتان احدهما
لنا والاخرى لكم قال الله سبحانه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات ثم قال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولى الامر منكم الآية وهذا القول داخل فى القول الاول لانه من جملة ما ائتمن الله سبحانه عليه
الائمة الصادقين ولذلك قال ابو جعفر عليه السلام اداء الصلوة والزكوة والصوم والحج من الامانة ويكون من جملتها
الامر لولاتها الامر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد عظم الله سبحانه امر الامانة بقوله
يعلم خائنة الاعين وقوله لا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه الآية وثالثها
انه خطاب للنبى صلعم برد مفتاح الكعبة الى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة واراد ان
يدفعه الى العباس ليكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمعول على ما تقدم وان صح القول الاخير والرواية
فيه فقد دل الدليل على ان الامر اذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه واذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل امر الله الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل والنصفة ونظيره قوله يا داود انا جعلناك
خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق وروى عن النبى صلعم قال لعلى عليه السلام سو بين الخصمين فى لحظك ولفظك

وورد فى الآثار

لخطين

وورد فى الآثار ان صبيين ارتفعا الى الحسن بن على عليهما السلام فى خط كتباه وحكماه فى ذلك ليحكم اى الخطين
اجود فبصر به على عليه السلام فقال يا بنى انظر كيف تحكم فان هذا حكم والله تعالى سائلك عنه يوم القيمة ان الله نعما يعظكم
به من الامر برد الامانات والنهى عن الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقيل
هو الامر بالخير والنهى عن الشر ان الله كان سميعا لجميع المسموعات بصيرا بجميع المبصرات وقيل معناه عالم باقوالكم
وافعالكم وادخل كان تنبيها على ان هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا آية

المعنى

لما بدا سبحانه فى الآية المتقدمة بحث الولاة على تادية حقوق الرعية والنصفة والتسوية بين البرية ثنا
فى هذه الآية بحث الرعية على طاعتهم والاقتداء بهم والرد اليهم فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله اى الزموا طاعة الله سبحانه فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول اى والزموا طاعة رسوله ايضا
وانما افرد الامر بطاعة الرسول وان كانت طاعته مقرونة بطاعة الله سبحانه مبالغة فى البيان وقطعا
لتوهم انه لا يجب لزوم ما ليس فى القرآن من الاوامر ونظيره قوله سبحانه من يطع الرسول فقد اطاع الله
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه اطيعوا الله واطيعوا الرسول فى الفرائض
فى السنن عن الكلبى والاول اوضح لان طاعة الرسول هى طاعة الله تعالى وامتثال اوامره امتثال اوامر الله تعالى اصح
واما المعرفة بانه رسول فهى معرفة برسالته ولا يتم ذلك الا بعد معرفة الله تعالى وليست احداهما هى الاخرى وطاعة
الرسول واجبة فى حياته وبعد وفاته لان اتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة انه دعا
الناس جميع العالمين الى يوم القيمة كما علم انه رسول الله اليهم اجمعين وقوله واولى الامر منكم للمفسرين فيه قولان احدهما
انهم الامراء عن ابى هريرة وابن عباس فى احدى الروايتين وميمون بن مهران والسدى واختاره الجبائى و
البلخى والطبرى والآخر انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس فى الرواية الاخرى ومجاهد والحسن وعطاء و
جماعة وقال بعضهم لانهم الذين يرجع اليهم فى الاحكام ويجب الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاة
واما اصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق عليهما السلام ان اولى الامر هم الائمة من آل محمد صلعم اوجب الله
طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز ان يوجب الله طاعة احد على الاطلاق الا
من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وامن منه الغلط والامر بالقبيح وليس ذلك بحاصل فى الامراء ولا العلماء
سواهم جل الله سبحانه عن ان يامر بطاعة من يعصيه او بالانقياد للمختلفين فى القول والفعل لانه محال ان يطاع
المختلفون كما انه محال ان يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك ايضا ان الله سبحانه لم يقرن طاعة اولى الامر
بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولو الامر فوق الخلق جميعا كما ان الرسول فوق اولى الامر
وفوق ساير الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من آل محمد عليهم السلام الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم واتفقت الامة
على علو رتبتهم وعدالتهم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول معناه فان اختلفتم فى شئ من امور
دينكم فردوا المتنازع فيه الى كتاب الله وسنة الرسول وهو قول مجاهد وقتادة والسدى ونحن نقول الرد

الى الائمة القائمين مقام الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته هو مثل الرد الى الرسول في حياته لانهم الحافظون
لشريعته وخلفاؤه في امته فجروا مجراه فيه ثم اكد سبحانه ذلك وعظم بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فما
ابين هذا واوضحه ذلك اشارة الى طاعة الله وطاعة رسوله واولى الامر والرد الى الله ورسوله خير لكم واحسن
تاويلا اي احمد عاقبة عن قتاده والسدي وابن زيد قالوا لان التاويل من آل يؤول اذا رجع والمال المرجع والعاقبة
سمي تاويلا لانه مآل الامر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا واحسن عاقبة في الآخرة وقيل
معناه احسن من تاويلكم انتم اياه من غير رد الى اصل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عن الزجاج وهو الاقوى لان
الرد الى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين احسن لا محالة من تاويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول على ان اجماع الامة حجة بان قالوا انما اوجب الله الرد الى الكتاب والسنة
بشرط وجود التنازع فدل على انه اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا والاجماع حجة وهذا الاستدلال
انما يصح لو فرض ان في الامة معصوما حافظا للشرع فاما اذا لم تفرض ذلك فلا يصح لان تعليق الحكم بشرط او صفة
لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند اكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه ههنا على ان الامة لا تجتمع على شيء الا عن كتاب
وسنة فكيف يقال انها اذا اجتمعت على شيء لا يجب عليها الرد الى الكتاب والسنة وقد ردت اليهما
قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا

اللغة

آيتان الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكل من يعبد
من دون الله فهو طاغوت وقد سمي به الاوثان كما يسمى بانها رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا كل
من طغى بان حكم بخلاف حكم الله تعالى واصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدي الى البغية لانه
ضد الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدي الى البغية وله تصرف كثير يرجع جميعه الى هذه النكتة ذكرناه
في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين وتعالوا اصله من العلو فاذا قلت لغيرك تعال معناه ارتفع الى
وصددت الاصل فيه ان لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصد بمعنى اعرضت ارتفع الى وصددت فلانا عن
فلان بالتعدي لانه دخله معنى منعته عنه ومثله رجبت الاناء ورجبت غيري لانه دخله معنى رددته

الاعراب

صدودا نصب على المصدر على
وجه التاكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليما والمعنى انه ليس ذلك على بيان مثل الكلام بل كلمه في الحقيقة كلم كلمة ر
وقيل في معنى تكليما انه كلمه تكليما شريفا عظيما فيمكن تقدير مثل ذلك في الآية اي يصدون عنك صدودا غليظا

النزول

كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي احاكمك الى محمد صلعم لانه علم انه
لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم وقال المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه ياخذ الرشوة
ونزلت الآية عن اكثر المفسرين

المعنى

لما امر سبحانه اولي الامر بالحكم بالعدل وامر المسلمين بطاعتهم

واصل ذلك

واصل ذلك بذم المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال الم تر اي الم تعلم
وقيل انه تعجيب منه سبحانه اي الم تتعجب من صنيع هؤلاء وقيل الم ينته علمك اي هؤلاء الذين يزعمون انهم
آمنوا بما انزل اليك من القرآن وما انزل من قبلك من التورية والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
يعني كعب بن الاشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل انه كاهن من جهينة اراد المنافق
ان يتحاكم اليه عن الشعبي وقتاده وقيل اراد به ما كانوا يتحاكمون فيه الى الاوثان بضرب القداح عن الحسن
وروي اصحابنا عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان المعنى به كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق وقد
امروا ان يكفروا به يعني به قوله سبحانه فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق بسبب اضلاله لهم الى الشيطان فلو كان الله سبحانه
قد اضلهم بخلق الضلال فيهم على ما يقوله المجبرة لنسب اضلالهم الى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا واذا قيل لهم اي للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله في القرآن من الاحكام والى الرسول في حكمه رايت
يا محمد المنافقين يصدون عنك صدودا اي يعرضون عنك اي عن المصير اليك الى غيرك اعراضا قوله تعالى
فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا و
توفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا

اللغة

آيتان الحلف القسم ومنه الحلف لتحالفهم فيه على الامر واصل البلاغة
البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا كان يبلغ بعبارته كثيرا مما في قلبه ويقال احمق بلغ وبلغ
اذا كان مع حماقته يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ في الحماقة

الاعراب

موضع كيف رفع بانه خبر مبتدا محذوف والتقدير فكيف صنيعهم اذا اصابتهم مصيبة فكانه قال الاسارة
صنيعهم بالجزارة على كذبهم ام الاحسان صنيعهم بالتوبة ومن جرمهم يجوز ان يكون موضع فكيف نصبا والتقدير
كيف يكونون امصرين ام تائبين يكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كانه قال اصلاح بك ام فساد
بك فيكون مبتدا محذوف الخبر ويحلفون في موضع نصب على الحال فان اردنا الا احسانا جواب القسم واحسانا
مفعول به اي اردنا احسانا

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فكيف صنيع
هؤلاء اذا اصابتهم اي نالتهم من مصيبة اي نكبة وعقوبة من الله سبحانه عقوبة بما قدمت ايديهم بما كسبت
ايديهم من النفاق واظهار السخط بحكم النبي صلعم ثم جاؤك يا محمد يحلفون يقسمون بالله ان اردنا الا
احسانا اي ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا التخفيف عنك فانا نحتشمك برفع الصوت من مجلسك ونقتصر يحتشمك ر
على من يتوسط لنا برضا الخصمين دون الحكم المورث للضغاين فقوله الا احسانا اي احسانا الى الخصوم
وتوفيقا بينهم بالكماس التوسط دون الحمل على مر الحكم واراد بالتوفيق الجمع والتاليف وقيل توفيقا
اي طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعني بالآية عبد الله بن ابي والمصيبة ما اصابه من الذل مرجعهم من غزوة بني
المصطلق وهي غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار وسنذكر
ذلك ان شاء الله تعالى في سورة المنافقين ومصيبة الموت لما تضرع الى رسول صلعم في الاقالة والاستغفار

واستوهبوا توبته ليطفئ بها النار يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين في غزوة بني المصطلق
ذم كره للحبيب على المعرب وفي الاية دلالة على انه قد يصيب المصيبة بما يكتسبه العبد من الذنوب ثم اختلف
في ذلك فقال ابو علي الجبائي لا يكون ذلك الا عقوبة الا في التائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفا و
قال القاضي عبد الجبار قد يكون لطفا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم
من الشرك والنفاق والخيانة فاعرض عنهم اي لا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم في انفسهم قولا بليغا اي
قل لهم اي اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل
معناه فاعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكاره تنزل بهم في انفسهم ان عادوا عن مثل
ما فعلوه عن ابي علي الجبائي وفي قوله سبحانه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا دلالة على فضل البلاغة وحث على
اعتمادها ومنع بيان بكونها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج الى التفسير باللفظ الوجيز
مع حسن الترغيب قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما آية

الإعراب

ما في قوله وما ارسلنا نافية ولذلك قال من رسول لان من لا تزاد في غير الايجاب وزيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقوله ما جاءني
من احد ولو موضوعة للفعل لما فيه من معنى الجزاء يقول لو كان كذا لكان كذا ولا يأتي بعدها الا ان خاصة
وانما اجيز في ان خاصة ان يقع بعدها لانها في كالفعل في افادة التاكيد وموضع ان بعد لو مع اسمها وخبرها
رفع بكونه فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع انهم جاؤك وقت ظلمهم انفسهم اي لو وقع مجيئهم

المعنى

ثم لامهم سبحانه على ردهم امره وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة فقال وما ارسلنا من رسول اي لم نرسل رسولا
من رسلنا الا ليطاع يعني ان الغرض من الارسال ان يطاع الرسول ويمتثل ما يامر به وانما اقتصر ذكر طاعة صح
الرسول هنا ان هؤلاء المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت زعموا انهم يؤمنون به واعرضوا عن طاعته
فبين الله سبحانه انه لم يرسل رسولا الا ليطاع وقوله باذن الله اي بامر الله الذي دل به على وجوب طاعتهم
والاذن على وجوه احدها يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وثانيها
بمعنى التخلية كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وثالثها بمعنى الامر كما في الاية ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم اي بخسوها حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت
الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم بالكفر والنفاق جاؤك تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك
فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه واستغفر لهم الرسول رجع من لفظ الخطاب في قوله جاؤك
الى لفظ الغيبة جريا على عادة العرب المألوفة واستغفرت لهم بالحكم ذنوبهم اي سالت الله تعالى ان يغفر
لهم ذنوبهم لوجدوا الله هذا يحتمل معنيين احدهما لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته اياهم
والثاني لعلموا الله توابا رحيما والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الادراك فلا يجوز ان يكون على ظاهره
هنا بمعنى الادراك لانه سبحانه غير مدرك في نفسه توابا اي قابلا لتوبتهم رحيما بهم في التجاوز عنهم عما سلف

منهم

منهم وفي قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اوكد دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين بان الله
سبحانه يريد ان يعصى انبياؤه ويعصيهم قوم ويزكر الحسن في هذه الاية ان اثني عشر رجلا من المنافقين
ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة لرسول الله صلعم فاتاه جبرائيل فاخبره بها فقال عليه السلام ان قوما
دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله تعالى وليعترفوا بذنوبهم حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
مرارا الا تقومون فلم يقم احد منهم فقال عليه السلام قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا عزمنا على
ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا قال الان اخرجوا عني انا كنت في اول امركم اطيب نفسا
بالشفاعة وكان الله اسرع الى الاجابة فاخرجوا عنه حتى لم يرهم وفي الاية دلالة على ان مرتكب الكبيرة
يجب عليه الاستغفار فان الله سبحانه سيتوب عليه بان يقبل توبته ويدل ايضا على ان مجرد الا
ستغفار لا يكفي مع كونه مصرا على المعصية لانه لم يكن ليستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي
ان يتوبوا ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على ان لا يعود ابدا الى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله
عليه قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما آية

اللغة

شجر الامر اي اشتجر اي اختلف وشاجره
في الامر اذا نازعه وتشاجروا فيه وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر
بالتفافه واصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اي لا ضيق وقيل الاثم

الإعراب

لا دخلت في اول الكلام لانها رد الكلام فكانه
قيل فليس الامر كما تزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال
وربك لا يؤمنون وقيل ان لا ههنا توطئة للنفي الذي ياتي فيما بعد لان ذكر النفي في اول الكلام و
آخره اوكد فان النفي يقتضي ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفي في الجواب
تسليما مؤكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك للفعل ثانيا ومن حق التوكيد ان يكون محققا لما تذكره في صح
كلامك فاذا قلت ضربت ضربا فمعناه احدثت ضربا احققه حقا به

النزول

قيل نزلت في الزبير ورجل من الانصار خاصمه الى النبي صلعم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها
النخل كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وآله للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري فقال
يا رسول الله صلعم ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قال للزبير اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله صلى الله عليه
وآله اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وآله استوعب
للزبير حقه في صريح الحكم ويقال ان الرجل كان حاطب بن ابي بلتعة قال الراوي ثم خرجا فمرا على
المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن لذلك يهودي كان
مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يتهمونه

في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا موسى إلى التوبة فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن الشماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد صلى الله عليه وآله أن أقتل نفسي لفعلت فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة وليه شده فيه هذه الآية

المعنى

ثم بين الله سبحانه أن الإيمان إنما هو بالتزام حكم رسول الله صلى الله عليه وآله والرضا به فقال فلا أي ليس كما تزعمون أنهم مع تحاكمهم إلى الطاغوت وربك لا يؤمنون أقسم بالله سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الإيمان حتى يحكموك أي يجعلوك حكما أي حاكما فيما شجر بينهم أي فيما وقع من الخصومة والتبس عليهم من أحكام الشريعة ثم لم يجدوا في أنفسهم أي في قلوبهم حرجا أي شكا في أن ما قلته حق عن مجاهد وقيل إثما أي لا يأثمون بإنكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقا بشك أو بإثم عن أبي علي الجبائي وهو الوجه مما قضيت أي حكمت ويسلموا تسليما أي ينقادوا لحكمك إذعانا لك وخضوعا لأمرك وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال لو أن قوما عبدوا الله وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله ألا صنع خلاف ما صنع أو وجدوا في ذلك حرجا في أنفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ثلث آيات

القراءة

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا بضم النون والواو وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو وقرأ ابن عامر وحده إلا قليلا بالنصب وكذلك هو في مصاحف أهل الشام وقرأ الباقون بالرفع

الحجة

قال أبو علي أما فصل أبي عمرو بين الواو والنون فلأن الضم بالواو أحسن لأنها تشبه واو الضمير والجمهور في واو الضمير على الضم نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقال إنما ضمت النون لأنها مكان الهمزة التي ضمت لضم الحرف الثالث فجعلت بمنزلتها وإن كانت منفصلة وفي الواو هذا المعنى والمعنى الذي أشرنا إليه من مشابهة واو الضمير والضم في سائر هذه أحسن لأنها في موضع الهمزة قال أبو الحسن وهي لغة حسنة وهو أكثر في الكلام وأقيس ووجه قول من كسر أن هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم والثالث والهمزة متصلة بها فلم يجر المنفصل مجرى المتصل قال والوجه في قوله إلا قليل الرفع على البدل فكأنه قال ما فعله إلا قليل فإن معنى ما أتاني أحد إلا زيد ما أتاني إلا زيد ومن نصب فإنه جعل النفي بمنزلة الإيجاب فإن قولك ما أتاني أحد كلام تام كما أن جاءني القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع الإيجاب

الإعراب

لو يمتنع بها الشيء لامتناع غيره تقول لو أتاني زيد لأكرمته فالمعنى أن إكرامي امتنع لامتناع إتيان زيد وحقها أن يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز أن يكون أن المشددة كما نابت عن الاسم والخبر في قولك حسبت أن زيدا عالم نابت هنا عن الفعل فتكون المعنى في قوله ولو أنا كتبنا عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم وإذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء

والمعنى اذن جواب

والمعنى إذن جواب وجزاء وهي تقع متقدمة ومتوسطة ومتأخرة وإنما تعمل خاصة متقدمة إلا أن يكون الفعل بعدها للحال نحو إذن أظنك خارجا واللام في قوله لآتيناهم ولهديناهم اللام التي تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم في نحو قول امرئ القيس

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صال

والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء أن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ إلا في باب إن خاصة وإنها تدخل على الفعل لمضارعته الاسم وتقول إن علمت زيدا ليقوم وعلمت أن زيدا ليقوم فتكسر إن في الأول لأن علمت صارت معلقة باللام في ليقوم لأنها لام الابتداء أخرت إلى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى ويفتح أن الثانية لأنها لام الابتداء الجواب فاعرفه فإنه من دقائق النحو وأسراره وصراطا مفعول ثان لهديناهم

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن سرائر القوم فقال ولو أنا كتبنا أي أوجبنا عليهم أي على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم كما أوجبنا على قوم موسى وألزمناهم ذلك فقتلوا أنفسهم وخرجوا إلى التيه ما فعلوه أي ما فعله هؤلاء للمشقة التي تكون فيه إلا قليل منهم قيل إن القليل الذي استثنى الله تعالى هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل هم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا والله لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار فقال النبي صلى الله عليه وآله إن من أمتي لرجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به أي ما يؤمرون به لكان ذلك خيرا لهم وأشد تثبيتا أي بصيرة في أمر الدين كنى عن البصيرة بهذا اللفظ لأن من كان على بصيرة من أمر دينه كان أدعى له إلى الثبات عليه وكان هو أقوى في اعتقاد الحق وأدوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه أنه قبولهم وعظ الله تعالى ووعظ رسوله في أمور الدين والدنيا أشد تثبيتا لهم على الحق والصواب وأمنع لهم من الضلال وأبعد من الشبهات كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل إن معناه أكثر انتفاعا بالحق لأن الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لأنه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل يبطل ويضمحل ويتصل بعقاب الآخرة قال البلخي معنى الآية لو فرض عليهم القتل والخروج من الديار لم يفعلوا فإذا لم يفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه فإن ذلك خير لهم وأشد تثبيتا لهم على الإيمان وفي الدعاء اللهم ثبتنا على دينك ومعناه الطف لنا ما نثبت معه عليه وإذا لآتيناهم هذا متصل بما قبله أي لو أنهم فعلوا ذلك لآتيناهم أي لأعطيناهم من لدنا أي من عندنا أجرا عظيما لا يبلغ أحد مداه ولا يعرف منتهاه ولا يدري قصواه وإنما ذكر من لدنا تأكيدا بأنه لا يقدر عليه غيره وليدل على الاختصاص فإن الأجر يجوز أن يصل إلى المثاب على يد بعض العباد فإذا وصل الثواب إليه بنفسه كان أشرف للعبد وأبلغ في النعمة ولهديناهم صراطا مستقيما أي وأثبتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم بما نفعله بهم من الألطاف التي يثبتون معها على الطاعة ويلزمون الاستقامة وتقديره ووفقناهم للثبات على الطريق المستقيم وقيل معناه ولهديناهم في الآخرة إلى طريق الجنة عن أبي علي الجبائي قال ولا يجوز أن يكون الهداية الإرشاد إلى الدين لأنه سبحانه وعد بها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك إلا وقد اهتدى

قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك

مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما آيتان

اللغة

الصديق المداوم على التصديق بما يوجبه الحق وقيل الذي عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال لملازم السكر سكير ولملازم الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وليست الشهادة من القتل الذي هو معصية لكنها حال المقتول في اخلاص القيام بالحق لله مقرا به وداعيا اليه وهي من اسماء المدح ويجوز للمرء ان يتمناها ولا يجوز ان يتمنى قتل الكافر اياه لانه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما امر الله تعالى به من قتال عدوه فاما الصبر على الالم بترك الانين فليس بواجب وليس الانين بممنوع عنه بل هو مباح اذا لم يقل ما يكرهه الله تعالى والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله والرفيق الصاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق ومنه المرافقة والمرفق من اليد بكسر الميم لانه يرتفق به وقوله ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي رفقا يصلح به امركم والمرفق بفتح الميم من مرافق الدار والرفقة الجماعة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض والفضل في اصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل في النفع ايضا وافعال الله تعالى كلها فضل وتفضل وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بمثل عمله فيما بين الناس بل يزيد عليه زيادات كثيرة ولا يجري ذلك على طريق المساواة

الاعراب

رفيقا نصب على التمييز ولذلك لم يجمع فكانه قال حسن اولئك رفيقا وقيل انه لم يجمع لان المعنى حسن كل واحد منهم رفيقا كقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلا وقال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا … باعين اعداء وهن صديق

وقيل انه نصب على الحال فانه قد يدخل من في مثله فاذا سقطت من فالحال هو الاختيار لانه من الصفات الداخلة في اسماء الاجناس ويكون للتوحيد لما دخله من معنى حسن كل واحد منهم رفيقا ونظيره لله دره فارسا اي في حال الفروسية مرتفقا ٢ د

النزول

قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وقليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال صلى الله عليه وآله يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف اني لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حتى لا اراك ابدا فنزلت الآية ثم قال صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لا يؤمنن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وقيل ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا ما ينبغي لنا ان نفارقك فانا لا نراك الا في الدنيا واما في الآخرة فانك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية عن قتادة ومسروق بن الاجدع

المعنى

ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال ومن يطع الله بالانقياد لامره ونهيه والرسول باتباع شريعته والرضا بحكمه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم في الجنة ثم بين المنعم عليهم فقال من النبيين والصديقين يريد انه يستمتع برؤية النبيين والصديقين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغي ان يتوهم من اجل انهم في اعلى عليين انه لا يراهم وقيل في معنى الصديق انه المصدق بكل ما امر الله به

وبانبيائه

وبانبيائه لا يدخله في ذلك شك ويؤيده قوله والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء يعني المقتولين في الجهاد وانما سمي الشهيد شهيدا لقيامه بشهادة الحق على جهة الاخلاص واقراره به ودعائه اليه حتى قتل وقيل انما سمي شهيدا لانه من شهداء الآخرة على الناس وانما استشهدهم الله لفضلهم وشرفهم فهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال الشيخ ابو جعفر رضي الله عنه هذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز الا ان لا يدخل الجنة الا من هو عدل والله سبحانه وتعالى وتقدس وعد من يطيعه بان يحشره مع هؤلاء وينبغي ان يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه والا فيصير التقدير انهم مع نفوسهم والصالحين ومعناه صلحاء المؤمنين الذين لم يبلغوا درجتهم درجة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به ويقال هو الذي صلحت حالته واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه الصلاح ولذلك يجوز المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح وانما يقال رجل صالح او مصلح لانه يصلح نفسه وعمله وحسن اولئك رفيقا معناه من كان هؤلاء رفقاءه فاحسن بهم رفيقا او فما احسنهم من رفيق وقد مر معناه واعرابه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال يا ابا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فالنبي رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن الصديقون والشهداء وانتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى ذلك اشارة الى الكون مع النبيين والصديقين الفضل من الله تفضل به على من اطاعه وكفى بالله عليما بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح لانه يعلم خائنة الاعين وقيل معناه حسبك به عالما بكيفية جزاء المطيعين على حقه وتوفير الحظ فيه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا آية

اللغة

الحذر والحذر لغتان مثل الاذن والاذن والمثل والمثل والنفر الخروج الى الغزو واصله الفزع نفر ينفر نفورا فزع ونفر اليه والنفر جماعة تفزع الى مثلها والمنافرة المحاكمة للفزع اليها فيما يختلف فيه وقيل انما سميت بذلك لانهم يسألون الحاكم عند التنافر ايهما اعز نفرا والثبات جماعات في تفرقة واحدها ثبة قال ابو ذؤيب

فلما اجتلاها بالايام تحيزت … ثبات عليها ذلها واكتئابها

والايام الدخان يصف العاسل وتدخينه على النحل وقد يجمع الثبة بثبون وانما جمع على الواو وان كان هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذي لحقه لان اصله ثبية ومثله عضون وسنون وعزون فان صغرت قلت ثبيات وسنيات لان النقص قد زال يثبتون ٢ د

الاعراب

ثبات منصوب على الحال من انفروا وذو الحال الواو وجميعا ايضا منصوب على الحال

المعنى

ثم امر سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكفار والتأهب لقتالهم فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذروا عدوكم باخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرك اي احذر والثاني ان معناه خذوا اسلحتكم سمى الاسلحة حذرا لانها الآلة التي بها يتقى الحذر وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وغيره وقال ان هذا القول اصح لانه اوفق بما يشبه كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف

واقيم المضاف اليه مقامه وصار حذروا احذركم فانفروا الى قتال عدوكم اى اخرجوا الى الجهاد ثبات اى جماعات
فى تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة فرقة فى جهة وفرقة فى جهة اخرى او انفروا جميعا اى مجتمعين فى جهة
واحدة اذا اوجب الراى ذلك وروى عن ابى جعفر عليه السلام ان المراد بالثبات السرايا وبالجميع العسكر قوله تعالى
وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم
اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم
وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما ايتان **القراءة**
قرا اهل الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هشام كان لم يكن بالياء والباقون كان لم تكن بالتاء و
روى فى الشواذ عن الحسن ليقولن بضم اللام وروى عن يزيد النحوى والحسن فافوز بالرفع **الحجة**
من قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقى وحسن التذكير الفصل الواقع بين الفاعل والفعل ومثل التذكير واخذ
الذين ظلموا الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه وفى موضع آخر قد جاءتكم موعظة من ربكم فكلا الامرين قد جاء التنزيل
به ومن قرا ليقولن بالضم فانه اعاد الضمير الى معنى من قوله ومنهم من يستمعون اليك فان قوله لمن ليبطئن
لا يعنى به رجل واحد وانما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم واما من قرا فافوز فانه على انه تمنى الفوز
فكانه قال يا ليتنى افوز ولو جعله جوابا لنصبه اى اكن معهم افز **اللغة** التبطئة
التاخر عن الامر يقال ما ابطا بك عنا اى ما اخرك عنا ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث
ضد الاسراع وهو قصر مدة العمل للتدبير فيه ويقال بطؤ فى مشيه يبطؤ بطأ اذا ثقل **الاعراب** اللام الاولى فى قوله لمن لام ان التى هى لام الابتداء
بدلالة دخولها على الاسم والثانية التى فى ليبطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التاكيد
ومن موصولة بالجالب للقسم وتقديره وان منكم من احلف بالله ليبطئن وانما جاز صلتها بالقسم ولم يجز
بالامر والنهى لان القسم خبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف فى قولك مررت برجل لتكرمنه لانك خصصته
بوقوع الاكرام فى المستقبل من كان رجل غيره وليس كذلك الامر فى قولك مررت برجل اضربه لانه لا يخصص
بالضرب فى الامر كما تخصص بالخبر كان خففت النون لانك اردت كانه فحذفت الهاء وصارت لم عوضا
مما حذفت منه فقوله كانه لم تكن بينكم وبينه مودة جملة اعتراض بين المفعول وفعله فان قوله يا ليتنى كنت معهم
فى موضع نصب بكونه مفعول يقولن كما ان قوله قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا فى موضع نصب بكونه مفعول
قال وقوله فافوز منصوب على جواب التمنى بالفاء واانتصابه باضمار ان يكون عطف
اسم على اسم وتقديره يا ليتنى كان لى حضور معهم فوز ولو كان العطف على ظاهره
لكان يا ليتنى معهم ففزت **النزول**
قيل انها نزلت فى المومنين لانه سبحانه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق بين المومنين والمنافقين بقوله
ما هم منكم ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت فى المنافقين وانما جمع بينهم فى الخطاب من جهة الجنس
والنسب لا من جهة الايمان وهو اختيار الجبائى **المعنى** لما حث الله سبحانه على الجهاد بين

حال

للتبريزي ر

الشامية ر

حال المتخلفين عنه فقال وان منكم خاطب المومنين ثم اضاف المنافقين اليهم فقال لمن ليبطئن
اى هم منكم فى الحال الظاهرة او فى حكم الشريعة من حقن الدم والمناكحة والموارثة وقيل منكم اى من
عدادكم ودخلائكم وبطا وبطى بالتشديد والتخفيف معناهما واحد اى من تاخر عن الخروج مع النبى صلى الله عليه
وآله فان اصابتكم مصيبة فيه من قتل او هزيمة قال قول المتاخر المسرور بتخلفه قال قد انعم الله
على اذ لم اكن معهم شهيدا اى شاهدا حاضرا فى القتال فكان يصيبنى ما اصابهم وقال الصادق عليه السلام
لو ان اهل السماء والارض قالوا قد انعم الله علينا اذ لم نكن مع رسول الله صلى الله عليه وآله لكانوا بذلك مشركين و
لئن اصابكم فضل من الله اى فتح او غنيمة ليقولن بتحسر ويقول يا ليتنى كنت معهم وقوله كان لم يكن بينكم وبينه
مودة اعتراض متصل بالمقدم وتقديره قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اى لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يرعى الذمام الذى بينكم عن ابى على الفارسى وقيل انه اعتراض بين القول
والتمنى وتقديره ليقولن يا ليتنى كنت معهم فافوز من الغنيمة فوزا عظيما كانه ليس بينكم وبينه مودة اى
يتمنى الحضور لا لنصرتكم انما يتمنى لمنفعة نفسه وقيل ان الكلام فى موضعه من غير تقديم وتاخير ومعناه و
لئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا يكون بينه وبين المسلمين مودة اى كانه لم يعاقدكم
على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتنى كنت معهم اى يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من
قول المحصلين فقد عد التخلف فى احدى الحالتين نعمة من الله تعالى وتمنى الخروج معهم فى احدى الحالتين
لاجل الغنيمة وليس ذلك من امارة المودة وعلى هذا فيكون قوله لم يكن بينكم وبينه مودة فى موضع النصب
على الحال وقال ابو على الجبائى انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقعدوهم عن الجهاد كان
لم يكن بينكم وبينه اى بين محمد صلى الله عليه وآله مودة فيخرجكم معه فتاخذوا من الغنيمة وانما قالوا ذلك ليبغضوا
اليهم الرسول صلى الله عليه وآله يا ليتنى كنت معهم وهذا التمنى من قول المبطئين القاعدين عنوا انا لو كنا معهم
فى تلك الغزوة فافوز فوزا عظيما اى اصيب غنيمة عظيمة واخذ حظا وافرا منها قوله تعالى فليقاتل
فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما آية **اللغة** يقال شريت بمعنى بعت
واشتريت بمعنى ابتعت ويشرون يبيعون قال يزيد بن مفرغ وشريت بردا ليتنى من
بعد برد كنت هامه وبرد اسم غلامه **الاعراب**
فيقتل او يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه **المعنى** لما اخبر سبحانه
فى الآية الاولى ان قوما يتاخرون عن القتال ويبطئون المومنين عنه حث فى هذه الآية على القتال
فقال فليقاتل فى سبيل الله هذا امر من الله سبحانه وظاهره يقتضى الوجوب اى فليجاهد فى سبيل الله
اى فى طريق دين الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اى الذين يبيعون الحيوة الفانية بالحيوة
الباقية ويجوز يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الآخرة اى يبذلون انفسهم واموالهم فى سبيل الله بتوطين
انفسهم على الجهاد فى طاعة الله وبيعهم اياها بالآخرة هو استبدالهم اياها بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل

وابطاء الذين

اى يجاهد فى طريق دين الله وقيل فى طاعة ربه بان يبذل ماله ونفسه ابتغاء مرضاته فيقتل اى يستشهد او
يغلب اى يظفر بالعدو وفيه حث على الجهاد فكانه قال هو فائز باحد الحسنيين ان غلب او غلب فسوف نؤتيه اجرا
عظيما نعطيه اعلى اثمان العمل وقيل ثوابا دائما لا انقضى فيه قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا آية **اللغة**
الولدان جمع ولد وولدان مثل خرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان والاغلب على ابرفعال
نحو جبال وجمال قد ذكرنا القرية فى سورة البقرة **الاعراب**
ما للاستفهام فى موضع رفع بالابتداء ولا تقاتلون فى موضع نصب على الحال وتقديره اى شئ لكم تاركين للقتال
والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت فيه فى اى شئ وفى المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسم الله تعالى
وانما جاز ان يجرى الظالمين صفة على القرية وهو فى المعنى للاهل لانها قويت على العمل لقربها من الفعل وتمكنها
فى الوصفية بانها تؤنث وتذكر ولا يجمع وبخلاف باب افعل منك فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز
مررت برجل خير منه ابوه ولم يقل مررت برجل خير منه ابوه فتكون الجملة فى موضع جر **المعنى**
ثم حث سبحانه على تخليص المستضعفين فقال وما لكم ايها المؤمنون لا تقاتلون اى اى عذر لكم فى ترك
القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال فى سبيل الله اى طاعة الله وقتال فى دين الله وقتال فى نصرة دين الله
وقتال فى اعزاز دين الله واعلاء كلمته والمستضعفين اى وفى المستضعفين اى فى سبيل المستضعفين
اى نصرة المستضعفين وقيل فى اعزاز المستضعفين وفى الذب عن المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد بن
وعياش بن ابى ربيعة وابى جندل بن سهيل وكانوا جماعة يدعون الله ان يخلصهم من ايدى المشركين و
يخرجهم من مكة وهم الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اى يقولون فى دعائهم
ربنا سهل لنا الخروج من هذه القرية يعنى مكة عن ابن عباس والحسن والسدى وغيرهم الظالم اهلها اى
التى ظلم اهلها بافتتان المؤمنين عن دينهم ومنعهم عن الهجرة واجعل لنا بالطافك وتاييدك من لدنك اى من عندك
وليا يلى امرنا بالكفاية حتى ينقذنا من ايدى الظلمة واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله
سبحانه دعاءهم فلما افتتح رسول الله صلعم مكة جعل الله سبحانه نبيه عليه السلم لهم وليا فاستعمل
على مكة عتاب بن اسيد فجعله الله لهم نصيرا فكان ينصف الضعيف من الشديد فاعانهم الله تعالى فكانوا اعز بها
من الظلمة قبل ذلك وفى هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله تعالى وابطال قول من زعم ان العبد لا
يستفيد بالدعاء شيئا لان الله سبحانه حكى عنهم انهم دعوا فاجابهم الله واتاهم سؤلهم ولولا انه تعالى
استجاب دعاءهم لما كان لذكر دعائهم معنى قوله تعالى الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله و
الذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان
كان ضعيفا آية **اللغة** الطاغوت قد مر ذكره والكيد السعى فى فساد

الحال

الحال على وجه الاحتيال يقول كاده يكيده كيدا اذا عمل فى ايقاع الضرر به على وجه الحيلة فيه **المعنى**
ثم شجع المجاهدين ورغبهم فى الجهاد بقوله الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله اى فى طاعة الله وفى نصرة دينه و
اعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عجب ولا صلف ولا طمع فى غنيمة والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت وطاعته
فقاتلوا اولياء الشيطان يعنى جميع الكفار وهذا يقوى قول من قال ان الطاغوت الشيطان ان كيد الشيطان
كان ضعيفا دخلت كان ههنا مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم فى جميع الاحوال والاوقات
ما مضى منها وما يستقبل وليس هو عارضا فى حال دون حال وانما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف لانه
الى نصرة الله المؤمنين عن الجبائى وقيل لانه اخبر بانه سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل الضعف دواعى اولياء
الشيطان الى القتال اذ لا بصيرة لهم وانما يقاتلون بما يدعوا اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما يدعوا
اليه الحجة قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما
كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا آية **القراءة** لا يظلمون بالياء
مكى كوفى غير عاصم والباقون بالتاء **الحجة** من قرا بالياء فلما تقدم من ذكر
الغيبة من قوله الم تر الى الذين قيل لهم ومن قرا بالتاء فلانه ضم اليهم فى الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على
الغيبة **الاعراب** اذا فريق منهم اذا هذه ظرف مكان وهى بمنزلة الفاء فى
تعليقه الجملة بالشرط ويسمى ظرف المكان كما فى قول الشاعر وكنت ارى زيدا كما قيل سيدا اذا انه عبد
القفا واللهازم فهى فى محل النصب بيخشون والكاف فى كخشية الله فى محل النصب للمصدر واشد معطوف
عليه وخشية منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم للمصدر ولولا معناها التحضيض ولا
يدخل الا على الفعل **النزول** قال الكلبى نزلت فى عبد
الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص كانوا
يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة فيشكون الى رسول الله صلى الله عليه وآله
ويقولون يا رسول الله ائذن لنا فى قتال هؤلاء فانهم قد آذونا فلما امروا بالقتال وبالمسير الى بدر
شق على بعضهم فنزلت الآية **المعنى** ثم عاد سبحانه ذكر القتال ومن كرهه فقال الم تر
الى الذين قيل لهم وهم بمكة كفوا ايديكم اى امسكوا عن قتال الكفار فانى لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة فلما كتب اى فرض عليهم القتال وهم بالمدينة اذا فريق منهم اى جماعة منهم يخشون الناس
كخشية الله اى يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل يخافون الناس ان يقتلوهم
كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس بالقتل كما يخافون عقوبة الله او اشد خشية
قيل او ههنا بمعنى الواو اى واشد خشية وقيل ان او ههنا للابهام الامر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه
فى مثل هذا عند ذكر قوله سبحانه او اشد قسوة فى سورة البقرة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال قال

الحسن لم يقولوا ذلك كراهة لامر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استفهاما لا انكارا وقال انما قالوا ذلك لانهم ركنوا الى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى الاقوال كلها فلو لم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم لولا اخرتنا هلا اخرتنا اي مهلتنا الى اجل قريب وهو الى ان نموت بآجالنا ثم اعلم الله تعالى ان الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا قليل اي ما يستمتع بها من منافع الدنيا قليل لا يبقى والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اي ولا ينقصون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه عن ابن عباس وقيل ما في شق النواة لانه كالخيط المفتول قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا آية

القراءة روي في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرا يدرككم برفع الكاف

الحجة هذه القراءة ضعيفة على ان لها وجها وهو ان يكون على حذف الفاء فكانه قال فيدرككم الموت ومثله بيت الكتاب

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

اي فالله يشكرها

اللغة البروج جمع برج واصله من الظهور يقال تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها والبرج اتساع في العين لظهور العين بالاتساع والمشيدة المزينة بالشيد وهو الجص والشيد رفع البناء ويقال شاد بناءه يشيده اذا رفعه فاما في الذكر (اي زاد) فانه وانما قيل للجص شيد لانه مما يرفع به البناء ويجوز اشاد الرجل بناءه اذا رفعه واما في الذكر فانه يقال اشاد بذكره لا غير والفقه الفهم يقال فقه الرجل يفقه فقها والاسم الفقه وصار بعرف الاستعمال علما على علم الفقه من علوم الدين وفقه الرجل يفقه فقاهة اذا صار فقيها والتفقه تعلم الفقه

الفقه درك

الاعراب اين من الظروف التي يجازى بها لتضمنها معنى ان ولا يلزمها ما تقول اين تكن اكن واين ما تكن اكن وهي تستغرق الامكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكتبت اينما هنا موصولة وفي قوله اينما كنتم تعبدون مفصولة لان ما هنا مزيدة وهناك بمعنى الذي فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت تلك كما تفصل الاسماء وما لهؤلاء كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانهما حرف واحد ففصلوا اللام مما بعده في بعض المواضع ووصلوها في بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لانها اللام الجارة

المعنى ثم خاطبهم سبحانه فقال اينما تكونوا يدرككم الموت اي اينما كنتم من المواضع والاماكن ينزل بكم الموت ويلحقكم ولو كنتم في بروج مشيدة قيل يعني بالبروج القصور عن مجاهد وقتادة وابن جريج وقيل قصور في السماء باعيانها عن السدي والربيع وقيل المراد به بروج السماء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن ابي علي الجبائي وقيل الحصون والقلاع عن ابن عباس فهذه خمسة اقوال والمشيدة المجصصة عن عكرمة وقيل المزينة عن ابي عبيدة وقيل المطولة في ارتفاع عن الزجاج وغيره وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله اختلف فيما حكى عنهم هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارها ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج والفراء فعلى هذا يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا هذه من عند الله وان اصابهم جدب وقحط قالوا هذه من شوم

محمد صلى

محمد صلى الله عليه وآله كما حكى عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ذكره البلخي والجبائي وهو المروي عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه ان تصبهم ظفر وغنيمة قالوا هذه من عند الله وان تصبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد وبسوء تدبيرك وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وقيل هو عام في اليهود والمنافقين وهو الاصح وقيل هو حكاية عمن سبق ذكره قبل الآية وهم الذين يقولون ربنا لم كتبت علينا القتال وتقديره وان تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قال ابن عباس وقتادة الحسنة والسيئة السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعم والمصيبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر والغنيمة قل يا محمد كل من عند الله اي جميع ما مضى ذكره من الموت والحياة والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره لا يقدر احد على رده ودفعه ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثواب بالشكر عند العطية والصبر على البلية فما لهؤلاء القوم يعني المنافقين لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن لانهم يبعدون عنه باعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه لا يفقهون حديثا اي لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به ان الكل من عند الله من السراء والضراء على ما وصفناه قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا آية

الاعراب رسولا منصوب بارسلناك وانما ذكره تاكيدا لان ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا نصب على التمييز ومعنى من في قوله من حسنة ومن سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها

المعنى ما اصابك من حسنة فمن الله قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الامة عن الزجاج وقيل خطاب للانسان اي ما اصابك ايها الانسان عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا فانها من الله وما اصابك من سيئة اي من المعاصي فمن نفسك وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما [illegible] يوم بدر في القتال واطاعوا الله اتاهم النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابي العالية قال ابو القاسم وهذا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخاء والسيئة القحط والمرض والبلية والمكاره والادواء والشدائد يصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي التي يفعلونها وربما يكون لطفا وربما يكون على سبيل العقوبة وانما سماه سيئة مجازا لان الطبع ينفر عنها وان كانت افعالا حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله وما اصابكم من المحن والشدائد والآلام والمصائب فبسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال سبحانه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين ونشره ابو القاسم البلخي فقال ما اصاب المكلف من مصيبة فهي كفارة ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير او تاديب وقع لاجل تفريطه قال النبي صلى الله عليه وآله ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك اي من فعلك

وقال علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان الله تعالى لا يفعل الالم الا على وجه اللطف او العقاب دون مجرد العوض لانه

المصاب اذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهي اما ان يكون عقوبة واما ان يكون من قبيل تاديب المصلحة وقوله

وارسلناك للناس رسولا معناه ومن حسنة ارسالك بالحمد ومن السيئة خلافك بالجحد وكفى بالله شهيدا لك وعليك

وقيل في معنى اتصال هذا بما قبلها ان ما اصابهم بشوم ذنوبهم وانما انت رسول طاعتك طاعة الله ومعصيتك معصية الله

لا يطيرنك بل الخير كله فيك وكفى بالله شهيدا اي كفى الله ومعناه حسبك الله شاهدا لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله

شهيدا على عباده بما يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب في الخير والتحذير عن الشر قوله تعالى من

يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من

عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله

وكيلا آيتان **القراءة** قرا ابو عمرو بادغام التاء في الطاء من بيت طائفة ويقرا

حمزة والباقون بالاظهار **الحجة** انما حسن ادغام التاء في الطاء للتقارب الذي بينهما بانهما

من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لان الطاء يزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام الانقص صوتا من الحرفين

في الازيد صوتا بحسب قبح ادغام الازيد في الانقص ومن بين لم يدغم فلانفصال الحرفين واختلاف المخرجين

اللغة قال المبرد التبييت كل شيء دبر ليلا قال عبيدة بن همام

اتوني فلم ارض ما بيتوا ... وكانوا اتوني لامر نكر

والتبييت الامر يبيت عليه صاحبه مهتما والبيات والتبييت ان ياتي العدو ليلا فاصل التبييت

احكام الامر ليلا واصل الوكيل القائم بما فوض اليه من التدبير **الاعراب**

جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا تقديره ومن تولى فليس عليك باس لانك لم ترسل حفيظا عليهم

وطاعة مبتدا اي عندنا طاعة او خبر مبتدا محذوف اي امرنا طاعة ولو نصبت على نطيع طاعة جاز

المعنى ثم رغب سبحانه في طاعة الرسول فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بين ان الطاعة

طاعة الله وانما كان كذلك لانها وان كانت طاعة للنبي صلى الله عليه وآله من حيث وافقت ارادته المستدعية

للفعل فانها طاعة ايضا على الحقيقة اذا كانت بامره وارادته فاما الامر الواحد فلا يكون على الحقيقة من

امرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين ومن تولى اي ومن اعرض ولم يطع فما ارسلناك عليهم حفيظا

اي حافظا لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا اول ما بعث كما قال في موضع آخر ان عليك

الا البلاغ ثم امر بعد ذلك بالجهاد وقيل معناه وما ارسلناك حافظا لاعمالهم التي يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها

لانا نحن نجازيهم عليها وقيل حافظا لهم من المعاصي حتى لا يقع عن الجبائي وفي هذه الآية تسلية للنبي صلعم في تولي

الناس عنه مع ما فيه من تعظيم شانه بكون طاعته طاعة الله ثم بين سبحانه ان المنافقين اظهروا الطاعة واضمروا

خلافه بقوله ويقولون طاعة يعني به المنافقين عن الحسن والسدي والضحاك وقيل المراد به المسلمون الذين

حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كانهم قالوا قابلنا امرك بالطاعة

فاذا برزوا اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي قدر جماعة منهم ليلا غير الذي تقول اي غير ما يقولون

على جهة التكذيب عن الحسن وقيل معناه غيروا بالليل وبدلوا ما قالوا بان اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم به ونهيتهم

عنه عن ابن عباس

عنه عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن ابي عبيدة والقتيبي والله يكتب ما

يبيتون في اللوح المحفوظ ليجازيهم وقيل يكتبه بان ينزله اليك في الكتاب عن الزجاج فاعرض عنهم امر الله

سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بالاعراض عنهم والا يسميهم باعيانهم ابقاء عليهم وسترا لامورهم الى ان يستقر امر

الاسلام وتوكل على الله اي فوض امرك اليه وثق به وكفى بالله وكيلا اي حفيظا لما يفوض اليه من التدبير قوله تعالى

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم

امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين

يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا آيتان

اللغة التدبر هو النظر في عواقب الامور والتدابر التقاطع لان كل واحد يولي الآخر دبره وقيل

رويته دبر القوم يدبرون دبارا هلكوا الا انهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق بين التدبر

والتفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر في عواقب الامور والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل والاختلاف

هو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والذي لا يسد مسد البياض و

كذلك الذهاب في الجهات المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدينة

ولقد شربت على براجم شربة ... كادت بباقية الحيوة تذيع

اي تفرق وبراجم ماء بالمدينة كان يشرب منه

فنشبت حلقه علقة وذاع الخبر ذيعا ورجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر واذاع الناس ما في الحوض اذا

شربوه واذاعوا بالمتاع ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاظهار نظائر وضدها الكتمان والاسرار

والاخفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين او معرفة القلب

قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما يحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من طين حر

ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون **المعنى** افلا يتدبرون القرآن

اي افلا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن اذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم

لا يقدرون على مثله فيعرفوا انه ليس بكلام احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وائتلاف احكامه و

شهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من امر بحسن ونهي عن قبيح وخبر

عن مخبر صدق ودعاء الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم

وصحة المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان يحمل على الجميع لان من تدبر فيه اطلع على جميع ذلك ولو

كان من عند غير الله اي كلام غير الله اي لو كان من عند النبي صلى الله عليه وآله او كان يعلمه بشر كما زعموا

لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قيل فيه اقوال احدها ان معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة

حق وباطل عن قتادة وابن عباس والثاني اختلافا في الاخبار عما يسرون عن الزجاج والثالث

من جهة بليغ ومرذول عن ابي علي والرابع تناقضا كثيرا عن ابن عباس وذلك ان كلام البشر اذا طال

وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ وكل هذه المعاني

منفي عن كتاب الله تعالى كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان

كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه سبحانه دعا الى التفكر والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وآله من الحشوية وغيرهم لانه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزن كلام عباده ولوجدوا الاختلاف فيه ومنها ان التناقض من الكلام لا يكون من فعل الله سبحانه لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطاء والصواب ونحو ذلك مما تدعوا اليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض واما اختلاف التلاوة وهو ما يتلاءم في الحسن كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حق وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على انه من فعل الله تعالى بان قالوا لو لم يكن ذلك لانه لما اخبر الله تعالى به ولو لم يخبر بذلك لكان لقائل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيبا لا يوجد لذلك فيه شيء من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القرآن الا بعد معرفة صحة السمع وصدق الرسول صلى الله عليه وآله ثم عاد سبحانه الى ذكر حالهم فقال واذا جاءهم يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكرهم من ضعفة المسلمين امر من الامن او الخوف يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم وهو الخوف او من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الامن اذاعوا به اي تحدثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله تعالى ذلك لان من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال ولو ردوه الى الرسول اي لو سكتوا الى ان يظهره الرسول والى اولي الامر منهم قال ابو جعفر عليه السلام هم الائمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي الجبائي هم امراء السرايا والولاة وقال الحسن وقتادة وغيرهما هم اهل العلم والفقه والملازمون للنبي صلى الله عليه وآله لانهم لو سألوه عن حقيقة ما ارجفوا به لعلموا اختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال انما يطلق على من له الامر على الناس لعلمه الذين يستنبطونه اي يعلم ذلك الخبر الذي يستخرجونه عن الزجاج وقيل ويتجسسونه عن ابن عباس وابي العالية وقيل يتبعونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة قال استنباطهم سؤالهم الرسول صلى الله عليه وآله عنه وجميع هذه الاقوال متقاربة المعنى منهم قيل ان الضمير في منهم يعود الى اولي الامر وهو الاظهر وقيل يعود الى الفرقة المذكورة من المنافقين والضعفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي ولولا اتصال مواد الالطاف من جهة الله تعالى وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله النبي صلى الله عليه وآله ورحمته القرآن عن الضحاك وهو اختيار الجبائي وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام فضل الله ورحمته علي عليه السلام لاتبعتم الشيطان الا قليلا فيه اقوال احدها ان الكلام تقديما وتاخيرا والاستثناء من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذاعوا به الا قليلا وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي والطبري قالوا وهذا اولى لان الاذاعة اكثر من الاستنباط وثانيها ان الاستثناء من قوله

والسدي

يعلم الذين

يعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فيكون تقديره ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا عن اكثر اهل اللغة وثالثها ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم على النظم من غير تقديم ولا تاخير وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله الا قليلا لم يتبعوه واهتدوا باعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب وآمنوا بالله ووحدوه مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وبه قال الانباري ورابعها ان معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصرة والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان فيما يلقي اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة المؤدية الى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة الا قليلا منكم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم اهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة والنيات الخالصة لا يأيسون من رحمة الله ولا يشكون في نصره وانجاز وعده وان ابطأ بعض الابطاء والله اعلم

النظم اختلف في وجه اتصال قوله افلا يتدبرون بما قبله فقيل انه متصل بقوله ويقولون طاعة الآية فان الله اطلع على اسرار المنافقين ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر بخلاف الخبر وقيل انه متصل بقوله وارسلناك لما بين ارساله امر بتدبر معجزه

قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا آية **اللغة** نكل به وندد به وشرد به نظائر واصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب والنكل القيد

المعنى ثم عاد سبحانه الى الامر بالقتال فقال فقاتل في سبيل الله قيل في الفاء قولان احدهما انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل في سبيل الله فيكون المعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل والآخر انه يكون متصلا بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل الله عن الزجاج ووجه انه لا حظ لك في ترك القتال فتتركه والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله خاصة امره سبحانه ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله لا تكلف الا نفسك معناه لا تكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فان ضرر ذلك عليهم وحرض المؤمنين على القتال اي حثهم عليه عسى الله ان يكف باس الذين كفروا اي يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقوية احد الامرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز وخرج عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان يفلح بطاعتك والله اشد باسا اي اشد نكاية في الاعداء منكم واشد تنكيلا اي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل الشهرة بالامور الفاضحة عن ابي علي الجبائي وقيل هو ما ينالهم على ايدي المسلمين من الاذلال والسبي والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والاهلاك

القصة قال الكلبي ان ابا سفيان لما رجع الى مكة يوم احد واعد رسول

الله صلى الله عليه وآله موسم بدر الصغرى وهو سوق بقوم فى ذى قعده فلما بلغ النبى صلعم الميعاد قال للناس
اخرجوا الى الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله عز وجل هذه فحرض النبى صلعم
المومنين فتثاقلوهم ولم يخرجوا فخرج رسول الله صلعم فى سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر فكفاهم الله سبحانه
بعث العدو ولم يوافهم ابو سفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله صلعم بمن معه سالمين قوله تعالى
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان
الله على كل شىء مقيتا آية **اللغـــة** اصل الشفاعة من الشفع الذى هو ضد الوتر
فان الرجل اذا شفع لصاحبه فقد شفعه اى صار ثانيه ومنه الشفيع فى الملك لانه يضم ملك غيره الى نفسه و
اختلفت الامة فى كيفية شفاعة النبى صلعم يوم القيمة فقالت المعتزلة ومن تابعهم يشفع لاهل الجنة
ليزيد الله درجاتهم وقال غيرهم من فرق الامة بل يشفع لمذنبى امته لمن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم
بشفاعته والكفل فى اللغة النصيب واخذ من قولهم اكفلت البعير اذا اردت على سنامه كساء فركبت عليه
وانما يقال ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله انما استعمل نصيب من الظهر وقال الازهرى الكفل الذى
لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفل وردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكفل المثل والمقيت اصله
من القوة فانه يقوت قوتا اذا اعطاه ما يمسك به رمقه والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك واقات يقيت
اقاتة وينشد للزبير بن عبد المطلب وذى ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا
وهذه لغة قريش **المعنـى** من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها وقيل فيه
اقوال احدها ان معناه من يصلح بين اثنين يكن له اجر منها ومن يشفع شفاعة سيئة اى يمشى
بالنميمة له كفل منها اى اثم منها عن الكلبى عن ابن عباس وثانيها ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة
شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال ما يجوز فى الدين ان يشفع فيه فهو شفاعة
حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة قال ومن يشفع شفاعة حسنة كان له فيها اجر وثواب
وان لم يشفع لان الله سبحانه قال من يشفع ولم يقل ومن يشفع ويؤيد هذا قوله عليه السلم اشفعوا توجروا وقوله عليه السلم
من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى ملكه ومن اعان على خصومة بغير علم كان فى سخط
الله حتى ينزع وثالثها ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمومنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم
عن ابى على الجبائى قال لان اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه ورابعها ما قاله بعضهم ان المراد
بالشفاعة هنا ان يصير الانسان شفع صاحبه فى جهاد عدوه فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب فى العاجل
من الغنيمة والظفر وفى الاجل من الثواب المنتظر وان صار شفعا له فى معصيته او شر حصل له نصيب
من المذمة فى العاجل والعقوبة فى الاجل والكفل الوزر عن الحسن وقتادة والحظ والنصيب عن السدى و
الربيع وجميع اهل اللغة فكانه النصيب من الشر وكان الله على كل شىء مقيتا قيل فى معنى المقيت اقوال
احدها انه المقتدر عن السدى وابن زيد وثانيها الحفيظ الذى يعطى الشىء قدر الحاجة من الحفظ
عن ابن عباس وثالثها الشهيد عن مجاهد ورابعها الحسيب عنه ايضا وخامسها المجازى عن الجبائى

اى يجازى

اى يجازى على كل شىء من الحسنات والسيئات **النظـــم** وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان
سبحانه لما قال لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بان لك مع هذا فى دعاء المومنين الى الاتيان
فى شفاعة صاحبه بخير يصل اليه الشفوع لولا انه يتوهم ان العبد من اجل انه لا يواخذ بعمل غيره عن على
بن عيسى وقيل الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له نصيب منه وانت قد طلبت
لهم الخير حيث دعوتهم الى الجهاد وحرضتهم عليه قال القاضى هذا احسن ما قيل فيه قوله تعالى
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شىء حسيبا
اية **اللغـــة** التحية الاسلام يقال حيى يحيى تحية اذا سلم وقال الشاعر
انا محيوك يا سلمى فحيينا وان سقيت كرام الناس فاسقينا والتحية البقاء قال
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية يعنى الملك وانما سمى بذلك لان الملك يحيى بالسلام والثناء الحسن
والحسن الحسيب الحفيظ لكل شىء لا يشذ منه شىء والحسيب فعيل والحساب الذى هو الا
حصاء يقال حاسب فلان فلانا على كذا وهو حسيبه اذا كان صاحب حسابه ومن قال الحسيب
الكافى فهو من قولهم احسبنى فلان الشىء احسابا اذا كفانى وحسبا وكذا اى كفانى وقال الزجاج
معنى الحسيب انه معطى كل شىء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه مقدار اى يكفيه ومنه قوله عطاء
حسابا اى كافيا **المعنـى** واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها امر الله تعالى
المسلمين برد السلام على المسلم باحسن مما سلم ان كان مومنا الا فيقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله باحسن
منها للمسلمين خاصة وفى قوله او ردوها لاهل الكتاب عن ابن عباس فاذا قال المسلم السلام عليكم
فقلت وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقلت وعليكم ورحمة الله
وبركاته فقد حييته باحسن منها وهذا منتهى السلام وقيل ان قوله او ردوها للمسلمين ايضا عن السدى
وعطاء وابراهيم وابن جريج قالوا اذا سلم عليك فرد عليه باحسن مما سلم عليك او بمثل ما قال وهذا اقوى
لما روى عن النبى صلى الله عليه وآله قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم وذكر على بن ابرهيم فى تفسيره
الصادق عليه السلم ان المراد بالتحية فى الآية السلام وغيره من البر وذكر الحسن ان رجلا دخل على النبى صلى الله عليه وآله
فقال السلام عليك فقال النبى صلى الله عليه وآله وعليك السلام ورحمة الله فجاء آخر وسلم عليه وقال
السلام عليك ورحمة الله فقال النبى صلى الله عليه وآله وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فجاء آخر وسلم عليه
فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال النبى صلى الله عليه وآله وعليك فقيل يا رسول الله
زدت للاول والثانى فى التحية ولم يزد فى الثالث فقال انه لم يبق لى من التحية شيئا فرددت عليه مثله وروى
الواحدى باسناده عن عبادة عن ابى امامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من قال السلام عليكم كتبت له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتبت
له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له ثلثون حسنة ان الله على كل شىء
حسيبا اى حفيظا عن مجاهد وقيل كافيا وقيل محاسبا عن ابن عباس وفى هذه الآية دلالة على وجوب رد الاسلام

لان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين ان السلام تطوع والرد فريضة ثم الرد ربما كان
من فروض الكفاية وقد يتعين بان يخصه بالسلام ولا احد عنده فيتعين عليه الرد **النظم**
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان المراد بالسلام المسالمة التي هي ضد الحرب فلما امر سبحانه بقتال المشركين
عقبه بان قال من مال الى السلام واعطاكم من نفسه وحيى المؤمنين بتحية فاقبلوا منه قوله تعالى الله لا اله
الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا آية **الاعراب**
اللام في ليجمعنكم لام القسم وحديثا نصب على التمييز كما يقول من احسن من زيد فهما لفظا استفهام في اللفظ وتقرير
في المعنى **المعنى** الله لا اله الا هو قد مر تفسيره ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليبعثنكم من بعد
مماتكم ويحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذي يقضي فيه بين اهل الطاعة والمعصية وقال الزجاج معناه
ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم لا ريب فيه اي لا شك في هذا القول وانما سمي يوم القيمة لان الناس يقومون
فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا اي موعدا لا
خلف لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به **النظم** لما امر سبحانه
ونهى فيما قبل بين انه بعده انه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه اي فاعملوا على حسب ما اوجبه الله عليكم
فانه مجازيكم بها ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيبا اي انما الحسيب هو الله تعالى قوله تعالى فما
لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا آية **اللغة** الاركاس الرد ومنه قول امية بن ابي الصلت فاركسوا في
حميم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزور قال الفراء يقال اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله
وابي بن كعب قرا ركسهم بغير الف **الاعراب** فئتين نصب على الحال كما تقول ما لك
قائما والعامل في الحال معنى الفعل الذي في الظرف اعني قوله لكم **النزول**
اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا فيه ح ر
الى مكة لانهم استوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون
ان يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فانهم مؤمنون وقال آخرون انهم مشركون فانزل الله
الآية فيهم عن مجاهد والحسن وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن احد وقالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم الآية فاختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون
لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت **المعنى** ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه
فما لكم ايها المؤمنون صرتم في امر هؤلاء المنافقين فئتين فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم ومنكم من لا يكفرهم
والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم بكفرهم عن
قتادة وقيل خذلهم فاقاموا على كفرهم وترددوا فيه فاخبر عن خذلانه اياهم بانه اركسهم عن ابي مسلم اتريدون فترددوا ح ر
ان تهدوا اي تحكموا بهداية من اضل الله اي حكم الله بضلاله وسماه ضالا وقيل معنى اضله الله خذله الله ولم يوفقه
كما وفق المؤمنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون الدفاع

عن قتالهم مع ان الله تعالى

عن قتالهم مع ان الله تعالى حكم بضلالهم وخذلهم ووكلهم الى انفسهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان
تهدوا الى طريق الجنة من اضله الله عن طريق الجنة والثواب وطعن على القول الاول بانه لو اراد التسمية والحكم
لقال من ضلل الله وهذا لا يصح لان العرب تقول اكفرته وكفرته قال الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم
وطائفة قالوا مسيء ومذنب وايضا فانه سبحانه انما وصف المؤمنين بهدايتهم بان سماهم مهتدين لانهم كانوا
يقولون انهم مؤمنون فقال سبحانه لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم منافقون ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا معناه ومن ينسبه الله الى الضلال فلن ينفعه ان يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا
ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله في حكمه ضالا فلن تجد له في ضلالته حجة عن جعفر بن حرب قال
ويدل على انهم هم الذين اكتسبوا ما صاروا اليه من الكفر دون ان يكون الله سبحانه اضطرهم اليه
قوله على اثر ذلك ودوا لو تكفرون كما كفروا فاضاف الكفر سبحانه اليهم قوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم
حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا آية **المعنى** ثم بين سبحانه احوال
هؤلاء المنافقين فقال ودوا اي ود هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم في امرهم يعني تمنوا لو تكفرون انتم
بالله ورسوله كما كفروا هم فتكونون سواء اي فتستوون انتم وهم وتكونون مثلهم كفارا ثم نهى المؤمنين ان
يوادوهم فقال ولا تتخذوا منهم اولياء اي فلا تستنصحوهم ولا تستنصروهم ولا تستعينوا بهم في
الامور حتى يهاجروا اي حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلها المشركين بالله في سبيل الله اي في ابتغاء
دينه وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وانما سمي الدين
سبيلا وطريقا لان من سلكه اداه الى النعيم وساقه الى الجنة فان تولوا اي اعرضوا عن الهجرة في سبيل الله
عن ابن عباس فخذوهم ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم اي اين اصبتموهم من ارض الله في الحل
والحرم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي خليلا ولا ناصرا ينصركم على اعدائكم قوله تعالى الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا
الضيق ح ر اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا آية **اللغة** الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه
عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة والحصر اعتقال البطن والاعتزال ان يتنحى الرجل
وجه تسمية المعتزلة معتزلة عن الشيء يقال اعتزلت البيت وتعزلته قال الاحوص يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر العدى وبه
الفؤاد موكل وسمي المعتزلة معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من اهله وذلك ان واصل
بن عطاء لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتابعه عمرو بن عبيد على الثنية بر ووافقهم جماعة على هذا
المذهب فآل الامر بهم الى الاعتزال الحسن البصري واصحابه فسماهم الناس معتزلة وجرى عليهم ذلك
الاسم **الاعراب** حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضمرة معه لان
الفعل الماضي لا يكون حالا حتى يكون معه قد اما مضمرة او مظهرة فان قد تقرب الماضي من الحال فتقديره

جاؤكم قد حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان ذهب عقله اي قد ذهب عقله ويجوز ان يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بانه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاؤكم قوما حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال واقيم صفته مقامه وانما جاز ان يكون هذا حالا لانه بمنزلة قولك او جاؤكم موصوفين بحصر الصدور او معروفين بذلك **المعنى** لما امر الله سبحانه المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك وان لا يوالوهم استثنى من جملتهم فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ومعناه الا من وصل من هؤلاء الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف والجوار فحكمهم حكمهم او لكم في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء فالمروي عن ابي جعفر عليه السلام انه قال المراد بقوله بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمي واثق عن قومه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في موادعته ان لا نحيف يا محمد من اتانا ولا نحيف من اتاك فنهى الله سبحانه ان يعرض لاحد عهد اليهم وبه قال السدي وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي جاء الى النبي صلى الله عليه وآله بعد احد فقال انشدك الله والنعمة واخذ منه الا يغزو قومه فان اسلم قريش اسلموا لانهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففيهم نزل هذا ذكره عمر بن شبيبة ثم استثنى لهم حالا اخرى فقال او جاؤكم حصرت صدورهم اي ضاقت قلوبهم من ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم يعني من قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وانما عنى به اشجع فانهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فاخرج اليهم النبي صلى الله عليه وآله احمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا لقرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي صلى الله عليه وآله ذلك منهم ووادعهم فرجعوا الى بلادهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره فامر الله سبحانه المسلمين ان لا يتعرضوا لهؤلاء ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم فيجترؤن على قتالكم وقيل هذا اخبار عما في المقدور وليس فيه انه يفعل ذلك بان يامرهم به او ياذن لهم فيه ومعناه انه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم في حلف من بينكم وبينه ميثاق فلقاتلوكم اي لو فعل ذلك لقاتلوكم فان اعتزلوكم يعني هؤلاء الذين امر بالكف عن قتالهم بدخولهم في عهدكم او بمصيرهم اليكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل القيت اليك قيادي والقيت زمامي اذا استسلم له وانقاد لامره والسلم الصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني اذا سالموكم فلا سبيل لكم الى نفوسهم واموالهم قال الحسن وعكرمة نسخت هذه والآية بعدها والآيتان في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الى قوله الظالمون الآيات الاربع بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قوله تعالى ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا آية **النزول**

اختلف فيمن عني

اختلف فيمن عني بذلك بهذه الآية فقيل نزلت في ناس كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وآله فيسلمون رياء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك ان يامنوا قومهم ويامنوا نبي الله صلى الله عليه وآله فابى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ينقل الحديث بين النبي صلى الله عليه وآله وبين المشركين عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن حصين الفزاري وذلك انه اجدبت بلادهم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله ووادعه على ان يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق عليه السلام **المعنى** ثم بين سبحانه طائفة اخرى منهم فقال ستجدون آخرين يعني قوما آخرين غير الذين وصفتهم قبل يريدون ان يامنوكم فيظهرون الاسلام ويامنوا قومهم فيظهرون لهم الموافقة في دينهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار والارتكاس الرد وقال الزجاج اركسوا فيها انتكسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه فان لم يعتزلوكم ايها المؤمنون اي فان لم يعتزل قتالكم هؤلاء الذين ان يامنوكم ويامنوا قومهم ويلقوا اليكم السلم يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي فاسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واصبتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة وقيل عذرا بينا في القتال وسميت الحجة سلطانا لانها يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما آية **اللغة** الخطاء خلاف الصواب والفعل منه خطئ والخطأ في الامر اي لم يصب الصواب والخطاء بالفتح فيهما والخطأ في التسكين فيهما والخطيئة الذنب والفعل منه خطأ يخطأ اذا اذنب والتحرير تفعيل من الحرية وهو اخراج العبد من الرق الى الحرية **الاعراب** اجمع المحققون من النحويين على ان قوله الا خطأ استثناء منقطع من الاول على معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطأ على الارض الا ريط برد مرحل والمعنى لم تطأ على الارض الا ان تطأ ريط البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد ذكرنا ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل مؤمنا متعمدا ومتى قتله متعمدا لم يكن مؤمنا فان ذلك يخرجه عن الايمان ثم قال الا خطأ اي فان قتله خطأ فلا يخرجه عن الايمان فتحرير رقبة مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع ان في قوله الا ان يصدقوا النصب

و الخاطئة د

لان المعنى فعليه ذلك الا ان يصدقوا ثم سقط على وعمل فيه ما قبله على معنى الحال لانه مصدر وقع موقع الحال واصل
تصدقوا تتصدقوا فادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجهما وقيل ان في قراءة ابي الا ان يتصدقوا توبة من الله
كقولهم فعلت ذلك حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولا له وقيل انه يعني تاب الله بذلك عليكم توبة فيكون مصدرا
مثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره **النزول** نزلت في عياش
بن ابي ربيعة المخزومي اخي ابي جهل لامه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلا مسلما وهو لا يعلم باسلامه والمقتول
الحرث بن يزيد ابي نبيشة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالحرة بعد الهجرة وكان احد من
رده عن الهجرة وكان يعذب عياشا مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في رجل قتله ابو الدرداء
كان في سرية فعدل ابو الدرداء الى شعب يريد حاجة فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف
فقال لا اله الا الله فبدره فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيئا فاتى رسول الله صلى الله عليه
وآله فذكر ذلك له فقال صلى الله عليه وآله الا شققت عن قلبه وقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه فقال كيف بي
يا رسول الله قال فكيف بلا اله الا الله قال ابو الدرداء فتمنيت ان ذلك اليوم مبتدأ ايماني فنزلت الآية
عن ابن زيد **المعنى** ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه ما اذن الله ولا اباح لمؤمن
فيما عهد اليه ان يقتل مؤمنا الا ان يقتله خطأ عن قتاده وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الآن
قتل مؤمن الا ان يقع الفعل خطأ وتقديره وما كان مؤمن ليقتل مؤمنا الا خطأ كقوله سبحانه ما كان الله ان
يتخذ من ولد معناه ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله سبحانه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما كنتم لتنبتوا
شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرناه لانه سبحانه لا يلحقه الامر والنهي وانبات الشجر لا يدخل تحت مقدور
البشر فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية على ما وصفنا ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ وعلى هذا يكون
الاستثناء متصلا ومن قال ان الاستثناء منقطع قال قد تم الكلام عند قوله ان يقتل مؤمنا ثم قال
فان كان القتل خطأ فحكمه كذا وانما لم يحمل قوله الا خطأ على حقيقة الاستثناء لان ذلك يؤدي الى الامر
بقتل الخطأ او اباحته ولا يجوز واحد منهما والخطأ هو ان يريد شيئا فيصيب غيره مثل ان يرمي الى
غرض او الى صيد فيصيب انسانا فيقتله وكذلك لو قتل رجلا ظنه كافرا كما فعل عياش بن ابي ربيعة وابو
الدرداء على ما ذكرناه ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه اعتاق رقبة مؤمنة في ماله
خاصة على وجه الكفارة وحقا لله تعالى والرقبة المؤمنة هي البالغة التي آمنت وصلت وصامت لا يجزي في
كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وابرهيم والحسن وقتاده وقيل يجزي كل رقبة
ولدت على الاسلام عن عطا والاول اقوى لان لفظ المؤمن لا يطلق الا على البالغ الملتزم للفرايض الا ان
من ولد بين مؤمنين فلا خلاف انه يحكم له بالايمان ودية اي وعليه وعلى عاقلته دية مسلمة الى اهله
اي الى اهل القتيل والمسلمة هي المدفوعة اليهم موفرة غير منتقصة حقوق اهلها منها تدفع الى اهل
القتيل فيقسم بينهم على حسب الميراث الا ان يصدقوا يعني الى ان يتصدق اولياء القتيل بالدية على عاقلة
القاتل ويتركوها عليهم فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن معناه فان كان القتيل من جملة قوم هم اعداء

لكم يناصبونكم

لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مؤمن ولم يعلم قاتله انه مؤمن فقتله وهو يظنه مشركا فتحرير رقبة اي فعلى قاتله
تحرير رقبة مؤمنة كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل ان معناه اذا كان القتيل في عداد قوم اعداء
وهو مؤمن بين اظهرهم لم يهاجر فمن قتله فلا دية له وعليه تحرير رقبة مؤمنة فقط لان الدية ميراث واهله كفار
لا يرثونه عن ابن عباس في رواية اخرى وابرهيم والسدي وقتاده وابن زيد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد وذمة وليسوا اهل حرب لكم فدية مسلمة الى اهله يلزم عاقلة قاتله وتحرير رقبة مؤمنة يلزم قاتله كفارة
لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلام واختلف في صفة هذا القتيل اهو مؤمن ام كافر فقيل انه كافر الا انه
تلزم قاتله ديته بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وابرهيم النخعي وقتاده وابن زيد وقيل بل هو مؤمن
يلزم قاتله الدية يؤديها الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابرهيم ورواه اصحابنا ايضا الا انهم قالوا
يعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار ولفظ الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعا فمن لم يجد اي لم يقدر على
عتق الرقبة بان لا يجد العبد ولا ثمنه فصيام شهرين اي فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله اي ليتوب الله
بها عليكم فيكون التوبة من فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله لانه سبحانه انما جوز للقاتل
العدول الى الصيام تخفيفا عليه ويكون كقوله سبحانه علم ان لن تحصوه فتاب عليكم وكان الله عليما حكيما
اي لم يزل عليما بكل شيء حكيما فيما يأمر وينهى عنه واما الدية الواجبة في قتل الخطأ فمائة من الابل ان كانت
العاقلة من اهل الابل بلا خلاف وان اختلفوا في اسنانها فقيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون
ابن لبون ذكر وثلثون بنت لبون وثلثون حقة روي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت ورواه اصحابنا
ايضا وقد روي ايضا في اخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون
حقة وخمس وعشرون جذعة وقال الحسن والشعبي وقال انها اخماس عشرون حقة وعشرون
جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهو قول ابن مسعود والزهري
والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة هي اخماس ايضا الا انه قد جعل مكان ابن لبون ابن مخاض
وبه قال النخعي ورووه ايضا عن ابن مسعود قال الطبري هذه الروايات متكافية في الاولى التخيير
فاما الدية من الذهب فالف دينار ومن الورق عشرة آلاف درهم وهو الاصح وقيل اثنى عشر الفا
ودية الخطأ تستأدى في ثلث سنين ولو خلينا وظاهر الآية لقلنا ان دية الخطأ على القاتل لكنا علمنا
بسنة الرسول صلى الله عليه وآله والاجماع ان الدية في الخطأ على العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام
وبنو الاعمام واعمام الاب وابناهم والموالي وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد
والولد فيها ويعقل القاتل وقد روى ابن مسعود عن النبي صلعم انه قال لا يؤخذ الرجل بجريرة ابيه
ولا الابن بجريرة ابيه وليس الزام الدية للعاقلة على سبيل مؤاخذة البريء بالسقيم لان ذلك ليس بعقوبة
بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقد قيل ان ذلك على سبيل المواساة والمعاونة
النظم انه سبحانه ذكر الكفار وامر بقتالهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد
ومنع من قتلهم ثم ذكر من ناقض وحكم قتلهم المؤمن وصل به ذكر احكامهم من دية وغيره فقوله تعالى ومن يقتل

مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله

عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما آية النزول ـــ نزلت في مقيس بن صبابة
الكناني وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله صلعم فارسل معه قيس بن هلال الفهري
قال قل لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه ديته
فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس اليه الشيطان فقال ـــ ما صنعت
شيئا اخذت دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك ليكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة
فقتله وركب بعيره ورجع الى مكة كافرا وانشد يقول ـــ قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني
النجار ارباب فارع فادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فقال ـــ
ان النبي صلى الله عليه وآله لا اومنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة من المفسرين
المعنى لما بين سبحانه قتل الخطاء وحكمه عقبه ببيان قتل العمد وحكمه فقال ومن يقتل مومنا متعمدا اي
قاصدا الى قتله عالما بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة
وقيل معنى التعمد ان يقتله على دينه رواه العياشي باسناده عن الصادق عليه السلم فجزاؤه جهنم خالدا مقيما فيها
وغضب الله عليه ولعنه ابعده من الخير وترده على وجه العقوبة واعد له عذابا عظيما لا يعلم المعنى وصفة
قتل العمد ان يقصد قتل غيره بما جرت العادة بان يقتل مثله سواء كان بحديدة حادة كالسلاح او
خنق او بسم او احراق او تغريق او موالات ضرب بالعصا او بالحجارة حتى يموت فان جميع ذلك عمد
يوجب القود وبه قال ـــ ابرهيم والشافعي واصحابه وقال قوم لا يكون قتل العمد الا بحديد وبه قال
سعيد بن المسيب وطاوس وابو حنيفة واصحابه واما القتل شبه العمد فهو ان يضربه بعصا او غيرها
مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت وفيه الدية مغلظة يلزم القاتل خاصة في ماله دون العاقلة
في هذه الاية وعيد شديد لمن قتل مومنا متعمدا حرمه الله سبحانه من قتل المومن وغلظ فيه وقال جماعة
من التابعين الاية اللينة وهي ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت بعد الشديدة وهي ومن يقتل مومنا متعمدا
وقال ابو الحسن في قوله سبحانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها هي جزاؤه ان جازاه ويروى هذا ايضا عجزه
عن ابي صالح ورواه العياشي ايضا باسناده عن ابي عبد الله عليه السلم وقد روي ايضا مرفوعا الى النبي صلعم
انه قال هو ان جازاه وروى عاصم بن ابي النجود عن ابن عباس في قوله فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان
شاء عذبه وان شاء غفر له وروي عن ابي صالح وبكير بن عبد الله وغيره انه كما يقول الانسان لمن يزجره عن
امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا واعترض على هذا ابو علي
الجبائي فقال ما لا يفعل لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الاجرة والدراهم التي مع مستاجره
لا يسمى بانها جزاء عمله وهذا لا يصح لان الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل ذلك ام لم يفعل ولهذا يقال
جزاء المحسن الاحسان وجزاء المسيء الاساءة وان لم يتعين المحسن والمسيء حتى يقال انه فعل ذلك او لم
يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاء هذا ان يقتل واما ما لا يقال للدراهم انها جزاء الاجير لان الاجير انما يستحق

الاجرة

الاجرة في الذمة لا في دراهم معينة فللمستاجر ان يعطيه منها ومن غيرها ومن يتعلق بهذه الاية من اهل الوعيد
في ان مرتكب الكبيرة لا بد ان يخلد في النار فانا نقول له ما انكرت ان يكون المراد به من لا ثواب له اصلا بان
يكون كافرا او يكون قتله مستحلا لقتله او قتله لايمانه فانه لا خلاف ان هذه صفة من يخلد من النار ويعضده
من الروايات ما تقدم ذكره في سبب نزول الاية واقوال الائمة في معناها وبعد فقد وافقنا على ان الاية
مخصوصة لمن يتوب وان التائب خارج من عمومها واما من روى عن ابن عباس انه قال لا توبة لقاتل
المومن الا اذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب وبه قال ـــ ابن مسعود وزيد بن ثابت فالاولى
ان يكون هذا القول منهم محمولا على سلوك سبيل التغليظ في القتل كما روي عن سفيان الثوري انه
سئل عن توبة القاتل فقال كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلي الرجل قالوا له تب وروى
الواحدي باسناده مرفوعا الى عطاء بن عباس ان رجلا ساله القاتل المومن توبة فقال لا وساله آخر
القاتل المومن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك قال جاءني ذلك ولم يكن قتل فقلت لا توبة لك لكيلا يقتل وجاءني
هذا وقد قتل فقلت لك توبة لكي لا يلقي نفسه بيده الى التهلكة ومن قال من اصحابنا ان قاتل المومن لا يوفق
للتوبة لا ينافي ما قلناه لان هذا القول ان صح فانما يدل على انه لا يختار التوبة مع انها لو حصلت لازالت
العقاب واذا كان لا بد من تخصيص الاية بالتوبة جاز ان يخص بمن يتفضل عليه بالعفو وروى
الواحدي باسناده مرفوعا الى الاصمعي قال جاء عمرو بن عبيد الى ابي العلاء فقال يا ابا عمرو يخلف الله ما
وعد فقال ـــ لا قال افرايت ما اوعد على عمل عقابا ايخلف الله وعده فيه فقال ابو عمرو من العجمة
اتيت يا ابا عثمان ان الوعد غير الوعيد ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله ترى ذلك
كرما وفضلا وانما الخلف ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فاوجدني هذا في كلام العرب قال نعم اما سمعت
قول الاول ـــ واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي فوجدنا
في الدعاء المروي بالروايات الصحيحة عن الصادقين عليهم السلم يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفى وهذا
يويد ما تقدم وقد احسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق
العباد على الله تعالى ضمن لهم اذا فعلوا كذا ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد
قال ـــ لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء اخذ لانه حقه واولاهما بربنا حقه
العفو والكرم انه هو غفور رحيم وروى اسحق بن ابرهيم قال سمعت قريش بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبيد
في بيته فانشا يقول يوتى بي يوم القيمة فاقام بين يدي الله فيقول قلت ان القاتل في النار
فاقول انت قلت ومن يقتل مومنا الاية فقلت له وما في البيت اصغر مني ارايت ان قال لك فاني
قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اين علمت اني لا اشاء ان اغفر لهذا قال
فما استطاع ان يرد على شيئا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم
كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا آية

القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا ههنا في الموضعين وفي الحجرات وقرا الباقون فتبينوا بالتاء والنون في الجميع وقرا اهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الف وقرا في بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون اللام وقرا الباقون السلام بالالف وروي عن ابي جعفر القاري من بعض الطرق لست مومنا بفتح الميم الثانية وحكى ابو القسم البلخي انه قراءة محمد بن علي الباقر عليهما السلام **الحجة** قال ابو علي من قرا فتثبتوا الحجة ان التثبت خلاف الاقدام والمراد به التاني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع ويبين ذلك قوله واشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بان لا يقدموا عليه ومن قرا فتبينوا فحجته ان التبين قد يكون اشد من التثبت وقد جاء التبين من الله والعجلة من الشيطان لمقابلة التبين بالعجلة ولانه على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر موضع التوقف والزجر

فان يك امسى البعث منكم … الا ايهذا المنتوي ليس بعد ابن عامر … ابن تميم بنين ابن اياد بكر بن عبد

قال ومن قرا السلام احتمل ضربين احدهما ان يكون التحية اي ولا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف عنه والآخر ان يكون المعنى لا تقولوا لمن يقاتلكم لست مومنا قال ابو الحسن يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا ومن قرا السلم اراد الانقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ السلم اي استسلموا الامر ولما يراد منهم ومن قرا السلم بكسر السين فمعناه الاسلام والاسلام مصدر اسلم اي صار سلما وخرج ان يكون حربا ومن قرا مومنا فانه من الامان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نومنكم **اللغة** جميع متاع الدنيا عرض يقال ان الدنيا عرض حاضر ويقال لكل شيء يقل لبثه عرض ومنه العرض الذي خلاف الجوهر عند المتكلمين لانه ما لا يجب له من اللبث ما يجب للاجسام والعرض ما يعرض للانسان وغيره **الاعراب** تبتغون في موضع نصب على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب بكونه خبر كان من كنتم **النزول** قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي صلى الله عليه واله سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له الى الجبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا اله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وعن ابن عباس وقتادة لما نزلت الآية حلف اسامة لا يقتل رجلا قال لا اله الا الله وبهذا اعتذر الى علي عليه السلام لما تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الامام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي صلى الله عليه واله يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي وكان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية فلقيه عامر بن الاضبط الاشجعي فحياه بتحية الاسلام وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي صلى الله عليه واله جلس بين يديه وساله ان يستغفر له فقال عليه السلام لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت عليه سبعة ايام حتى هلك فدفن فلفظته الارض فقال صلى الله عليه واله لما اخبر ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم ولكن الله اراد ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن اسحق بن يسار روياه عن ابن عمر وابن مسعود وابي حدرد وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير وقيل ابو الدرداء عن ابن زيد **المعنى** لما بين سبحانه احكام القتل وانواعه عقب ذلك بالامر بالتثبت

والتاني حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم اي سرتم وسافرتم في سبيل الله للغزو والجهاد فتبينوا اي ميزوا بين الكافر والمومن وبالثاء فالتاء توقفوا وتانوا حتى تعلموا من يستحق القتل والمعنيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن اظهر اسلامه ظنا منكم بانه لا حقيقة لذلك ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام اي حياكم بتحية اهل الاسلام او من استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا انه من اهل ملتكم لست مومنا اي لست لايمانك حقيقة وانما اسلمت خوفا من القتل او لست بامن تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني الغنيمة والمال ومتاع الحيوة الدنيا الذي لا بقاء له فعند الله مغانم كثيرة اي في مقدوره فواضل ونعم ورزق ان اطعتموه فيما امركم به وقيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المومن كذلك كنتم من قبل اختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم انتم مستخفين باديانكم من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كما كان هذا المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد والجبائي وقيل كذلك كنتم اذلاء احادا اذا سار الرجل منكم وحده خاف ان يختطف عن الغزي فمن الله عليكم منه قولان احدهما فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم الاسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم فتبينوا اعاد هذا اللفظ للتاكيد بعد ما طال الكلام وقيل الاول معناه تبينوا احاله والثاني معناه تبينوا هذه الفوائد بظهوركم واعرفوها واتبعوها ان الله كان بما تعملون اي لم يزل بما يعملون اي تعملون خبيرا عليما قبل ان تعملوه قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما آيتان **القراءة** قرا اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير اولي الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع **الحجة** فالرفع على ان يجعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه وكذلك قال في غير المغضوب انه صفة للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد

واذا جوزيت قرضا فاجزه … انما يجزي الفتى غير الجمل

فغير صفة للفتى وعلى هذا يكون التقدير لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين ويستوي فعل يقتضي فاعلين فصاعدا فالتقدير لا يستوي القاعدون الا اولي الضرر والمجاهدون قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز في غير الجر على ان يكون صفة للمومنين في غير القراءة **اللغة** الضرر النقصان وهو كل ما يضرك وينقصك من عمى ومرض وعلة والدرجة المنزلة ودرجة الى كذا اي رقيته اليه منزلة بعد منزلة وادرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله والاموات **الاعراب** درجة منصوب على انه اسم وضع موضع المصدر اي تفضيلا بدرجة وكلا مفعول وعد والحسنى مفعول ثان ودرجات في موضع نصب

بدلا من قوله اجرا عظيما وهو مفسر للاجر المعنى فضل المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا
على التوكيد لاجرا عظيما لان الاجر العظيم تعظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول لك على الف
درهم عرفا فقولك عرفا توكيد لقولك لك على الف درهم هو اعتراف فكانك قلت اعرفها عرفا فكانه قيل
غفر الله لهم مغفرة واجرهم اجرا عظيما لان قوله اجرا عظيما فيه معنى غفر ورحم وفضل
النزول نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة و
مرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن امية من بني واقف تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله
يوم تبوك وعذر الله اولي الضرر وهو عبد الله ابن ام مكتوم رواه ابو حمزة الثمالي في تفسيره وقال زيد بن
ثابت كنت عند النبي صلى الله عليه وآله حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر فتغشى النبي صلى الله عليه وآله الوحي
ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر فكتبها **المعنى**
لما حث الله سبحانه على الجهاد عقبه لما فيه من الفضل والثواب فقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين اي
لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله والمؤثرون الدعة والرفاهية على
مقاساة الحر والمشقة ولقاء العدو غير اولي الضرر اي الا اهل الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك
من العلل التي لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذي بهم والمجاهدون في سبيل الله ومنهاج دينه لتكون
كلمة الله هي العليا والمستفرغون وسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينه باموالهم انفاقا لها فيما اوهن كيد
الاعداء وانفسهم حملا لها على الكفاح في القتال فضل المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة معناه
فضيلة ومنزلة وكلا وعد الله الحسنى معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد وعد الله
الجنة عن قتادة وغيره من المفسرين وفي هذا دلالة على ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان
لما استحق القاعدون بغير عذر اجرا وقيل ان المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من اولي الضرر المعذور
عن مقاتل وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير اولي الضرر اجرا عظيما درجات منه اي منازل بعضها
اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي درجات الاعمال كما قال الاسلام درجة والفقه درجة والهجرة الهجرة
درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات السبع التي ذكرها
في سورة براءة في قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح الى قوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فهذه
الدرجات السبع عن عبد الله بن زيد ومغفرة ورحمة هذا بيان خلوص النعيم بانه لا يشوبه غم بما كان
منه من الذنوب بل غفر له ذلك ثم رحمه باعطاء النعم والكرامات وكان الله غفورا لم يزل غفارا للذنوب
صفوحا لعبيده عن العقوبة عليها رحيما بهم متفضلا عليهم بنواله فيقال كيف قال في اول الآية وفضل الله وقد
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال في آخرها وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا
عظيما درجات وهذا متناقض الظاهر واجيب عنه بجوابين احدهما ان في اول الآية فضل الله المجاهدين على القاع

من اولي الضرر

من اولي الضرر درجة وفي آخرها فضلهم على القاعدين غير اولي الضرر درجات فلا تناقض لان قوله
وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين للفضل والثاني ما قاله
ابو علي الجبائي وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان اعلى
درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالثانية الدرجات في الجنة التي يتفاضل بها
المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم وقال المغربي انما كرر لفظ التفضيل لان الاول اراد تفضيلهم في
الدنيا واراد بالثاني تفضيلهم في الآخرة وجاء في الحديث ان الله فضل المجاهدين على القاعدين سبعين
درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمر قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله
عفوا غفورا ثلث آيات **القراءة** روي في الشواذ عن ابراهيم انه قرأ ان الذين توفيهم
الملائكة بضم التاء **الحجة** قال ابن جني معنى هذا كقولك ان الذين يعدون على الملائكة
يردون اليهم يحتسبون عليهم نحو من قولك ان المال الذي توفيه امتك اي يدفع اليها و
تحتسب عليها وكذلك كل ملك جعل اليه قبض نفس بعض الناس ثم يكون من ذلك توفيه **اللغة**
التوفي القبض وتوفيت الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت لان الميت يقبض روحه والتوفي
الاحصاء قال الشاعر: ان بني ادرم ليسوا من احد ... ليسوا الى قيس وليسوا من اسد
ولا توفاهم قريش في العدد ... المعنى احصاهم والمأوى المرجع من اوى الى منزله ياوي اويا والاستضعاف
وجدان الشيء ضعيفا كالاستطالة ونحوه **الاعراب**
توفيهم ان شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لان الماضي مبني على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا
فيكون مرفوعا على معنى تتوفاهم حذفت التاء الثانية لاجتماع التائين وقد ذكرنا شرحها فيما تقدم
ظالمي انفسهم نصب على الحال واصله ظالمين انفسهم الا ان النون حذفت استخفافا وهي ثابتة في التقدير
كما قال سبحانه هديا بالغ الكعبة فيم حذفت الالف من ما الاستفهام وهو في موضع جر بفي والجار مع المجرور في
موضع نصب لانه خبر كان قوله قالوا فيم كنتم اي قالوا لهم فحذف لهم لدلالة الكلام عليه ويقال ان خبر ان قوله
فاولئك مأويهم جهنم ويكون قالوا لهم في موضع نصب بكونه صفة لظالمي انفسهم لانه نكرة المستضعفين نصب على
الاستثناء من قوله مأويهم جهنم الا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في موضع نصب على الحال من المستضعفين
النزول قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم
يخلفوا اذ خرجوا احدا الا صبيا او شيخا كبيرا او مريضا فخرج معهم ناس ممن تكلم بالاسلام فلما التقى المشركون ورسول
الله صلى الله عليه وآله نظر الذين كانوا قد تكلموا بالاسلام الى قلة المسلمين فارتابوا فاصيبوا فيمن اصيب من المشركين فنزلت
فيهم الآية وهو المروي عن ابن عباس والسدي وقتادة وقيل انهم قيس بن الفاكه بن المغيرة

والحرث بن زمعة بن الاسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن امية بن خلف
عن عكرمة ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال ابن عباس كنت انا من المستضعفين وكنت غلاما
صغيرا وذكر عنه ايضا انه قال كان ابي من المستضعفين من الرجال وكانت امي من المستضعفات من النساء
وكنت انا من المستضعفين من الولدان **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن حال من يقعد عن نصرة
الرسول صلعم بعد الوفاة فقال ان الذين توفاهم اي تقبض ارواحهم او يقبض ارواحهم الملائكة ملك الموت
او ملك الموت وغيره فان الملائكة تتوفى وملك الموت يتوفى والله يتوفى وما يفعله ملك الموت او الملائكة يجوز ان
يضاف الى الله تعالى اذا فعلوا بامره وما يفعله الملائكة جاز ان يضاف الى ملك الموت اذا فعلوه بامره ظالمي انفسهم
اي في حال هم فيها ظالموا انفسهم اي بخسوها حقها من الثواب وادخلوا عليها العقاب بفعل الكفر قالوا
فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم قالوا كنا مستضعفين في الارض
يستضعفنا اهل الشرك بالله في ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعونا من الايمان بالله واتباع رسوله
على جهة الاعتذار قالوا اي قالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي فتخرجوا من
ارضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله وبرسوله الى ارض يمنعكم اهلها من اهل الشرك فتوحدوه
وتعبدوه وتتبعوا رسوله وروي عن سعيد بن جبير انه قال في معناه اذا عمل بالمعاصي في ارض فاخرج
منها ثم قال سبحانه فاولئك ماويهم اي مسكنهم جهنم وساءت هي اي جهنم مصيرا لاهلها الذين صاروا
اليها ثم استثنى من ذلك فقال الا المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء
والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم وهو قوله لا يستطيعون حيلة
ولا يهتدون سبيلا في الخلاص من مكة وقيل معناه لا يهتدون بسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج
منها اي لا يعرفون طريقا الى المدينة عن مجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين فاولئك عسى الله ان
يعفو عنهم معناه لعل الله ان يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم
الهجرة من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله عفوا اي لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بترك
عقوبتهم على معاصيهم غفورا اي ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة وكان النبي صلى الله
عليه وآله يدعو عقيب صلوة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة
المسلمين من ايدي المشركين قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا
رحيما آية **اللغة** المهاجرة المفارقة واصله من الهجر الذي هو ضد الوصل والمراغم
المضطرب في البلاد والمذهب واصله من الرغام وهو التراب ومعنى راغمت فلانا هاجرته ولم ابال
رغم انفه اي وان لصق بالتراب انفه وارغم الله انفه الصقه بالتراب وقيل اصله الذل والشدة
والمراغم المعاذ الذي يروم اذلال صاحبه ومنه الحديث اذا صلى احدكم فليلزم جبينه وانفه الارض حتى
يخرج منه الرغم اي حتى يذل ويخضع لله وفعلته على رغمه اي على ذله لما كره وارغم الله انفه اذله والمراغم

الوضع

الموضع والمصدر من المراغمة قال الى بلد عزيز اى المحل بعيد المراغم والمضطرب **النزول**
قيل لما نزلت ايات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع او جندب بن ضمرة وهو كان بمكة فقال والله
ما انا ممن استثنى الله اني لاجد قوة واني لعالم بالطريق وكان مريضا شديد المرض فقال لبنيه والله لا ابيت
بمكة حتى اخرج منها فاني اخاف ان اموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى اذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية
عن ابي حمزة الثمالي وعن قتادة وعن سعيد بن جبير وقال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون
وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة
الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون اليهم ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم
جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم **المعنى** ثم قال سبحانه ومن يهاجر يعني
يفارق اهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه الى ارض الاسلام في سبيل الله اي في منهاج دين الله وطريقه
الذي شرعه لخلقه يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة اي متحولا من الارض وسعة في الرزق عن ابن عباس
والضحاك والربيع وقيل مزحزحا عما يكره وسعة من الضلال الى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجرا فسيحا
ومتسعا مما كان فيه من تضييق المشركين عليه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله اخبر سبحانه ان
قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد وقع اجره على الله اي ثواب عمله وجزاء هجرته على الله تعالى وكان الله
غفورا ساترا على ذنوبهم بالعفو عنهم رحيما بهم رفيقا وتماجاء في معنى الآية من الحديث ما رواه الحسن عن النبي
صلعم انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم
ومحمد صلعم وروى العياشي باسناده عن محمد بن ابي عمير قال وجه زرارة بن اعين ابنه عبيدا الى المدينة يستخبر
له خبر ابي الحسن موسى بن جعفر وعبد الله فمات قبل ان يرجع اليه عبيد ابنه قال محمد بن ابي عمير حدثني محمد
بن حكيم قال ذكرت لابي الحسن عليه السلام زرارة وتوجيهه عبيدا الى المدينة فقال اني لارجو ان
يكون زرارة ممن قال الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الآية قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا آية **اللغة** في قصر
الصلوة ثلث لغات قصرت الصلوة اقصرها وهي لغة القرآن وقصرتها تقصيرا واقصرتها اقصارا وفتنت
الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل الحجاز وتميم وربيعة واهل نجد كلهم واسد يقولون افتنت الرجل فهو مفتن
وقد فتن فتونا اذا دخل في الفتنة وانما قال في الكافرين انهم عدو لان لفظه فعول يقع على الواحد
والجماعة **المعنى** واذا ضربتم في الارض معناه اذا سرتم فيها اي سافرتم فليس عليكم
جناح اي حرج واثم ان تقصروا من الصلوة فيه اقوال احدها ان معناه ان تقصروا من عدد الصلوة فتصلوا
الرباعيات ركعتين ركعتين عن مجاهد وجماعة من المفسرين وهو قول اكثر الفقهاء وهو مذهب اهل البيت
عليهم السلام وقيل تقصر صلوة الخائف من صلوة المسافر وهما قصران قصر الامن من اربع الى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين الى
ركعة واحدة عن مجاهد وقد رواه ايضا اصحابنا وثانيها ان معناه القصر من حدود الصلوة عن ابن عباس

وطاوس وهو ما رواه اصحابنا في صلوة شدة الخوف وانها تصلي ايماء والسجود اخفض من الركوع فان لم
يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كاف عن كل ركعة وثانيها ان المراد بالقصر الجمع بين الصلوتين
والصحيح الاول ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا يعني خفتم فتنة الذين كفروا في انفسكم او دينكم وقيل
معناه ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا في الصلوة عن ابن عباس ومثله قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم
ان يفتنهم ان يقتلهم وقيل معناه ان يعذبكم الذين كفروا بنوع من انواع العذاب ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا اي ظاهر العداوة وفي قراءة ابي بن كعب فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان يفتنكم الذين
من غير ان يقرا ان خفتم وقيل ان معنى هذه القراءة ان لا يفتنكم او كراهية ان يفتنكم كما في قوله يبين الله
لكم ان تضلوا وظاهر الاية يقتضي ان القصر لا يجوز الا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الامن ببيان
النبي صلى الله عليه وآله ويحتمل ان يكون ذكر الخوف في الاية قد خرج مخرج الاعم والاغلب في اسفارهم فانهم
كانوا يخافون الاعداء في عامتها ومثله في القرآن كثير واختلف الفقهاء في قصر الصلوة في السفر وقال
الشافعي هو رخصة واختاره الجبائي وقال ابو حنيفة هو عزيمة وفرض وهذا مذهب اهل البيت عليهم السلم
قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لابي جعفر عليه السلم ما تقول في الصلوة في السفر كيف هي وكم هي قال ان الله
تعالى يقول واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة فصار التقصير واجبا في السفر
كوجوب التمام في الحضر قالا قلنا انه قال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ولم يقل افعلوا فكيف اوجب
ذلك كما اوجب التمام قال او ليس قال سبحانه في الصفا والمروة فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما الا ترى ان الطواف واجب مفروض لان الله تعالى ذكرهما في كتابه وصنعهما نبيه صلى الله عليه وآله وكذا
التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وذكره الله في الكتاب قالا قلنا فمن صلى في السفر
اربعا ايعيد ام لا قال ان كانت قرئت عليه آية التقصير وفسرت له فصلى اربعا اعاد وان لم يكن قرئت
عليه ولم يعلمها فلا اعادة عليه والصلوة في السفر كل فريضة ركعتان الا المغرب فانها ثلث ليس فيها
تقصير تركها رسول الله صلى الله عليه وآله في السفر والحضر ثلث ركعات وفي هذا الخبر دلالة على ان فرض
المسافر مخالف لفرض المقيم وقد اجمعت الطائفة على ذلك وعلى انه ليس بقصر وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وآله انه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهم ان الخوف بانفراده موجب للقصر وفيه
خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الله تعالى عنى بالقصر في الاية قصر صلوة الخوف
من صلوة السفر لا من صلوة الاقامة لان صلوة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله
وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابن عباس وابو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة
وابن عمر وسعيد بن جبير والسدي واما حد السفر الذي يجب فيه التقصير فعندنا انه ثمانية فراسخ
وقيل مسيرة ثلثة ايام بلياليها وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل ستة عشر فرسخا
ثمانية واربعين ميلا وهو مذهب الشافعي **النظم**
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما امر الله تعالى بالجهاد والهجرة بين صلوة السفر والخوف رحمة منه تعالى وتخفيفا لعباده

قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة

فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو
تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا آية **اللغة** الاسلحة جمع سلاح
مثل حمار واحمرة والسلاح اسم لجملة ما يدفع الناس به عن انفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال
للدواب وما اشبهها سلاح والجناح الاسم من جنحت عن المكان اذا عدلت عنه واخذت جانبا عن
القصد والاذى مقصور يقال اذى فلان يأذى اذى مثل فزع يفزع فزعا **الاعراب**
وليأخذوا القراءة على سكون اللام والاصل وليأخذوا بالكسر الا ان الكسر يستثقل فيحذف استخفافا
وكذلك فلتقم ولتأت وموضع ان تضعوا النصب اي لا اثم عليكم في ان تضعوا فلما سقطت في عمل ما عمل
ان فيها وعلى المذهب الآخر يكون موضعها جرا باضمار حرف الجر وانما قال طائفة اخرى ولم يقل آخرون
وقال لم يصلوا فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملا للكلام تارة على اللفظ والاخرى على المعنى كما قال
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا ومثله كثير **المعنى**
ثم ابان سبحانه بيان صلوة الخوف في جماعة فقال واذا كنت يا محمد فيهم يعني في اصحابك الضاربين
في الارض الخائفين عدوهم ان يغزوهم فاقمت لهم الصلوة يعني اتممت لهم الصلوة بحدودها وركوعها
وسجودها عن الحسن وقيل معناه اقمت لهم الصلوة بان تؤمهم فلتقم طائفة منهم اي من اصحابك الذين انت
فيهم معك في صلوتك وليكن سائرهم في وجه العدو وتقديره فلتقم طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر
ما ينبغي ان تفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه وليأخذوا اسلحتهم اختلف في هذا فقيل
المأمور باخذ السلاح الطائفة المصلية مع رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذون من السلاح مثل السيف
يتقلدون به والخنجر يشدونه على دروعهم وكذلك السكين ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم الطائفة
الذين بازاء العدو دون المصلين عن ابن عباس فاذا سجدوا يعني الطائفة التي تصلي معه وفرغوا من
سجودهم فليكونوا من ورائكم يعني فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو واختلف في
الطائفة الاولى اذا رفعت من السجود وفرغت من الركعة كيف يصنعون فعندنا انهم يصلون ركعة
اخرى ويتشهدون ويسلمون والامام قائم في الثانية ثم ينصرفون الى مواقف اصحابهم ويجيء
الآخرون فيستفتحون الصلوة ويصلي بهم الامام الركعة الثانية ويطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا
بقية صلوتهم ثم يسلم بهم الامام فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهو مذهب
الشافعي ايضا وقيل ان الطائفة الاولى اذا فرغت من ركعة يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتأتي
الطائفة الاخرى ويصلي بهم ركعة وهذا مذهب جابر ومجاهد ومن يرى ان صلوة الخوف ركعة واحدة

وقيل ان الامام يصلي بكل طائفة ركعتين فيصلي بهم مرتين فبكل طائفة مرة عن الحسن وقيل انه اذا صلى بالطائفة
الاولى ركعة مضوا الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاخرى فيكبرون ويصلي بهم الركعة الثانية ويسلم الامام
ويعودون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الاولى فيقضون ركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويسلمون
ويرجعون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الثانية ويقضون ركعة بقراءة لانهم مسبوقون عن عبد الله
بن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ولتات طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين كانوا بازاء العدو فليصلوا
معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني وليكونوا حذرين من عدوهم متاهبين لقتالهم باخذ الاسلحة
اي آلات الحرب وهذا يدل على ان الفرقة المامورة باخذ السلاح في الاول هم المصلون دون غيرهم
ود الذين كفروا معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون لو تعتزلون عن اسلحتكم وتشتغلون عن اخذها
تاهبا للقتال وامتعتكم اي وعن امتعتكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها فيميلون
عليكم ميلة واحدة اي يحملون عليكم حملة واحدة وانتم متشاغلون بصلوتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم
ويستبيحون عسكركم وما معكم المعنى لا تتشاغلوا باجمعكم بالصلوة عند مواقفة العدو فيتمكن عدوكم
من اهلاككم واسلحتكم ولكن اقيموها على ما امرتم به ومن عادة العرب ان يقولوا ملنا عليكم بمعنى حملنا قال
العباس بن عبادة بن فضلة الانصاري لرسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة الثانية
والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن غدا على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
لم نومر بذلك يعني بذلك الوقت ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر معناه لا حرج عليكم ولا اثم
ولا ضيق ان نالكم اذى من مطر وانتم مواقفوا عدوكم او كنتم مرضى يعني اعلاء او جرحى ان تضعوا اسلحتكم
اذا ضعفتم عن حملها ولكن اذا وضعتموها فاحترسوا منهم وخذوا حذركم لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون
غارون ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا من لا يبقون فيه ابدا وفي الآية دلالة على صدق
النبي صلى الله عليه وآله وصحة نبوته وذلك انها نزلت والنبي صلى الله عليه وآله بعسفان
والمشركون بضجنان فتواقفوا فصلى النبي صلى الله عليه وآله باصحابه صلوة الظهر بتمام الركوع
والسجود فهم المشركون بان يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلوة اخرى احب اليهم
من هذه يعنون صلوة العصر فانزل الله عليه الآية فصلى بهم العصر صلوة الخوف وكان ذلك سبب
اسلام خالد بن الوليد **القصة** وفيها دلالة التراخي
ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله غزا محاربا وبني انمار فهزمهم الله و
احرزوا الذراري والمال فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون ولا يرون من العدو احدا
فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ليقضي حاجته وقد وضع سلاحه فجعل
بينه وبين اصحابه الوادي فالى ان يفرغ من حاجته قد درى الوادي والسماء ترش فحال الوادي
بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين اصحابه فجلس في ظل سمرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي
فقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد انقطع من اصحابه فقال قتلني الله ان لم اقتله وانحدر

من الجبل ومعه السيف

من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وآله الا وهو قائم على راسه ومعه السيف
قد سله من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله الله فانكب عدو الله لوجهه وقام رسول الله
صلى الله عليه وآله فاخذ سيفه وقال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال اتشهد ان لا اله
الا الله واني عبد الله ورسوله قال لا ولكني اعهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول
الله صلى الله عليه وآله سيفه فقال له غورث والله لانت خير مني قال صلى الله عليه وآله اني احق بذلك و
خرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رايناك قائما على راسه بالسيف فما منعك منه قال الله اهويت له
بالسيف لاضربه فما ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي وسبقني اليه محمد فاخذه ولم يلبث الوادي
ان سكن فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرا عليهم ان كان بكم اذى من مطر
الآية كلها قوله تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم
فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا آية **اللغة**
اطمأن الشيء اي سكن وطامنته وطمانته سكنته وقيل اطبان بالباء بمعنى اطمان **المعنى**
فاذا قضيتم الصلوة معناه فاذا فرغتم من صلوتكم ايها المؤمنون وانتم مواقفوا عدوكم فاذكروا الله قياما
اي في حال قيامكم وقعودا اي في حال قعودكم وعلى جنوبكم اي مضطجعين فقوله على جنوبكم في موضع نصب عطفا
على ما قبله من الحال ادعوا الله في هذه الاحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه
فاذا اردتم الصلوة فصلوا قياما اذا كنتم اصحاء وقعودا اذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام وعلى جنوبكم
اذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود وروي عن ابن عباس انه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله احدا
في ترك ذكره الا المغلوب على عقله فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة اختلف في تاويله فقيل معناه فاذا استقررتم
في اوطانكم واقمتم في امصاركم فاتموا الصلوة التي اذن لكم في قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اذا استقررتم
بزوال خوفكم فاتموا حدود الصلوة عن السدي وابن زيد ومجاهد في رواية اخرى ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اختلف في تاويله فقيل معناه ان الصلوة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة عن
ابن عباس وعطية العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام وقيل معناه فرضا
موقوتا اي منجما تؤدونها في انجمها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان قوله تعالى ولا تهنوا
في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
يرجون وكان الله عليما حكيما آية **القراءة** روي في الشواذ
عن ابي عبد الرحمن الاعرج ان تكونوا تالمون بفتح الالف **الحجة** قال ابن جني
انه محمول على قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم لانكم تالمون فمن اعتقد نصب ان بعد حذف حرف الجر عنها فان
هنا منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة وصارت ان تكونوا عوضا كالعوض
في اللفظ من اللام **اللغة** الوهن الضعف وهن فلان في الامر يهن وهنا ووهونا مر

واهن والاثم الوجع والالم حبس من الاعراض يكون من فعل الله تعالى ابتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجا قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر لا ترتجي حين تلاقي الذائدا اسبعة لاقت معا ام واحدا

الذائدا

وقال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل قال الفراء نوب ونوب وهي النحل وقال سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا والمعنى لا تخافون لله عظمة وانما اشتمل الرجاء على معنى الخوف لان الرجاء امل وقد يخاف ان لا يتم

النزول

قيل نزلت في الذهاب الى بدر الصغرى لموعد ابي سفيان يوم احد وقيل نزلت يوم احد في الذهاب خلف ابي سفيان وعسكره الى حمراء الاسد عن عكرمة

المعنى

عاد الكلام الى الحث على الجهاد فقال سبحانه ولا تهنوا اي ولا تضعفوا في ابتغاء القوم اي في طلب القوم الذين هم اعداء الله واعداء المؤمنين من اهل الشرك ان تكونوا ايها المؤمنون تألمون مما ينالكم من الجراح منهم فانهم يعني المشركين يألمون ايضا مما ينالهم منكم من الجراح والاذى كما تألمون اي مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم وانتم ترجون ايها المؤمنون من الله الظفر عاجلا والثواب اجلا على ما ينالكم منهم ما لا يرجون هم على ما ينالهم منكم اي وانتم ان كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به اولى واحرى ان تصبروا على حربهم منهم وقتالهم على قتالكم وحربكم عن ابن عباس وقتاده ومجاهد والسدي وكان الله عليما بمصالح خلقه حكيما في تدبير اياهم وتقدير احوالهم قال ابن عباس وعكرمة لما اصاب المسلمين ما اصابهم يوم احد وصعد النبي الجبل قال ابو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال صلى الله عليه وآله اجيبوه فقال المسلمون لا سواء لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وآله قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وآله قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى ونام المسلمون وبهم الكلوم وفيهم نزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الآية لان الله تعالى امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى حمراء الاسد وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما و استغفر الله ان الله كان غفورا رحيما آيتان

إنّ الله

النزول

نزلت في بني ابيرق كانوا ثلثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يقول قال فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على علية رفاعة بن زيد واخذ له طعاما وسيفا ودرعا فشكا ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا فتجسسا في الدار وسألا اهل الدار في ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فاصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به مني وانتم المنافقون تهجون رسول الله صلى الله عليه وآله وتنسبون الى قريش لتبيننّ ذلك او لاضعن سيفي فيكم فداروه واتى قتاده رسول الله صلى الله

عليه وآله

عليه وآله فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت سوء عدوا على عمي فخرقوا علية له من ظهرها واصابوا له طعاما وسلاحا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظر في شأنكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسير بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان قتاده بن النعمان وعمه عمدا الى بيت منا اهل حسب ونسب وصلاح وابنوهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما اتى قتاده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله صلى الله عليه وآله جبها شديدا وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب فابنتهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فقام قتاده من عند رسول الله صلعم ورجع الى عمه وقال يا ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله صلعم فقد قال لي ما كرهت فقال عمه رفاعة الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك الكتاب الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة بنت سعد بن سعيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان فقال فقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتموا وفينا نبي عنده الوحي واضعه فحملت رحله على راسها فالقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الي شعر حسان هذا قول مجاهد وقتاده بن النعمان وقتاده وابن جريج الا ان قتاده وعكرمة قالا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وجاء قومه وأتوا بني ابيرق اليه وكلموه بان يجادل عنهم فهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وبه قال ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله فغضب له قومه وقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي صلى الله عليه وآله وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لان الخيانة انما يكون في الوديعة لا في السرقة

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق الذي يجب فيه على عباده وقيل معناه انك به احق لتحكم يا محمد بين الناس بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين خصيما نهاه ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما يدافع من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه ويخاصم عنه ثم قال واستغفر الله امره بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن ان الله كان غفورا رحيما يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مؤاخذتهم بها ولحظ الخطاب وان توجه الى النبي صلى الله عليه وآله من حيث خاصم عمن رآه على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك امته وانما ذكر ذلك على وجه التأديب له في ان لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه عليه لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه

النظم

ووجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والامر بمجاهدتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والامر باجتناب الدفع عنهم وقيل انه سبحانه لما بين الاحكام والشرائع في السورة عقبها بان جميع ذلك انزل

بمجاهدتهم د

بالحق ع

قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم

ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون
ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ثلث آيات **اللغة** المخاصمة
والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظائر وان كان بينها فرق فان المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف
بين اثنين والمخاصمة المنازعة والمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة والمناظرة فيما يقع بين النظيرين و
المحاجة في مجادلة اظهار الحجة واصل المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل ورجل مجدول كانه قد جدل
اى فتل والاجدل الصقر لانه اشد الطير قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لان ذلك يكون في وقت رواح
الناس الى بيوتهم **الاعراب** ها للتنبيه واعيدت في اولا والمعنى ها انتم
الذين جادلتم عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذي وقد يكونان
لغير المخاطبين بمنزلة الذي نحو قول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق
اى والذى تحملين طليق **النزول**
نزلت الايات بالقصة التى ذكرناها قبل **المعنى** ثم نهى سبحانه عن المجادلة والدفع عن
اهل الخيانة مؤكدا لما تقدم فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي حين هم ان يبرى ابا طعمة لما اتاه قومه ينفون
عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ايها الانسان عن الذين يختانون
انفسهم اى يخونون انفسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع ومن شاركه في السرقة والخيانة وقيل اراد به قومه
وهم الذين مشوا معه الى النبي صلى الله عليه وآله وشهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل المراد
به السارق وقومه ومن هو في معناهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان ضرر خيانتهم
كانه راجع اليهم لاحق بهم كما يقول لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله سبحانه ان احسنتم احسنتم لانفسكم
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما هو فعال من الخيانة اى من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق
الخوان على الخائن في شيء واحد اذ عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا اذا
سرق الدرع واثيما اذا رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة
ويرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع سرق الدرع ورمى بالسرقة اليهودي فصار خائنا بالسرقة
اثيما في رميه غيره بها يستخفون من الناس اى يكتمون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين
مشوا في الدفع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن الناس بمعاصيهم في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس
ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وعلمه معهم فيكون
معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون اخفاها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله تعالى وهو عالم بافعالهم
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول اى يدبرون بالليل قولا لا يرضاه الله تعالى وقيل يغيرون القول من جهته و
يكذبون فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمى هذا الدرع في دار اليهودي ثم احلف انى برى

منه فيصدقني

منه فيصدقني المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى بالدرع الى
دار لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقال غيره عالما باعمالهم لا يخفى
عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريع بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم وخشيتهم عن ارتكاب القبائح
ولا يمنعه خشية الله تعالى عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب واحرى ان يحذر وان يخاف
وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلما او كافرا ها انتم خطاب للذابين
عن السارق هؤلاء يعني الذين جادلتم اى خاصمتم ودافعتم عنهم عن الخائنين في الحيوة الدنيا فمن يجادل
الله عنهم يوم القيمة استفهام يراد به النفي لانه في معنى التقريع والتوبيخ اى لا مجادل عنهم ولا شاهد على
براءتهم بين يدى الله سبحانه يوم القيمة وفي هذه الآية النهى عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه ام من يكون
عليهم وكيلا اى من يحفظهم ويتولى معونتهم يعني لا يكون عليهم يوم القيمة وكيل يقوم بامرهم ويخاصم عنهم
واصل الوكيل من جعل اليه القيام بالامر والله سبحانه يسمى وكيلا بمعنى انه القائم بالامر ويقال انه يسمى وكيلا بمعنى
حافظ ولا يقال انه وكيل لنا وانما يقال هو وكيل علينا قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر
الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ثلث آيات
اللغة السوء القبيح الذى يواجه به صاحبه من ساءه يسوءه سوءا اذا واجهه بقبيح يكرهه
ورجل سوء من شانه ان يواجه الناس بالمكاره واما السيئة فهو نقيض الحسنة ويجد اصله من الوجدان وهو
الادراك يقال وجدت الضالة وجدانا اذا ادركتها بعد ذهابك عنها ووجدت وجودا علمت
والوجود ضد العدم لانه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك والكسب فعل يجر به نفع او يدفع به ضرر ولذلك لا
يوصف سبحانه به **المعنى** ثم بين سبحانه طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال
ومن يعمل سوءا اى معصية وامرا قبيحا او يظلم نفسه بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوءا بان يسرق الدرع
او يظلم نفسه بان يرمى بها بريا وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك ثم يستغفر الله اى
يتب اليه ويطلب منه المغفرة يجد الله غفورا رحيما بين سبحانه ان جرمتهم وان عظمت فانها غير
مانعة من المغفرة وقبول التوبة اذا استغفروا وتابوا ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه نظيره المعنى
ونظيره ولا تكسب كل نفس الا عليها ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وكان الله عليما بكسبه حكيما في
عقابه وقيل عليما بافعال عباده حكيما في قضائه فيهم وقيل عليما بالسارق حكيما في ايجاب القطع عليه ثم
بين سبحانه تعالى ان من ارتكب اثما ثم قذف غيره كيف يعظم عقابه فقال ومن يكسب خطيئة اى يعمل ذنبا
على عمد او غير عمد واثما اى ذنبا بعمد وقيل الخطيئة الشرك والاثم ما دون الشرك ثم يرم به بريا ثم ينسب
ذنبه الى برى وقيل البرى هو اليهودي الذى طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو لبيد بن سهل
وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ثم يرم به اختلف في الضمير الذى هو الهاء في به فقيل يعود الى الاثم اى بالاثم وقيل
الى واحد منهما وقيل يعني كسبه فقد احتمل بهتانا اى كذبا عظيما يتحير من عظمه واثما مبينا اى ذنبا ظاهرا

الآيات ح ل

بيّنا وفي هذه الآية دلالة على انه تعالى لا يجوز ان يخلق افعال خلقه ثم يعذبهم عليها لانه اذا كان لخالقها فهم برآء منها فلو قيل ان الكسب مضاف الى العبد قلنا ان الكسب ان كان معنى فما له معنى لم يخرج العبد بذلك من ان يكون بريا لانه اذا قيل ان الله سبحانه اوجد الفعل واحدثه واوجد الاختيار في القلب والفعل لا يجزي فقد انتفى عن العبد جميع جهاته قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما آيتان

القراءة

قرا فسوف يؤتيه بالياء ابو عمرو وقتيبة وحمزة عن الكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون

الحجة

من قرا بالياء فلما تقدم من قوله ولولا فضل الله وانزل الله عليك الكتاب ومن قرا بالنون فلانه اشبه بما بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم

اللغة

الهم ما هممت به ومنه الهمة والهمام الملك العظيم الهمة قال علي بن عيسى النجوى هو الاسرار عند اهل اللغة وقال الزجاج النجوى في الكلام ما يتفرد به الجماعة او الاثنان سواء كان سرا او ظاهرا ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته والقيته يقال نجوت الجلد اذا القيته عن البعير وغيره قال الشاعر

فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام وغاربه

ونجوت فلانا اذا استنكهته قال

نجوت مجالدا فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد

واصله من النجوة ما ارتفع من الارض فالمراد بنجويهم ما يديرونه بينهم من الكلام وفلان نجي فلان اي مناجيه والقوم نجية

الاعراب

الا من امر يجوز ان يكون في موضع جر المعنى الا في نجوى من امر ويجوز ان يكون استثناء ليس من الاول ويكون موضعها نصبا ويكون معناه لكن من امر بصدقة او معروف ففي نجواه خير ونصب ابتغاء مرضات الله لانه مفعول له ويجوز ان يكون من امر مجرور الموضع ايضا على الاتباع لكثير بمعنى لا خير في كثير الا فيمن امر بصدقة كما يقال لا خير في القوم الا نفر منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المتناجين نحو قوله واذ هم نجوى ويجوز ايضا ان يكون استثناء حقيقيا على تقدير لا خير في نجوى الناس الا نجوى من امر بصدقة وهذا اولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لان حمل الكلام على الاتصال اولى اذا امكن بالمعنى

النزول

قيل نزلت في بني ابيرق وقد مضت قصتهم عن ابي صالح عن ابن عباس وقيل نزلت في وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا يا محمد جئناك نبايعك على ان لا نكسر اصنامنا بايدينا وعلى ان نتمتع بالعزى سنة فلم يجبهم الى ذلك وعصمه الله تعالى منه عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس

المعنى

ثم بين سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه اذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم فقال ولولا فضل الله عليك ورحمته قيل فضل الله النبوة ورحمته نصرته اياه بالوحي وقيل فضله تاييده بالطاف ورحمته نعمته عن الجبائي وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة لهمت طائفة منهم

همت

وامرت جماعة من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ان يضلوك وقيل فيه اقوال احدها ان المعني بهم الذين شهدوا للخائنين من بني ابيرق بالبراءة عن ابن عباس والحسن والجبائي فيكون المعنى همت جماعة منهم ان يزيلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى اطلعك الله على اسرارهم وثانيها انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يجوز وقد مضى ذكرهم عن ابن عباس ايضا وثالثها انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبي صلعم والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما في قوله ائذا ضللنا في الارض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته اياك لهمت طائفة من المنافقين ان يقتلوك ويهلكوك ويشتد همهم بذلك عن ابي مسلم وما يضلون الا انفسهم اي ما يزيلون عن الحق الا انفسهم وقيل وما يهلكون الا انفسهم ومعناه ان وبال ما هموا به من الاهلاك والاضلال يعود اليهم حتى استحقوا العذاب الدائم وما يضرونك من شيء اي لا يضرونك بكيدهم ومكرهم شيئا فان الله سبحانه حافظك وناصرك ومسددك ومؤيدك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة واتصاله بما قبله ان المعنى كيف يضلونك وهو ينزل عليك الكتاب ويوحي اليك بالاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اي ما لم تعلمه من الشرايع وانباء الرسل الاولين وغير ذلك من العلوم وكان فضل الله عليك عظيما قيل فضله عليك منذ خلقك الى ان بعثك عظيم وقيل فضله عليك عظيم اذ جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال سبحانه لا خير في كثير من نجويهم اي اسرارهم ومعنى النجوى لا يتم الا بين اثنين فصاعدا كالدعوى الا من امر بصدقة فان في نجواه خيرا او معروف يعني بالمعروف ابواب البر لاعتراف العقول بها وقيل لان اهل الخير يعرفونها او اصلاح بين الناس اي تاليف بينهم بالمودة وقال علي بن ابرهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الله فرض التجمل في القرآن فقال قلت وما التجمل جعلت فداك قال ان يكون وجهك اعرض من وجه اخيك فتجمل له وهو قوله لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة الآية وقال احدثني ابي رفعه الى امير المؤمنين عليه السلم قال ان الله فرض عليكم زكوات جاهكم كما فرض عليكم زكوات ما ملكت ايديكم ومن يفعل ذلك معنى ما تقدم ذكره ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاء الله فسوف نؤتيه اي نعطيه اجرا عظيما اي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فلانه دائم واما المنزلة فلانه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة فلانه غير مشوب بما ينغصه وفي الآية دلالة على ان فاعل المعصية الذي يضر بنفسه بما يعود اليه من وبال فعله وفيها دلالة ايضا على ان الذي يدعوا الى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال مضل لنفسه وعلى ان الدعاء الى الضلال يسمى اضلالا قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا آية

نقيضه ح ل

اللغة

الشقاق الخلاف مع العداوة وشق العصا اي فارق الجماعة والشق النصف واصله من الشق وهو القطع طولا وسميت العداوة مشاقة لان احد المتعاديين يصير في شق غير شق الآخر من اجل العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق فانه قطع الفرع من الاصل نوله من الولي وهو القرب يقال ولي الشيء يليه اذا قرب منه وكل مما يليك اي مما يقاربك والولي المطر الذي يلي الوسمي

النزول

قيل نزلت في شان ابن ابيرق

سارق الدرع ولما انزل الله تعالى في نفر بعيره وتقريع قومه الايات كفر وارتد ولحق بالمشركين من اهل مكة ثم نقب حائطا
للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا وسرق بعض المتاع وهرب فاخذ
ورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي **المعنى** لما بين سبحانه التوبة عقبه بذكر حال الاصرار فقال
ومن يشاقق الرسول اي من يخالف محمدا ويعاده من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق والاسلام وقامت له
الحجة وصحت الادلة بثبوت نبوته ورسالته ويتبع طريقا غير سبيل المؤمنين اي غير طريقهم الذي هو دينهم
نوله ما تولى اي نكله الى من ما استنصر به واتكل عليه من الاوثان وحقيقته نجعله يلي ما اعتمده من دون
الله تعالى اي يقرب منه وقيل معناه نخلي بينه وبين ما اختاره لنفسه ونصله جهنم اي نلزمه دخول جهنم عقوبة
له على ما اختاره من الضلالة بعد الهدى وساءت مصيرا قد مر معناه وقد استدل بهذه الآية على ان اجماع
الامة حجة لانه سبحانه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة الرسول صلعم والصحيح انه لا يدل
على ذلك لان ظاهر الآية يقتضي ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا لان من اظهر الايمان لا يوصف
بانه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا ومتى حملوا
الآية على بعض الامة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد عليهم السلم
على ان ظاهر الآية يقتضي ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن
اين لهم ان من فعل احدهما يتناوله الوعيد ونحن انما علمنا ان الوعيد يتناول مشاقة الرسول بانفرادها
بدليل غير الآية فيجب ان يستند الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل آخر ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا آية قد مر
تفسيره فيما تقدم وقوله تعالى فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن طريق الحق والغرض المطلوب وهو النعيم المقيم
في الجنة ذهابا بعيدا لان الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى قوله تعالى
ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من
عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان
الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد
خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا خمس آيات **القراءة** القراءة المشهورة الا
اناثا وروي في الشواذ عن النبي صلعم الا اثنا بالثاء قبل النون والا انثا بالنون قبل الثاء رويتهما
عنه عائشة وروي عن ابن عباس الا وثنا والا اثنا بضمتين والثاء قبل النون وعن عطاء بن ابي رباح
الا اثنا الثاء قبل النون وهي ساكنة **الحجة** اما اثن فجمع وثن واصله فقلبت الواو همزة نحو
اجوه في وجوه واعد في وعد واما اثن بسكون الثاء فهو كاسد بسكون السين واما انثا بتقديم
النون على الثاء فيمكن ان يكون جمع انيث كقولهم سيف انيث الحديد ويمكن ان يكون جمع اناث
اللغة المريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتي الخارج عن الطاعة والمتملس

منها يقال

منها يقال حائط ممرد اي مملس وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه سمي من لم ينبت لحيته امرد اي املس موضع
اللحية ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة واصل اللعن البعد ومنه قيل للطريد اللعين و
اصل الفرض القطع والفرضة الثلمة تكون في النهر والفرض الحز الذي يكون في السواك وغيره يشد فيه
الخيط والفرض في القوس الحز الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله به العباد فجعله حتما عليهم قاطعا
واما قول الشاعر   اذا اكلت سمكا وفرضا   ذهبت طولا وذهبت عرضا   فالفرض هنا التمر و
انما سمي التمر فرضا لانه يؤخذ في فرايض الصدقة والبتك الشق والبتك القطع بتكه بتكا وبتكه تبتيكا والبتكة
مثل القطعة قال زهير   حتى اذا ما هوت كف الغلام لها   طارت وفي كفه من ريشها بتك   و
المحيص المعدل يقال حصت عنه احيص حيصا وحيوصا وحصت احاص حيصا بمعنى قال   ولم ندر ان حصنا عن
الموت حيصة   كم العمر باق والمدى متطاول   وروي بالعين **الاعراب**
ان على اربعة اوجه احدها ان النافية كما في الآية ان يدعون اي ما يدعون والثاني ان المخففة
من المثقلة كما في قوله وان كانت لكبيرة ويلزمها لام التأكيد والثالث ان الجزاء في قوله وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا والرابع ان المزيدة نحو ما ان جاءني زيد   وما ان طبنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا
لعنه جملة في موضع النصب بانها صفة لقوله شيطانا واللام في لاتخذن وفيما بعده لام اليمين وانما تدخل على
جواب القسم لان المقسم عليه معلوم هذا يكون القسم هنا مضمرا في الجميع **المعنى** لما ذكر في
الآية المتقدمة اهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الآية حالهم وفعالهم فقال ان يدعون اي ما يدعون
هؤلاء المشركون وما يعبدون من دونه اي من دون الله الا اناثا وفيه اقوال احدها الا اوثانا
وكانوا يسمون الاوثان باسم الاناث اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واساف ونائلة عن
ابي مالك والسدي ومجاهد وابن زيد وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطان
انثى تتراءى للسدنة وتكلمهم وذلك من صنع ابليس وهو الشيطان الذي ذكره الله تعالى فقال لعنه الله
قالوا واللات كان اسما لصخرة والعزى لشجرة الا انهم نقلوها الى الوثن وجعلوها علما عليهما وقيل العزى   هما ود هما ر
تأنيث الاعز واللات تأنيث لفظة الله وقال الحسن كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الانثى و
ثانيها ان المعنى الا امواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون
الله الا جمادا وامواتا لا تعقل ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسماها
اناثا لاعتقاد مشركي العرب الانوثية في كل ما اتضعت منزلته ولان الاناث من كل جنس ارذله وقال
الزجاج لان الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث تقول الحجارة تعجبني ولا تقول يعجبونني ويجوز ان يكون
سماها اناثا لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها وثالثها ان المعنى الا الملائكة لانهم كانوا يزعمون ان
الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ماردا شديدا
في كفره وعصيانه متماديا في شركه وطغيانه يسأل عن هذا فيقال كيف نفى في اول الكلام عبادتهم لغير الاناث
ثم اثبت في آخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الآخر ما نفاه في الاول اجاب الحسن عن هذا فقال انهم لم يعبدوا

الا الشيطان في الحقيقة لان الاوثان كانت مواتا ما دعت احدا الى عبادتها بل الداعي الى عبادتها الشيطان
فاضيفت العبادة الى الشيطان بحكم الدعاء والى الاصنام لاجل انهم كانوا يعبدونها ويدل عليه قوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن اضافت الملائكة عبادتهم الى الجن من قبل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة وقال ابن عباس
كان في كل واحد من اصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مريد يدعو المشركين الى عبادتها فلذلك حسن اضافة
العبادة الى الاصنام والى الشيطان وقيل ليس في الآية اثبات المنفي بل ما يعبدون الا الاوثان والا الشيطان
وهو ابليس لعنه الله ابعده الله عن الخير بايجاب الخلود في نار جهنم وقال يعني الشيطان لما لعنه الله لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا اي معلوما عن الضحاك وقيل مقدرا محدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه
الاختصاص فكل من اطاعه فانه من نصيبه وحزبه كما قال سبحانه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله وروي ان النبي
صلعم قال في هذه الآية من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف
واحد لله وسايرهم في النار ولابليس اوردهما ابو حمزة الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له
اتباعا يعبدونه والجواب علم ذلك من قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك وقيل انه لما نال من آدم
ما نال طمع في ولده وانما قال ذلك ظنا ويؤيده قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ولاضلنهم من مقالة
الشيطان يعني لاضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه الى الضلال وتسبيبه بحبائله وغروره ووساوسه
ولامنينهم يعني امنينهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الآخرة وقيل معناه
اقول لهم ليس وراءكم بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبي
وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية وازين لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعوا
كلا منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة والقيه في المعصية ولآمرنهم فليبتكن آذان
الانعام تقديره ولآمرنهم بتبتيك آذان الانعام فليبتكن اي ليشققن آذانهم عن الزجاج وقيل ليقطعن
الآذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وهذا شيء قد كان مشركو العرب يفعلونه يجدعون
آذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسنذكره في سورة المائدة ان شاء الله تعالى ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله اي لآمرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف في معناه فقيل يريد دين الله وامره
عن ابن عباس وابرهيم ومجاهد والحسن وقتادة وجماعة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام
ويؤيده قوله سبحانه فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل
الحرام وقيل اراد معنى الخصاء عن عكرمة وشهر بن حوشب وابي صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء
في البهائم وقيل انه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه اراد والشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها
الى عبادتها عن الزجاج ومن يتخذ الشيطان وليا اي ناصرا وقيل ربا يطيعه من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا
اي ظاهرا واي خسران اعظم من استبدال الجنة بالنار واي صفقة اخسر من استبدال رضا الرحمن برضا
الشيطان يعدهم الشيطان اي يكون لهم ناصرا ويمنيهم الاكاذيب والاباطيل وقيل معناه يعدهم الفقر ان انفقوا

علم قال

ماهم مالهم
مالهم

مالهم في ابواب البر ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام النعيم فيها ليؤثروها على الآخرة وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اي لا يكون لما يعدهم ويمنيهم اصل وحقيقة والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر
اولئك اشارة الى الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله فاغتروا بغروره وتابعوه فيما دعاهم
اليه مأواهم مستقرهم جميعا جهنم ولا يجدون عنها محيصا اي مخلصا ولا مهربا ولا معدلا قوله تعالى
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا آية قد مر تفسير صدر الآية في هذه السورة وقوله و
من اصدق من الله حديثا ونحوه باشمام الزاي في غير عاصم ورويس والباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند
ذكر الصراط في الفاتحة وقوله وعد الله نصب على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعدا لانه مصدر دل
معنى الكلام الذي تقدم على فعل الناصب له وحقا ايضا مصدر مؤكد لما قبله كانه قال احقه حقا و
قيلا منصوب على التمييز كما يقال هو اكرم منك فعلا ومعناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه
وقد خبره ل — ومن اصدق استفهام فيه معنى النفي اي لا احد اصدق من الله قولا فيما اخبر ووعدا فيما وعد قوله تعالى
ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا آيتان **القراءة** يدخلون الجنة بضم الياء هنا وفي مريم وحم مكي بصري
وابو جعفر وابو بكر الباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء **الحجة** حجة من قرا يدخلون قوله ادخلوا
الجنة ادخلوها بسلام ومن قرا يدخلون فلانهم لا يدخلونها حتى يدخلوها **اللغة**
الاماني جمع الامنية وهي تقدير الامر في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن امنية افعولة من المنية واصل التقدير
النكتة ح ل — يقال منى له الماني اي قدر له المقدر ومنه سميت المنية وهي فعيلة اي مقدرة والنقير النقبة في ظهر النواة وقد
ذكر نظيره فيه **الاعراب** اسم ليس مضمر لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر
بامانيكم ولا يجد مجزوم عطفا على الجزاء لا على الشرط وهو قوله يجز والوقف عند قوله اهل الكتاب وقف
تام ثم استونف الخبر بعدها بمن يعمل ومن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر امثاله ومن في قوله من الصالحات
هو للتبعيض ح ل — زايدة وقيل انه لتبيين الجنس وقال وهو مؤمن فوحده ثم قال فاولئك يدخلون الجنة فجمع لان من
اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى
النزول تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على
الكتب وديننا الاسلام فنزلت الآية فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله تعالى الآية التي بعدها
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ففلج المسلمون عن قتادة والضحاك وقيل لما قالت اليهود
نحن ابناء الله واحباؤه وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نزلت
الآية عن مجاهد **المعنى** لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب ذلك ليس بامانيكم ومعناه

ليس الثواب والعقاب بامانيكم ايها المسلمون عن مسروق والسدى وقيل الخطاب لاهل الشرك من قريش لانهم
قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد ولا امانى اهل الكتاب اى ولا بامانى اهل الكتاب فى انه لا يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وهذا يقوى القول الاخير على انه لم يجر للمسلمين ذكر فى الامانى وذكر امانى
الكفار قد جرى فى قوله ولامنينهم هذا وقد وعد الله المؤمنين فيما بعد ما هو غاية الامانى من يعمل سوءا يجز به
اختلفوا فى تاويله على اقوال احدها انه يريد بذلك جميع المعاصى صغايرها وكبايرها وان من ارتكب شيئا
منها فان الله سبحانه يجازيها عليه اما فى الدنيا واما فى الاخرة عن عائشة وقتادة ومجاهد وروى عن ابى
هريرة انه قال لما نزلت هذه الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الاية من شئ فقال اما و
الذى نفسى بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا يصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله
بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احدكم فى قدمه رواه الواحدى فى تفسيره مرفوعا وقال القاضى ابو
عاصم القارى فى جميع هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية لا تضر مع الايمان كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر و
ثانيها ان المراد به مشركوا قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا انه كقوله وهل نجازى
الا الكفور وثالثها ان المراد هيهنا بالسوء الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا معناه ولا يجد الذى يعمل سوءا من معاصى الله وخلاف امره وليا يلى امره وينصره ويحامى عنه ويدفع
عنه ما ينزل به من عقوبة الله تعالى ولا نصيرا اى ناصرا ينصره وينجيه من عذاب الله ومن استدل بهذه الاية
على المنع من جواز العفو عن المعاصى فانا نقول له ان من ذهب الى ان العموم لا ينفرد بصيغة فى اللغة مختصة
به لا يسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز ان يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره اهل التاويل كابن
عباس وغيره على انهم قد اتفقوا على ان الاية مخصوصة فان التائب ومن كانت معصية صغيرة لا يتناولها
العموم فاذا جاز لهم ان يخصصوا العموم فى الاية بالفريقين جاز لنا ان نخصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو
وهذا بين والحمد لله وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن وانما قال و
هو مؤمن ليبين ان الطاعة لا ينتفع بها من دون الايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وعد الله
سبحانه بهذه الاية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال الصالحة اى الطاعات الخالصة
وهم مؤمنون موحدون مصدقون نبيه صلى الله عليه وآله بانه يدخلهم الجنة ويثيبهم فيها ولا يبخسهم شيئا
مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار نقير فى الصغر وقد قابل سبحانه الوعيد العام فى الاية التى قبل هذه
الاية بالوعد العام فى هذه ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ولله ما فى السموات
وما فى الارض وكان الله بكل شئ محيطا ايتان

اللغة

الخليل مشتق من الخلة بضم الخاء التى هى المحبة او من الخلة بفتح الخاء التى هى الحاجة وانما استعمل بمعنى الصداقة
لان كل واحد من المتصادقين يسد خلل صاحبه وقيل لان كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكانه فى
خلل قلبه وانما استعمل فى الحاجة للاختلال الذى يلحق الفقير مما يحتاج اليه ومنه قول زهير

وان اتاه

وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم وقال الازهرى الخليل الذى خص بالمحبة يقال
دعا فلان فخلل اى خص

الاعراب

دينا منصوب على التمييز وهو
ما انتصب بعد تمام الاسم وقوله وهو محسن جملة فى موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مؤمن فى الاية
التى قبل وحنيفا منصوب على الحال وذو الحال الضمير فى اتبع والمضمر هو النبى صلى الله عليه وآله ويجوز ان
يكون حنيفا حالا من ملة ابرهيم وكان حقه ان يكون فيه الهاء لان فعيلا اذا كان بمعنى فاعل للمؤنث
تثبت فيه الهاء الا انه قد جاء فى ناقة سديس وريح خريق ويجوز ايضا ان يكون حالا من ابرهيم و
الحال من المضاف اليه عزيز وقد جاء ذلك فى الشعر قال النابغة قالت بنو عامر خالوا بنى اسد
يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام اى يا بؤس الجهل ضرارا واللام مقحمة لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان
لاتخذ

المعنى

ثم بين سبحانه من استحق الوعد الذى ذكره قبل فقال ومن احسن دينا
وهو فى صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من اصوب طريقا واهدى سبيلا اى لا احد
احسن اعتقادا ممن اسلم وجهه لله اى استسلم وجهه والمراد بقوله وجهه هيهنا ذاته ونفسه كما قال
سبحانه كل شئ هالك الا وجهه والمعنى انقاد لله بالطاعة ولنبيه بالتصديق وقيل معنى اسلم وجهه قصده
سبحانه بالعبادة وحده كما اخبر عن ابرهيم عليه السلام انه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات و
الارض الاية وقيل معناه اخلص عمله اى تبا خلص لله فيها وهو محسن اى فاعل للفعل الحسن
الذى امره سبحانه وقيل معناه وهو محسن فى جميع اقواله وافعاله وقيل ان المحسن هنا الموحد وروى
ان النبى صلى الله عليه وآله سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك واتبع ملة ابرهيم اى اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعنى ما كان عليه ابرهيم وامر به بنيه
من بعده واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ومن ذلك الصلوة الى الكعبة
والطواف حولها وساير المناسك حنيفا اى مستقيما على منهاجه وطريقه وقد مر معنى الحنيف فى سورة
البقرة واتخذ الله ابرهيم خليلا اى محبا لا خلل فى محبته وموته لكمال خلته والمراد بخلته لله
انه كان مواليا لاولياء الله ومعاديا لاعداء الله والمراد بخلة الله سبحانه له نصرته على من اراده بسوء
كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه بردا وسلاما وكما فعله بملك مصر حين راوده عن اهله وجعله اماما
للناس وقدوة لهم قال الزجاج جائز ان يكون سمى خليلا لله بانه الذى احبه الله بان اصطفاه
محبة تامة كاملة واحب الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمى خليلا لانه افتقر الى الله سبحانه
وتوكل عليه وانقطع بحوائجه اليه وهو اختيار الفراء وابو القسم البلخى وانما خصه الله تعالى بهذا
الاسم وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفا له بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته
سواه كما خص موسى بانه كليم الله وعيسى بانه روح الله ومحمدا صلى الله عليه وآله بانه حبيب الله
وقيل انما سمى خليلا لانه سبحانه خصه بما لم يخص به غيره من انزال الوحى عليه وغير ذلك من خصائصه و
انما خصه من بين ساير الانبياء بهذا الاسم على المعنيين الذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الانبياء

خليل الله في زمانه لانه سبحانه ختمهم بالنبوة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال قد اتخذ الله سبحانه صاحبكم
خليلا يعني نفسه وهذا الوجه اختيار ابي علي الجبائي قال وكما تعبد الله ابراهيم فقد تعبد نبينا
صلعم وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم ومما قيل في وجه خلة ابراهيم عليه السلم ما روي في التفسير ان ابراهيم كان
يضيف الضيفان ويطعم المساكين وان الناس اصابهم جدب فارتحل ابراهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما
لاهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله مر بمفازة ذات رمل لينة فملأ غرايره من ذلك الرمل لئلا يغتم اهله
برجوعه من غير ميرة فحول الله سبحانه ما في غرايره دقيقا فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم
ففتحوا الغراير وخبزوا من الدقيق خبزا وقدموا اليه طعاما طيبا فسالهم من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذي
جئت به من عند خليلك المصري فقال اما انه خليلي وليس بمصري فسماه الله خليلا رواه علي بن ابراهيم
عن ابيه عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلم ثم بين سبحانه تعالى انما اتخذ ابراهيم
خليلا لطاعته ومسارعته الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه الى خلته فقال ولله ما في السموات والارض
ملكا وملكا انه مستغن من جميع خلقه والخلق محتاجون اليه وكان الله بكل شيء محيطا يعني لم يزل الله
سبحانه عالما بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط بالشيء انه العالم به من جميع وجوهه قوله تعالى ويستفتونك
في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين
من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما آية

اللغة الاستفتاء والاستقضاء بمعنى واحد يقال قاضيته وقاضيته قال الشاعر
تعالوا نفاتيكم اعيا وفقعس الى المجد ذي امر عشيره هكذا انشده الحسين بن علي المغربي وهو استفعال
من الفتيا وهو الفتوى وافتاه في المسئلة بين حكمها **الاعراب**
وما يتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء وتقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم ايضا يفتيكم فيهن وقال
الفراء يجوز ان يكون موضعه جرا على الضمير المجرور في فيهن وهذا بعيد لان الظاهر لا يحسن عطفه على
الضمير المجرور وقيل يجوز ان يكون عطفا على النساء في قوله يستفتونك في النساء اي ويستفتونك فيما يتلى
عليكم وفي المستضعفين قال الواحدي قوله في يتامى النساء قيل ان تقديره في النساء اليتامى فاضيف
الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين
لا يجوز اضافة الصفة الى الموصوف بل النساء هنا امهات اليتامى اضيف اليهن اولادهن واقول يجوز ان
تضاف اليتامى ايضا الى النساء اذ كن من جملتهن فتكون الاضافة بمعنى من كما يقال خيار النساء وشرار
النساء وصغار النساء وهذا اشبه بما ينساق اليه معنى الآية والمستضعفين جر عطف على يتامى النساء
وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جر ايضا والتقدير وما يتلى عليكم من الآيات في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم ايضا فيهن **المعنى** ثم عاد كلام الله عز اسمه الى ذكر النساء
والايتام وقد جرى ذكرهم في اول السورة فقال ويستفتونك اي يسالونك الفتوى وهو تبيين المشكل من

الاحكام

وجميع خلقه

الاحكام في النساء ويستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن وعما يجب لهن وعليهن وانما حذف ذلك لاحاطة العلم
بان السؤال في امر الدين انما يقع عما يجوز وعما لا يجوز وعما يجب وعما لا يجب قل الله يفتيكم فيهن معناه يا
محمد الله يبين لكم ما سالتم في شانهن وما يتلى عليكم في الكتاب اي ويفتيكم ايضا ما يقرى عليكم في الكتاب
اي القرآن وتقديره وكتابه يفتيكم اي يبين لكم الفرايض المذكورة في يتامى النساء اي الصغار اللاتي لم يبلغن
وقوله اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن واختلف في تاويله على اقوال احدها ان المعنى
وما يتلى عليكم في توريث صغار النساء وهو آيات الفرايض التي في اول السورة وكان اهل الجاهلية
لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المراة وكانوا يقولون لا يورث الا من قاتل ودفع عن الحريم فانزل الله
آية المواريث في اول السورة وهو معنى قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما كتب لهن من المواريث عن ابن عباس
وسعيد بن جبير ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وثانيها ان المعنى اللاتي لا تؤتونهن ما وجب
لهن من الصداق وكانوا لا يوتون اليتامى اللاتي يكون عليهن حق الصداق فنهى الله عز وجل عن ذلك
بقوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقوله ما يتلى عليكم هو ما ذكره
في اول السورة من قوله وان خفتم الا تقسطوا الآية عن عايشة وهو اختيار ابي علي الجبائي واختار الطبري
القول الاول واعترض على هذا القول بان قال ليس الصداق مما كتب الله للنساء الا بالنكاح فما لم تنكح
فلا صداق لها عند احد وثالثها ان المراد بقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن النكاح الذي كتب الله لهن
في قوله وانكحوا الايامى الآية فكان الولي يمنعهن عن التزويج عن الحسن وقتادة والسدي وابي مالك
وابراهيم قالوا كان الرجل في حجره اليتيمة لها دمامة ولها مال فكان يرغب ان يتزوجها ويحبسها طمعا
ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري له بنت عم عمياء دميمة وقد ورثت
عن ابيها مالا فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها فسال النبي صلى
الله عليه وآله عن ذلك فنزلت الآية وقوله وترغبون ان تنكحوهن معناه على القول الاول والثالث
ترغبون ان تنكحوهن اي عن نكاحهن ولا تؤتونهن نصيبهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد
ظلمتموهن من وجهين وفي قول عايشة معناه ترغبون في ان تنكحوهن اي في نكاحهن لجمالهن
او مالهن وفي المستضعفين من الولدان معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان الصغار
ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيرا من الغلمان ولا من الجواري لان ما يتلى عليكم في باب
اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتيا في اعطاء حقوق الصغار من الميراث وان تقوموا
لليتامى بالقسط اي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالعدل في انفسهم وفي مواريثهم واموالهم وتصرفاتهم
واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى وفيه اشارة الى قوله سبحانه
وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية وما تفعلوا من خير اي مهما فعلتم ايها المؤمنون من عدل وبر
في امر النساء واليتامى وانتهيتم في ذلك الى امر الله وطاعته فان الله كان به عليما اي لم يزل به عالما
ولا يزال كذلك يجازيكم به ولا يضيع عنده شيء منه قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها

اقفهاء

نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا
بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله بما تعملون
خبيرا آية **القراءة** قرا اهل الكوفة ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد و
الباقون يصالحا بتشديد الصاد وفتح اللام والياء **الحجة** الاعرف في الاستعمال يصالحا
وزعم سيبويه ان بعضهم قرا يصّلحا فيصّلحا يفتعلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اجتوروا واعتوروا
لما كان بمعنى تجاوروا وهذا حجة لمن قرا ان يصالحا ومن قرا يصلحا قال الاصلاح عند التشاجر قد استعمل كما
في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرا يصلحا كما يقول اصلحت ثوبا ومن قرا يصالحا
فيجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت زوائده كما قال
فان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وقع الاسم
موضع المصدر نحو قوله باكرت حاجتها الدجاج بسحرة وقوله وبعد عطائك المائة الرتاعا
اللغة النشوز قد مر ذكره في هذه السورة والشح افراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال
وبغيره من الاغراض يقال هو شحيح بودك اي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال
خاصة قال الشاعر لقد كنت في قوم عليك اشحة لفقدك الا ان من طاح طايح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يدفع الموت النفوس الشحايح **الاعراب**
وان امراة خافت امراة ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو اضمار قبل الذكر على شريطة التفسير
وتقديره وان خافت ولو قلت ان امراة تخف فجزمت بان الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لان
ان لا تفصل بينها وبين ما تجزم وذلك في الشعر جائز في ان وغيرها قال الشاعر
فمتى واغل ينبهم يحيوه وتعطف عليه كاس الساقي فاما الماضي فان غير عاملة في لفظه وان حروف الجزاء فجاز
ان يفرق بينها وبين الفعل واما في ان فالفصل قبيح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا
النزول كانت بنت محمد بن مسلمة عند رافع
بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امراة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من
اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك قالت بل راجعني واصبر على
الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله انزل فيه هذه الآية عن ابي جعفر عليه السلام وسعيد بن المسيب
وقيل خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت لا تطلقني واحبسني مع نسائك
ولا تقسم لي واجعل نوبتي لعائشة فنزلت الآية عن ابن عباس **المعنى** لما تقدم حكم نشوز
المراة بين سبحانه حكم نشوز الرجال فقال وان امراة خافت اي علمت وقيل ظنت من بعلها اي من زوجها
نشوزا اي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها اما لبغضه واما لكراهته منها شيئا اما دمامتها
واما علو سنها وغير ذلك او اعراضا يعني انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها منه وقيل يعني باعراضه
عنها هجرانه اياها وجفاءه لها وميله الى غيرها فلا جناح عليهما اي لا حرج ولا اثم على كل واحد منهما من

من الزوج والزوجة

من الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المراة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة او كسوة
او غير ذلك تستعطفه بذلك فيستديم المقام في حباله والصلح خير معناه والصلح بترك بعض الحق خير من طلب الفرقة الافتراق
بعد الالفة وهذا اذا كان بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز له الا ما يسوغ في الشرع من القيام
بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها وهذه الجملة قال الصحابة والتابعون منهم علي عليه السلام وابن
عباس وعائشة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم واحضرت الانفس الشح اختلف في تاويله فقيل
معناه واحضرت انفس النساء الشح على انصبائهن من انفس ازواجهن واموالهن واياماهن منهم عن ابن عباس
وسعيد بن جبير وعطاء ومجاهد والسدي وقيل معناه واحضرت الانفس كل واحد من الرجل والمراة الشح بحقه
قبل صاحبه فشح المراة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل بانفاقه على التي
لا يريدها وهذا اعم وبه قال ابن وهب وابن زيد وان تحسنوا خطاب للرجال اي ان تفعلوا
الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء وتتقوا من الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل
ان تحسنوا في اقوالكم وافعالكم وتتقوا معاصي الله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي انه سبحانه خبير بما يكون
منكم في امرهن يحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم باعمالكم قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا
رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما آيتان **اللغة**
الاستطاعة والقوة والقدرة نظاير والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات الله تعالى اختلف في معناه
فقيل انه واسع العطاء اي المكثر منه وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله سبحانه ورحمتي وسعت كل شيء وقيل
انه واسع المقدور **المعنى** لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بانه لا يكلف من
ذلك ما لا يستطاع فقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لن تقدروا ان تسووا بين
النساء والمحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فان ذلك ليس اليكم ولا تملكونه ولا تكلفونه
ولا تؤاخذون به عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء
في كل الامور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبشر والبر وغير ذلك
والمراد به ان ذلك لا يخف عليكم بل يثقل ويشق لميلكم الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تعدلوا باهوائكم
عمن لم تملكوا محبته منهن كل العدول حتى يحملكم ذلك على ان تجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن
عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة اي تذروا التي لا تميلون
اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم وهو المروي عن
ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وذكر علي بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره انه سال رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول
عن قوله سبحانه فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم
وبين القولين فرق قال فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة ودخلت على ابي عبد الله
عليه السلام فسالته عن ذلك فقال اما قوله فان خفتم الا تعدلوا فانه عنى في النفقة واما قوله

ولن تستطيعوا ان تعدلوا فانه عنى بالمودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين امراتين في المودة قال فرجع الى
الرجل فاخبره فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه كان يقسم بين نسائه ويقول
اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك وقوله وان تصلحوا يعني في القسم بين الازواج والتسوية
بينهن في النفقة وغير ذلك وتتقوا الله في امرهن وتتركوا الميل الذي نهاكم الله عنه في تفضيل واحدة على الاخرى
فان الله كان غفورا رحيما يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية
بينهن ويرحمكم بترك المواخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروى عن جعفر الصادق عن ابائه
ان النبي صلى الله عليه واله كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن وروي ان عليا عليه السلم كان له
امراتان اذا كان يوم واحدة لا يتوضا في بيت الاخرى وكان معاذ بن جبل له امراتان ماتتا في الطاعون
فاقرع بينهما ايهما تدفن قبل الاخرى وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته يعني اذا ابى كل واحد من
الزوجين مصلحة الاخر بان يطالب المراة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن العشرة ويمتنع من
اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فان الله سبحانه يغني كل واحد منهما من سعته اي من سعة فضله ورزقه
وكان الله واسعا حكيما اي لم يزل كان واسع الفضل على عباده حكيما فيما يدبرهم به وفي هذه الاية دلالة
على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وان ربما اجراها على يدي من يشاء من بريته
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض لقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض و
كان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
آيتان **المعنى** ثم ذكر سبحانه بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعته فضله
ما يوجب الرغبة اليه في ابتغاء الخير منه فقال ولله ما في السموات وما في الارض اخبارا عن كمال قدرته
وسعة ملكه اي فان من يملك ما في السموات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفقر والايناس بعد الوحشة
ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والاخرة فقال ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم واياكم اي واوصيناكم ايضا ايها المسلمون في كتابكم
ان اتقوا الله وتقديره بان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه وان تكفروا
اي تجحدوا وصيته اياكم فتخالفوها فان لله ما في السموات وما في الارض لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذه
اشارة الى ان امره جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس لاستكثاره بهم من قلة ولا استنصاره
بهم عن ذلة ولا استغنائه بهم عن حاجة فان له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا ولا يجوز عليه
العجز ولا يعتريه الضعف ولا يجوز عليه الحاجة وانما امرنا ونهانا نعمة منه علينا ورحمة بنا وكان الله
غنيا اي لم يزل سبحانه غير محتاج الى خلقه بل الخلائق كلهم محتاجون اليه حميدا اي مستوجبا الحمد عليكم
بصنائعه الحميدة اليكم والايادي الجميلة فاستديموا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما يامركم به
ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله وكيلا اي حافظا بجميعه لا يعزب عنه علم شيء

منه ولا يؤوده

منه ولا يؤوده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله ولله ما في السموات وما في الارض
في الايتين ثلث مرات فقد قيل انه للتاكيد والتذكير وقيل انه للابانة على علل ثلث احدها بيان ايجاب طاعته
فيما قضى به لان له ملك السموات والارض والثاني بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على
النعم لان له ما في السموات وما في الارض والثالث بيان حفظه اياهم وتدبيره لهم بان له ملك السموات
والارض قوله تعالى ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا آيتان
المعنى لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بان له ملك السموات والارض عقب ذلك بذكر كمال
اقتداره على خلقه وان له الاهلاك والانجاء والاستبدال بعد الافناء فقال ان يشا يذهبكم يعني ان يشا الله
يهلككم ايها الناس ويفنكم وقيل فيه محذوف اي ان يشا ان يذهبكم يذهبكم ويات باخرين اي بقوم اخرين
غيركم ينصرون نبيه صلى الله عليه واله ويوازرونه وروي انه لما نزلت هذه الاية ضرب النبي صلعم بيده
على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس وكان الله على ذلك قديرا اي لم يزل سبحانه ولا يزال قادرا
على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر سبحانه عظيم ملكه وقدرته بان جزاء الدارين عنده فقال من كان
يريد ثواب الدنيا اي الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عمن اظهر ايمانه بمحمد صلى الله عليه واله من اهل
النفاق يريد عرض الحيوة الدنيا باظهار ما اظهره من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي يملك
سبحانه الدنيا والاخرة فليطلب المجاهد الثوابين عند الله سبحانه عن ابي علي الجبائي وقيل انه وعيد للمنافقين
وثوابهم في الدنيا ما ياخذونه من الفيء والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم
وذراريهم وثوابهم في الاخرة النار وكان الله سميعا بصيرا اي لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات
ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هي كونه حيا لا آفة به وقيل انه انما ذكر ذلك هنا ليبين انه
يسمع ما يقول المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسترونه من نفاقهم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا آية **القراءة** قرا ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم
اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا بواوين الاولى مضمومة والثانية ساكنة **الحجة**
من قرا بواو واحدة فحجته ان يقول انه من الولاية ولاية الشيء اقبال عليه وخلاف الاعراض عنه فيكون المعنى
ان تقبلوا او تعرضوا فان الله خبير باعمالكم يجازي المحسن المقبل باحسانه والمسيء المعرض باعراضه و
ترك الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرات تلووا فهو من اللي والذي من الاعراض فيكون
كالتكرير الا ترى ان قوله لووا رؤسهم ورايتهم يصدون معناه الاعراض وترك الانقياد للحق ومن قرا تلووا
من لوا فحجته ان يقول لا ينكر ان يتكرر اللفظ بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون
وقال الشاعر وهند اتى من دونها الناي والبعد وقول الاخر والفى قولها كذبا ومينا

وقيل ان تلوا يجوز ان يكون تلووا وان الواو التي هي عين همزة لانضمامها كما همزت في ادؤر ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصار تلوا كما تطرح الهمزة في ادؤر وتلقى حركتها على الدال فيصير ادر

اللغة القسط والاقساط العدل يقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده ويد قسطاء اي يابسة فكان معنى اقسط اقام الشيء على حقيقته والتعديل وكان قسط اي جار معناه يبس الشيء اذ افسد هيئته المستقيمة والقوام فعال من القيام وهو ان يكون عادته القيام والتلي الدفع يقال لويت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد ظلم اي مطل الغني جور

الاعراب شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين امنوا ويجوز ان يكون خبر كان على انهما خبران نحو هذا حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما لم يقل به لانه اراد فالله اولى بغنى الغني وفقر الفقير لان ذلك منه سبحانه وقيل انما ثنى الضمير لان او في هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه سبحانه لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه يجوز ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والتثنية والجمع وقد ذكران في قراءة ابي فالله اولى بهم وقيل انما قال بهما لانهما قد ذكرا كما قال وله اخ او اخت فلكل واحد منهما وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر من خاصم على ما ذكرنا في المعنى مشروحا وان تعدلوا يجوز ان يكون في موضع نصب بانه مفعول له اي هربا من ان تعدلوا او كراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون في موضع جر على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا

المعنى لما ذكر سبحانه ان عنده ثواب الدنيا والآخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط اي دائمين على القيام بالعدل معناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والفعل شهداء لله وهو جمع شهيد امر الله سبحانه عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصدق تقربا اليه وطلبا لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوالين بالحق في الشهادة على من كانت ولمن كانت من قريب او بعيد ولو على انفسكم ولو كانت شهادتكم على انفسكم او الوالدين والاقربين اي على والديكم وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل واقيموها على الصحة والحق فلا تميلوا فيها لغنى غني ولا لفقر فقير فان الله تعالى قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفي هذا دلالة على جواز شهادة الولد لوالده والوالد لولده وعليه وشهادة لكل ذي قرابة لقريبه وعليه والى هذا ذهب ابن عباس في قوله امر الله سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسكم او اباءهم او ابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعدهم وظهرت منهم امور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم واما شهادة الانسان على نفسه فيكون بالاقرار للخصم فاقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا تقبل ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا والمشهود له غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفائدة ذلك ان الشاهد ربما امتنع عن الشهادة للغني على الفقير لاستغناء المشهود

لم و فقر المشهود

لم وفقر المشهود عليه فلا يقيم الشهادة شفقة على الفقير وربما امتنع عن اقامة الشهادة للفقير على الغني تهاونا للفقير وتوقيرا للغني او خشية منه او حشمة له فبين سبحانه بقوله فالله اولى بهما انه اولى بالغني والفقير والنظر لهما من سائر الناس اي فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه ونظرا له ولا من اقامة الشهادة للغني لاستغنائه عن المشهود به فان الله تعالى امركم بذلك مع علمه بغنى الغني وفقر الفقير فراعوا امره كما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم فلا تتبعوا الهوى يعني هوى الانفس في اقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لاحنة بينكم وبينه او وحشة او عصبية وتمنعوا الشهادة له لاحد هذه المعاني او تشهدوا للانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة ان تعدلوا اي لان تعدلوا او لاجل ان تعدلوا في الشهادة قال الفراء هذا كقولهم لا تتبع هواك لترضي ربك اي كيما ترضي ربك وقيل انه من العدول الذي هو الميل والجور ومعناه لا تتبعوا الهوى في ان تعدلوا عن الحق او لان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي تمطلوا في اداء الشهادة او تعرضوا عن ادائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي وان تلووا ايها الحكام في الحكم لاحد الخصمين على الآخر وتعرضوا عن احدهما الى الآخر عن ابن عباس وعن السدي وقيل معناه ان تلووا اي تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام فان الله كان بما تعملون خبيرا معناه انه كان عالما بما يكون منكم من اقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلوك طريق العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس في معنى قوله وان تلووا او تعرضوا انهما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لاحدهما على الآخر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا آية

امنوا

القراءة قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وانزل بالضم والكسر الزاي والباقون نزل وانزل بفتحها

الحجة من قرا بالضم فحجته قوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرا بالفتح فحجته انا نحن نزلنا الذكر وانزلنا اليك الذكر

المعنى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله قيل فيه ثلثة اقوال احدها وهو الصحيح المعتمد ان عليه معناه يا ايها الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق ظاهركم باطنكم ويكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون والكتاب الذي نزل على رسوله وهو القرآن والكتاب الذي انزل من قبل وهو التورية والانجيل الزجاج وغيره وثانيها ان يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذا الايمان في المستقبل وداوموا عليه لا تنتقلوا عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لان الايمان الذي هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال وثالثها ان الخطاب لاهل الكتاب امروا بان يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله والكتاب الذي انزل عليه كما آمنوا بما فيها صفات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بما معهم من الكتب ويكون في قوله والكتاب الذي انزل من قبل اشارة الى ما معهم من التورية والانجيل ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا مصدقين بهما احد امرين اما ان يكون

لان التورية والانجيل فيهما صفات نبينا صلى الله عليه وآله وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدقه ولم يصدق القرآن لا يكون مصدقا بهما لان في تكذيبه تكذيب التورية والانجيل فيجب عليهم التصديق به وبما معه ليكونوا مصدقين بما معهم من التورية والانجيل واما ان يكون الله تعالى امرهم بالاقرار بمحمد صلى الله عليه وآله وبالقرآن وبالكتاب الذي انزل من قبل وهو الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى عليه السلام ايضا والذي يعضد هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال ان الآية نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وابن اخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب ومن سواهم من الرسل فقيل لهم بل آمنوا بالله وبرسوله الآية فآمنوا كما امرهم الله تعالى ومن يكفر بالله اي يجحده او يشبهه بخلقه او يرد امره ونهيه وملائكته اي ينفيهم او ينزلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا انهم بنات الله وكتبه فيجحدها ورسله فينكرهم واليوم الآخر اي يوم القيامة فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن الحق وعدل عن السبيل ذهابا بعيدا وقال الحسن الضلال البعيد هو ما لا تلافي له والمعنى ان من كفر بمحمد صلى الله عليه وآله وجحد نبوته فكانه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان احد من الخلق بشيء مما امره الله تعالى بالايمان به وبما انزل الله عليه وفي هذا تهديد لاهل الكتاب واعلام لهم ان اقرارهم بالله ووحدانيته ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوة محمد صلى الله عليه وآله فيكون وجوده وعدمه سواء

النظم

وجه اتصال الآية بما قبلها ان الله سبحانه لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان وشرائطه وقيل انها تتصل بقوله كونوا قوامين بالقسط والقيام بالقسط هو الايمان على الوجه المذكور قوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ثلث آيات

اللغة

اصل البشارة الخبر السار الذي يظهر السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر الذي يغم ايضا ووضع اخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف اي تضع الضرب موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

واصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز علي ان يكون كذا اي اشتد علي وعز الشيء اذا اصعب وجوده واشتد حصوله واعتز فلان بفلان اذا اشتد ظهره به والعزيز القوي المنيع خلاف الذليل

المعنى

ثم قال سبحانه ان الذين آمنوا ثم كفروا قيل في معناه اقوال احدها انه عنى به ان الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل وغير ذلك ثم آمنوا يعني النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله عن قتادة وثانيها ان المراد آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعده ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وآله عن الزجاج والفراء وثالثها انه عنى به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نفر من اصحاب رسول الله فكانوا يظهرون الايمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة في امره ونبوته ويظهرون الكفر ثم يظهرون الايمان ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة

اخرى

اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفرا بالثبات عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ورابعها ان المراد به المنافقين آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله في البر والبحر لم يكن الله ليغفر لهم باظهارهم الايمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم في الايمان لما كفروا فيما بعد ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا يهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم ويجوز ان يكون المعنى انه يخذلهم ولا يلطف بهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال سبحانه بشر المنافقين اي اخبرهم يا محمد بان لهم في الآخرة عذابا اليما اي وجيعا ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على ان الآية المتقدمة نزلت في شان المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين اي مشركي العرب وقيل اليهود اولياء اي ناصرين ومعينين واخلاء من دون المؤمنين اي من غيرهم ايبتغون عندهم العزة اي ايطلبون عندهم العزة اي القوة والمنعة باتخاذهم هؤلاء اولياء من دون اهل الايمان بالله ثم اخبر سبحانه ان العزة والمنعة له فقال ان العزة لله جميعا يريد سبحانه انهم لو آمنوا مخلصين له وطلبوا الاعتزاز بالله ورسوله وبدينه والمؤمنين لكان ذلك اولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فان العزة باجمعها لله سبحانه ومن عنده يعز من يشاء ويذل من يشاء قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا آية

القراءة

قرا عاصم ويعقوب نزل بالفتح والباقون نزل بضم النون وكسر الزاء

الحجة

الوجه في قرائتين ما ذكرناه قبل

الاعراب

اذا قرات نزل بالفتح فان موضع نصب لانه تقديره نزل الله ذلك واذا قرات نزل فان في موضع رفع وان هي المخففة من الثقيلة

النزول

كان المنافقون يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهاهم الله سبحانه عن ذلك عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم الكفار عقب ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فقال وقد نزل عليكم في الكتاب اي في القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها اي يكفر بها المشركون والمنافقون ويستهزءون بها فلا تقعدوا معهم اي مع هؤلاء المستهزئين الكافرين حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى ياخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل يرجعوا الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنزل في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي عن الحسن ان اباحة القعود مع الكفار عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين انكم اذا مثلهم يعني انكم اذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله

والهزؤ به فانتم مثلهم وانما حكم بانهم مثلهم لانهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهة لذلك ومتى
كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة على ذلك وزوال
العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطئ آثم وفيها ايضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين
من اي جنس كانوا وبه قال جماعة من المفسرين وذهب اليه عبد الله بن مسعود وابرهيم وابو وائل قال ابرهيم
ومن ذلك اذا تكلم الرجل في مجلس يكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروي
انه ضرب رجلا كان قاعدا مع قوم يشربون الخمر وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام في تفسير هذه
الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا تقاعده وروي عن ابن عباس انه
قال امر الله سبحانه في هذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبلخي
والجبائي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي اما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكاره فليس
بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه او يراه قال وفي الآية دلالة على بطلان قول
نفاة الاعراض وقولهم ليس ههنا شيء غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فاثبت غير ما كانوا
فيه وذلك هو العرض ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر و
النفاق في القيمة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم قوله تعالى
الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين
نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم
بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا آية

اللغة

التربص الانتظار والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها
قال العجاج يصف ثورا   يحوذهن وله حوذي   وروي يحوزهن وله حوزي واستحوذ مما خرج
على اصله من قال احاذ يحيذ لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ كما قيل احوذت واطيبت بمعنى احذت
واطبت فاخرجه على الاصل قال استحوذ والاحوذي الحاذ المنكمش الخفيف في اموره

المعنى

ثم وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال الذين يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ايها المؤمنون لانهم كانوا
يقولون سيهلك محمد صلى الله عليه وآله واصحابه فنستريح منهم ويظهر قومنا وديننا فان كان لكم فتح من الله
اي فان اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء قالوا الم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبا من الغنيمة
فانا شهدنا القتال وان كان للكافرين نصيب اي حظ باصابتهم من المؤمنين قالوا يعني المنافقين اي قال
المنافقون للكافرين الم نستحوذ عليكم اي الم نغلب عليكم عن السدي ومعناه الم نغلبكم على رايكم بالموالاة لكم
ونمنعكم من الدخول في جملة المؤمنين وقيل معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه اي الم نضمكم الى انفسنا ونطلعكم
على اسرار محمد صلعم واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن
جريج ونمنعكم من المؤمنين اي ندفعكم صولة المؤمنين بتخذيلنا اياهم عنكم وكوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم و   ونذفعكم عنكم ح ل
غلبتموهم فالله يحكم بينكم يوم القيمة ويفصل بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على الذي يحكم بين الخلائق يوم القيمة

ونفصل بينهم

ويفصل بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قيل فيه اقوال احدها ان المراد لن يجعل الله
لليهود على المؤمنين نصرا ولا ظهورا عن ابن عباس وقيل لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالحجة وان جاز
ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدي والزجاج والبلخي قال الجبائي
ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله تعالى فانه لا يفعل القبيح
وليس كذلك غلبة المؤمنين للكافرين فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل لن يجعل الله لهم في الآخرة
عليهم سبيلا لانه مذكور عقيب قوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة بين الله سبحانه انه ان اثبت لهم سبيلا على
المؤمنين في الدنيا بالقهر والقتل والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فليس يجعل لهم يوم القيمة
عليهم سبيلا بحال قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا آيتان

القراءة

في الشواذ قراءة
عبد الله بن ابي اسحق يرؤن مثل يرعون والقراءة المشهورة يراؤن مثل يراعون وقراءة ابن عباس مذبذبين
بكسر الذال الثانية

الحجة

قال ابن جني يرؤن يفعلون من رايت ومعناه يبصرون الناس
ويحملونهم على ان يروهم يفعلون ما يتعاطونه وهي اقوى من يراؤن بالمد على يفاعلون لان معناه يتعرضون
لان يروهم ويتراؤن معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر   ترى او تراى عند معقد
غرزها   تهاويل من اجلاد هر مواقم   وقوله مذبذبين مثل قول الشاعر   ميرة شهر للبريد المذبذب
اي المهتز القلق الذي لا يثبت في مكان فكذلك هؤلاء

اللغة

يقال ذبذبته فتذبذب
اي حركته فتحرك وهو كتحريك شيء معلق قال النابغة   الم تر ان الله اعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب

الاعراب

كسالى منصوب على الحال من الواو وقاموا ومذبذبين نصب على الحال
من المنافقين

المعنى

ثم بين سبحانه اخلاق المنافقين فقال ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم وقد ذكرنا معناه في اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين الله اظهارهم الايمان الذي حقنوا به
دماءهم واموالهم وقيل معناه يخادعون الله اي يخادعون النبي صلى الله عليه وآله كما قال انما يبايعون الله فسمى
مبايعة النبي صلعم مبايعة لله للاختصاص ولان ذلك بامره عن الحسن والزجاج ومعنى خداع الله اياهم
ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه في قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم وقيل هو
ان يعطيهم الله نورا يوم القيمة يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسدي
وجماعة من المفسرين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اي متثاقلين يراؤن الناس يعني انهم لا يعملون شيئا
من اعمال العبادات على وجه القربة الى الله عز وجل وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذرا من القتل وسلب
الاموال واذا راهم المسلمون صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا وبه قال قتادة
وابن زيد وروى العياشي باسناده عن مسعدة بن زياد عن ابي عبد الله عن ابائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله
سئل فيم النجاة غدا قال النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو يشعر قيل له

كيف يخادع الله قال يعمل بأمر الله ثم يريد به غيره فاتقوا الريا فانه شرك بالله ان المرائي يوم القيمة يدعى باربعة اسماء يا كافر يا
فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له صدق عليه السلام ولا
يذكرون الله الا قليلا اي ذكرا قليلا ومعناه لا يذكرون الله عن نية واخلاص ولو ذكروه مخلصين لكان كثيرا
وانما وصف بالقلة لانه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكرا يسيرا نحو التكبير والاذكار التي يجهر بها
ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابي علي الجبائي وقيل انما وصف الذكر بالقلة لانه سبحانه
لم يقبله وكل ما رده الله فهو قليل مذبذبين بين ذلك اي مرددين بين الكفر والايمان يريد كأنه فعل بهم ذلك
وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى مذبذبين مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذي هو الطرد
وصفهم سبحانه بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انه مثله مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى غيره هذه والى هذه
تدري ايهما تتبع لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا مع هؤلاء في الحقيقة ولا مع هؤلاء يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون
ويضمرون الكفر كما يضمره المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين في الحقيقة فان المؤمنين يضمرون الايمان كما يظهرونه
والمشركون يظهرون الكفر كما يضمرونه ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي طريقا ومذهبا وقد مضى ذكر الاضلال مشروحا
في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين فلا معنى لاعادته قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا ٥ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ٥ الا
الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ثلث ايات **القراءة** قرأ اهل
الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها **الحجة** هما لغتان
كالنهر والنهر والشمع والشمع والقص والقصص **اللغة**
السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويؤنث قالوا قضت عليك بها السلطان ولم يأت في القرآن الا مذكرا
وقيل للامير سلطان ومعناه ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذي يوصل به الرشاء ليعلق به الدلو لما كان في
النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل له درك ودرك وجمع الدرك ادراك ودروك وجمع الدرك ادرك
المعنى ثم نهى سبحانه عن موالاة المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اي
انصارا من دون المؤمنين فتكونوا مثلهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا اي حجة ظاهرة وهو استفهام
يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله تعالى لا يعاقب احدا الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب
الاطفال بذنوب الآباء وانه كان لا حجة له سبحانه على الخلق لولا معاصيهم قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سبيلا الى عذابكم بكفركم وتمكنكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار اي في الطبق الاسفل من النار
فان النار طبقات ودركات كما ان الجنة درجات فيكون المنافق في اسفل طبقة منها الفتح فعل عن ابن كثير وابي عبيدة
وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك

يجوز ان يكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية في العقاب كما يقال
ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش ويريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا المسافة عن ابي
القسم البلخي ولن تجد لهم نصيرا اي لا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم
في اسفل طبقة من النار ثم استثنى سبحانه فقال الا الذين تابوا من نفاقهم واصلحوا نياتهم وقيل ثبتوا على التوبة في المستقبل
واعتصموا بالله اي تمسكوا بكتاب الله وصدقوا رسله وقيل وثقوا به واخلصوا دينهم لله اي تبرؤوا من الآلهة
والانداد وقيل طلبوا باعمالهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن فاولئك مع المؤمنين فانهم اذا فعلوا ذلك
يكونون مع المؤمنين في الجنة ومحل الكرامة وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما سوف كلمة ترجية ووعد واطماع
وهي من الله سبحانه ايجاب لانه سبحانه اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ولم يشترط على غير المنافقين في التوبة
من الاصلاح والاعتصام ما شرط عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة
القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك المؤمنون او من المؤمنين غيظا عليهم ثم اتى بلفظ سوف
في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا عني به جميع المؤمنين من تقدم منه الكفر ومن لم يتقدم ويحتمل
ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما آية **المعنى** خاطب الله سبحانه
بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنوا واصلحوا اعمالهم فقال ما يفعل الله بعذابكم اي ما يصنع بعذابكم والمعنى
لا حاجة له الى عذابكم اذ هما مستغيل عليه ان شكرتم اي اديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه وآمنتم به وبرسوله
واقررتم بما جاء به من عنده وكان الله شاكرا عليما يعني لم يزل الله سبحانه مجازيا لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم
المجزي عليه عليما بما تستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شيء منها عن قتادة وغيره وقيل
معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر وما بطن من افعالكم واقوالكم ويجازيكم عليها وقال الحسن معناه
انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنهم وعنها ويعلم باعمالهم قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من
القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ٥ ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا
عن سوء فان الله كان عفوا قديرا آيتان **القراءة** القراء على
ضم الظاء من ظلم وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب وغيرهم الا من ظلم بفتح
الظاء واللام **الحجة** قال ابن جني ظلم وظلم جميعا على الاستثناء المنقطع اي لكن من ظلم فان الله لا يخفى عليه
امره ودل عليه قوله وكان الله سميعا عليما وموضع من نصب في الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم
يجهر بظلامته تشكيا ولكن الظالم يجهر بذلك ظلما وقال يجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يحب الله ان يجهر بالسوء
من القول الا من ظلم فيكون من بدلا من معنى احد المعنى لا يحب الله ان يجهر بالسوء من القول الا المظلوم قال وفيها وجه
آخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول **المعنى**
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول قيل في معناه اقوال احدها لا يحب الله الشتم في الانتصار الا من ظلم فلا بأس له ان
ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ونظيره وانتصروا

من بعد ما ظلم قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل له يا زاني ان يقابله بمثل ذلك من انواع الشتم وثانيها ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان فيدعو على من ظلمه فلا يكره ذلك عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة يكره رفع الصوت بالسوء الا المظلوم يدعو على من ظلمه وثالثها ان المراد لا يحب ان يذم احد احدا او يشكوه او يذكره بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكو الظلم ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنع ليحذره الناس عن مجاهد وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ان الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه ان يذكره بسوء ما فعله وكان الله سميعا عليما يعني سميعا لما يجهرون به من سوء القول عليما بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلا بعمله وفي هذه الآية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واظهر فسقه جاز اظهار ما فيه وقد جاء في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب في مكارم الاخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق واخبار بتنزيه ذاته عن ارادة القبائح فان المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ان تبدوا اي تظهروا خيرا اي حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا له على انعامه عليكم او تخفوه اي تتركوا اظهاره وقيل معناه ان تفعلوا خيرا او تعزموا عليه وقيل يريد بالخير المال اي تظهروا صدقة او تخفوها او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم مع القدرة على الانتقام منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي اذن لكم في ان تجهروا به فان الله كان عفوا اي صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم قديرا اي قادرا على الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه خلقه على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام والمكافاة فانه سبحانه مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الآية التي قبلها اباحة الانتصاف من الظالم بشرط ان يقف فيه على حد الحق وموجب الشرع **النظم** الوجه في اتصال الآية الاولى بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه انه ليس كل ما يقع في النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن علي بن عيسى قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما ثلث آيات **القراءة** قرا حفص يؤتيهم بالياء والباقون بالنون **الحجة** حجة حفص قوله سوف يؤتي الله المؤمنين وحجة من قرا نؤتيهم قوله وآتيناه فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي يكذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى خلقه واوحى اليهم وذلك معنى ارادتهم التفريق بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي يقولون نصدق بهذا ونكذب بذاك كما فعلت اليهود صدقوا بموسى عليه السلام ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وكما فعلت النصارى صدقوا بعيسى عليه السلام ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وآله ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي طريقا الى الضلالة التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه اولئك

هم الكافرون

هم الكافرون حقا اي هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم مقرون به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا بجميع رسل الله وانما قال سبحانه هم الكافرون حقا على وجه التاكيد لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن بالبعض يخرجهم من حيز الكفار ويلحقهم بالمؤمنين واعتدنا اي اعددنا وهيأنا للكافرين عذابا مهينا يهينهم ويذلهم والذين آمنوا بالله ورسله اي صدقوا الله ووحدوه واقروا بنبوة رسله ولم يفرقوا بين احد منهم بل آمنوا بجميعهم اولئك سوف نؤتيهم اي سنعطيهم اجورهم سمى الله سبحانه الثواب اجرا دلالة على انه مستحق ان يعطيهم ثوابهم الذي استحقوه على ايمانهم بالله ورسله وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل كان غفورا لمن هذه صفته ما سلف لهم من المعاصي والآثام رحيما يتفضل عليهم بانواع الانعام هاديا لهم الى دار الاسلام قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا آيتان **القراءة** قرا اهل المدينة لا تعدّوا بتسكين العين وتشديد الدال وروى ورش عن نافع لا تعَدّوا بفتح العين وتشديد الدال وقرا الباقون لا تعدوا خفيفة **الحجة** من قرا لا تعدّوا فاصله لا تعتدوا فادغم التاء في الدال لتقاربهما ولان الدال يزيد على التاء في الجهر قال ابو علي وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني منهما مدغما ولا يكون الاول حرف مد ولين نحو دابة واصيم وتمود الثوب ويقولون ان المد يصير عوضا عن الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجيب فادغموا المد الذي فيهما اقل من المد الذي يكون فيهما اذا كان حركة ما قبلها منهما فاذا جاز ذلك مع نقصان المد الذي فيه لم يمتنع ان يجمع بين ساكنين في نحو تعدّوا ويقوي ذلك جوازهم نحو اصيم ومديق ومن قرا لا تعَدّوا فان الاصل فيه لا تعتدوا فسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل حركتها الى العين الساكنة قبلها فصار لا تعَدّوا ومن قرا لا تعدوا فهو لا تفعلوا مثل قوله سبحانه اذ يعدون في السبت وحجة الاولين قوله اعتدوا منكم في السبت **اللغة** قال ابو زيد يقول عدا علي اللص اشد العدو والعدوان والعدو اذا سرقك وعدا الرجل يعدو عدوا في الحضر وقد عدت عينه عن ذلك اشد العدو وتعدوا وعدا يعدو اذا جاوز يقال ما عدوت ان زرتك اي ما جاوزت ذلك **الاعراب** قوله جهرة يجوز ان يكون صفة لقولهم اي قالوا جهرة اي مجاهرة ارنا الله ويجوز ان يكون على ارنا الله رؤية ظاهرة **النزول** روي ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى عليه السلام بالتوراة جملة فنزلت الآية عن السدي **المعنى** لما انكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل في الايمان عقبه بالانكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الآيات والمعجزات فقال يسألك يا محمد اهل الكتاب يعني اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء

وظلمك ع ر

اختلف في معناه على اقوال احدها انهم سالوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما كانت التورية مكتوبة من عند الله
في الالواح عن محمد بن كعب والسدي وثانيها انهم سالوه ان ينزل على رجال منهم باعيانهم كتابا يامرهم فيها
بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري وثالثها انهم سالوه وان ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن
قتادة وقال الحسن انما سالوه ذلك للتعنت والتحكم في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سالوه ذلك استرشادا لا عنادا
لاعطاهم الله ذلك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اي لا يعظمن عليك يا محمد مسالتهم اياك انزال الكتاب عليهم من
السماء فانهم سالوا موسى يعني اليهود اعظم من ذلك ما اتاهم بالايات الظاهرة والمعجزات الباهرة التي تكفي الواحدة
منها في معرفة صدقه وصحة نبوته فلم ينفعهم ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اي معاينة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم
انفسهم بهذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير اكثر ما في الاية في سورة البقرة عند قوله لن نؤمن لك حتى نرى
جهرة الاية وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الاية ثم اتخذوا العجل اي عبدوه واتخذوه الها
من بعد ما جاءتهم البينات اي الحجج الباهرة وقد دل الله سبحانه بهذا على جهل القوم وعنادهم فعفونا عن ذلك مع
عظم جرمهم وجناياتهم وقد اخبر سبحانه بهذا عن سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته وانه لا جريمة تضيق عنها
رحمته ولا جناية تقصر عنها مغفرته واتينا موسى اي اعطيناه سلطانا مبينا اي حجة بينة ظاهرة تبين عن
صدقه وصحة نبوته ورفعنا فوقهم الطور اي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التورية وقبول ما جاءهم موسى
بميثاقهم اي بما اعطوهم الله سبحانه من العهد ليعملن بما في التورية وقيل معناه رفعنا الجبل فوقهم بنقض ميثاقهم
الذي اخذ عليهم بان يعملوا بما في التورية وانما نقضوه بعبادة العجل وغيرها عن ابي علي الجبائي وقال ابو مسلم
انما رفع الله الجبل فوقهم ظلالا لهم من الشمس بميثاقهم اي بعهدهم جزاء لهم وهذا القول يخالف اقوال المفسرين
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا يعني باب حطة وقد مر بيانه هناك وقلنا لهم لا تعدوا في السبت اي لا
تجاوزوا في يوم السبت ما ابيح لكم الى ما حرم الله تعالى عليكم عن قتادة قال امرهم الله ان لا ياكلوا الحيتان
يوم السبت واجاز لهم ما عداه واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا وكيدا بان ياتمروا باوامره
وينتهوا عن مناهيه وزواجره قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا
بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما اربع آيات

اللغة

البهتان
الكذب الذي يتحير من شدته وعظمه وقد مر معنى المسيح في سورة آل عمران يقال قتلت الشيء خبرا وعلما اي علمته
علما تاما وذلك لان القتل هو التذليل ويكون كالدرس اثر من التدريس اثر من التذليل ومنه الرسم
الدارس لانه مذلل فكذلك درست العلم بمعنى ذللته ويقال في المثل قتل ارضا عالمها وقتلت ارض جاهلها
قال الاصمعي معناه ضبط الامر من يعلمه واقول ان المعنى ان العالم يغلب اهل ارضه والجاهل مغلوب مقهور كما
ان الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتيه فيه

الاعراب

ما في قوله

ما في قوله فبما نقضهم لغو اي فبنقضهم ومعناه التوكيد اي فبنقضهم ميثاقهم حقا والجالب للباء في نقضهم والعامل
فيه قيل انه محذوف اي لعناهم وقيل العامل فيه قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله فبظلم من
الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم عن الزجاج وعلى هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم الى الاية
اعتراض وكذلك قوله وما قتلوه وما صلبوه الى قوله شهيدا وقوله عيسى بن مريم عطف بيان وركب مع ابن
فجعلا كاسم واحد لوقوع الابن بين علمين مع كونه صفة والصفة ربما ركبت مع الموصوف فجعلا كاسم واحد
نحو لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة للمسيح او بدل منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء و
هو استثناء منقطع وليس من الاول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن

المعنى

ثم ذكر سبحانه افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم بها فقال فبما نقضهم اي فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم
ميثاقهم اي عهودهم التي عاهدوا الله عليها ان يعملوا بما في التورية وكفرهم بايات الله اي جحودهم
باعلام الله وحججه وادلته التي احتج بها عليهم في صدق انبيائه ورسله وقتلهم الانبياء بعد قيام الحجة عليهم
بصدقهم بغير حق اي بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتوها او خطيئة استوجبوا بها القتل وقد
قدمنا القول في امثال هذا وانه انما يذكر على سبيل التوكيد فان قتل الانبياء لا يمكن ان يكون الا بغير حق
وهو مثل قوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به والمعنى ان ذلك لا يكون البتة عليه برهان و
قولهم قلوبنا غلف مضى تفسيره في سورة البقرة بل طبع الله عليها بكفرهم قد شرحنا معنى الطبع والختم عند
قوله ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون الا قليلا اي لا يصدقون الا تصديقا قليلا وانما وصفه بالقلة لانهم
لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق به ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الايمان
فيكون المعنى الا جمعا قليلا فكانه سبحانه علم انه يؤمن من جملتهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة
من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين قتادة وغيره وذكر بعضهم ان الباء في
قوله فبما نقضهم متصل بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذا وكذا
يتبع الكلام بعضه بعضا وقال الطبري ان معناه منفصل عما قبله يعني فبهذه الاشياء لعناهم وغضبنا عليهم
فترك ذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك لان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط
عليه قال وانما قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبياء والذين
رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم
الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا عيسى فبان بذلك ان
الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة وهذا الكلام انما يتجه على قول من قال انه متصل
بما قبله ولا يتجه على قول الزجاج وهو الاقوى لانه اذا امكن اجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف
فالاولى ان يجري عليه وقوله وبكفرهم اي بجحود هؤلاء لعيسى عليه السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما اي
اعظم كذبا وافتراء وهو رميهم اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدي قال الكلبي مر عيسى عليه السلام
برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بامه فسمع ذلك عيسى

عليه السلام فقال اللهم انت ربي خلقتني فلم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله يعني وقول اليهود انا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه سبحانه عنهم اي رسول الله في زعمهم وقيل انه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي هو رسولي وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس انه قال لما مسخ الله الذين سبوا عيسى عليه السلام وامه بدعائه بلغ ذلك يهودا راس اليهود فخاف ان يدعوا عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرئيل عليه السلام يمنعه منهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وايدناه بروح القدس فاجتمع اليهود حول عيسى عليه السلام فجعلوا يسالونه فيقول لهم يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فثاروا اليه ليقتلوه فادخله جبرئيل خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرئيل الى السماء فبعث يهودا راس اليهود رجلا من اصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فابطا عليهم فظنوا انه يقاتله في الخوخة فالقى الله تعالى عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القي عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم ان الوجه وجه عيسى والجسد جسد طيطانوس فقال بعضهم ان كان هذا طيطانوس فاين عيسى وان كان هذا عيسى فاين طيطانوس فاشتبه الامر عليهم وقال وهب بن منبه اتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى عليه السلام لاصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه سرجس انا فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك وبه قال قتادة والسدي ومجاهد وابن اسحق وان اختلفوا في عدد الحواريين ولم يذكر احد غير وهب ان شبهه القي على جميعهم بل قالوا القي شبهه على واحد ورفع عيسى من قال الطبري وقول وهب اقوى لانه لو القي على واحد منهم الشبه مع قول عيسى ايكم يلقى عليه شبهي فله الجنة ثم راوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا ولما جاز ان يشتبه على اعدائهم من اليهود الذين ما عرفوه لكن القي شبهه على جميعهم فكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل احدهم اشتبه الحال عليهم وقال ابو علي الجبائي ان رؤساء اليهود اخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا احدا من الدنو منه فتغيرت خلقته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سببا لايمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين قتلوا وصلبوا وانما هم باقي اليهود وقيل ان الذي دلهم عليه وقال هذا عيسى احد الحواريين اخذ على ذلك ثلثين درهما وكان منافقا ثم انه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه يوذس ذكريا بوطا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى يقول ان يوذس ذكريا بوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذي دللتكم عليه وقيل انهم حبسوا المسيح مع عشرة من اصحابه في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فالقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتل الرجل عن السدي وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل انه يعني بذلك عامتهم لان علماءهم

علموا انهم غير مقتول

علموا انه غير مقتول عن الجبائي وقيل اراد بذلك جماعتهم اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم نقتله ما لهم به من علم الا اتباع الظن اي لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكن اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم انه عيسى عليه السلام ولم يكن به وانما شكوا في ذلك لانهم عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم وتفقدوا واحدا منهم التبس عليهم امر عيسى عليه السلام وقتلوا من قتلوه على شك منهم في امر عيسى عليه السلام هذا على قول من قال لم يتفرق من دخل عليهم اليهود واما من قال تفرق عليه اصحابه عنه فانه يقول كان اختلافهم في ان عيسى هل كان في من بقي او كان فيمن خرج اشتبه الامر عليهم وقال الحسن معناه اختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه اله لا يقتل ومنهم من قال قتل وما قتلوه يقينا اختلف في الهاء في قتلوه فقيل انه يعود الى الظن اي ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال ما قتلته علما عن ابن عباس وجويبر ومعناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينا انه عيسى ولا انه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل ان الهاء عائد الى عيسى يعني ما قتلوه يقينا اي حقا فهو من باب تاكيد الخبر عن الحسن اراد ان الله تعالى نفى عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين بل رفعه الله اليه يعني بل رفع الله عيسى اليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره في سورة آل عمران عند قوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الآية معناه لم يزل سبحانه منتقما من اعدائه حكيما في افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السائلون محمدا ان ينزل عليكم من السماء حلول عقوبته بكم كما حل باوائلكم في تكذيبهم برسله عن ابن عباس ومما في تفسير هذه الآية من ان الله سبحانه القى شبه عيسى عليه السلام على غيره فان ذلك من مقدور الله سبحانه بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعله سبحانه على وجه التغليظ للمحنة والتشديد في التكليف وان كان ذلك خارقا للعادة فانه يكون معجزا للمسيح عليه السلام كما روي ان جبرئيل عليه السلام كان ياتي نبينا صلى الله عليه وآله على صورة دحية الكلبي ومما يسال على هذه الآية ان يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجمعت على ان المسيح قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان يخبروا عن الشيء بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشيء من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما اخبر سبحانه عنهم بذلك فلم يكن اليهود يعرفون عيسى بعينه وانما اخبروا انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم في خبرهم صادقون وان لم يكن المقتول عيسى وانما اشتبه الامر على النصارى لان شبه المسيح القي على غيره فرآه من هو على صورته مقتولا مصلوبا فلم يخبر احد من الفريقين الا عما رآه فظن ان الامر على ما اخبر به فلا يودي ذلك الى بطلان الاخبار بحال قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا آية

الاعراب

ان في قوله وان من اهل الكتاب نافية واكثر ما تاتي مع الا وقد تاتي مع غير الا نحو قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي في الذي ما مكناكم فيه قال الزجاج المعنى وما منهم احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم احد الا واردها وكذلك وما منا الا له مقام معلوم وما منا احد الا له مقام ومثله قول الشاعر لو قلت ما في قومها لم تاثم يفضلها في حسب وميسم اي ما في قومها احد يفضلها

وذهب الكوفيون الى ان المعنى وما من اهل الكتاب الا من ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام واهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة **المعنى** ثم اخبر سبحانه انه لا يبقى احد منهم الا ويؤمن به فقال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه على اقوال احدها ان كلا الضميرين يعود الى المسيح عليه السلام اى ليس يبقى احد من اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا ويؤمن بالمسيح قبل موت المسيح اذا انزله الله الى الارض وقت خروج المهدى عليه السلام فى اخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهى ملة الاسلام الحنيفية دين ابرهيم عن ابن عباس و ابى مالك والحسن وقتاده وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبرى قال والاية خاصة بمن يكون منهم فى ذلك الزمان وذكر على بن ابرهيم فى تفسيره ان اباه حدثه عن سليمان بن داود المنقرى عن ابى حمزة الثمالى عن شهر بن حوشب قال قال لى الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد اعيتنى قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به الاية والله انى لامر باليهودى والنصرانى فيضرب عنقه ثم ارمقه بعينى فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت اصلح الله الامير ليس على ما اولت قال كيف هو قلت ان عيسى ينزل قبل يوم القيمة الى الدنيا ولا يبقى اهل ملة يهودى او نصرانى او غيره الا امن به قبل موت عيسى عليه السلام ويصلى خلف المهدى عليه السلام قال ويحك انى لك هذا ومن اين جئت به قال قلت حدثنى به محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلام فقال جئت والله بها من عين صافية فقيل لشهر ما اردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكر ابو القسم البلخى مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين يبقون الى زمن عيسى عليه السلام من اهل الكتاب قليل والاية تقتضى عموم ايمان اهل الكتاب الا ان يحمل على ان جميعهم يقولون ان عيسى الذى ينزل فى اخر الزمان نحن نؤمن به وثانيها ان الضمير فى به يعود الى المسيح عليه السلام والضمير فى موته يعود الى الكتابى ومعناه لا يكون احد من اهل الكتاب يخرج من دار الدنيا الا ويؤمن بعيسى قبل موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان ح وانما ذكر اليهود والنصارى لان جميعهم مبطلون اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو فى امره ذهب اليه ابن عباس فى رواية اخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين وجويبر قالوا ولو ضربت رقبته لم تخرج نفسه حتى يؤمن وثالثها ان يكون المعنى وليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابى عن عكرمه ورواه ايضا اصحابنا وضعف الطبرى هذا الوجه بان قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز اجراء احكام الكفار عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لان ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله انما يكون فى حال زوال التكليف فلا يعتد به وانما يضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنبينا صلعم هنا ولا ضرورة توجب رد الكناية اليه وقد جرى ذكر عيسى عليه السلام فالاولى ان يصرف ذلك اليه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يعنى عيسى عليه السلام يشهد عليهم بانه قد بلغ رسالات ربه واقر على نفسه بالعبودية وانه لم يدعهم الى ان يتخذوه الها عن قتاده وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابى على الجبائى وفى هذه الاية دلالة على ان كل كافر يؤمن عند المعاينة وعلى ان ايمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل ايمان فرعون فى حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الامامية ان المحتضرين من جميع الاديان يرون رسول

الله صلى الله

٦٨

الله صلى الله عليه وآله وخلفاءه عند الوفاة ويروون فى ذلك عن على عليه السلام انه قال للحرث الهمدانى يا حار همدان من يمت يرنى من مؤمن او منافق قبلا يعرفنى طرفه واعرفه بعينه واسمه وما فعلا فان صحت هذه الرواية فالمراد برؤيتهم فى تلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة احوال يدركونها كما قد روى ان الانسان اذا عاين الموت ارى فى تلك الحالة ما يدل على انه من اهل الجنة او من اهل النار قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما اثنان **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فبظلم من الذين هادوا اى من اليهود ومعناه فبما ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى التى تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج انه قال فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل فى الباء قوله حرمنا عليهم طيبات ولكنه لما طال الكلام اجمل فى قوله فبظلم ما ذكره قبل واخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا الله عليه وكفروا باياته وقتلوا انبياءه وقالوا على مريم بهتانا عظيما وفعلوا ما وصفه الله طيبات من الماكل وغيرها احلت لهم اى كانت حلالا لهم قبل ذلك فلما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال ابو على الجبائى حرم الله سبحانه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم الاية وبصدهم عن سبيل الله اى وبمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التى شرعها لعباده صدا كثيرا وكان صدهم عن سبيل الله تقولهم على الباطل وادعاءهم ان ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد صلعم وتركهم بيان ما علموه من امره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره واخذهم الربوا اى ما فضل على رؤس اموالهم بتاخيرهم له عن محله الى اجل آخر وقد نهوا عنه اى عن الربوا واكلهم اموال الناس بالباطل اى بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا ياخذونه من الرشى فى الاحكام كقوله واكلهم السحت وما كانوا ياخذونه من اثمان الكتب التى كانوا يكتبونها بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما اشبه ذلك من الماكل الخبيثة عاقبهم الله سبحانه على جميع ذلك بتحريم ما حرم الله عليهم من الطيبات واعتدنا للكافرين منهم اى هيأنا يوم القيمة لمن جحد الله او الرسل من هؤلاء اليهود عذابا اليما اى مولما موجعا واختلف فى ان التحريم هل يكون على وجه العقوبة فقال جماعة من المفسرين ان ذلك كان عقوبة واذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز ايضا عند ارتكاب المعصية جهة العقوبة وقال ابو على الجبائى كان تحريمه عقوبة فيمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة فى غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون الا المصلحة ولما صار التحريم مصلحة عند اقدامهم على هذا الظلم جاز ان يقال حرم عليهم لظلمهم قال لان التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر عليه وانه هو معد وحق الشيء بخلاف العقوبات قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله

والیوم الآخر اولئك سنؤتیهم اجرا عظیما

القراءة

قرأ حمزة وحده سیؤتیهم بالیاء والباقون بالنون

الحجة

ذکرنا الوجه فیما قبل عند قوله اولئك سوف سنؤتیهم اجورهم

الاعراب

اختلف فی نصب المقیمین فذهب سیبویه والبصریون الی انه نصب علی المدح علی تقدیر اعنی المقیمین قالوا اذا قلت مررت بزید الکریم وانت ترید ان تعرف زیدا الکریم من زید غیر الکریم فالوجه الجر واذا اردت المدح والثناء فان شئت نصبت وان قلت مررت بزید الکریم کانك قلت اذکر الکریم وان شئت رفعت فقلت الکریم علی هو الکریم وقال الکسائی موضع المقیمین جر وهو معطوف علی ما من قوله بما انزل الیك ای وبالمقیمین الصلوة وقال قوم انه معطوف علی الهاء والمیم فی قوله منهم علی معنی لکن الراسخون فی العلم منهم ومن المقیمین الصلوة وقال آخرون انه معطوف علی الکاف فی قبلك ای بما انزل من قبلك ومن قبل المقیمین الصلوة وقیل انه معطوف علی الکاف فی الیك او الکاف من قبلك وهذه الاقوال الاخیرة لا تجوز عند البصریین لانه لا یعطف بالظاهر علی المضمر المجرور من غیر اعادة الجار وقد شرحنا هذا فی مبتدأ السورة عند قوله والارحام واما ما روی عن عروة عن عائشة قال سألتها عن قوله والمقیمین الصلوة وعن قوله والصابئون وعن قوله ان هذان فقالت یا ابن اختی هذا عمل الکتاب اخطؤا فی الکتاب وما روی عن بعضهم ان فی کتاب الله اشیاء ستصلحها العرب بألسنتها قالوا وفی مصحف ابن مسعود والمقیمون الصلوة فمما لا یلتفت الیه لانه لو کان کذلك لم یکن لتعلمه الصحابة الناس علی الغلط وهم القدوة والذین اخذوه عن النبی صلعم

المعنی

ثم ذکر سبحانه مؤمنی اهل التوریة فقال لکن الراسخون فی العلم وذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبی صلعم ان الیهود لتعلم ان الذی جئت به حق وانك لعندهم مکتوب فی التوریة فقالت الیهود لیس کما تقولون انهم لا یعلمون شیئا وانهم یغرونك ویحدثونك بالباطل فقال الله عز اسمه لکن الراسخون الثابتون المبالغون فی العلم المدارسون بالتوریة منهم ای من الیهود یعنی ابن سلام واصحابه من علماء الیهود والمؤمنون یعنی اصحاب النبی صلعم من غیر اهل الکتاب یؤمنون بما انزل الیك یا محمد من القرآن والشرایع انه حق وما انزل من قبلك من الکتب علی الانبیاء والرسل وقیل انما استثنی الله من وصفهم ممن هداه الله لدینه ووفقه لرشده من الیهود الذین ذکرهم فیما مضی من قوله یسألك اهل الکتاب الی ههنا فقال لکنهم لا یسألونك ما یسأل هؤلاء الجهال من انزال الکتاب من السماء لانهم قد علموا صدق قولك بما قرأوا فی الکتب والمنزلة علی الانبیاء ووجوب اتباعك علیهم فلا حاجة بهم الی ان یسألوك معجزة اخری ولا دلالة غیر ما علموا من امرك بالعلم الراسخ فی قلوبهم عن قتادة وغیره والمقیمین الصلوة اذا کان نصبا علی الثناء والمدح علی تقدیر واذکر المقیمین الصلوة وهم المؤتون الزکوة ویکون علی هذا عطفا علی قوله الراسخون فی العلم والمؤمنون ومعناه والذین یؤدون الصلوة بشرایطها فاذا کان جرا عطفا علی ما انزل ای یؤمنون بما انزل الیك وما انزل من قبلك وبالمقیمین الصلوة فقیل ان المراد بهم الانبیاء ای ویؤمنون بالانبیاء المقیمین للصلوة وقیل المراد بهم الملائکة واقامتهم الصلوة تسبیحهم ربهم واستغفارهم لمن فی الارض ای بالملائکة واقامة

الطبری قال

الطبری قال لانه فی قراءة ابی کذلك وکذلك هو فی مصحفه وقیل المراد بهم الائمة المعصومین والمؤتون الزکوة ای والمعطون زکوة اموالهم والمؤمنون بالله بانه واحد لا شریك له والیوم الآخر وبالبعث الذی فیه جزاء الاعمال اولئك ای هؤلاء الذین وصفهم الله سیؤتیهم اجرا ای سیعطیهم ثوابا وجزاء علی ما کان منهم من طاعة الله واتباع امره عظیما ای جزیلا وهو الخلود فی الجنة قوله تعالی انا اوحینا الیك کما اوحینا الی نوح والنبیین من بعده واوحینا الی ابرهیم واسمعیل واسحق ویعقوب والاسباط وعیسی وایوب ویونس وهرون وسلیمان وآتینا داود زبورا آیة

القراءة

قرأ حمزة وخلف زبورا بضم الزاء حیث وقعت والباقون زبورا بفتحها

الحجة

زبورا یجوز ان یکون جمع زبر اوقع علی المزبور کقولهم ضرب الامیر ونسج الیمن

اللغة

الزبر احکام العمل فی البئر خاصة یقال بئر مزبورة ای مطویة بالحجارة ویقال ما له زبر ای عقل وزبرة من الحدید قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الکتاب ازبره زبرا وزبرته ازبره زبرا کتبته

المعنی

ثم خاطب الله سبحانه نبیه صلعم بقوله انا اوحینا الیك یا محمد فقدمه فی الذکر وان تأخرت نبوته لتقدمه فی الفضل کما اوحینا الی نوح وقدم نوحا لانه ابو البشر کما قال وجعلنا ذریته هم الباقین وقیل لانه کان اطول الانبیاء عمرا وکانت معجزته فی نفسه لبث فی قومه الف سنة الا خمسین عاما لم یسقط له سن ولم ینقص قوته ولم یشب شعره وقیل لانه لم یبالغ احد منهم فی الدعوة مثل ما بالغ فیها ولم یقاس احد من قومه ما قاساه وهو اول من عذبت امته بسبب ان ردت دعوته والنبیین من بعده ای واوحینا الی النبیین من بعد نوح واوحینا الی ابرهیم واسمعیل واسحق ویعقوب اعاد ذکر هؤلاء بعد ذکر النبیین تعظیما لامرهم وتفخیما لشأنهم والاسباط وهم اولاد یعقوب وقیل ان الاسباط فی ولد اسحق کالقبائل فی اولاد اسمعیل وقد بعث منهم عدة رسل کیوسف وداود وسلیمان وموسی وعیسی علیهم السلم فیجوز ان یکون اراد بالوحی الیهم الوحی الی الانبیاء منهم کما یقول ارسلت الی بنی تمیم اذا ارسلت الی وجوههم ولم یصح ان الاسباط الذین هم اخوة یوسف انبیاء وعیسی وایوب ویونس وهرون وسلیمان وقدم عیسی علی انبیاء کانوا قبله لشدة العنایة بامره لغلو الیهود فی الطعن فیه والواو لا توجب الترتیب وآتینا داود زبورا ای کتابا یسمی زبورا واشتهر به کما اشتهر کتاب موسی بالتوریة وکتاب عیسی بالانجیل

النظم

هذه الآیة تتصل بما قبلها من قوله یسألك اهل الکتاب ای تنزل علیهم کتابا من السماء وهذا یدل علی انهم قد سألوه ما یدل علی نبوته فاخبر سبحانه انه ارسله کما ارسل من تقدمه من الانبیاء واظهر علی یده المعجزات کما اظهر علی ایدیهم وقیل ان الیهود لما تلی النبی صلعم علیهم تلك الآیات قالوا ما انزل الله علی بشر من شیء بعد موسی فکذبهم الله بهذه الآیات اذ اخبر انه قد انزل علی بعد موسی من الذین سماهم ومن لم یسمهم عن ابن عباس قوله تعالی ورسلا قد قصصناهم علیك من قبل ورسلا لم نقصصهم علیك وکلم الله موسی تکلیما

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله
عزيزا حكيما آيتان **الاعراب** ورسلا منصوب على وجهين
احدهما ان يكون بفعل مضمر يفسره الذي ظهر اي وقصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رايت زيدا
وعمرا اكرمته اي واكرمت عمرا اكرمته ويجوز ان ينصب رسلا على معنى اوحينا لان معنى انا اوحينا اليك
انا ارسلناك موحين اليك فارسلناك رسلا قد قصصنا عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء انه على
تقدير انا اوحينا اليك والى رسل قد قصصناهم عليك ورسل لم نقصصهم فلما حذف الى نصب الفعل
رسلا مبشرين منصوب على الحال ويجوز ان يكون منصوبا على المدح على تقدير اعني رسلا مبشرين اه
المعنى ثم اجمل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال ورسلا اي وارسلنا رسلا اخرين قد قصصناهم
عليك اي ما حكينا لك اخبارهم وما عرفناك شانهم وامورهم من قبل قال بعضهم قصهم عليه بالوحي من غير
القرآن من قبل ثم قصهم عليه من بعد في القرآن وقال بعضهم قصهم عليه من قبل هولاء مكية في سورة الانعام وفي غيرها
لان هذه السورة مدنية ورسلا قد قصصناهم عليك هذا يدل على ان الله سبحانه رسلا كثيرة لم
يذكرهم في القرآن وانما قص بعضهم عن النبي صلعم لفضيلتهم على من لم يقصصهم عليه وكلم الله موسى تكليما فايدته
ان الله سبحانه كلم موسى بلا واسطة ابانة له بذلك من ساير الانبيا لانهم جميعهم كلمهم سبحانه بواسطة الوحي
وقيل انما قال تكليما ليعلم ان كلام الله عز ذكره من جنس هذا المعقول الذي يشتق من التكليم بخلاف
ما قاله المبطلون وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلعم لنا امر موسى فلما نزلت هذه الاية وقراها عليهم قالوا ان
محمدا قد ذكره وفضله بالكلام عليهم رسلا مبشرين بالجنة والثواب لمن امن واطاع ومنذرين بالنار
والعقاب لمن كفر وعصا لان لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لم ترسل الينا رسولا ولو
ارسلت لامنا بك كما اخبر سبحانه في آية اخرى بقوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ارسلت وفي
هذه الاية دلالة على فساد من زعم ان عبد الله سبحانه من اللطف ما لو فعله بالكافر لامن لانه ولو
كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله سبحانه قائمة فاما من طعن فيه من حال انه لم في انفاذ الرسل
اليه لطف فالحجة قائمة عليه بالعقل وادلته الدالة على توحيده وعدله ولو لم يقم الحجة الا بانفاذ الرسل
فهذا ذلك من وجهين احدهما ان صدق رسول الله صلعم لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد و
العدل فان كانت الحجة عليه بالعقل غير قائمة فلا طريق له الى معرفة النبي صلعم وصدقه والثاني انه لو كانت
الحجة لا تقوم الا بالرسل لاحتاج الرسول ايضا الى رسول الله صلعم آخر حتى يكون الحجة عليه قائمة والكلام
في رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل وذلك فاسد ممن استدل بهذه الاية على ان التكليف لا يصح حال
الاعتبار انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه وكان الله عزيزا اي مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه ويكفر
به حكيما فيما امر به عباده وفي جميع افعاله قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا آية **النزول**
قيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صلعم فقال النبي صلعم لهم اني اعلم انكم تعلمون اني رسول

الله صلى الله عليه وآله وقالوا ما نعلم ذلك ولا نشهد به فانزل الله تعالى هذه الاية **المعنى**
ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم لكن الله يشهد بما انزل اليك معناه لم يشهد لك هولاء بالنبوة فان الله
يشهد ذلك قال الزجاج الشاهد هو المبين لما يشهد به والله سبحانه لما بين ما انزل الى رسوله
بنصب المعجزة له وبين صدقه بما يغني عن شهادة اهل الكتاب بانزله بعلمه معناه انزل القرآن وهو عالم
بانك موضع لانزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس اليه وقيل معناه انزل القرآن الذي فيه
علمه عن الزجاج والملائكة يشهدون بانك رسول الله وان القرآن نزل من عند الله وكفى بالله شهيدا معناه
ان شهادة تكفي في تثبيت المشهود به ولا يحتاج معها الى شهادة وفي هذه الاية تسلية للنبي صلعم على تكذيب
من كذبه ولا يصح قول من استدل على ان الله سبحانه عالم بعلم بما في هذه الاية من قوله انزله بعلمه لانه لا اراد
بالعلم ما ذهبوا اليه من كونه ذاتا سواه لوجب ان يكون آلة له في الانزال كما يقال كتبت بالقلم وعمل النجار
بالقدوم ولا خلاف ان العلم ليس بآلة في الانزال قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ثلث آيات
المعنى ان الذين كفروا بانفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله عز الذي بعثك به الى خلقه
قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني جاروا عن قصد الطريق جورا شديدا وضلوا عن الحجة التي هي دين الله الذي
ارتضاه لعباده وبعثك به الى خلقه زوالا بعيدا من الرشاد ان الذين كفروا اي جحدوا رسالة محمد
صلى الله عليه وآله وظلموا انفسهم بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم اولياء الله حسدا لهم
وبغيا عليهم لم يكن الله ليغفر لهم اي لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها ولا ليهديهم طريقا
اي لا يهديهم الى طريق الجنة لان الهداية الى طريق الايمان قد سبقت وعم الله سبحانه بها جميع المكلفين
الا طريق جهنم معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم خالدين فيها اي
مقيمين فيها ابدا وكان ذلك اي تخليد هولاء الذين وسفهم في جهنم على الله يسيرا لانه اذا اراد
ذلك لم يقدر على الامتناع منه **النظم** واتصال هذه الايات بما قبلها اتصال
النقيض بالنقيض على جهة المقابلة لان ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة تسلية له عما يجده من تكذيب
الكفار وهذه الايات يتضمن تحذيرا للكفار بما يبعدها لهم عن الرشد قوله تعالى يا ايها الناس قد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله
ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما آية **الاعراب**
عمرو زيد الباء في قوله بالحق للتعدية كهمزة افعل يقول جئت الى عمرو وجاءني زيد وجاء بي الى عمرو وقوله خيرا
لكم قال الزجاج اختلفوا في نصب خيرا وقال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام كقولك لتقومن
خيرا لك وانته خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنته خير لك وقال الفراء
انتصب هذا وقوله انتهوا خيرا لكم لانه متصل بالامر ولم يقل هولاء الكسائي من اي المنصوبات هو ولا شرحاه

وقال الخليل وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لانك اذا قلت انته خيرا لك فانت تدفعه عن امر و
تدخله في غيره كانك قلت انته وائت خيرا لك وادخل فيما هو خير لك وانشد سيبويه قول عمر بن ابي ربيعة
فواعديه سرحتي مالك او الربا بينهما اسهلا كانه قال ائتي مكانا اسهل **المعنى** ثم عاد سبحانه
الى الوعظ وعم الخلق بذلك فقال يا ايها الناس خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب للكفار قد جاءكم الرسول
يعني محمدا صلى الله عليه وآله بالحق بالدين الذي ارتضاه الله لعباده وقيل بالقرآن وقيل بالشهادة ان لا اله الا الله وقيل بولاية من امر الله تعالى بولايته
عن ابي جعفر عليه السلام من ربكم اي من عند ربكم فآمنوا اي صدقوه وصدقوا ما جاءكم به من عند ربكم خيرا لكم اي ائتوا
خيرا لكم من الجحود والتكذيب وان تكفروا اي تكذبوا فيما جاءكم به من عند الله تعالى فان لله ما في السموات والارض
اي فانه لا يضره ذلك وانما يعود وباله عليكم دون الله عز اسمه فانه يملك ما في السموات والارض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به شيئا من ملكه وسلطانه وكان الله عليما اي بانكم صائرون اليه من طاعته او معصيته حكيما في امره ونهيه اياكم
وتدبيره فيكم وفي غيركم قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله
ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا آية **اللغة** اصل الغلو مجاوزة الحد
يقال غلا في الدين يغلو غلوا وغلت بالجارية لحمها وعظمها اذا اسرعت الشباب وتجاوزت لداتها تغلو
غلوا وغلاء قال الحارث بن حلزة اليشكري: خمصانة قلق موشحها رود الشباب غلا بها عظم
غلا بسهمه غلوا اذا رمى به اقصى الغاية وتغالى الرجلان تغاليا من ذلك واصل المسيح الممسوح سماه بذلك لتطهيره
اياه من الذنوب والادناس التي يكون في الادميين وقيل انه سرياني في اصله مسيحا فعرب كما عرب اسماء
الانبياء وقيل انه ليس مثل ذلك فان اسحق ويعقوب واسمعيل وغيرها اسماء لا صفات والمسيح صفة ولا
يجوز ان يخاطب الله خلقه في صفة شيء الا بما يفهم واما الدجال فانما سمي المسيح لانه ممسوح العين اليمنى والكبير
وعيسى عليه السلام ممسوح البدن من الادناس والآثام كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في ذلك
الاعراب ثلثة خبر مبتدا محذوف دل عليه ظاهر الكلام وتقديره
ولا تقولوا هم ثلثة وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم رافع لذلك الاسم وانما
جاز ذلك لان القول حكاية والحكاية يكون لكلام تام انتهوا خيرا لكم وقد ذكرنا وجه النصب فيه في خيرا
فيما قبل وان يكون في موضع نصب اي سبحانه من ان يكون فلما حذف حرف الجر وصل اليه الفعل فنصبه
وقيل في موضع جر وقد مر نظائره **المعنى** ثم عاد سبحانه الى حجاج اهل الكتاب فقال
يا اهل الكتاب قيل انه خطاب لليهود والنصارى عن الحسن قال لان النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله
وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال ثالث ثلثة الاب والابن وروح القدس واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد
لغير رشدة فالغلو لازم للفريقين وقيل للنصارى خاصة عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين
لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في دينكم ولا تجاوزوا الحق فيه ولا تقولوا على الله الا الحق اي قولوا انه جل جلاله واحد

لا شريك له

لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا في عيسى انه ابن الله او شبهه فانه قول بغير الحق انما المسيح وقد ذكرنا معناه
وقيل سمي بذلك لانه كان يمسح الارض سيرا عيسى بن مريم هذا بيان لقوله المسيح يعني انه ابن مريم لا ابن الله
كما تزعم النصارى ولا ابن اب كما تزعم اليهود رسول الله ارسله الى الخلق كما ارسلت الرسل قبله المبطلتان وكلمته
يعني انه حصل بكلمته التي هي قوله كن عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدي به الخلق كما اهتدوا بكلام الله
ووحيه عن ابي علي الجبائي وقيل معناه بشارة الله التي بشر بها مريم على لسان الملائكة كما قال واذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة وهو المراد بقوله القاها الى مريم كما يقال القيت اليك كلمة حسنة الى قلت
وقيل معنى القاها الى مريم خلقها في رحمها عن الجبائي وروح منه فيه اقوال احدها انه انما سماه روحا
لانه حدث عن نفخة جبرئيل في درع مريم بامر الله تعالى وانما نسبه اليه لانه كان بامره وقيل انما اضافه الى نفسه تفخيما
لشانه كما قال الصوم لي وانا اجزي به وقد يسمى النفخ روحا واستشهد على ذلك ببيت ذي الرمة يصف نارا
فقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا وظاهر لها من يابس الشخت واستعن
عليها الصبا واجعل يديك لها سترا ومعنى احيها بروحك اي بنفخك ويقال اقتت النار اذا اطعمتها حطبا
والثاني ان المراد به يحيا به الناس في دينهم كما يحيون بالارواح عن الجبائي فيكون المعنى انه جعله نبيا يقتدى
به ويستن بسنته ويهتدى بهداه والثالث ان معناه انسان احياه الله بتكوينه بلا واسطة من
جماع ونطفة كما جرت العادة بذلك عن ابي عبيدة والرابع ان معناه ورحمة منه كما قال في موضع
آخر وايدهم بروح منه اي برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على من آمن به واتبعه لانه هداهم الى سبيل الرشاد
والخامس ان معناه روح من الله خلقها فصورها ثم ارسلها الى مريم فدخلت في فيها فصيرها الله سبحانه
عيسى عن ابي العالية عن ابي بن كعب والسادس ان معنى الروح هنا جبرئيل فيكون عطفا على ما القاها من ضمير
ذكر الله تعالى تقديره القاها الله الى مريم وروح من الله اي جبرئيل القاها ايضا اليها فآمنوا بالله ورسله اي آمنوا
بالله سبحانه بتفرده وبالاقرار بوحدانيته وتصديق رسله فيما جاؤا به من عند الله وفيما اخبروهم به من
ان الله سبحانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا ثلثة هذا خطاب للنصارى اي لا تقولوا آلهتنا
ثلثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصح لان النصارى لم يقولوا بثلثة آلهة ولكنهم يقولون اله واحد ثلثة اقانيم اب
وابن وروح القدس ومعناه لا تقولوا الله ثلثة اب وابن وروح القدس وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلثة
اقانيم بقولنا سراج واحد ثم نقول انه ثلثة اشياء دهن وقطن ونار وشمس واحدة وانما هي جسم وضوء
وشعاع وهذا غلط بعيد لانا لا نعني بقولنا سراج واحد انه شيء واحد بل هو اشياء على الحقيقة وكذلك
الشمس كما نقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هي اشياء متغايرة فان قالوا ان الله
شيء واحد واله واحد حقيقة فقولهم ثلثة متناقض وان قالوا انه في الحقيقة اشياء مثل ما ذكرناه في الانسان
والسراج وغيرهما فقد تركوا القول بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة والا فلا واسطة بين الامرين انتهوا عن
هذه المقالة الشنيعة اي امتنعوا عنها خيرا لكم اي ائتوا بالانتهاء عن قولكم خيرا لكم مما تقولون انما الله اله واحد
اي ليس كما تقولون انه ثالث ثلثة لانه من كان له ولد وصاحبة لا يجوز ان يكون الها معبودا ولكن الله

الذي له الالهية ويحق له العبادة اله واحد لا ولد له ولا شبه له ولا صاحبة له ولا شريك ثم نزه سبحانه نفسه
عما يقوله المبطلون فقال سبحانه ان يكون له ولد ولفظ سبحانه تفيد التنزيه عما لا يليق به اي هو منزه عن
ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا وهو يملكهما ويملك التصرف فيهما وفيما بينهما ومن جملة
ذلك عيسى وامه فكيف يكون المملوك والمخلوق ابنا للمالك الخالق وكفى بالله وكيلا اي حسب ما في السموات وما
في الارض بالله قيما ومدبرا ورازقا وقيل معناه وكفى به حافظا لاعمال العباد حتى يجازيهم عليها وفيه تسلية
للرسول ووعيد للقائلين فيه سبحانه ما لا يليق به قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما
الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا ثلث آيات

اللغة

الاستنكاف الانفة من الشيء
واصله في اللغة من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك قال الشاعر
فبانوا فلولا ما تذكر منهم
من الحلف لم ينكف لعينيك مدمع
ودرهم مكنوف بهرج روي لانه يمتنع من اخذه لرداءته ونكفت من الامر بكسر الكاف
يعني استنكفت ايضا حكاها ابو عمرو فتأويل لن يستنكف لن يتقبض ولن يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق
والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز في صفة الله سبحانه المتكبر ولا يجوز المستكبر

النزول

روي ان وفد نجران قالوا لنبينا
صلى الله عليه وآله يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول فيه
قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الآية

المعنى

لما تقدم ذكر النصارى والحكاية
عنهم في امر المسيح عقبه بالرد عليهم فقال لن يستنكف اي لن يانف ولم يمتنع المسيح يعني عيسى عليه السلام
من ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اي ولا الملائكة المقربون يانفون ويستكبرون من الاقرار
بعبوديته لله سبحانه والاذعان له بذلك والمقربون الذين قربهم الله سبحانه ورفع منازلهم على غيرهم من
خلقه ومن يستنكف عبادته ويستكبر اي يتعظم بترك الاذعان لطاعته فسيحشرهم اليه اي فسيبعثهم يوم
القيامة جميعا يجمعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله اليه الى الموضع الذي لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال
صار امر فلان الى الامير اي يملكه غير الامير ولا يراد بذلك المكان الذي فيه الامير واستدل بهذه الآية
من قال بان الملائكة افضل من الانبياء وقالوا ان تاخر ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم
لان العادة لم تجر بان يقال لن يستنكف الامير ان يفعل كذا ولا الحارس بل يقدم الادون ويؤخر
الاعظم فيقال لن يستنكف الوزير ان يفعل كذا ولا السلطان فهذا يقتضي فضل الملائكة على الانبياء
واجاب اصحابنا عن ذلك بان قالوا انما اخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لان جميع الملائكة افضل واكثر ثوابا من
المسيح وهذا لا يقتضي ان يكون كل واحد منهم افضل من المسيح وانما الخلاف في ذلك وايضا فانا وان ذهبنا
الى ان الانبياء افضل من الملائكة فانا نقول مع قولنا بالتفاوت انه لا تفاوت في الفضل بين الانبياء والملائكة

ومع التقارب

ومع التقارب والتداني يحسن ان تقدم ذكر الافضل الا ترى انه يحسن ان يقال ما يستنكف الامير فلان من كذا
ولا الامير فلان اذا كانا متساويين في المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال ما يستنكف الامير
من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم وعد الله سبحانه
الذين يقرون بوحدانيته ويعملون بطاعته انه يوفيهم اجورهم ويؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافيا
تاما ويزيدهم من فضله اي يزيدهم على ما كان وعدهم به من الجزاء على اعمالهم الحسنة والثواب عليها من الفضل
والزيادة ما لم يعرفهم مبلغه لانه وعد على الحسنة عشر امثالها من الثواب الى سبعين ضعفا والى سبعمائة
والى الاضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله سبحانه عليهم ومن الذين استنكفوا اي انفوا عن الاقرار
بوحدانيته واستكبروا اي تعظموا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية فيعذبهم عذابا اليما اي مولما موجعا ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي ولا يجدون المستنكفون المستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم
من عذابه وناصرا ينقذهم من عقابه قوله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا
اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم
اليه صراطا مستقيما آيتان

اللغة

البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال
برهن قوله اي بينه بحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله اي امتنع من الشر به والعصمة من الله
دفع الشر عن عبده واعتصمت فلانا هيأت له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين احدهما بمعنى
الحفظ وهو ان يمنع عبده كيد الكائدين كما قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله والله يعصمك من الناس
والآخر ان يلطف لعبده بشيء يمتنع عنه من المعاصي

الاعراب

صراطا انتصب على انه مفعول ثان ليهديهم فانه على معنى يعرفهم صراطا ويجوز ان يكون حالا من الهاء في اليه بمعنى
ويهديهم الى الحق صراطا

المعنى

لما فصل سبحانه ذكر الاحكام التي يجب العمل بها ذكر البرهان
بعد ذلك ليكون الانسان على ثقة ويقين فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من سائر الملل الذين
قص قصصهم في هذه السورة قد جاءكم برهان من ربكم اي اتاكم حجة من الله تعالى يبرهن لكم عن صحة ما امركم
به وهو محمد صلى الله عليه وآله بما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو القرآن وانزلنا اليكم
معه نورا مبينا يبين لكم المحجة الواضحة ويهديكم الى ما فيه النجاة لكم من عذابه واليم عقابه وذلك النور
هو القرآن عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل النور الائمة على عليه السلام عن ابي عبد الله فاما الذين آمنوا بالله اي
صدقوا بوحدانية الله تعالى واقروا ببعث محمد صلى الله عليه وآله واعتصموا به اي تمسكوا بالنور الذي
انزله على نبيه عليه السلام فسيدخلهم في رحمة منه اي نعمة منه وهي الجنة عن ابن عباس وفضل يعني ما يبسط
لهم من الكرامة وتضعيف الحسنات وما يزاد لهم من النعم على ما يستحقونه ويهديهم اليه صراطا مستقيما اي يوفقهم
لاصابة فضله الذي يتفضل به على اوليائه ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته واقتفاء
آثارهم والاهتداء بهداهم والاستنان بسنتهم واتباع دينهم وهو الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله
منهجا للعبادة قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له

ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شئ عليم آية

اللغة

قد ذكرنا معنى الكلالة في اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استفعال من الفتيا يقال افتى في المسألة اذا بين حكمها فتوى وفتيا

الاعراب

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسئل عن اى الفعلين اعمل في الكلالة والجواب ان العمل للثانى وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم فيها في الكلالة واعمال الفعل الثانى هو الاجود وعليه جاء القرآن نحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله فاعمل يستغفر ولو اعمل تعالوا لقال تعالوا يستغفر لكم الى رسول الله ومنه قول طفيل

وكمتا مدماة كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

فاعمل استشعرت ولو اعمل جرى لقال واستشعرته لون مذهب ومثل ذلك قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

فاعمل وفى ولو اعمل قضى لقال قضى كل ذى دين فوفاه غريمه وهو كثير في القرآن والشعر وقوله ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بعده وتقديره ان هلك امرؤ ولا يجوز اظهاره لان الثانى يعبر عنه وقوله فان كانتا اثنتين انما ذكر اثنتين وان دلت الالف عليها لاحد امرين اما ان يكون تاكيد للضمير كما يقول فعلت انا واما ان يبين ان المعتبر في ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر او كبر او عقل او عدمه بل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول ابى على الفارسى وهو الصحيح وقوله رجالا ونساء بدل من قوله اخوة وهو جيد كاده وقوله يبين الله لكم ان تضلوا في ان ثلثة اقوال احدها ان المعنى ان لا تضلوا فحذف حرف النفى وتخفيضه لئلا تضلوا عن الكسائى وانشد القطامى

رأينا ما رأى البصراء فيها فالينا عليها ان تباعا

يريد ان لا تباع وثانيها ما قاله البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا في موضع نصب بانه مفعول له ومثله قول عمرو بن كلثوم

فعجلنا القرى ان تشتمونا

اى كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز ان يضمر لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز ان تدخل لا في الكلام مؤكدة وهى لغو كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون ومعنى لان يعلم وكقول الشاعر

وما الوم البيض ان لا تسخرا وقد رأين الشمط القفندرا

المعنى ان تسخروا وثالثها ما قاله الاخفش وهو ان مع الفعل بتأويل المصدر وموضع ان نصب بيبين وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه

النزول

اختلف في سبب نزول الآية فروى عن جابر بن عبد الله انه قال اشتكيت وعندى تسع اخوات لى او سبع فدخل على النبي صلى الله عليه وآله فنفخ في وجهى فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن فقلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركنى ورجع الى فقال يا جابر انى لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله تعالى قد انزل في الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا وكان جابر يقول انزلت هذه الآية فى وعن قتادة قال ان الصحابة كان همهم شأن الكلالة فانزل الله فيها هذه الآية وقال البراء بن عازب آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك الآية اورده البخارى ومسلم

فى صحيحهما

في صحيحهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وتسمى هذه الآية آية الصيف وذلك ان الله سبحانه انزل اثنتين احديهما في الشتاء وهى التى في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهى هذه الآية وروى عن عمر بن الخطاب انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلالة فقال يكفيك او يجزيك آية الصيف

المعنى

لما بين سبحانه في اول السورة بعض السهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقى من ذلك فقال يستفتونك يا محمد اى يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة قل الله يفتيكم اى يبين لكم الحكم في الكلالة وهو اسم للاخوة والاخوات عن الحسن وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وقيل ما سوى الوالد والولد عن ابى بكر وجماعة من المفسرين ان امرؤ هلك ليس له ولد قال السدى يعنى ليس له ولد ذكر وانثى وهو يوافق مذهب الامامية فمعناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما اضمرنا فيه الوالد للاجماع ولان لفظ الكلالة يبنى عنه فان الكلالة اسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق والوالد لصيق الولد كما ان الولد لصيق الوالد والاخوة والاخوات هم المحيطون بالميت وله اخت يعنى وللميت اخت لابيه وامه او لابيه لان اولاد الام قد سبق في اول السورة فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعنى يرث الاخ الاخت اذا كانت الميتة ولها اخ من اب وام او من اب فالمال له كله بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد ولا والد فان كانتا اثنتين يعنى ان كانت الاختان اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الاخ او الاخت من التركة وان كانوا اخوة رجالا ونساء اى اخوة واخوات مجتمعين لاب وام او لاب فللذكر مثل حظ الانثيين وفي قوله سبحانه ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة على ان الاخ او الاخت لا يرثان مع البنت لانه سبحانه شرط في ميراث الاخ والاخت عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف فيه بين اهل اللغة وما روى من الخبر في ان الاخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذى ذكرناه ذهب ابن عباس وهو المروى عن سادة اهل البيت عليهم السلام يبين الله لكم امور مواريثكم ان تضلوا معناه كراهة ان تضلوا اى لئلا تخطئوا في الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الاحكام لتهتدوا في دينكم عن ابى مسلم والله بكل شئ عليم فاللائق هنا بيان كونه سبحانه عالما بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما توجبه الحكمة وقد تضمنت الآية التى بان وما انزلها الله في اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد والآية التى بعدها بيان ميراث الازواج والزوجات والاخوة والاخوات من قبل الام وتضمنت هذه الآية التى ختم بها السورة بيان ميراث الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من قبل الاب عند عدم الاخوة والاخوات من الاب والام وتضمنت قوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان اقرب رحما وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد والخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل وفروعها مذكور في كتب الفقه

سورة المائدة هى مدنية في قول ابن عباس

سورة المائدة مدنية

وبها هو وقال جعفر بن مبشر والشعبي

هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانه نزل والنبي واقف على راحلته في حجة الوداع

عدد آيها

مائة وعشرون آية كوفي ثلث وعشرون آية بصري واثنتا وعشرون في الباقين

اختلافها ثلث

بالعقود ويعفوا عن كثير كوفي فانكم غالبون بصري

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي باسناده عن عيسى بن عبد الله عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وانما يوخذ من امر رسول الله صلى الله عليه وآله باخره وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء ولقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رايت سرتها تكاد تمس الارض واغمي على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضع يده على ذوابة شيبة بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرا علينا سورة المائدة فعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعملنا وباسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال من قرا سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابدا وباسناده عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك بقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد آية

القراءة

المشهور في القراءة حرم بضمتين وفي الشواذ عن الحسن ويحيى بن وثاب حرم ساكنة الراء

الحجة

هذا كما يقال في رسل وكتب رسل وكتب قال ابن جني في اسكان حرم مزية وذلك ان الراء فيه تكرير فكانت الراء ساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالتكرير نحوا من زيادته بالحركة

اللغة

يقال وفى بعهده واوفى واوفى ايفاء بمعنى واوفى لغة اهل الحجاز وهي لغة القرآن والعقود جمع عقد بمعنى المعقود وهو اوكد العهود والفرق بين العقد والعهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ولا يكون الا بين متعاقدين والعهد قد ينفرد به الواحد فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقدا واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل ويقال اعقد العسل فهو معقد وعقيد قال عنترة

وكان ربّا او كحيلا معقدا حش الوقود به جوانب قمقم

والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة لانها ابهمت عن ان يميز والحرم جمع حرام يقال رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر

فقلت لها فيئي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملب

الاعراب

٤

موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله ما يتلى عليكم من الربيع وانتم حرم جملة في موضع الحال من محلي الصيد والصيد مجرور اللفظ منصوب في المعنى وقال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد وقال الزجاج وهذا عند البصريين باطل لان المعنى عند هذا القائل جاء اخوتك وزيد كانه يعطف بالا كما يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجل الا زيد على معنى جاء الرجل غير زيد فيكون الا زيد صفة لنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس

المعنى

خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا وتقديره يا ايها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم اوفوا بالعقود اي بالعهود عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال احدها ان المراد بها العهود التي كان اهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا فيها على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءا وذلك هو الحلف عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتاده والسدي وثانيها انها العهود التي اخذ الله سبحانه على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس ايضا وفي رواية اخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض وما حد في القرآن كله اي فلا تتعدوا ولا تنكثوا ويؤيده قوله والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله سوء الدار وثالثها ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الحلف عن ابن زيد وزيد بن اسلم ورابعها ان ذلك امر من الله لاهل الكتاب بالوفاء بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراة والانجيل في تصديق نبينا صلى الله عليه وآله وما جاء به من عند الله عن ابن جريج وابي صالح واقوى هذه الاقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبها على العباد في الحلال والحرام والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الاقوال الاخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتدأ سبحانه كلاما آخر فقال احلت لكم بهيمة الانعام واختلف في تاويله على اقوال احدها ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة للتاكيد كما يقال نفس الانسان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتاده والسدي والربيع والضحاك وثانيها ان المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في البطون امهاتها اذا اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وثالثها ان بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش عن الكلبي والفراء والاولى حمل الآية على الجميع الا ما يتلى عليكم معناه الا ما يقرا عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والحسن والسدي غير محلي الصيد وانتم حرم من قال انه حال من اوفوا فمعناه اوفوا بالعقود غير محلي الصيد وانتم محرمون اي في حال الاحرام ومن قال انه حال من احلت لكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام او الوحشية والظباء والبقر والحمر غير مستحلين اصطيادها في حال الاحرام

ومن قال انه حال من يتلى عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد وآخر السورة غير مستحلين اصطيادها في حال احرامكم ان الله يحكم ما يريد معناه ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وفي قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب آية

القراءة

قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم واسمعيل عن نافع شنآن بسكون النون الاولى في الموضعين والباقون شنآن بفتحها وقرا ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها

الحجة

من قرا شنآن بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر يكون على الفعلان نحو الضربان والغليان ومن قرا شنآن فحجته ان المصدر يجي على فعلان ايضا نحو اللييان كقول الشاعر وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنآن وفندا يدل على الشنآن بالسكون ايضا خففت الهمزة والقي حركتها على الساكن قبلها على القياس فيكون على المعنى على القرائتين واحدا وقوله ان صدوكم من كسر ان جعل الجزاء وقوله ان صدوكم وان كان ماضيا فان الماضي قد يقع للجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضي ولكن المراد ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على الماضي والمعنى على مثله كانه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قال الفرزدق اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم وعلى ذلك قول الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا فانتفاء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل فكان المعنى ان ينتسب لا تجدني مولود لئيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا ومن فتح ان صدوكم فقوله بين لانه مفعول له والتقدير ولا يجرمنكم شنآن قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الثانية في موضع نصب بانه المفعول الثاني وان الاولى منصوبة لانه مفعول له

اللغة

الشعائر جمع شعيرة وهي اعلام الحج واعماله واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشاعر المعالم من ذلك والاشعار الاعلام من جهة الحس وقيل الشعيرة العلامة والآية واحدة والحلال والحل المباح وهو ما لا مزية لفعله على تركه والحرام والحرم ضده وحريم البئر ما حولها لانها تحرم على غير حافرها والحرم الاحرام واحرم الرجل صار محرما واحرم دخل في الشهر الحرام ورجل حرمي منسوب الى الحرام والهدي ما يهدى الى الحرم من النعم والقلائد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي والتقليد في البدن ان يعلق في عنقها شي ليعلم انها هدي والقلد السوار لانها كالقلادة لليد والام القصد يقال امت كذا اذا قصدته وتيممته بمعناه قال الشاعر اني كذاك اذا ما ساءني بلد يممت صدر بعيري غيره بلدا

ومنه الامام الذي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه الامام الذي يقتدى به والامر الذي لانه يقصد والام بكسر الهمزة لانها تقصد ويقال حللت من احرامي وحل الرجل حلالا ويقال حرم الرجل فهو حرام وقيس وتميم يقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم والجرم القطع والكسب ولا يجرمنكم اي ولا يكسبنكم وهو فعل يتعدى الى مفعولين وقيل لا يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمني فلان على ان صنعت كذا واستشهدوا بقول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان تغضبوا اي حملت وقيل معناه احقت الطعنة لفزارة الغضب وقيل معناه كسبت فزارة الغضب وشنئت الرجل اشنأه شنأ وشنأ وشنا ومشنأ وشنآنا ابغضته وذهب سيبويه الى ان ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ شي نحو شنئته شنآنا وقال سيبويه وقد قالوا لويته حقه ليانا على فعلان فعلى هذا يجوز ان يكون الشنآن مصدرا ايضا وقال ابو زيد رجل شنآن وامراة شنآنة مصروفان ويقال ايضا رجل شنآن غير مصروف وامراة شنآنة فقد جاء الشنآن مصدرا ووصفا وهما جميعا قليلان

النزول

قال ابو جعفر الباقر عليه السلام نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحطيم وقال السدي اقبل الحطم بن هند البكري حتى اتى النبي صلعم وحده وخلف خيله خارج المدينة فقال الى ما تدعو وقد قال النبي صلعم لاصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اجابه النبي صلعم قال انظرني لعلي اسلم ولي من اشاوره وخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلدها فاراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية ولا آمين البيت الحرام وهو قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم فتح مكة في قوم من المشركين ياتون البيت يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله الآية

المعنى

ثم ابتدا سبحانه بتفصيل الاحكام فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم لا تحلوا شعائر الله اختلف في معنى شعائر الله على اقوال احدها ان معناه لا تحلوا حرمات الله ولا تتعدوا حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطا وغيره وثانيها ان معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على المعالم اي معالم حرم الله من البلاد عن السدي وثالثها ان معنى شعائر الله مناسك الحج اي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جريج وابن عباس ورابعها ما روي عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وخامسها ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينهما

نهاهم الله عن ذلك وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وسادسها ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في احرامكم
عن ابن عباس في رواية اخرى وسابعها ان الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله
سبحانه ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام عن ابي علي الجبائي وثامنها ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة اي المعلمة
لتهدى الى بيت الله عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره البلخي واقوى الاقوال هو القول الاول
لانه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو الاعم اولى ولا الشهر الحرام معناه ولا
تستحلوا الشهر الحرام بان تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال سبحانه يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
قل قتال فيه كبير عن ابن عباس وقتادة واختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكانت مضر تحرم فيه
القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الاشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي
والبلخي وهذا اليق بالعموم وقيل اراد به النسيء كقوله انما النسيء زيادة في الكفر عن القتيبي ولا الهدي اي
ولا تستحلوا الهدي وهو ما يهديه الانسان من بقر او بعير او شاة الى بيت الله تعالى تقربا اليه وطلبا
لثوابه فيكون المعنى لا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله ولا تحولوا بينهم وبين ان يبلغوا محله من الحرم و
لكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله له وقوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال
احدها انه عنى بالقلائد الهدي المقلد وانما كرر لانه اراد المنع من حل الهدي الذي لم يقلد والهدي
الذي قلد عن ابن عباس واختاره الجبائي وثانيها ان المراد به تلك القلائد التي كانت المشركون
يتقلدونها اذا ارادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمر واذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها
الى الشعر عن قتادة وقال كان في الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج تقلد من السمر فلا يتعرض له احد
واذا رجع تقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد وقال عطاء كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون
به اذا خرجوا من الحرم وقال الفراء اهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم كانوا يتقلدون
بالصوف والشعر وغيرهما وثالثها انه عنى به المؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدون
به كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم عن عطاء في رواية اخرى والربيع بن انس ورابعها ان القلائد
ما قلد به الهدي نهاهم عن حلها لانه كان يجب ان يتصدقوا بها عن ابي علي الجبائي قال هو صوف يفتل
ويعلق به على عنق الهدي قال الحسن هو نعل يقلد بها الابل والبقر ويجب التصدق بها ان كانت لها
قيمة والاولى ان يكون نهيا عن استحلال القلائد فيدخل فيه الانسان والبهيمة او تكون نهيا عن استحلال
حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا ولا آمين البيت اي ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام اي لا تقاتلوهم
لانه من قاتل في اشهر الحرم فقد احل فقال لا تحلوا قتال الآمين البيت الحرام اي القاصدين والبيت الحرام بيت الله
بمكة وهو الكعبة سمي حراما لحرمته وقيل لانه يحرم فيه ما يحل في غيره واختلف في المعنى بذلك فمنهم من حمله
على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجرمنكم شنآن قوم ومنهم من حمله على من اسلم فكانه نهى ان يؤخذ
بعد الاسلام بدخل الجاهلية لان الاسلام يجب ما قبله يبتغون اي يطلبون يعني الذين يأتون البيت فضلا
من ربهم ورضوانا اي ارباحا في تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم وهم

مشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة في عاجل دنياهم
عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله في الآخرة ورضوانا منه فيها وقيل فضلا في الدنيا ورضوانا في
الآخرة وقال ابن عباس ان ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع واختلف في هذا فقيل منسوخ
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة شيء ولا من هذه
الآية لانه لا يجوز ان يبتدأ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا عن ابن جريج وهو المروي عن ابي
جعفر عليه السلام وروي نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه
وآله فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا وقيل لم ينسخ من المائدة غير هذه الآية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد عن الشعبي
ومجاهد وقتادة والضحاك بن زيد وقيل انما نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام الى آمين البيت الحرام ذكر ذلك
ابن بحر وذكر عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد
الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في السنة التي نادى علي فيها بالاذان
وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآية الا القلائد عن ابن ابي نجيح عن مجاهد واذا حللتم فاصطادوا
معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا الصيد الذي نهيتم ان تحلوه فاصطادوا ان شئتم لان
السبب المحرم قد زال عن جميع المفسرين ولا يجرمنكم اي ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم شنآن قوم اي بغضاء
قوم ان صدوكم اي لان صدوكم اي لاجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام يعني النبي صلى الله عليه وآله واصحابه
لما صدوهم عام الحديبية ان تعتدوا ومعناه لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم بصدهم اياكم
عن المسجد الحرام قال ابو علي الفارسي معناه لا تكتسبوا لبغض قوم عدوانا ولا تقترفوه فهذا فيمن
فتح ان ويوقع النهي في اللفظ على الشنآن لا تحتنوا والمعنى بالنهي المخاطبون كما قالوا لا ارينك ههنا
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ومن جعل شنآن صفة فقد اقام الصفة مقام الموصوف ويكون تقديره لا يحملنكم
بغض قوم والمعنى على الاول ومن قرأ ان صدوكم بكسر الالف فتقديره ذكر معناه ان تعتدوا ومعناه ان تجاوزوا
حكم الله فيه الى ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحول الجاهلية عن مجاهد وقال هذا
غير منسوخ وهو الاولى وقال ابن زيد هو منسوخ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم و
العدوان هو استئناف الكلام وليس بعطف على تعتدوا فيكون في موضع نصب امر الله سبحانه عباده بان
يعين بعضهم بعضا على البر وهو العمل بما امرهم الله به واتقاء ما نهاهم عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا
على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حد الله سبحانه
لعباده في دينهم وفرض لهم في انفسهم عن ابن عباس وابي العالية وغيرهما من المفسرين واتقوا الله ان الله
شديد العقاب هذا امر منه سبحانه بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره يقول
احذروا معصية الله فيما امركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه وتستحقوا عذابه ثم وصف سبحانه عقابه بالشدة
لانه نار لا يطفأ حرها ولا يخمد جمرها نعوذ بالله منها قوله تعالى

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل

لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما
ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور
رحيم آية **القراءة** روي في الشواذ قراءة ابن عباس اكيل السبع وعن الحسن وما اكل
السبع بسكون الباء وقرأ يحيى بن وثاب وابرهيم غير متجنف **الحجة** قال ابن جني الاكيلة
اسم للماكول كالنطيحة والاكيل للجنس والعموم يصلح للمذكر والمونث تقديره مررت بشاة اكيل اي قد اكلها
الاسد ونحوه وتقول ما لنا طعام الا الاكيلة اي الشاة والجزور المعدة للاكل وان كانت قد اكلت فهي اكيلها
فاكيل السبع بمعنى ماكول السبع والسبع تخفيف السبع قال حسان في عتبة بن ابي لهب   من يرجع العام الى اهله
فما اكيل السبع بالراجع   وقوله متجانف ومتجنف بمعنى وتفعل ابلغ من تفاعل فمتجنف بمعنى متميل ومتاود ومتجانف
مثل متمايل ومتاود **اللغة** اصل الاهلال رفع الصوت بالشيء ومنه استهلال الصبي وهو
صياحه اذا سقط من بطن امه ومنه اهلال المحرم بالحج او العمرة اذا لبى به قال ابن احمر
يهل بالفرقد ركباننا كما يهل الراكب المعتمر وسمي الهلال هلالا لانه يرفع الصوت عنده والمنخنقة خنقا
اذا اخنقته ومنه المخنقة للقلادة والوقذ شدة الضرب يقال وقذها يقذها وقذا واوقذها
ايقاذا اذا اثخنها ضربا قال الفرزدق   شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة
لقوادم الابكار والتردي الهلاك والتردي التهور والنطيحة المنطوحة نقلت من مفعول الى فعيل وانما تثبت فيها
الهاء وان كانت فعيل بمعنى المفعول لا يثبت فيها الهاء مثل لحية دهين وعين كحيل وكف خضيب لانها
ادخلت في حيز الاسماء وقال بعض الكوفيين انما تحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة اذا كانت صفة لاسم
قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل فاما اذا حذف الكف والعين مما يكون فعيل نعتا لهما واجروا
فعيل مجرى الاسماء ثبتت تاء التانيث ليعلم بثبوتها فيها انها صفة المونث فيقال رأينا كحيلة وخضيبة والتذكية
فري الاوداج والحلقوم لما كانت فيه حيوة ولا يكون بحكم الميت واصل الذكوة في اللغة تمام الشيء فمن ذلك
الذكاء في السن والفهم قال الخليل الذكاء ان ياتي في السن على القروح وهي في ذات الحافر وهي البزولة
في ذات الخف وهي الثنية في ذات الظلف وذلك تمام استكمال القوة قال زهير   يفضله اذا اجتهدا عليه
تمام السن منه والذكاء   وفي المثل جري المذكيات غلاب اي جري المسان التي قد اسنت مغالبة
يريد ان المسان يحتمل ان توخذ بالغلبة بعض قوتها والصغار لا تحمل على ذلك وتداري ويركب غلاء وهي جمع
غلوة اي هي بعيدة استداد كما ترى وليست كالجذع الذي لا علم له فيخرج في اول شوطه فيقضي ما عنده في
حضره ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن النهاية في الشباب فاذا انقص عن ذلك او زاد فلا يقال له الذكاء و
الذكاء في الفهم ان يكون تاما سريع القبول وذكيت النار من هذا اي اتممت اشعالها والنصب الحجارة

التي كانوا

التي كانوا يعبدونها واحدها نصاب وجاز ان يكون واحدا جمعه انصاب والازلام جمع زلم وزلم
هو القدح والاستقسام طلب القسم والقسم المصدر والقسم بكسر القاف النصيب والمخمصة شدة ضمور البطن وهو
مفعلة مثل المجبنة والمبخلة من خمص البطن وهو طيه واضطماره من الجوع وشدة السغب دون ان يكون خلقة
لكن كذلك قال الشاعر   والبطن ذو عكن خميص لين   والنحر تنفجه بثدي مقعد   فوصفها بالجوع وانما
وصفها بلطافة طي البطن واما قول الاعشى   تبيتون في المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن
خمائصا فمن الاضطمار من الجوع والتجانف التمايل للاثم المنحرف اليه من جنف القوم اذا مالوا وكل اعوج عندهم اجنف
المعنى ثم بين سبحانه ما استثناه في الاية المتقدمة بقوله الا ما يتلى عليكم فقال مخاطبا للمكلفين
حرمت عليكم الميتة اي حرم عليكم اكل الميتة والانتفاع بها وهو كل ماله نفس سائلة من دواب البر وطيره مما
اباح الله اكله اهليها ووحشيها فارقه روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقته الحيوة من دواب البر
وطيره بغير تذكية فقد روي عن النبي صلعم انه سمى الجراد والسمك ميتا فقال ميتتان مباحتان الجراد والسمك والدم
اي وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه في المباعر ويشوونه وياكلونه فاعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح اي المصبوب
حرام فاما المتلطخ بالدم فانه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد روي الكراهية فيه
عن علي عليه السلام وابن مسعود واصحابهما واجمعت الامامية على انه حرام وذهب سائر الفقهاء الى انه مباح
ولحم الخنزير وانما ذكر لحم الخنزير ليبين انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى لا يحل تناوله وان حصل فيه ما
يكون ذكاة لغيره وفائدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه في التحريم حالة وجود الحيوة وعدمها
وكذلك السباع والمسوخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر مما اعتادوا
في غيره وما اهل لغير الله به موضعه رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه في البقرة
وفيه دلالة على ان ذبائح من خالف الاسلام لا يجوز اكله لانهم يذكرون عليه اسم غير الله لانهم يعنون به
من ابد شرع موسى عليه السلام او اتحد بعيسى او اتخذه ابنا وذلك غير الله فاما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم
والتشبيه او الجبر او خالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء والمنخنقة وهي التي يدخل
راسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت عن السدي وقيل هي التي تختنق بحبل الصائد فتموت عن
الضحاك وقتاده وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها فياكلونها والموقوذة وهي التي تضرب
حتى تموت عن ابن عباس وقتاده والسدي والمتردية وهي التي تقع من جبل او مكان عال او تقع في بئر فتموت
عن ابن عباس وقتاده والسدي ومتى وقع في بئر ولا يقدر على تذكيته جاز ان يطعن ويضرب بالسكين
في غير المذبح حتى يبرد ثم يوكل والنطيحة وهي التي ينطحها غيرها فتموت وما اكل السبع اي وحرم عليكم ما اكله السبع
بمعنى قتله السبع وهي فريسة السبع عن ابن عباس وقتاده والضحاك الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته فذكيتموه
من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء روي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان ادنى ما
يدرك به الذكاة ان يدركه يحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتاده وابرهيم وطاوس
والضحاك وابن زيد واختلف في الاستثناء الى ما ذا يرجع فقيل يرجع الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات

سوى ما اهل به لغير الله او ذبح على النصب الا ما ذكيتم مما يحل لكم ذكاته من الحيوان بعد الذي جرى عليه مما ذكرتم وبه قال ابن عباس وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لان
الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير ومعناه حرمت عليكم سائر ما ذكر الا ما ذكيتم مما احله الله لكم بالتذكية فانه حلال
لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائي ومتى قيل ما وجه التكرار في قوله والمنخنقة والموقوذة الى
آخر ما عدده وتحريمه مع انه افتتح الآية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة تعم جميع ذلك وان اختلف اسباب الموت
من خنق او تردّ او نطح او اهلال لغير الله به او اكل سبع فالجواب ان الفائدة في ذلك انهم كانوا لا يعدون الميت
الا ما مات حتف انفه من دون شيء من هذه الاسباب فاعلمهم الله سبحانه ان حكم الجميع واحد وان وجه الاستباحة
هو التذكية المشروعة فقط قال السدي ان ناسا من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا وانما يعدون
الميت الذي يموت من الوجع وما ذبح على النصب يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الاوثان عن مجاهد و
قتادة وابن جريج يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب اي على اسم الاوثان وقيل معناه وما ذبح للاوثان
تقربا اليها والازم وعلى بمعنى اللام قال الاترى الى قوله سبحانه فسلام لك من اصحاب اليمين يعني عليك وكانوا يقربون
ويلطخون الاوثان بدمائها قال ابن جريج ليست النصب اصناما انما الاصنام ما تصور وتنقش بل كانت
احجارا منصوبة حول الكعبة وكانت ثلثمائة وستين حجرا وقيل كانت ثلثمائة منها لخزاعة فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم
على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وحملوه على الحجارة فقال المسلمون يا رسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون
البيت بالدم فنحن احق بتعظيمه فانزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وان تستقسموا بالازلام
موضعه رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفألون بها
في اسفارهم وابتداء امورهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي
وبعضها غفل لم يكتب عليه شيء فاذا ارادوا سفرا او امرا يهتمون به ضربوا تلك القداح فان خرج السهم الذي
عليه امرني ربي مضى الرجل لحاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض وان خرج الذي ليس عليه شيء اعادوها
فبين الله تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادق
عليه السلام ان الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلثة لا انصباء لها فالتي لها انصباء الفذ والتوأم والمسبل و
النافس والحلس والرقيب والمعلى فالفذ له سهم والتوأم له سهمان والمسبل له ثلثة اسهم والنافس له اربعة اسهم
والحلس له خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والمعلى له سبعة اسهم والتي لا انصباء لها السفيح والمنيح والوغد
وكانوا يعمدون الى الجزور فيجزئونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها الى رجل وثمن
الجزور على من تخرج له التي لا انصباء لها وهو القمار فحرمه الله تعالى وقيل هي كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون
بها عن مجاهد وقيل هو الشطرنج عن ابي سفيان بن وكيع ذلكم فسق معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب
عظيم وخروج من طاعة الله الى معصيته عن ابن عباس وقيل ان ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام اي ان
ذلك الاستقسام فسق وهو الاظهر اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ليس يريد يوما بعينه بل معناه الآن يئس الكافرون
من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حول الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين
اليهم ويئسوا من بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله والدين

اسم لجميع

اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالقيام به ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى
الشرك عن ابن عباس والسدي وعطا وقيل ان المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الاسلام
عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم جمعة ونظر النبي صلى الله عليه وآله فلم ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا فلا
تخشوهم خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين الاسلام ويقهروا المسلمين
ويردوهم عن دينهم واخشون اي ولكن اخشون اي خافون ان خالفتم امري وارتكبتم معصيتي ان احل
بكم عقابي عن ابن جريج وغيره اليوم اكملت لكم دينكم قيل فيه اقوال احدها ان معناه اكملت لكم فرائضي و
حدودي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما انزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ
بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا
ولم ينزل بعد هذا على النبي صلى الله عليه وآله شيء من الفرائض في تحليل ولا تحريم وانه عليه السلام مضى بعده بأحد و
ثمانين ليلة فان اعترض معترض فقال اكان دين الله ناقصا وقتا من الاوقات حتى اتمه في ذلك اليوم
فجوابه ان دين الله لم يكن الا كاملا ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شيء وتحريمه لم
يمتنع ان يوصف بالكمال اذا امن من جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بانها كاملة ولا يلزم ان يوصف بالنقصان
لما كانت المائة اكثر منها واكمل وثانيها ان معناه اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه
دون المشركين فلا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لان الله سبحانه انزل
بعده يستفتونك قل الله يفتيكم الآية قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان لهذا القول
ترجيح لكن فيه خلاف وثالثها ان معناه اليوم كفيتكم الاعداء واظهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك
وكمل لنا ما نريد بان كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الامامين ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انه
انما انزل بعد ان نصب النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام علما للانام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالا
وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدي ابن نزار الحسيني
قال حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا
ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد
الحماني قال حدثنا قيس بن الربيع عن ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم
لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن ابي طالب
عليه السلام من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
من نصره واخذل من خذله قال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان عن العلا ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر
عليه السلام قال كان نزولها بكراع الغميم فاقامها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة وقال الربيع بن انس
نزلت في المسير في حجة الوداع واتممت عليكم نعمتي خاطب سبحانه المؤمنين بانه اتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين
ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه اتممت عليكم نعمتي بان اعطيتكم من العلم والحكمة ما لم
يعط قبلكم نبي ولا امة وقيل ان تمام النعمة دخول الجنة ورضيت لكم الاسلام اي ورضيت لكم الاسلام

كما في كل حاله د ر

الجرجاني د

لامري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه دينا اي طاعة منكم لي والفائدة في هذا ان الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمدا واصحابه في درجات الاسلام ومراتبه درجة بعد درجة حتى اكمل لكم شرائعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال ورضيت لكم الحال التي انتم عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام الى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل وانما ذكر قوله اليوم يئس الذين كفروا الى ورضيت لكم الاسلام دينا اعتراضا فمن اضطر في مخمصة معناه فمن دعته الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من اكله عن ابن عباس وقتادة والسدي غير متجانف لاثم اي غير مائل الى اثم وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل له فان الله سبحانه اباح ذلك تناول قدر ما يمسك به رمقه بلا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معنى قوله غير متجانف لاثم غير عاص بان يكون باغيا او عاديا او خارجا في معصية عن قتادة فان الله غفور رحيم في الكلام محذوف دل ما ذكر عليه والمعنى فمن اضطر الى ما حرمت عليه غير متجانف لاثم فاكله فان الله غفور له لذنوبه ساتر عليه اكله لا يؤاخذه وليس يريد انه يغفر له عقاب ذلك الاكل لانه اباحه له ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحمته اباح لهم ما حرم عليهم في حال الخوف على النفس قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب آية

القراءة المشهور في القراءة مكلبين بالتشديد وروي عن ابن عباس وابن مسعود والحسن مكلبين بالتخفيف

الحجة الكلاب الكلب هو اغراؤه بالصيد واساده يقال كلب واكلبته كما يقال اسد واسدته ويحتمل ان يكون من كلب الرجل اذا اكثر كلابه كما يقال امشى اذا كثرت ماشيته والمكلب بالتشديد صاحب الكلاب يقال رجل مكلب وكلاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يعلم الكلاب اخذ الصيد

اللغة الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع الواحدة جارحة وسميت جوارح لانها تكسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله خيرا اذا كسبهم خيرا وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ولا جارحة لفلانة اي لا كاسب لها قال اعشى بني ثعلبة

ذات خد منضج ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح

اي اكتسب

الاعراب ماذا احل لهم يحتمل ان يكون ما وحدها اسما وخبره قوله ذا واحل من صلة ذا تقديره اي الذي احل لهم ويحتمل ان يكون ما وذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء واحل لهم خبره وتقديره اي شيء احل لهم ومكلبين نصب على الحال اي وما علمتم من الجوارح في حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضا لانه حال من المكلبين وقوله مما امسكن عليكم قيل ان من هنا زائدة لان جميع ما يمسكه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وينزل من السماء جبالا فيها برد وذكر في هذه الآية غير ذا من الوجوه سنذكرها اذا انتهينا الى موضعها من الكتاب.

انشاء الله تعالى وقيل ان من للتبعيض لانه لا يجوز ان يوكل جميع ما يمسكه الكلب فان في جملته ما هو حرام من الدم والفرث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله معناه فكلوا ما اباح الله لكم اكله مما امسكن عليكم

النزول عن ابي رافع قال جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله يستاذن عليه فاذن له وقال قد اذنا لك يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني رسول الله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها وجئت الى رسول الله صلعم فاخبرته فامرني فرجعت وقتلت الكلب فجاؤا فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتل كلبها فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل الآية فاذن رسول الله صلعم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيها وامر بقتل العقور وما يضر ويؤذي عن ابي حمزة الثمالي والحكم ظهيرا ان زيد الخيل وعدي بن حاتم الطائي اتيا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا ان فينا رجلين لهما ستة اكلب تاخذ بقر الوحش والظباء فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا من هذا فانزل الله فكلوا مما امسكن عليكم وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله زيد الخير

المعنى لما ذكر سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما احل فقال يسالونك يا محمد ماذا احل لهم معناه اي شيء احل لهم اي يستخبرك المؤمنون ما الذي احل لهم من المطاعم والماكل وقيل من الصيد والذبائح قل يا محمد احل لكم الطيبات منها وهي الحلال الذي اذن لكم ربكم من الماكولات والذبائح والصيد عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وقيل ما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا اولى لما ورد ان الاشياء كلها على الاطلاق والاباحة حتى يرد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما يستلذ وما علمتم من الجوارح اي واحل لكم الصيد ذلك صيد ما علمتم من الجوارح اي الكواسب من سباع الطير والبهائم فحذف المضاف لدلالة قوله مما امسكن عليكم عليه ولانه جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام فانهم قالوا هي الكلاب المعلمة خاصة احله الله اذا ادركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وروى علي بن ابراهيم في تفسيره باسناده عن ابي بكر الحضرمي عن ابي عبد الله عليه السلام قال سالته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تاكل الا ما ذكيت الا الكلاب فقلت فان قتله قال كل فان الله يقول وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال عليه السلام كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها الا الكلاب المعلمة فانها تمسك على صاحبها وقال اذا ارسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو ان تقول بسم الله والله اكبر ويؤيد هذا المذهب ما ياتي بعد من قوله مكلبين اي اصحاب الصيد بالكلاب وقيل اصحاب التعليم للكلاب تعلمونهن مما علمكم الله اي تؤدبونهن حتى يصرن معلمة مما الهمكم الله تعالى وبكم حتى ميزتم بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة ايضا على ان صيد الكلب غير المعلم حرام اذا لم يدرك ذكاته وقيل معناه تعلمونهن كما علمكم الله عن السدي وهذا بعيد لان من بمعنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لان الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل هو ان يستشلي بطلب الصيد

اذا ارسله صاحبه ويمسك عليه اذا اخذه ويستجيب له اذا دعاه ولا يفر منه فاذا توالى منه ذلك كان معلما عن
سعد بن ابي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل ما ذكرنا كله وان لا ياكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطا والشعبي
وطاوس والسدي روى عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا اكلت الكلب من الصيد فلا تاكل منه
وانما امسك على نفسه وقيل حد التعليم ان يفعل ذلك ثلث مرات عن ابي يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعليم الكلاب
واذا فعل ما قلنا فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا انه اذا اخذ كلب المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز
اكل ما يقتله وقد تقدم ان عند اهل البيت عليهم السلم لا يحل اكل الصيد غير الكلب الا ما ادرك ذكاته ومن اجاز
ذلك قال ان تعلم البازي هو ان يرجع الى صاحبه وتعلم كل جارح من البهايم والطير هو ان يشلى على الصيد
فيستشلي وياخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فاذا كان كذلك كان معلما اكل منه او لم ياكل روي ذلك عن
سلمان وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وقال الاخرون ما اكل منه فلا يوكل روي ذلك عن علي عليه السلم والشعبي وعكرمة و
قوله فكلوا مما امسكن عليكم اي مما امسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما اكل منه الكلب لا يجوز اكله لانه
امسك على نفسه ومن شرط في استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه قد سمى عند ارساله فاذا لم يسم لم يجز
له اكله الا اذا ادرك ذكاته وادنى ما يدرك به ذكاته ان تجده يتحرك عينه او اذنه او ذنبه فتذكيه ح
بفري الحلقوم والاوداج واذكروا اسم الله عليه اي قبل الارسال عن ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه
اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية والقول الاول اصح واتقوا الله اي اجتنبوا
ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التي منها اكل صيد الكلب غير المعلم او ما لم يمسكه عليكم او ما
لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبايح ان الله سريع الحساب قد تقدم تفسيره قوله تعالى اليوم احل
لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات
من المومنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن
اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط
عمله وهو في الاخرة من الخاسرين آية **المعنى** ثم بين سبحانه في هذه الآية ما
يحل من الاطعمة والانكحة اتماما لما تقدم فقال اليوم احل لكم الطيبات وقد مر معناه وهذا يقتضي تحليل كل
مستطاب من الاطعمة الا ما قام الدليل على تحريمه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اختلف في الطعام المذكور
في الآية فقيل المراد به ذبايح اهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر الفقهاء وبه قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا
فمنهم من قال اراد به ذبايح كل كتابي ممن انزل عليه التورية والانجيل ومن دخل في ملتهم ودان بدينهم
عن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وقتادة واجازوا ذبايح نصارى بني تغلب
ومنهم من قال عنى به من انزلت التورية والانجيل عليهم او كان من ابنائهم فاما من كان دخيلا فيهم من ساير
الامم ودان بدينهم فلا تحل ذبايحهم حكى ذلك الربيع عن الشافعي وحرم ذبايح بني تغلب من النصارى ورووا
ذلك عن علي عليه السلم وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها من الاطعمة عن
ابي الدرداء وابن عباس وابرهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد وبه قال الطبري والجبائي والبلخي

وغيرهم

وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وبه قال جماعة من
الزيدية فاما ذبايحهم فلا تحل وطعامكم حل لهم معناه وطعامكم يحل لهم ان تطعموهم والمحصنات من المومنات
معناه واحل لكم العقد على المحصنات اي العفايف من المومنات عن الحسن والشعبي وابرهيم وقيل اراد
الحراير عن مجاهد واختاره ابو علي وعلى هذا القول لا يدخل الاماء في الاباحة مع القدرة على طول الحرة والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقيل هن العفايف حراير كن
او اماء حربيات كن او ذميات عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحراير ذميات كن او حربيات
وقال اصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابيات لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ولقوله
ولا تمسكوا بعصم الكوافر واولوا هذه الآية بان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اللاتي اسلمن منهن
والمراد بالمحصنات من المومنات اللاتي كن في الاصل مومنات بان ولدن على الاسلام وذلك ان قوما كانوا
يتحرجون من العقد على من اسلمت عن كفر فبين سبحانه انه لا حرج في ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القسم
البلخي قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا بنكاح المتعة وملك اليمين فان عندنا يجوز وطيهن بهذين الوجهين
على انه قد روى ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلم انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وبقوله
ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقوله اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وهو عوض من الاستمتاع بهن عن ابن عباس
وغيره محصنين غير مسافحين يعني اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال ولا متخذي اخدان
اي ولا متفردين ببغية واحدة خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد مر معنى الاحصان والسفاح
والاخدان في سورة النساء ومن يكفر بالايمان اي ومن يجحد بما امر الله بالاقرار به والتصديق من توحيد الله
وعدله ونبوة نبيه فقد حبط عمله الذي عمله واعتقده قربة الى الله وانما تحبط الاعمال بان لا يستحق عليها
ثواب وهو في الآخرة من الخاسرين اي الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالايمان اهل الكتاب ويكون
معناه ومن يمتنع عن الايمان ولم يومن وفي قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على ان حبوط الاعمال لا يترتب على
ثبوت الثواب فان الكافر لا يكون له عمل قد ذهب عليه ثواب وانما يكون له عمل في الظاهر لولا كفره لكان يستحق
الثواب عليه فعبر سبحانه عن هذا العمل بانه حبط فهو حقيقة معناه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم و
ارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر
او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
لعلكم تشكرون آية **القراءة** قرا نافع وابن عامر ويعقوب والكسائي و
حفص والاعشى عن ابي بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقون وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم في
لامستم في سورة النساء وسنذكر ما قيل في ارجلكم في القراءتين في المعنى لان الكلام فيه يتعلق بما اختلف فيه
الامة من القول بوجوب غسل الرجلين او مسحهما او التخيير بين المسح والغسل او وجوب الامرين كليهما

على ما سنبينه ان شاء الله تعالى **اللغة** الجنب يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما يقال
رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور ويقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وانما
هو على تأويل ذو جنب لانه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يثني ويجمع ويجعل المصدر
بمنزلة اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واصل الجنابة البعد قال علقمة فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرؤ
وسط القباب غريب فاطهروا معناه فتطهروا الا ان التاء ادغم في الطاء فسكن اول الكلمة فزيد فيها الف الوصل
وقيل اطهروا **المعنى** لما تقدم الامر بالوفاء بالعقود ومن جملتها اقامة الصلوة ومن شرائطها
الطهارة فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم على غير طهر
وحذف الارادة لان في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فاذا قرات القرآن واذا كنت فيهم فاقمت والمعنى
اذا اردت قراءة القرآن واذا كنت فيهم فاذا اردت ان تقيم لهم الصلوة وقول ابن عباس واكثر المفسرين
وقيل معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة فعليكم الوضوء عن عكرمة واليه ذهب داود قال وكان علي عليه السلام
يتوضأ لكل صلوة ويقرأ هذه الآية وكان الخلفاء يتوضؤن لكل صلوة والقول الاول هو الصحيح واليه ذهب
الفقهاء كلهم وما روي من تجديد الوضوء محمول على الندب والاستحباب وقيل ان الفرض في ابتداء الاسلام
التوضؤ عند كل صلوة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثتني اسماء بنت زيد بن الخطاب
ان عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر الغسيل حدثنا عن النبي صلى الله عليه وآله امر بالوضوء عند كل صلوة فشق
ذلك عليه فامر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان فيه قوة على ما كان عليه فكان
يتوضأ وروى سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوضأ لكل صلوة فلما كان عام
الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه
قال عمدا فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام بان الوضوء لا يجب الا للصلوة لانه روي ان النبي صلعم كان اذا احدث
امتنع من الاعمال كلها حتى انه لا يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلوة ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية فاغسلوا
وجوهكم هذا امر منه سبحانه بغسل الوجه والمراد امرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح ان يبل المحل بالماء من غير ان
يسيل واختلف في حد الوجه فالمروي عن ائمتنا عليهم السلام انه من قصاص شعر الرأس الى محادر شعر الذقن طولا و
ما دخل بين الابهام والوسطى عرضا وقيل حده ما ظهر من بشرة الانسان من قصاص شعر الرأس منحدرا الى منقطع ذقنه
طولا وما بين الاذنين عرضا دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره او كان داخل الفم والانف والعينين فان الوجه
عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره كالقذاة وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري
والشعبي وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل الوجه كل ما دون منابت الشعر من الرأس الى منقطع وشعبه ر
الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت الشعر اللحية والعارض وما بطن وما
كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الاذنين على الوجه من الاذنين عن انس بن مالك وابن سلمة وعمار ومجاهد
وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب الشافعي وايديكم الى المرافق اي واغسلوا ذلك ايضا والمرافق جمع المرفق وهو
المكان الذي يرتفق به اي يتكأ عليه من اليد قال الواحدي كثير من النحويين يجعلون الى ههنا بمعنى مع ويوجبون

غسل المرفق وهو مذهب اكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرافق لم يكن في المرافق فائدة وكانت اليد كلها
يجب ان تغسل ولكنه لما قيل الى المرافق اقتطعت في الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهي اليه في الغسل منها والظاهر
على ما ذكره لكن الامة اجتمعت على انه من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صح وضوءه واختلفوا في صحة وضوء
من بدأ من الاصابع الى المرافق واجتمعت الامة ايضا على ان من غسل المرفقين صح وضوءه واختلفوا فيمن لم يغسلهما
هل يصح وضوءه وقال الشافعي لا اعلم خلافا في ان المرافق يجب غسلها وما جاء في القرآن الى بمعنى مع قوله تعالى من انصاري
الى الله اي مع الله وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحوه قول امرئ القيس له كفل كالدعص لبده الندى
الى حارك مثل الرتاج المضبب وفي امثال ذلك كثرة وامسحوا برؤسكم وهذا امر بمسح الرأس والمسح ان تمسح
شيئا بيدك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم في مسح الرأس لان من مسح البعض يسمى ماسحا
والى هذا ذهب اصحابنا قالوا يجب ان يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وابراهيم والشعبي وهو
مذهب الشافعي وقيل يجب مسح الرأس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الرأس عند ابي حنيفة وروت
عنه روايات في ذلك لا تطول بذكرها وارجلكم الى الكعبين اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء ان فرضهما بعض ح
الغسل وقالت الامامية فرضهما المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة
والتابعين كابن عباس وانس وابي العالية والشعبي وقال الحسن البصري بالتخيير بين الغسل والمسح واليه ذهب
الطبري والجبائي الا انهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظهر القدم قال ناصر الحق من
جملة ائمة الزيدية يجب الجمع بين الغسل والمسح وروي عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله
فمسح على رجليه وروي عنه انه قال ان كتاب الله المسح ويأبى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلتان
ومسحتان وقال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن علية عن حميد عن موسى بن انس انه قال
لانس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالاهواز فذكر التطهير فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم
وانه ليس شيء من بني آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال انس صدق الله
وكذب الحجاج قال الله سبحانه وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين قال فكان انس اذا مسح قدميه بلهما
وقال الشعبي نزل جبرئيل عليه السلام بالمسح ثم قال ان في التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغي ما كان مسحا وقال
يونس حدثني من صحب عكرمة الى واسط قال فما رأيته غسل رجليه انما يمسح عليهما واما ما روي عن سادة اهل البيت
عليهم السلام في ذلك فاكثر من ان يحصى فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن
غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرئيل عليه السلام وعنه عن
احمد بن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الاصابع ثم
مسحها الى الكعبين فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين قال لا الا بكفه كلها واما
وجه القراءتين في وارجلكم فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على انه عطف على برؤسكم وقال المراد بالمسح هو الغسل
وروي عن ابي زيد انه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلوة وقوي ذلك بان التحديد والتوقيت
انما جاء في المغسول ولم يجيء في الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم انه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد

وهذا قول ابي علي الفارسي وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الجحر لا الضب
وكما قال امرؤ القيس كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل وقال الزجاج اذا قرئ بالجر
يكون عطفا على الرؤوس فيقتضي كونه ممسوحا وذكر عن بعض السلف انه قال نزل جبرئيل بالمسح والسنة الغسل قال
والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل وقال الاخفش وهو معطوف
على الرؤوس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا والمعنى وسقيتها ماء باردا
واما القراءة بالنصب فقالوا فيه انه معطوف على ايديكم لانا رأينا فقهاء الامصار عملوا على الغسل دون المسح ولما
روي ان النبي صلعم رأى قوما توضؤوا واعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره ابو علي الفارسي واما من قال
بوجوب مسح الرجلين حمل النصب والجر في وارجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤوس والنصب للعطف
على موضع الجار والمجرور وامثال ذلك في كلام العرب اكثر من ان يحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد
معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
اخا عون بن مخراق فعطف عبد على موضع دينار فانه منصوب في المعنى واعرب من ذلك قول الشاعر
جئني بمثل بني بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار فانه لما كان معنى جئني هات او احضر لي مثلهم عطف بالنصب
على المعنى واجابوا للاول عما ذكروه في وجه الجر والنصب من وجوه احدها ان فائدة اللفظين في اللغة والشرع
مختلفة وقد فرق الله سبحانه بين الاعضاء المغسولة وبين الاعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا
وثانيها ان الارجل اذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف
فيجب ان يكون حكم الارجل كذلك لان حقيقة العطف تقتضي ذلك وثالثها ان المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط
استدلالهم بما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله انه توضأ وغسل رجليه لان على هذا لا ينكر ان يكون مسحهما
فسموا المسح غسلا وفي هذا ما فيه فاما استشهاد ابي زيد بقولهم تمسحت للصلاة فالمعنى فيه انهم لما ارادوا ان
يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز ان يقولوا تغسلت للصلاة لان ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك
تمسحت لان المغسول من الاعضاء ممسوح ايضا فتجوزوا لذلك تعويلا على ان المراد مفهوم وهذا لا يقتضي ان يكونوا
جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى قدس سره في الجواب عنه ان
ذلك لا يدل على الغسل وذلك لان المسح فعل قد اوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح
سبحانه فقال وامسحوا ارجلكم وانتهوا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا فان قالوا ان تحديد اليدين لما اقتضى
الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس
كذلك في الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لان الايدي
محدودة وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة فاذا جاز عطف الارجل وهي محدودة على الرؤوس
التي ليست بمحدودة وهذا اشبه مما ذكروه لان الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو
محدود مغسول عليه ثم استؤنف ذكر عضو ممسوح غير محدود فيجب ان يكون الارجل ممسوحة محدودة معطوفة على
الرؤوس دون غيره لتتقابل الجملتان في عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود وعطف ممسوح محدود على

ممسوح

ممسوح غير محدود واما من قال انه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج انه لم يجوز ذلك في القرآن ومن اجاز
ذلك في الكلام فانما يجوز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه
حائل بين هذا وذاك وايضا فان المجاورة انما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والامن من الاشتباه فان
احدا لا يشتبه عليه ان خربا لا يكون من صفة الضب ولفظ مزمل لا يكون من صفة البجاد وليس كذلك الارجل
فانها يجوز ان يكون ممسوحة كالرؤوس وايضا فان المحققين من النحويين نفوا ان يكون الاعراب بالمجاورة
جائزا في كلام العرب وقالوا في جحر ضب خرب انهم ارادوا خرب جحره فحذف المضاف الذي هو جحر واقيم المضاف
اليه وهو الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير استكن في خرب وكذلك القول في كبير اناس في بجاد مزمل فتقديره
مزمل كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبره واما من جعله مثل قول الشاعر علفتها تبنا
وماء باردا كانه قدر في الآية واغسلوا ارجلكم فقوله ابعد من الجميع لان مثل ذلك لو جاز في كتاب الله
تعالى على ضعفه وبعده في سائر الكلام فانما يجوز اذا استحال حمله على ظاهره فاما اذا كان الكلام مستقيما و
معناه ظاهرا فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد واما ما قاله ابو علي في القراءة بالنصب على انه معطوف
على الايدي فقد اجاب عنه المرتضى قدس الله روحه بان قال جعل التاثير في الكلام للقريب اولى من جعله
للبعيد فنصب الارجل عطفا على الموضع اولى من عطفها على الايدي والوجوه على ان الجملة الاولى المامور فيها
بالغسل قد انقضت وبطل حكمها باستيناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الاولى ان تعطف على
ما فيها فان ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا واكرمت خالدا وبكرا فان رد بكر الى خالد في الاكرام
هو الوجه في الكلام الذي لا يسوغ سواه ولا يجوز رده الى الضرب الذي قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لترجح
ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا تتنافيان فاما ما روي في الحديث انه عليه السلام قال ويل للعراقيب من النار وغير
ذلك من الاخبار التي رووها عن النبي صلعم انه توضأ وغسل رجليه فالكلام في ذلك انه لا يجوز ان يرجع عن ظاهر
القرآن المعلوم بظاهر الاخبار الذي لا يوجب علما وانما يقتضي الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة
وردت من طرقهم ووجدت في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن اوس بن ابي اوس انه قال رأيت النبي صلعم
توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال اتى رسول الله صلعم سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ
ومسح على قدميه ذكره ابو عبيد في غريب الحديث الى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله ويل للعراقيب من النار فقد روي
فيه ان قوما من اجلاف الاعراب كانوا يبولون وهم قيام فتشرشر البول على اعقابهم وارجلهم فلا يغسلونها ويدخلون
المسجد للصلاة وكان ذلك سببا لهذا الوعيد واما الكعبان فقد اختلف في معناهما فعند الامامية هما العظمان
الناتئان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة وان كان اوجب غسل
الرجلين الى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه
لقال سبحانه وارجلكم الى الكعاب ولم يقل الى الكعبين لان على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان [illegible]
والجنابة انما تكون بانزال الماء الدافق على كل حال او بالتقاء الختانين وحد تغيب الحشفة في الفرج سواء كان
معه انزال او لم يكن وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا

طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فقد تقدم تفسير ذلك في سورة النساء فلا معنى لاعادته ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلوة والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء
او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن مجاهد وجميع المفسرين ولكن يريد ليطهركم بما فرض عليكم
من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة اي تنظف ابدانكم بذلك من الذنوب والاثم دخلت فيه لتبيين
الارادة اي يريد ذلك ليطهركم كما قال الشاعر   اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل
ويؤيد ما قلناه ما روي عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابي امامة ان النبي صلعم قال ان الوضوء يكفر ما قبله وليتم نعمته
عليكم اي ويريد الله تعالى تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلوة مع وجود
الماء او التيمم عند عدمه ان يتم نعمته باباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد الطيب طهورا رخصة لكم منه
مع سوابغ نعمه التي انعمها عليكم لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا الله على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم
عنه وقد تضمنت هذه الاية احكام الوضوء وصفته واحكام الغسل والتيمم ومسائلها المتفرعة عليها كثيرة
موضعها الكتب المؤلفة في الفقه قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم
سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور آية **الاعراب**
انما قال ذات الصدور على لفظ التانيث لان المراد بذلك المعاني التي تحل القلوب ولم يقل ذوات ليبني عن
التفصيل في كل ذات **المعنى** لما قدم سبحانه بيان الشرايع عقبه بتذكير نعمه فقال
واذكروا نعمة الله عليكم ولم يقل نعم الله للاشعار بعظم النعمة لا من جهة التضعيف اذ كل نعمة لله فانه يستحق عليها
اعظم الشكر لكونها اصل النعم اذ هي مثل خلق الحياة والعقل والحواس والقدرة والالات وقيل بل لانه ذهب
مذهب الجنس في ذلك وجملة النعمة تسمى نعمة كما ان قطاع الارض تسمى ارضا وميثاقه الذي واثقكم به قيل
فيه اقوال احدها ان معناه ما اخذ عليهم رسول الله صلعم عند اسلامهم وبيعتهم بان يطيعوا الله في كل ما
يفرض عليهم مما ساءهم او سرهم عن ابن عباس والسدي وثانيها ان المراد بالميثاق ما بين لهم في حجة
الوداع من تحريم المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلم وهذا
داخل في القول الاول اذ هو بعض ما فرض الله تعالى وثالثها ان المراد بها مبايعتهم للنبي صلعم يوم بيعة
العقبة وبيعة الرضوان عن ابي علي الجبائي ورابعها ان معناه ما اخذ عليهم حين اخرجهم من صلب آدم و
اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا اضعف الاقوال اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني سمعنا واتقوا
الله معصيته ان الله عليم بذات الصدور اي بما تضمرونه في صدوركم من المعاني والمراد بالصدور ههنا القلوب
وانما جاز ذلك لان موضع القلب الصدر قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ثلث آيات **اللغة** جرمت واجرمت بمعنى وقيل معنى لا يجرمنكم لا يدخلنكم
في الجرم كما يقال اثمته اي ادخلته في الاثم وتقول وعدت الرجل تريد الخير واوعدت الرجل تريد الشر فاذا ذكرت

لسنكر واحد
منفاحد

الموعود

الموعود قلت فيهما وعدته واوعدته فقوله سبحانه وعد الله الذين آمنوا ابدا على الخير ثم بين ذلك الخير فقال لهم مغفرة
الاعراب قوامين نصب بانه خبر كان شهداء نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت
موقع المفرد كقول الشاعر   وجدنا الصالحين لهم جزاء   وجنات وعينا سلسبيلا   ويكون الجملة التي هي
لهم مغفرة في موضع نصب ولذلك عطف في البيت وعينا ونصب على الموضع ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة رفعا
ويكون الموعود به محذوفا **المعنى** لما ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بين سبحانه ان مما يلزم الوفاء به
ما ذكر في الاية فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين اي قائمين لله اي ليكن من عادتكم القيام لله بالحق
في انفسكم بالعمل الصالح وفي غيركم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعني بقوله لله اجعلوا ذلك ابتغاء مرضات الله
شهداء بالقسط اي بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لان
الشاهد يبين ما شهد عليه وقيل معناه كونوا من اهل عدالة الذين حكم الله سبحانه بان مثلهم يكونون
شهداء على الناس يوم القيامة ولا يجرمنكم شنآن قوم قد ذكرنا معناه في اول السورة قال الزجاج من
حرك النون من شنآن اراد بغض قوم ومن سكن اراد بغيض قوم ذهب الى ان الشنآن مصدر والشنآن
مصدر بالسكون صفة على ان لا تعدلوا اي لا يحملنكم بغضهم اي بغضكم اياهم وعلى القول الاخر فتقديره لا يحملنكم
بغيض قوم وعدو قوم على ان لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم اعدلوا اي اعملوا
بالعدل ايها المؤمنون في اوليائكم واعدائكم هو اقرب للتقوى اي اخلق ان تتقوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب
السيئات ان الله خبير اي عالم بما تعملون اي باعمالكم يجازيكم عليها وعد الله الذين آمنوا اي صدقوا
بوحدانيته واقروا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وعملوا الصالحات اي الحسنات من الواجبات والمندوبات
لهم مغفرة اي مغفرة لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد التغطية والستر واجر عظيم يريد ثوابا عظيما
والفرق بين الثواب والاجر ان الثواب يكون جزاء على الطاعات والاجر قد يكون على سبيل المعاوضة
بمعنى الاجرة والوعد هو الخبر الذي يتضمن النفع من المخبر والوعيد هو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر
والذين كفروا اي جحدوا توحيد الله وصفاته وانكروا نبوة نبيه وكذبوا بايات الله اي بدلائله
وبراهينه اولئك اصحاب الجحيم معناه انهم يخلدون في النار لان المصاحبة تقتضي الملازمة قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون آية **اللغة**
الذكر هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لان من شانه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى
لا طلب القول والهم بالامر هو حديث النفس بفعله يقال هم بالامر يهم هما ومنه الهم وهو الفكر الذي يغم وجمعه
هموم واهمه الامر اذا اعتنى به لحدوث نفسه والفرق بين الهم بالشيء والقصد اليه انه قد يهم بالشيء قبل
ان يريده ويقصد بان يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله **المعنى** ثم خاطب سبحانه
المؤمنين وذكرهم نعمته عليهم بما دفع عنهم كيد الاعداء فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم اي قصدوا ان يبسطوا اليكم ايديهم واختلف فيمن بسط اليهم الايدي على اقوال

احدهما انهم اليهود هموا بان يفتكوا بالنبي صلى الله عليه وآله وهم بنو النضير دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مع جماعة من اصحابه عليهم وكانوا قد عاهدوه على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقال رجل من اصحابي اصاب رجلين معهما امان مني فلزمني ديتهما فاريد ان تعينوني فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا وهموا بالفتك بهم فاذن الله به رسوله فاطلع النبي صلى الله عليه وآله اصحابه على ذلك وانصرفوا وكان ذلك احدى معجزاته عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين وثانيها ان قريشا بعثوا رجلا ليقتل النبي صلعم فدخل عليه وفي يده صلى الله سيف مسلول فقال له ارنيه فاعطاه اياه فلما حصل في يده قال ما الذي يمنعني من قتلك قال الله يمنعك فرمى السيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن امية ليغتاله بعد بدر وكان ذلك سبب اسلام عمرو بن وهب عن الحسن وثالثها ان المعني بذلك لطف الله للمسلمين من كف اعدائهم عنهم حين هموا باستيصالهم باشياء شغلهم بها من الامراض والقحط وموت الاكابر وهلاك المواشي وغير ذلك من الاسباب التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين عن ابي علي الجبائي ورابعها ما قاله الواقدي ان رسول الله صلى الله عليه وآله غزا جمعا من بني ذبيان ومحارب بذي امر فتحصنوا برؤوس الجبال ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث يراهم فذهب لحاجته فاصابه مطر فبل ثوبه فطرحه على شجرة واضطجع تحته والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم دعثور بن الحرث حتى وقف على راسه بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك اليوم مني فقال الله ودفع جبرئيل في صدره ووقع السيف من يده واخذه رسول الله صلعم وقام على راسه وقال من يمنعك اليوم مني فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت الآية وعلى هذا فيكون تخليص النبي صلعم مما هموا به نعمة على المؤمنين من حيث ان مقامه فيهم نعمة عليهم فلذلك اعتد به عليهم وقوله فكف ايديهم عنكم اي منعهم عن الفتك بكم واتقوا الله تقدم المعنى وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليثق المؤمنون بنصر الله وليتوكلوا عليه فان الله سبحانه كافيهم وناصرهم قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل آية

اللغة

الميثاق اليمين المؤكدة لانها يستوثق بها من الامر واصل النقيب في اللغة من النقب وهو الثقب الواسع ونقيب القوم كالكفيل والضمين ينقب عن الاسرار ومكنون الاضمار ومنه نقاب المراة ومنه المناقب الفضائل لانها تظهر بالتنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم اذا صار نقيبا وصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرف عليهم اذا صار عريفا ونكب عليهم ينكب نكابة اذا صار منكبا وهو عون العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الامور والنقباء اول الحرب وجمعها النقب والنقب قال متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب واصل الباب كله معناه التاثير الذي له عمق ودخول ومن ذلك نقبت الحائط الذي اي بلغت في نقبه آخره ومن ذلك النقبة في الحرب لانه دار ستر يدل الدخول والنقبة السراويل لا رجل لها قد بولغ

فنشرح د
عزرت ح د

في فتحها وانما قيل نقيب لانه يعلم دخيلة امور القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة امورهم قال ابو عبيدة التعزير التوقير وانشد وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في الندي اي يعظم والعزر الرد والمنع في قول الفراء تقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في النصرة والتعظيم لان ذلك يمنع صاحبه ومن اراده بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شيء وسطه

الاعراب

انما قال قرضا ولم يقل اقراضا لانه رده الى قرض قرضا فان في اقرضتم معنى القرض وهذا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ولم يقل انباتا وقال امرؤ القيس ورضت فذلت صعبة اي اذلال لان في رضت معنى اذللت

المعنى

لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتل رسوله ودفع عنه شرهم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرائرهم وقبح عادتهم في خيانة الرسل تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله فيما هموا به فقال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اي عهده المؤكد باليمين باخلاص العبادة له والايمان برسله وما ياتون به من الشرائع وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي امرنا موسى بان يبعث من الاسباط الاثني عشر رجلا كالطلائع يتجسسون ويأتونه بني اسرائيل باخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختار من كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما راوا من شدة باسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب بن يوفنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه اخذنا من كل سبط منهم يمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق في امر دينهم عن الحسن والجبائي وقيل معناه اثني عشر نبيا وقيل شهيدا على قومهم عن قتادة وقال البلخي يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقيموا الدين ويعلموا الاسباط التورية ويامروهم بما فرض الله عليهم وامرهم به وقال الله اني معكم قيل انه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني اسرائيل الذين اخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله لهم فحذف لدلالة الكلام عليه اني معكم بالنصر والحفظ انصركم على عدوي وعدوكم الذين امرتكم بقتالهم ان قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذي اخذته عليكم ثم ابتدأ سبحانه فقال لئن اقمتم الصلوة معشر بني اسرائيل وآتيتم الزكوة اي اعطيتموها وآمنتم برسلي اي صدقتم بما اتاكم به رسلي من شرائع ديني وقيل انه خطاب للنقباء وعزرتموهم اي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتموهم ووقرتموهم واطعتموهم عن ابن زيد وابي عبيدة واقرضتم الله قرضا حسنا اي انفقتم في سبيل الله واعمال البر نفقة حسنة فجازيكم بها فكانه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله حسنا عن طيبة نفس وان لا يتبعه منا ولا اذى وقيل يعني حلالا لاكفرن عنكم سيئاتكم اي لاغطين على ما مضى من اجرامكم بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار ظاهر المعنى فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد بعث النقباء واخذ الميثاق فقد ضل سواء السبيل اي اخطا قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق وفي هذا دلالة واشارة الى ان الحق بين الغلو والتفريط كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة الى آخر كلامه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم

لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين آية **القراءة** قرا حمزة والكسائي قسية بغير الف والباقون قاسية بالف **الحجة** من قرا قاسية فلانه الاعرف والاكثر في مجرى العادة ان فعيلا قد يجيء بمعنى فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن قرا قسية **اللغة** القسوة خلاف اللين والرقة وانشد ابو عبيدة وقد قسوت وقسا لداتي

اي فارقني لين الشباب ولداتي فالقاسي الشديد الصلابة قال ابو العباس الدرهم انما سمي قسيا اذا كان فاسدا زايفا لشدة صوته بالقسوة الذي فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحي في الحجارة

لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات في ايدي الصياريف

قال ابو علي احسب قسيا في الدراهم معربا واذا كان معربا لم يكن من القسي العربي في شي الا ترى ان قابوس والبس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التي من الفاظها عربي لا يكون مشتقا من باب القبس والابلاس يدلك على ذلك منعهم الصرف والخائنة الخيانة وفاعلة في اسماء المصادر كثيرة نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وسمعت راغية الابل وثاغية الغنم وبين يديهما كاذبة وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر

حدثت نفسك بالوفاء ولم يكن للغدر خائنة مغل الاصبع

الاعراب ما في قوله فبما نقضهم زايدة موكدة اي فبنقضهم ومثله قول الشاعر

لشي ما يسود من يسود

يحرفون في موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اي محرفين الكلم ويجوز ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام عند قوله قاسية وقيل منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم في قوله على خائنة منهم **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فيه تسلية للنبي صلعم يقول لا تعجبن يا محمد من هولاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم وغدروا بك فان ذلك من عادة اسلافهم الذين اخذت ميثاقهم على طاعتي في زمن موسى عليه السلم وبعثت منهم اثنى عشر نقيبا فنقضوا ميثاقي وعهدي فلعنتهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد وفي الكلام محذوف واكتفى بدلالة اللفظ وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلعناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد الموكد اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطاء وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه منها انهم كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا حدوده ومن الضحاك عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبي صلى الله عليه واله عن ابن عباس وجعلنا قلوبهم قاسية اي يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق واللطف الذي تنشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تعاهده حتى صدي وجلبت اظافرك صلاحك اذا لم تقصها وقيل معناه بينا على حال قلوبهم وما هي عليها من القساوة وحكمنا بانهم

لايومنون

لايومنون ولا ينجع فيهم موعظة عن الجبائي وقيل معنى قاسية ردية فاسدة من الدراهم القسية اذا كانت زايفة وهذا راجع الى معنى اليبس ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش والفساد ويقال للرحيم لين القلب وللغير الرحيم يابس القلب يحرفون الكلم عن مواضعه اي يفسرونه على غير ما انزل ويغيرون صفة النبي صلعم فيكون التحريف بامرين احدهما سوء التاويل والاخر التغيير والتبديل كقوله يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ونسوا حظا مما ذكروا به وتركوا نصيبا مما وعظوا به وما امروا به في كتابهم من اتباع النبي صلعم فصار كالمنسي عندهم ولو امنوا به واتبعوه لكان لهم حظا وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله به في كتابهم مما فيه رشدهم وتركوا تلاوته ونسوه على مر الايام ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعني على خيانة اي معصية عن ابن عباس وقيل كذب وزور ونقض عهد ومظاهرة المشركين على رسول الله صلى الله عليه واله وغير ذلك مما يظهر من اليهود من انواع الخيانات وقيل ان معناه تطلع على فرقة خائنة اي جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوه واذا عاهدوا عهدا نقضوه الا قليلا منهم لم يخونوا فاعف عنهم واصفح ما داموا على عهدك ولم يخونوك عني بهم القليل الذي استثناهم عن ابي مسلم وقيل معناه فاعف عنهم اذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبري وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الاية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء عن الجبائي ان الله يحب المحسنين ثم المعنى قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون آية **اللغة** معنى الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى اذا لصقت به عن الاصمعي وقال غيره غريت به غراء ممدود واغريت زيدا بكذا حتى غري به ومنه الغراء الذي يلصق به الاشياء **المعنى** ثم بين سبحانه حال النصارى في نقضهم ميثاق عيسى كما بين حال اليهود في نقضهم ميثاق موسى فقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي من الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوة المسيح وجميع انبياء الله وانهم كلهم عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا بها ولهذا لم يقل من النصارى الا انه سبحانه اطلق هذا الاسم في مواضع عليهم لانه صار سمة لهم وعلامة عن الحسن فنسوا حظا مما ذكروا به من بيانه فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء واختلف فيه فقال المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين اصناف النصارى خاصة من اليعقوبية والملكانية والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج الطبري وانما اغرى بينهم العداوة بالاهواء المختلفة في الدين وذلك ان النسطورية قالت ان عيسى ابن الله واليعقوبية قالت ان الله هو المسيح بن مريم والملكانية وهم الروم قالوا ان الله ثالث ثلثة الله وعيسى ومريم وقيل بامر بعضهم ان يعادي بعضا عن الجبائي فكانه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هولاء يكفر بعضهم بعضا وقوله الى يوم القيمة يعني به المعاداة

تبقى بينهم الى يوم القيمة اما بين اليهود والنصارى واما بين فرق النصارى وقيل الوجه في قوله سبحانه
اغرينا بينهم العداوة والبغضاء انه اخبر انهم اختلفوا فيما بينهم وكلهم على خطاء وضلال وقد جعل الله سبحانه
على كل مقالة من مقالاتهم التي اخطأوا فيها دلالة عرف بها بعضهم خطاء بعض فتعادوا على ذلك وتباغضوا ولم يعرف
كل فرقة منهم خطاء انفسهم فلما لم يصل كل منهم الى المعرفة بخطاء صاحبه الا من جهة كتاب الله ودلالته والتعادي بينهم
كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرب وقيل الوجه في ذلك انا اخطرنا
على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما يهيج العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق
وسوف ينبئهم الله عند المحاسبة بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم
فكانه لما قال سبحانه فاعف عنهم واصفح بين بعد ذلك انه من وراء الانتقام منهم وانه سيجازيهم على صنيعهم وقبح
فعلهم قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم آيتان كوفي وثلث عند
غيرهم **اللغة** الرضوان والرضا من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب لمستحقه وقال
قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال علي بن عيسى هو جنس من الفعل يقتضي وقوع الطاعة الخالصة مما
يبطلها ونقيضها الغضب قال ان الرضا بما مضى يصح وارادة ما مضى لا يصح اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا
يصح ان يريد ما كان وهذا الذي ذكره غير صحيح لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء مع العلم
غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يخللها كراهية فيتعلق متعلقها بالرضا على وقوع المراد الا
انه بعد وقوع المراد وبعد ارادة تسمى رضا بما كان فسقط ما قاله **المعنى** لما ذكر سبحانه
ان اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما امروا به عقب ذلك بدعائهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه
وآله ذكرهم ما اتاهم به من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال يا اهل الكتاب يخاطب اليهود والنصارى
قد جاءكم رسولنا محمد صلعم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ما بينه من رجم الزانيين و
اشياء كانوا يحرفونها من كتابهم بسوء التأويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لان الكتاب اسم جنس و
فيه معنى العهد فسلك طريقة الايجاز في اللفظ من حيث كانوا كانهم اهل كتاب واحد ويعفوا عن كثير معناه
يترك كثيرا لا يذكره ولا يأخذكم به لانه لم يؤمر به عن ابي علي الجبائي وقيل معناه يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن
والوجه في تبيين بعضه وترك بعض انه يبين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته والبشارة به
وما يحتاج الى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التي يحتاج معها الى استعلامه كما اتفق ذلك في
الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة كفى ذكره في الجملة قد جاءكم من الله نور يعني بالنور محمدا صلعم
لانه يهتدي به الخلق كما يهتدي بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القرآن لانه يبين الحق
عن الضلال عن ابي علي الجبائي والاولى القول وكتاب مبين فيكون اختلاف اللفظين لاختلاف
المعنيين يهدي به الله اي بالكتاب المبين وهو القرآن وقيل بالنبي صلعم من اتبع رضوانه اي من اتبع

رضاء الله في قبول القرآن والايمان وتصديق النبي صلعم واتباع الشرائع سبل السلام قيل السلام هو الله
سبحانه عن الحسن والسدي ومعناه سبل الله وهو شرائعه التي شرعها لعباده وهو الاسلام وقيل انه
السلامة من كل مخافة ومضرة الا ما لا يعتد به لانه يؤدي الى النفع في العاقبة عن الزجاج الى هدى الى طرق
السلامة من اتبع ما فيه رضاء الله فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يهدي انه يفعل
اللطف المؤدي الى سلوك طرق الحق ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه من الكفر الى الايمان لان الكفر يتحير
فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي بالايمان الى النجاة كما يهتدي بالنور باذنه اي بلطفه ويهديهم
الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام عن الحسن وقيل الى طريق الجنة عن ابي علي
الجبائي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد
ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم
يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات
والارض وما بينهما واليه المصير آيتان **اللغة** الاحباء جمع الحبيب والحب
المحبة وقد يكون بمعنى الارادة وقد يكون بمعنى الشهوة ويستعمل في كل واحد منهما يقال احب استقامة امورك
واحب جاريتي **الاعراب** اللام في قوله لقد كفر
جواب للقسم وتقديره اقسم لقد كفر الذين قالوا وانما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذكر السموات
على الجمع لانه اراد به النوعين والصنفين كما قال الشاعر طرقا فتلك هماهمي اقريهما
قلصا لواقح كالقسي وحولا فقال طرقا ثم قال فتلك هماهمي **المعنى**
ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم كفرهم الله
سبحانه بهذا القول لانهم قالوه على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه الحكاية والانكار وانما كفروا بذلك
لوجهين احدهما انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوها الى غير الله ممن ادعوا الالهية والآخر انهم كفروا
بانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله سبحانه فقالوا هو اله وكل جاهل بالله كافر لانه لما ضيع نعمة
الله سبحانه كان بمنزلة من اضافها الى غيره قل يا محمد فمن يملك من الله شيئا اي من يقدر ان يدفع من امر الله
شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره الا بك وتقديره من
يملك من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا يعني بذلك انه لو كان
المسيح الها لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس بقادر عليه لاستحالة القدرة
على مغالبة القديم اي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع انه مسخر مربوب مقهور وقيل معناه انه
من قدر على هذا لم يجز ان يكون معه اله ولا ان يشبهه شيء ولله ملك السموات والارض وما بينهما ومن كان
هذه الصفة فلا ثاني له وذلك يدل على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا له لم يكن الها وابنا له لان المملوك
لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون الها وقوله يخلق ما يشاء اي ما يشاء ان يخلقه فان شاء خلق من

من ذكر او انثى والله تعالى خلق من انثى بغير ذكر فدل هذا على انه ليس في كون المسيح من انثى بغير ذكره ما يدل على كونه
الها وقوله والله على كل شيء قدير اي يقدر على كل شيء يريد ان يخلقه وفي هذه الاية رد على النصارى القائلين
بان الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا يجب ان يعبد ويتخذ الها فاحتج عليهم بان من
جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون الها وكذلك من كان مولودا مربوبا لا يكون ربا ثم حكى عن الفريقين من اهل
الكتاب فقال ـــ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل ان اليهود قالوا نحن في القرب
من الله بمنزلة الابن من ابيه والنصارى لما قالوا المسيح ابن الله جعلوا انفسهم ابناء الله واحباؤه لانهم تاولوا
ما في الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف وكعب
بن اسيد وزيد بن تابوه وغيرهم قالوا للنبي صلعم حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته لا تخوفنا فانا ابناء الله
واحباؤه فان غضب علينا فانما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني انه يزول عن قريب عن ابن عباس وقيل
انه لما قال ـــ قوم ان المسيح ابن الله اجرى ذلك على جميعهم كما يقول العرب هذيل شعراء اي فيهم شعراء وكما
قالوا في رهط مسيلمة قالوا نحن انبياء اي قال قائلهم وكما قال جرير ندسنا ابا مندوسة القين بالقنا
فقال ندسنا وانما الناوس رجل من قوم جرير ثم قال سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وآله قل لهؤلاء المفترين على
ربهم فلم يعذبكم بذنوبكم اي فلاي شيء يعذبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب
على حبيبه فلا يعذبه وهم يقرون بانهم يعذبون لانهم لو لم يقولوا به كذبوا بكتبهم وقد اقرت اليهود
بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه
المستقبل اي فلم عذبكم وقد اقررتم بانه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بان مسخكم القردة والخنازير
وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباؤه لما عذبكم بل
انتم بشر ممن خلق اي ليس الامر على ما قلتم انكم ابناء الله واحباؤه بل انتم خلق من بني آدم ان احسنتم جوزيتم
على احسانكم وان اسأتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لغيركم من خلقه
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وانما علق العذاب بالمشية مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن كان
عاصيا لما في ذلك من البلاغة والايجاز برد الامور الى العالم الحكيم الذي يجريها على وجه الحكمة ولله
ملك السموات والارض يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه وما بينهما اي بين الصنفين وفي ذلك
على انه لا ولد له لان الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكا له واليه المصير معناه ويؤول اليه امر
العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم غيره لانه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضي وانما
يراد به ذلك انه المتصرف فيها والامر لنا لا على معنى انه قرب المكان قوله تعالى يا اهل الكتا
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد
جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير آية **اللغة**
الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر فتورا اذا سكن فيه وفترة عنه والفترة انقطاع ما بين النبيين
عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان الامر عليه من الجد في العمل وفتر الماء اذا انقطع عما

كان عليه

كان عليه من البرودة الى السخونة وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر **الاعراب**
موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا فحذف المضاف الذي هو مفعول له واقيم
المضاف اليه مقامه وقال الكسائي والفراء تقديره لئلا تقولوا ومن في قوله من بشير مزيدة وفائدتها نفي
الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير **المعنى** ثم عاد الى خطاب
اهل الكتاب ومحاجتهم واستعطافهم والزامهم الحجة برسول الله فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يعني محمدا صلى الله عليه وآله يبين لكم اي يوضح لكم اعلام الدين وفيه دلالة على انه سبحانه اختصر من العلم
بالسمع غيره على فترة من الرسل اي على انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان
الفترة لم يكن فيه نبي وكان الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وكانت النبوة متصلة قبل ذلك
في بني اسرائيل وروي عن ابن عباس انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل واختلفوا في مدة الفترة بينهما فقيل ستمائة
سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمسمائة وستون سنة عن قتادة في رواية اخرى وقيل اربعمائة وبضع وستون سنة
عن الضحاك وقيل خمسمائة وشيء عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وتسع
وستون سنة وكان بعد عيسى اربعة من الرسل وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث ولا ادري من الرابع فكان من تلك المدة مائة واربع وثلثون سنة نبوة وسائرها فترة عن الكلبي
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا محتجين
يوم القيامة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بين سبحانه انه قطع عنهم
عذرهم وازاح عللهم بارسال رسوله فقال ـــ قد جاءكم بشير ونذير وهو محمد صلى الله عليه وآله بشير
كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب والله على كل شيء قدير ظ وفي هذه الاية دلالة على بطلان مذهب
المجبرة لان المجبر يمنع القدرة اوكد من المجبر يمنع اللطف وتكون الحجة في ذلك لم يعلم الله تعالى ان بعثة الانبياء
مصلحة لهم فاذا لم يبعث تكون لهم الحجة فاما من لا يعلم ذلك منهم فلا حجة لهم وان لم يبعث اليهم الرسل
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ۝ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين آيتان **اللغة**
اصل التقديس التطهير ومنه قيل للسطل الذي يتطهر به القدس ومنه تسبيح الله وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق
به ولا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب **الاعراب**
انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التانيث ولزومها بخلاف علامة التانيث في حمزة وقائمة فانها
لا تلزم فلذلك انصرف في النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال والواو في فتنقلبوا **المعنى**
ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبيهم اسلام الله عليه تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله اياه فقال اذ قال ـــ
موسى لقومه اي واذكر يا محمد اذ قال موسى لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم واياديه لديكم والاية فيكم اذ جعل
منكم انبياء يخبرونكم بانباء الغيب وينصرونهم على الاعداء ويبينون لكم الشرائع وقيل هم الانبياء الذين
يخبرلم

كانوا بعد موسى يقيمين فيهم الى زمن عيسى يبينون لهم امر دينهم وجعلكم ملوكا بان سخر لكم من غيركم خدما يخدمونكم
عن قتاده وقيل انما خاطبهم موسى بذلك لانهم كانوا يملكون الدور والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك
ذلك ولا يدخل عليه الا باذنه فهو ملك كاينا من كان عن عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم والحسن ويؤيد ذلك
ما روي عن النبي صلعم انه قال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وقيل الملك هو الذي له ما يستغني به عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق والتكسب في المعاش عن ابي علي
الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكا بالمن والسلوى والحجر والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع ان يكون
الله سبحانه جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التي بها يكون الانسان ملكا عن ابي القسم البلخي
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اي اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمي زمانهم عن الحسن والبلخي وقيل معناه اعطاكم
من اجتماع هذه الامور وكثرة الانبياء والايات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائي
واختلفوا في المخاطب بقوله واتاكم فقيل هم قوم موسى عن ابن عباس ومجاهد وغيره وهو الاظهر وقيل هم امة
النبي صلعم عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كلفهم سبحانه دخول الارض المقدسة بعد ذكر النعم فقال يا قوم حكاية
عن خطاب موسى لقومه ادخلوا الارض المقدسة هي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل
هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن عن الزجاج والفراء وقيل هي الشام عن قتاده وقيل هي ارض الطور وما
حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مكانا وقرارا للانبياء والمؤمنين التي كتب الله
لكم اي كتب في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها
عن قتاده والسدي فان اعترض معترض فقال كيف كتب الله لهم مع قوله فانها محرمة عليهم فجوابه انها كانت
هبة من الله لهم ثم حرمها عليهم عن ابن اسحق وقيل ان المراد به الخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كانه
مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب الله لهم دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت
موسى بشهرين ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل لا
ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي فتنقلبوا خاسرين الثواب في الآخرة وانما قال ذلك لانهم كانوا امروا
بدخولها كما امروا بالصلوة وغيرها عن قتاده والسدي وقيل انهم لم يؤمروا بذلك فيكون المراد فتنقلبوا
خاسرين حظكم في دخولها كما يقال خسر في البيع فلان **القصة** قال المفسرون
لما عبر موسى وبنوا اسرائيل البحر وهلك فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن
خافوا من الدخول فبعث موسى من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا فعاينوا من عظم شانهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا الى بني اسرائيل فاخبروا موسى بذلك فامرهم ان
يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط ابن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف وكالب بن يوفنا
من سبط يهودا وعصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتم الخمسة منهم واظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا
ان دخلنا عليهم يكون نساؤنا واهالينا غنيمة لهم وهموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب وارادوا
ان يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فاوحى الله اليه انهم

يتيهون

يتيهون في الارض اربعين سنة وانما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه اربعين سنة في ستة عشر فرسخا
وقيل ستة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل لا تخرق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء
غير يوشع وكالب ومات اكثرهم ونشا ذراريهم فخرجوا الى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا فيمن فتحها فقيل
فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى وكان قد توفي موسى وبعثه الله نبيا وروي
انهم كانوا في المحاربة اذا غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة
موسى وهرون على نبينا وعليهما السلام في التيه وتوفي هرون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة
في ملك افريدون ومنوچهر وكان عمر يوشع مائة وستة وعشرين سنة وبقي بعد وفاته مدبرا لامر بني اسرائيل
سبعا وعشرين سنة قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب
فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا
لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
اربع ايات بصري وثلاث عند الباقين عد بصري غالبون وقوله جبارين لم يتكل ولا بعده الجميع
اللغة الجبار هو الذي لا ينال بالقهر واصله في النخل وهو ما فات اليد طولا والجبار من
الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالاكراه على الصلاح قال العجاج
قد جبر الدين الاله فجبر وعور الرحمن من ولى العور والجبار في صفة تعظيم لانه يفيد الاقتدار وهو
سبحانه لم يزل جبارا بمعنى انه ذات تدعو العوارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار
هو الغالب لمن ناواه او كان في حكم المناوي بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بانه قهار والجبار
في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له فان العظمة لله سبحانه **الاعراب**
فاذهب انت وربك انما اتى بالضمير المرفوع المنفصل تاكيدا للضمير المستكن في اذهب ليصح العطف عليه فانه
يقبح العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن والمتصل من غير ان يؤكد لانه يصير كانه معطوف على الفعل
اذا عطف على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال انه ابرز الضمير فان الضمير اذا ابرز يصير
الفعل خاليا منه وقوله اذهب غير فارغ من الضمير وانما حسن العطف على الضمير المتصل في قوله فاجمعوا امركم
وشركاءكم لان ذكر المفعول صار عوضا من الضمير المنفصل كما كان لا في قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا عوضا
منه **المعنى** ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه قالوا يعني بني اسرائيل ان فيها اي في الارض
المقدسة قوما اي جماعة جبارين شديد البطش والباس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم
انه لما بعث موسى من قومه اثني عشر نقيبا ليخبروه خبرهم راهم رجل من الجبارين يقال له عوج فاخذهم
في كمه مع فاكهة كان حملها من بستانه واتى بهم الملك فقال ارجعوا الى صاحبكم فنثرهم بين يديه وقال الملك تعجبا
منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكان فاكهتهم
لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال فان موسى كان

الآخر

طوله عشرة اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع وترا من الارض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول
سريره ثمانمائة ذراع وانا لن ندخلها يعني لن ندخلها حتى يخرجوا فان يخرجوا يعني الجبارين منها فانا داخلون
قال رجلان من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرفوا خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب وقيل كالب
بن يوفنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على
دين موسى لما بلغهما خبر موسى جاءاه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من الذين يخافون انعم الله عليهما
بالاسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين اي لم يمنعهم الخوف من الجبارين ان قالوا الحق انعم الله عليهما
بالتوفيق للطاعة عن الجبائي وكان سعيد بن جبير يقرأ يخافون بضم الياء وروى تاويل ذلك عن ابن عباس
انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اخبر عن
الرجلين انهما قالا ادخلوا يا بني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علما انهم مظفرون بهم ويغلبوهم
اذا دخلوا الباب لما اخبر به موسى ووعد الله تعالى بالنصرة وقيل لما راوه من القاء الله الرعب في قلوب الجبارين
وعلما انهم ان دخلوا الباب غلبوا وعلى الله فتوكلوا في نصرة الله على الجبارين ان كنتم مومنين بالله وبما
اتاكم به رسوله من عنده ثم اخبر عن قوم موسى بانهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها اي هذه المدينة ابدا ما داموا
اي دام الجبارون فيها وانما قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم لعظم اجسامهم وشدة بطشهم و
لم يثقوا بوعد الله سبحانه بالنصرة عليهم فاذهب يا موسى انت وربك فقاتلا الجبارين انا ههنا قاعدون
اي لحتى تظفرهم وترجع الينا ثم ندخل وانما لم ينكر موسى عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين احدهما
ان الكلام كله يدل على الانكار عليهم والتعجب من جهلهم في تمنيهم امرهم بالرد له والمخالفة عليه والآخر الى ان ل
انهم لما قالوا ذلك مجازا يعني وربك معين لك على ما قاله ابو القسم البلخي والاول اليق بجهل اولئك القوم تقلبهم ل
قال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل ولو عرفوا الله تعالى حق معرفته اثام ل
لما عبدوا العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان الى مكان فانه كفر وان قالوه
على وجه الخلاف فانه فسق واما قوله سبحانه قاتلهم الله انى يوفكون فانه مجاز والمعنى انه يعاديهم عداوة
المقاتل ويحل بهم ما يحله المقاتل المستعلي بالاقتدار وعظم السلطان لمن يقاتله قوله تعالى قال رب اني
لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم
اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين آيتان

اللغة

اصل التيه التحير الذي لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود يقال تاه يتيه تيها و
توها اذا تحير وتيهته وتوهته والياء اكثر والتيهاء الارض التي لا يهتدى فيها وارض تيهاء
والاسى الحزن يقال اسي يأسى اسى اذا حزن قال امرؤ القيس
وقوفا بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك اسى وتجمل

الاعراب

اخي يجوز ان يكون في موضع رفع
ويجوز ان يكون في موضع نصب ورفعه من وجهين احدهما ان يكون عطفا على موضع اني ومثله ان الله بريء
من المشركين ورسوله والآخر ان يكون معطوفا على انا املك اي لا املك انا واخي الا انفسنا ونصبه ايضا

من وجهين

من وجهين احدهما ان يكون عطفا على الياء في اني اي اني واخي لا نملك الا انفسنا والآخر ان يكون عطفا على
نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب
بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطأ لانه جاء في التفسير انها محرمة عليهم ابدا

المعنى

ثم ذكر
سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال تعالى قال اي قال موسى لما غضب على قومه رب اني لا املك
الا نفسي اي لا املك الا تصريف نفسي في طاعتك لانها التي تجيبني اذا دعوت واخي اي وكذلك لا املك الا
نفسه او يكون معناه ولا املك ايضا الا اخي لانه يجيبني اذا دعوت فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي
فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسماهم فساقا وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم عن الايمان الى الكفر
فالفسق الخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم المعاصي قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه وقيل في سوال موسى الفرق بينه وبينهم قولان احدهما انه سال الله تعالى ان يحكم ويقضي بما يدل
على بعدهم عن الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القوا في التيه عن ابن عباس والضحاك و
الآخر انه سال ان يفرق بينه وبينهم في الآخرة بان يكون هولاء في النار وهو في الجنة ولو دعا بالهلاك لا
هلكوا عن الجبائي قال اي قال الله سبحانه لموسى عليه السلام فانها محرمة عليهم اي ان الارض المقدسة حرمت عليهم وفي
كيفية التحريم قولان احدهما انه تحريم منع كقول امرؤ القيس
جالت لتصرعني فقلت لها اقصري ... اني امرؤ صرعي عليك حرام
يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس بك لا تملكين ان تصر
عيني وقيل يجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابي علي الجبائي والاول اظهر وقال البلخي يجوز ان يكونوا امروا
بان يطوفوا فيه اربعين سنة يتيهون في الارض يعني يتحيرون في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى
الخروج منها وكان مقدار مسافتها ستة فراسخ عن الربيع وكانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث
اصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى وهرون كانا معهم في التيه وقيل ايضا انهما
لم يكونا في التيه لان التيه عذاب وعذبوا بعدد كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والانبياء لا يعذبون قال
الزجاج ان كانا في التيه فجائز ان يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابرهيم النار فجعلها عليه بردا
وسلاما وشابهما الاحراق ومات موسى في التيه وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع بن اخت
موسى ووصيه والنبي في قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت في التيه عن الحسن ومجاهد قال وفتح المدينة قاله ل
موسى ومتى سئل موسى فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج
منها فالجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون ذلك لان تحول الارض التي هم عليها اذا ناموا فيردوا
الى المكان الذي ابتدوا منه عن ابي علي والآخر ان يكون ذلك بالاسباب المانعة من الخروج عنها اما
بان تمحى العلامات التي يستدل بها او بان يلقي شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا للعادة
وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا بعد موت
موسى بشهرين وانما دخلها اولادهم معهما فلا تاس على القوم الفاسقين خطاب لموسى
عليه السلام امره الله تعالى ان لا يحزن على هلاكهم لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله

قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ

قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين آية **اللغة** القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران من الشكر والكفران من الكفر وقرابين الملك جلساؤه لقربهم اليه

الاعراب اذ قربا متعلق بقوله نبأ والتقدير خبر ابنى آدم وما جرى منهما حين قربا قربانا اى قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما فى الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد والمتعدد على انه مصدر من قرب الرجل قربانا

المعنى واتل اى واقرأ عليهم يا محمد نبأ ابنى آدم اى خبرهما بالحق اى بالصدق واجمعوا انهما كانا ابنى آدم لصلبه الا الحسن فانه قال كانا رجلين من بنى اسرائيل اذ قربا قربانا اى فعلا فعلا يتقرب به الى الله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر بقبول الطاعة ايجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول فى ذلك الزمان نارا تاتى فتاكل المتقبل ولا تاكل المردود وقيل كانت النار تاكل المردود وعن مجاهد والاول اظهر قال لأقتلنك فى الكلام حذف التقدير قال الذى لم يتقبل منه للذى تقبل منه لأقتلنك فقال لم تقتلنى قال لانه تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى وقال له وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين للمعاصى فاطلق للعلم بان المراد انها احق ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما يتقبل الله ممن كان زاكى القلب ورد عليك لانك لست بزاكى القلب واستدل بهذا على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لان المعنى ان الثواب انما يستحق من يوقع الطاعة لكونها طاعة فاما اذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يمتنع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذى يستحق عليه الثواب فيستحقه **النظم** ووجه اتصال الآية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود فى نقض العهد وارتكاب الفواحش كارتكاب ابن آدم فى قتله اخاه وما عاد عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه صلى الله عليه وآله ان يتلو عليهم اخبارهما تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله فيما نالهم من جهلهم وتكذيبهم وتبكيتا لليهود **القصة** قال ان حواء امراة آدم كانت تلد فى كل بطن غلاما وجارية فولدت فى اول بطن قابيل بن آدم وقيل قابين وتوامته اقليما بنت آدم والبطن الثانى هابيل وتوامته لبوذا فلما ادركوا جميعا امر الله تعالى آدم ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضى هابيل وابى قابيل لان اخته كانت احسنهما وقال ما امر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فامرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فغدا هابيل وكان صاحب ماشية فاخذ من خير غنمه زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فاخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فاتت النار فاكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل فى الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى وتريد ان تاخذ اختى الحسناء واخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله روى ذلك

تنكل بيبر د

عن ابى جعفر الباقر عليه السلم وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الآخر ان قابيل لم يكن زاكى القلب فقرب بشر ماله واخبثه وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واظهر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل النار للقربان انه لم يكن هناك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكان ينزل نار من السماء فتاكله وعن اسمعيل بن رافع ان قربان هابيل كان يرتع فى الجنة حتى فدى به ابن ابرهيم قوله تعالى لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ثلث آيات **اللغة** البسط المد وهو ضد القبض تبوء ترجع يقال باء اذا رجع الى المباءة وهى المنزل وباؤا بغضب من الله اى رجعوا والبوء الرجوع بالقود وهم فى هذا الامر بواء اى سواء طوعت له فعلت من الطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع له كذا اى اتاه طوعا ولا يقال اطاعه بنفسه لان اطاع يدل على قصد لموافقة معنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة ان اطاع اصول الشجرة وفى الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه ومنه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى لان الامر والنهى لا يكونان الا ممن هو اعلى الى من هو دونه

طاع له د

الاعراب لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بباسط ولا يقع ما جوابا للشرط لان ما يكون لها صدر الكلام والقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بان ولام الابتداء ولم يجز بالفاء لان المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم وانما القسم يؤكده وجواب الشرط يجب بوجوب الشرط فاذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولى من الجزاء لانه لما تقدم القسم وصار الجزاء فى حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له واكتفى به من جواب الشرط لدلالته عليه **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال لاخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه اخيه لئن بسطت الى يدك ومعناه لئن مددت الى يدك لتقتلنى اى لان تقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك اى لان اقتلك قال اهل التفسير ان القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المامور به ليكون الله تعالى هو المتولى للانتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائى وقيل ان معنى الآية لئن بسطت الى يدك على سبيل الظلم والابتداء لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك على وجه الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نائم صخرة شدخه بها قال المرتضى قدس الله روحه والظاهر بغير الوجهين اشبه لانه تعالى اخبر عنه انه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله اى وهو مريد لقتله لان اللام بمعنى كى وهو منبئة على الارادة والغرض ولا شبهة فى قبح ذلك لان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله فكانه قال له لئن ظلمتنى لم اظلمك انى اخاف الله رب العالمين معناه انى اخاف الله فى مد يدى اليك لقتلك انى اريد ان تبوء باثمى واثمك معناه انى لا ابدؤك بالقتل لانى اريد ان ترجع باثم قتلى ان قتلتنى واثمك الذى كان منك قبل قتلى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائى والزجاج واثمك

عن ابى جعفر

الذی من اجله لم یتقبل قربانک وقیل معناه باثم قتلی واثمک الذی هو قتل جمیع الناس حیث سننت القتل ومعنی تبوء باثمی تبوء بعقاب اثمی لانه لا یجوز لاحد ان یرید معصیة الله تعالی من غیره ولکن یجوز ان یرید عقابه المستحق علیه بالمعصیة ومتی قیل کیف یحسن ارادة ما لم یقع سببه فان القتل علی هذا لم یکن واقعا فجوابه ان ذلک یحسن بشرط وقوع ما یستحق به العقاب فهابیل لما رای من اخیه العزم علی قتله وغلب علی ظنه ذلک جاز ان یرید عقابه بشرط ان یفعل ما عزم علیه فتکون من اصحاب النار ای فتصیر بذلک من الملازمین النار وذلک جزاء الظالمین ای عقاب العاصین ویحتمل ان یکون هذا اخبارا عن قول هابیل ویحتمل ان یکون ابتداء حکم من الله تعالی فطوعت له نفسه قتل اخیه قیل فیه اقوال احدها ان معناه شجعته نفسه علی قتل اخیه ای علی ان یقتل اخاه عن مجاهد وثانیها ان المراد زینت له نفسه قتل اخیه وثالثها ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته نفسه علی قتله اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل اخیه ومن قال ان معناه زینت له فیکون قتل اخیه مفعولا به فقتله قال مجاهد لم یدر قابیل کیف یقتله حتی ظهر له ابلیس فی صورة طیر واخذ طیرا آخر وترک راسه بین حجرین فشدخه ففعل قابیل مثله وقیل هو اول قتیل کان فی الناس فاصبح من الخاسرین ای ممن خسر الدنیا والآخرة وذهب عنه خیرهما واستدل بعضهم بقوله فاصبح علی انه قتله لیلا وهذا لیس بشیء ولان من عادة العرب ان یقولوا اصبح فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا کانت ثمرته الخسران یعنون حصوله کذلک لا انه یتعلق بوقت دون وقت

قوله تعالی فبعث الله غرابا یبحث فی الارض لیریه کیف یواری سوأة اخیه قال یا ویلتی اعجزت ان اکون مثل هذا الغراب فاواری سوأة اخی فاصبح من النادمین آیة

اللغة اصل البحث طلب الشیء فی التراب ثم یقال بحث عن الامر بحثا واصل السوأة التکره یقال ساءه یسوؤه سوءا اذا اتاه بما یکرهه قال سیبویه الویل کلمة یقال عند الهلکة وعجزت عن الامر اعجز عجزا ومعجزة بما یکرهه ر

الاعراب یا ویلتی قال الزجاج الوقف فی غیر القرآن یا ویلتاه والنداء لغیر الآدمیین نحو یا حسرتا ویا ویلتا انما وقع فی کلام العرب علی تنبیه المخاطبین وان الوقت الذی تدعی به هذه الاشیاء هو وقتها فالمعنی یا ویلتی تعالی فانه من اوانک ای قد لزمنی الویل وکذلک یا عجباه المعنی یا ایها العجب هذا وقتک علی هذا کلام العرب وقرا الحسن یا ویلتی مضافا وذکر الازهری انها بمعنی

المعنی فبعث الله غرابا فی الارض قالوا کان هابیل اول میت من الناس فلذلک لم یدر قابیل کیف یواریه وکیف یدفنه حتی بعث الله غرابین احدهما حی والآخر میت وقیل کانا حیین فقتل احدهما صاحبه ثم بحث الارض ودفنه فیها ففعل قابیل مثله عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفی ذکره لاله علی وفنا وقول الحسن والجبائی وابی مسلم ان ابنی آدم کانا من بنی اسرائیل وقیل بعث الله غرابا یبحث فی الارض التراب علی القتیل فلما معناه ح رای قابیل ما اکرم الله به هابیل وانه بعث طیرا یواریه وتقبل قربانه قال یا ویلتی عن الاصم وقیل کان ملکا فی صورة الغراب وفی هذا دلالة علی ان الفعل من الغراب وان کان المعنی به الطیر کان مقصودا به

والی هذا اضاف

والی هذا اضاف سبحانه بعثه الی نفسه ولم یقع اتفاقا کما قاله ابو مسلم ولکنه تعالی الهمه وقال الجبائی کان ذلک معجزا مثل حدیث الهدهد وحمله الکتاب ورده الجواب الی سلیمان ویجوز ان یرید الله سبحانه فی فهم الغراب حتی یعرف هذا القدر کما نراه صبیانا فیفهمون عنا لیریه ای لیری الغراب قابیل کیف یواری ای یغطی ویستر سوأة اخیه ای عورة اخیه وقال الجبائی یرید جیفة اخیه لانه کان ترکه حتی انتن فقیل لجیفته سوأة قال یا ویلتی هاهنا حذف فان التقدیر لیریه کیف یواری سوأة اخیه فواراه قال القاتل اخاه یا ویلتی اعجزت ان اکون فی العلم مثل هذا الغراب فاواری ای استر سوأة اخی والسوأة عبارة عما یکره وعما ینکر فاصبح من النادمین علی قتله ولکنه لم یندم علی الوجه الذی یکون توبة کمن یندم علی الشرب لانه یصدع عنه فلذلک لم یقبل ندمه عن الجبائی وقیل من النادمین علی حمله لا علی قتله وقیل من النادمین علی موت اخیه لا علی ارتکاب الذنب

القصة روت العامة عن جعفر الصادق علیه السلام قال لما قتل هابیل قابیل ترکه فی العراء لا یدری ما یصنع فقصده السباع فحمله فی جراب علی ظهره حتی اروح وعکفت علیه الطیر والسباع تنظر متی یرمی فتاکله فبعث الله غرابین فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه فی الحفیرة وواراه وقابیل ینظر الیه فدفن اخاه وعن ابن عباس قال لما قتل قابیل هابیل اشاک الشجر وتغیرت الاطعمة وحمضت الفواکه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فی الارض حدث فاتی الهند فاذا قابیل قد قتل فانشا یقول

تغیرت البلاد ومن علیها فوجه الارض مغبر قبیح
تغیر کل ذی لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبیح

وقال سالم بن ابی الجعد لما قتل قابیل هابیل مکث آدم سنة حزینا لا یضحک ثم اتی آت فقیل له حیاک الله وبیاک ای اضحکک ولما مضی من عمر آدم مائة وثلثون سنة وذلک بعد قتل هابیل بخمس سنین ولدت له حواء شیثا وتفسیره هبة الله یعنی انه خلف من هابیل وکان وصی آدم علیه السلام وولی عهده فاما قابیل فقیل له اذهب طریدا شریدا فزعا مذعورا لا یامن من یراه وذهب الی عدن من الیمن فاتاه ابلیس فقال انما اکلت النار قربان هابیل لانه کان یعبدها فانصب انت ایضا نارا یکون لک ولعقبک فبنی بیت نار وهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده آلات اللهو من الیراع والطبول والمزامیر والعیدان وانهمکوا فی اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش فاغرقهم الله ایام نوح بالطوفان وبقی نسل شیث حتی اغرقهم ر

قوله تعالی من اجل ذلک کتبنا علی بنی اسرائیل انه من قتل نفسا بغیر نفس او فساد فی الارض فکانما قتل الناس جمیعا ومن احیاها فکانما احیا الناس جمیعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبینات ثم ان کثیرا منهم بعد ذلک فی الارض لمسرفون آیة

القراءة قرا ابو جعفر یزید وحده من اجل ذلک بکسر النون موصولة والباقون من اجل ذلک مقطوعة الهمزة مفتوحة

الحجة قال ابن جنی یقال فعلت ذلک من اجلک ومن جللک ومن جلالک ومن جراک فیجب علی هذا ان یکون قراءة ابی جعفر علی تخفیف من اجلک همزة اجل بحذفها والقاء حرکتها علی نون من کقولک فی التخفیف کم ابلک کم لک

اللغة

الاجل في اللغة الجناية فقال اجل عليهم شرا يأجله اجلا اذا جنى عليهم جناية قال خوات بن جبير ذات صو

واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله اي انا الجاني وفي هذا المعنى يقال

جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جرائك ومن اجلك اي من جريرتك كانه يقول انت جررتني الى

ذلك وانت جنيت علي هذا ومنه الاجل الوقت لانه يجر عليه العقد الاول والاجل بمعنى نعم لانه انقياد

الى ما جر اليه والاجل القطيع من بقر الوحش والجمع الآجال لان بعضها يجر الى بعض قال عدي بن

اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكأ صلبا بازار اراد من اجل فحذف الجار فوصل الفعل

فنصبه والاسراف الخروج عن التقصير والاقتصاد وضد التقصير والاقتصاد وهو التعديل بلا

اسراف ولا اقتار

الاعراب اختلف في قوله

من اجل ذلك فقيل انه من صلة النادمين اي من اجل انه حين قتل اخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان

يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول وعامة المفسرين على ان قوله من اجل ذلك

ابتداء كلام وليس بمتصل بما قبله واحتج ابن الانباري بانها راس اية قوارس الاية فصل وقال

ولان من جعله من صلة الندم اسقط العلة للكتابة ومن جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد تقدم

ما اكتفى عنه فكان هذا اولى

المعنى ثم بين سبحانه التكليف في

باب القتل فقال من اجل ذلك قال الزجاج معناه من جناية ذلك وذلك اشارة الى قتل احد ابني

آدم لاخاه ظلما كتبنا على بني اسرائيل اي حكمنا عليهم وفرضنا انه من قتل نفسا اي من قتل منهم نفسا

ظلما بغير نفس او بغير قود عن ابن عباس او فساد في الارض او من قتل نفسا منهم بغير فساد كان

منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة

السبيل على ما ذكر الله سبحانه في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فكانما قتل الناس

جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا قيل في تاويله اقوال احدها ان معناه هو ان الناس

كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقد وترهم ومن قصد لقتلهم جميعا فاوصل اليهم من المكروه

ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكانه قتلهم كلهم ومن استنقذها من حرق او غرق

او هدم او ما يميت لا محالة او يستنقذها من الضلال فكانما احيا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من

احياهم اجمعين لانه في اسدائه المعروف اليهم باحيائه اخاهم المؤمن بمنزلة من احيا كل واحد

منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الانباري وهذا المعنى مروي عن ابي عبد الله عليه السلام ثم قال

وافضل من ذلك ان يخرجها من ضلال الى هدى وثانيها ان معناه من قتل نبيا او امام عدل فكانما

قتل الناس جميعا او يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي او امام عدل نبيناصح

فكانما احيا الناس جميعا في استحقاق الثواب عن ابن عباس وثالثها ان معناه من قتل نفسا بغير

نفس حق فعليه مثل ماثم كل قاتل من الناس لانه سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك ومن

كان زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بان يعظم تحريم قتلها كما قال رحمه الله

قتلهم بغير

تعالى فلم يقدم على قتلها لذلك فقد احيى الناس بسلامتهم عنه فذلك احياؤه اياها عن ابي علي الجبائي وهو اختيار

الطبري ويؤيده قوله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله

وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ورابعها ان المراد فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها

فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة وخامسها ان معناه يجب عليه من

القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها كان كما

لو عفا عن الناس جميعا عن الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره على سبيل

المجاز كما حكى عن نمرود انه قال انا احيي واميت فاستبقى واحدا وقتل الاخر وقوله ولقد جاءتهم رسلنا

بالبينات معناه ولقد اتت بني اسرائيل الذين ذكرنا قصصهم واخبارهم رسلنا بالايات الواضحة والمعجزات

الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ثم ان كثيرا منهم يعني من بني اسرائيل بعد ذلك في الارض لمسرفون اي مجاوزون

حد الحق بالشرك عن الكلبي وبالقتل عن غيره والاولى ان يكون عاما في كل مجاوز عن الحق ويؤيده ما روي

عن ابي جعفر عليه السلام المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء قوله تعالى انما جزاء الذين

يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم

من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل

ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ايتان

اللغة اصل النفي الاهلاك

بالاعدام ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو ما يطاير من الماء عن الدلو قال الراجز

كان متنيه من النفي مواقع الطير على الصفي النفي الطرد قال اوس بن حجر

ينفون عن طرق الكرام كما ينفي المطارق ما يلي القرد والخزي الفضيحة يقال خزي يخزى خزيا اذا افتضح وخزي يخزى خزاية فهو خزيان

اذا استحيا وخزوته اخزوه اذا سسته ومنه قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل

الاعراب

فسادا مصدر وضع موضع الحال اي يسعون في الارض مفسدين وان يقتلوا في موضع رفع بانه خبر المبتدا

الذي هو جزاء الذين تابوا يحتمل ان يكون في موضع رفع بالابتداء وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم

ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا الى ما بعده من الحد

النزول

اختلف في سبب نزول الاية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه واله موادعة فنقضوا العهد

وافسدوا في الارض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في

العرنيين لما نزلوا المدينة مظهرين الاسلام فاستوخموها واصفرت الوانهم فامرهم النبي صلى الله

عليه واله ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها ففعلوا ذلك فصحوا ثم مالوا الى الرعاة

فقتلوهم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فاخذهم النبي صلى الله عليه واله وقطع ايديهم وارجلهم

من خلاف وسمل اعينهم عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن اكثر

المفسرين وعليه جلة الفقهاء

المعنى لما قدم سبحانه ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر

قطاع الطريق وحكمهم فيهم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله اي اولياء الله كقوله سبحانه

الذين يؤذون الله ورسوله اي ويحاربون رسوله ويسعون في الارض فسادا والمروي عن اهل البيت عليهم السلام
ان المحارب هو كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج المصر فان اللص المجاهر في المصر
وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي ومالك وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان المحارب هو قاطع
الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله انما جزاؤهم الاهذا عن الزجاج قال لان القائل
اذا قال جزاؤك دينار يجاز ان يكون معه غيره واذا قال انما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك الا دينار ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام ان جزاء المحارب على قدر استحقاقه
فان قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان اخذ المال ولم يقتل فجزاؤه ان تقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع وعلى هذا فان او ليست للاباحة ههنا وانما هي مرتبة الحكم باختلاف
الجنايات وقال الشافعي ان اخذ المال جهرا كان للامام صلبه حيا ولم يقتل قال ويعني كل واحد بقدر
فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل قال ابو عبيدة سألت محمد
بن الحسن عن قوله او يصلبوا فقال هو ان يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو راي ابي حنيفة فقيل له هذا مثلة
قال المثلة يراد به وقيل ان معنى او ههنا الاباحة والتخيير اي ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء نفى عن
الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روى ذلك ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقوله من خلاف معناه اليد اليمنى
والرجل اليسرى او ينفوا من الارض قيل فيه اقوال فالذي يذهب اليه اصحابنا الامامية ان ينفى من بلد الى بلد الى
ان يتوب ويرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي
قال اصحابنا ولا يمكن من الدخول الى بلاد الشرك ويقاتل المشركون عن تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا
وقيل ان ينفى من بلد الى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز وعن سعيد بن جبير في رواية اخرى وقال ابو حنيفة واصحابه
ان النفي هو الحبس والسجن واحتجوا بان المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف
محولا بينه وبين اهله مع معاناة الشدائد في الحبس وانشد قول بعض المسجونين
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ذلك اي ما ذكرناه لهم خزي اي فضيحة وهوان في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم زيادة على ذلك وفي هذا دلالة
على بطلان قول من ذهب الى ان اقامة الحدود تكفير للمعاصي لانه سبحانه بين ان لهم في الآخرة عذابا عظيما مع انه
اقيمت عليهم الحدود والمعنى انهم يستحقون العذاب العظيم وليس في الآية انه يفعل بهم ذلك لا محالة لانه يجوز ان يعفو
الله عنهم ويتفضل عليهم باسقاط ما يستحقونه من العذاب الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم لما بين سبحانه
حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل ان يوخذ ويقدر عليه لان توبته بعد قيام البينة
عليه ووقوعه في يد الامام لا ينفعه بل يجب اقامة الحد عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويدخل الجنة
توبته خ ل ويدخله خ ل
في هذه الآية حجة على من قال لا يصح التوبة من معصية مع الاقامة على معصية اخرى يعلم صاحبها انها معصية لانه تعالى علق
بالتوبة حكما لا يخل به الاقامة على معصية هي اكبر او غيره قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و
ابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون آية

اللغة

اصل الاتقاء في اللغة

المجرمين السيئين

الحجز بين الشيئين يقال اتق السيف بالترس ويقال اتق العظيم لحقه والوسيلة فعيلة من قولهم توسلت اليه
اي تقربت اليه قال عنترة بن شداد
ان الرجال لهم اليك وسيلة
ان ياخذوك تكحلي وتخضبي
ويقال وسل اليه اي تقرب قال لبيد
بلى كل ذي راي الى الله واسل
فمعنى الوسيلة الوصلة والقربة

المعنى

لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقب ذلك بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها
الذين آمنوا اتقوا الله اي اتقوا معاصيه واجتنبوها وابتغوا اليه الوسيلة اي اطلبوا اليه القربة بالطاعات
عن الحسن ومجاهد وعطاء والسدي وغيرهم فكانما قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة
افضل درجات الجنة عن عطاء ايضا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينالها
الا عبد واحد وارجو ان اكون انا هو وروى سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن علي بن ابي طالب عليه السلام
قال في الجنة لؤلؤتان الى بطنان العرش احدهما بيضاء والاخرى صفراء في كل واحدة منهما سبعون
الف غرفة ابوابها واكوابها من عرق واحد فالبيضاء الوسيلة لمحمد صلى الله عليه وآله واهل بيته والصفراء
لابراهيم عليه السلام واهل بيته وجاهدوا في سبيله اي طريق دينه مع اعدائه امره سبحانه بالجهاد في سبيل الله لانه
وصلة الى ثوابه والدليل على الشيء طريق الى العلم به والتعرض للشيء طريق الى الوقوع فيه واللطف طريق الى الطاعة
الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب وبالسيف والقول والكتاب لعلكم تفلحون
اي لكي تظفروا بنعيم الابد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والفوز وقيل لعل وعسى من الله واجب فكانه
قال اعملوا لتفلحوا قوله تعالى ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا
به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم آيتان

الاعراب

جزاء في لو وجوابها وقوله
ولهم عذاب اليم يحتمل ان يكون في موضع الحال وان يكون عطفا على جزاء ولا يجوز ان يكون الخبر يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولا في موضع الحال كما تقول مررت بزيد لو رآه عدو
لرحمه لانه في موضع يعتمد الفائدة معه الثاني في استينافه آية وانما اجيبت لو بما ولم يجز ان يجاب
ان بما لان ما لها صدر الكلام وجواب لو لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لانه غير عامل
وان عاملة فلذلك صلح ان يجاب ان بلى ولم يصلح ان يجاب بما تقول ان تاتني لا الحقك سوء ولا يجوز
ما لان لا تنفي عما بعدها ما وجب لما قبلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما ينفي عما بعدها
ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن وعيد الكفار
فقال ان الذين كفروا لو ان لهم ولكل واحد منهم ما في الارض جميعا من المال والولاية والملك ومثله معه اي ومثل
ذلك معه ليفتدوا به اي ليجعلوا ذلك فداهم ويبدلهم من عذاب يوم القيامة الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا
بذلك ما تقبل منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اي وجيع يريدون ان يخرجوا من النار اي يتمنون ان يخرجوا
من النار عن ابي علي الجبائي قال ان الارادة هنا بمعنى التمني وقيل معناه الارادة على الحقيقة اي كلما رفعتهم
النار بلهبها رجوا ان يخرجوا منها وهو كقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها عن الحسن
رفعتهم خ ل دفعتهم خ ل

وقيل معناه يكادون يخرجون منها اذا دفعتهم بلهبها كما قال سبحانه جدارا يريد ان ينقض اي يكاد ويقارب فان قال قائل كيف يجوز ان يريدوا الخروج من النار مع علمهم بانهم لا يخرجون منها فالجواب ان العلم بالشي لا يكون لا يصرف عن الارادة كما ان العلم بانه يكون لا يصرف عن الارادة وانما الداعي الى الارادة حسنها والحاجة اليها وما هم بخارجين منها يعني من جهنم ولهم عذاب مقيم اي دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر

فان لكم بيوم الشعب مني عذابا دائما لكم مقيما

قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شي قدير ثلث ايات

الاعراب

قال سيبويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكم السارق والسارقة ومثله قوله عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا واللذان ياتيانها منكم فاذوهما قال سيبويه والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول زيدا اضربه وابت العامة القراءة الا بالرفع يعني بالعامة الجماعة وقرا عيسى بن عمر والسارق والسارقة وكذلك الزانية والزاني وقال ابو العباس المبرد الاختيار عندي الرفع بالابتداء لان القصد ليس الى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فاضربه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنا فاجلده قال الزجاج وهذا القول هو المختار وانما دخلت الفاء في الخبر لانه بمعنى الشرط المنوي وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم وانما قال ايديهما ولم يقل يديهم لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع اذ ليس في الجسد الا يمين واحدة قال الفراء كل شي موحد من خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤسهما وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا ومثله قوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال وانما اختير الجمع على التثنية لان اكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الانسان كاليدين والرجلين واثنان من اثنين جمع لذلك يقال قطعت ارجلهما وفقئت عيونهما فلما جرى الاكثر على هذا ذهب بالواحد اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين قال ويجوز التثنية كقول الهذلي

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لا ترقع

لانه الاصل ويجوز هذا ايضا فيما ليس من خلق الانسان كقولك لاشبعن خلقتيهما نارا كما فانت تريد امراتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما جاز لان المعنى من كل واحد منهما وقال الشاعر

كلوا في بعض بطنكم تعيشوا

ويجوز في الكلام ان يقول ائتني برأس شاتين وبرأسي شاة فمن قال برأس الشاتين اراد الرأس من كل شاة منهما ومن قال برأسي شاة اراد رأسي هذا الجنس قال الزجاج انما جمع ما كان في الشي منه واحد عند الاضافة الى اثنين لان الاضافة تبين ان المراد بذلك الجمع التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد وربما كان لفظ الجمع اخف من لفظ الاثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشتبه ذلك بالتثنية عند الاضافة الى اثنين لانك اذا قلت قلوبهما فالتثنية فيهما قد اغنتك عن تثنية قلب قال وان ثني ما كان في الشي منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين والشد

ظهراهما مثل ظهور الترسين

فجاء باللغتين وهذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا

نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بانه مفعول له وكذلك نكالا من الله وان شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا لان معنى فاقطعوا جازوهم ونكلوا بهم قال الازهري تقديره لينكل غيره نكالا عن مثل فعله من نكل ينكل اذا اجبن

المعنى

لما ذكر سبحانه الحكم فيمن اخذ المال جهارا عقبه ببيان الحكم فيمن اخذ المال سرا فقال السارق والسارقة والالف واللام للجنس فالمعنى كل من سرق رجلا كان او امراة وبدا بالسارق هنا لان الغالب وجود السرقة في الرجال وبدا بالزانية في النساء فقال الزانية والزاني لان الغالب وجود ذلك في النساء فاقطعوا ايديهما اي ايمانهما عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين قال ابو علي في تمني المسلمين الى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليد اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم ترد بقوله فاقطعوا ايديهما الا ترى انها لو اريدت لم يكونوا ليدعوا النص القرآن الى غيره وهذا يدل على ان جمع اليد في هذه الاية على حد جمع القلب في قوله فقد صغت قلوبكما فقد دلت قراءة ابن مسعود على ان المراد بالايدي الايمان قال العلماء ان هذه الاية مجملة في ايجاب القطع على السارق وبيان ذلك ماخوذ من السنة واختلف في القدر الذي يقطع به يد السارق فقال اصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعدا وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وابي ثور ورووا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله انه يقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا وذهب ابو حنيفة واصحابه انه يقطع في عشرة دراهم فصاعدا واحتجوا بما روي عن عطاء عن ابن عباس ان ادنى ما يقطع فيه ثمن المجن قال وكان ثمن المجن على رسول الله صلعم عشرة دراهم وذهب مالك انه يقطع في ثلاثة دراهم على عهد رسول الله صلعم فقطع سارقا في مجن ثمنه ثلاثة دراهم فصاعدا وروي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قطع سارقا في مجن ثمنه ثلاثة دراهم وقال بعضهم لا تقطع الخمس الا في خمسة دراهم واختاره ابو علي الجبائي وقال لانه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكوة في انه فاسق وقال بعضهم يقطع يد السارق في القليل والكثير واليه ذهب الخوارج واحتجوا بعموم الاية وبما روي عن النبي صلعم انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا الخبر قد طعن اصحاب الحديث في سنده وذكر ايضا في تاويله ان المراد بالبيضة بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب والحبل حبل السفينة واختلف ايضا في كيفية القطع فقال اكثر الفقهاء انه انما يقطع من الرسغ وهو المفصل بين الكف والساعد ثم ان عند الشافعي يقطع يده اليمنى في المرة الاولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس في المرة الخامسة وعند ابي حنيفة لا يقطع في الثالثة وقال اصحابنا انه يقطع من اصول الاصابع ويترك له الابهام والكف وفي المرة الثانية يقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويقطع عقبه يعتمد عليها في الصلوة فان سرق بعد ذلك خلد في السجن وهو المشهور عن علي عليه السلم واجمعت الطائفة عليها وقد استدل ايضا على ذلك بقوله سبحانه فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ولا شك انهم انما يكتبونه بالاصابع ولا خلاف ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز الا ما روي عن داود انه قال يقطع السارقة وان سرق من غير حرز والحرز من كل شي انما يعتبر فيه حرز مثله في العادة

وحده عندنا كل موضع لم يكن لغيرها لكن الدخول اليه والتصرف فيه الا باذنه جزاء بما كسبا اى افعلوا ذلك بهما مجازاة
بكسبهما وفعلهما نكالا من الله اى عقوبة على ما فعلاه قال زهير ولولا ان ينال ابا طريف
عذاب من خزيمة او نكال اى عقوبة والله عزيز لا يغلب ولا يقهر عباده حكيم يفعل على وجه الحكمة فمن تاب من
بعد ظلمه اى اقلع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة واصلح اى فعل الفعل الصالح الجميل فان الله يتوب عليه اى
يقبل توبته باسقاط العقاب بها من المعصية التى تاب منها ووصف الله تعالى بانه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة
وهى ان فى ذلك ترغيبا للعاصى فى فعل التوبة ولذلك وصف سبحانه نفسه بالتواب الرحيم ووصف العبد بانه
تواب ومعناه انه اواب وهو من صفات المدح ان الله غفور رحيم فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله تعالى
الم تعلم قيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به امته كقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب
للمكلفين وقيل الم تعلم يا انسان وانما يتصل هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم
من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم يا انسان ان الله له ملك السموات والارض اى له التصرف فيهما بلا
دافع ولا منازع يعذب من يشاء اذا كان مستحقا للعقاب ويغفر لمن يشاء اذا عصاه ولم يتب لانه اذا تاب
فقد وعد سبحانه بانه لا يواخذه بذلك بعد التوبة وعند اهل الوعيد يقبح منه ان يواخذه بعد التوبة
فعلى الوجهين معا لا يعلق ذلك بالمشية والله على كل شئ قدير معناه قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا
سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم آية

اللغة

سماعون للكذب اى قابلون له يقال لا تسمع من فلان قوله اى لا تقبل قوله ومنه سمع الله
لمن حمده اى تقبل الله منه حمده وفيه وجه آخر وهو ان معناه انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسماع
الجاسوس والفتنة الاختبار واصله التخليص من قولهم فتنت الذهب بالنار اى خلصته من الغش

الاعراب

ارتفع سماعون لانه خبر مبتدا محذوف اى هم سماعون و
يجوز ان يرتفع على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون مبتدا على قول سيبويه ومعمولا لمنهم على قول الاخفش
ويكون تقديره ومنهم فريق سماعون للكذب وقوله لم ياتوك فى موضع جر لانه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة
لقوله سماعون فيكون موضعه رفعا ويجوز ان يكون موضعه نصبا على انه حال من الضمير فى اسم الفاعل اى محرفين
الكلم بمعنى مقدرين تحريفه اى يسمعون كلام النبى صلى الله عليه وآله ويقدرون فى انفسهم تحريف ما يسمعونه كقولهم
معه صقر صائدا به غدا وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه
ولو قال فى معناه عن مواضعه لجاز لان معناهما متقارب كما يقال اتيتك بعد فراغى من الشغل وعن فراغى
منه ولا يجوز ان يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لان المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدا
الشئ الذى هو كالسبب له وبعد انما هو لما تاخر عن كون الشئ من غير معنى السبب ومعنى التاخر جائز فيه الامران

النزول

وما لم يصح فيه الا احد الامرين لم يجز الا احد الحرفين
قال الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين ان امراة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان
فكرهوا رجمهما فارسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسألوا النبى صلى الله عليه وآله عن ذلك طمعا فى ان ياتى لهم
برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وسعد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابى الحقيق
وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما فقال عليه السلام وهل ترضون بقضائى
فى ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبى صلى الله عليه وآله هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال
له ابن صوريا قالوا نعم فقال فاى رجل هو فيكم قالوا اعلم يهودى بقى على ظهر الارض بما انزل الله على
موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبى صلى الله عليه وآله انى انشدك الله الذى
لا اله الا هو الذى انزل التورية على موسى وفلق البحر فانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم
المن والسلوى هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشية ان
يحرقنى رب التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرنى كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد
اربعة رهط عدول انه قد دخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا هكذا انزل
الله فى التورية على موسى فقال له النبى صلى الله عليه وآله فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا زنى
الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه زنا ح ر
ثم زنى رجل آخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع
شيئا دون الرجم على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدا اربعين جلدة ثم تسود وجوههما
ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود
لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال
انه انشدنى بالتورية ولولا ذلك لما اخبرته به فامر بهما النبى صلى الله عليه وآله فرجما عند باب مسجده وقال
انا اول من احيا امرك اذا اماتوه فانزل الله سبحانه فيه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم
قال هذا مقام العائذ بالله وبك ان تذكر لنا الكثير الذى امرت ان تعفو عنه فاعرض النبى صلى الله عليه
وآله عن ذلك ثم سأله ابن صوريا عن نومه قال تنام عيناى ولا ينام قلبى فقال صدقت فاخبرنى عن شبه الولد بابيه
ليس فيه من شبه امه شئ او بامه ليس فيه من شبه ابيه شئ فقال عليه السلام ايهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه
كان الشبه له قال صدقت فاخبرنى ما للرجل من الولد وما للمراة منه قال فاغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله
طويلا ثم خلى عنه محمرا وجهه يفيض عرقا فقال اللحم والدم والظفر والشعر للمراة والعظم والعصب والعروق للرجل
قال له صدقت امرك امر نبى فاسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من ياتيك من الملائكة قال جبرئيل فقال
صفه لى فوصفه النبى صلى الله فقال اشهد انه فى التورية كما قلت وانك رسول الله حقا فلما اسلم ابن صوريا وقعت

فيه اليهود وشنعوه فلما ارادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا
واحد وديننا ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا
منهم قتيلا قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل
منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا وجراحاتنا على الضعف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم
فانزل الله في القصاص الآيات **المعنى** لما تقدم ذكر اليهود والنصارى عقبه سبحانه
بتسلية النبي صلى الله عليه وآله وامانه من كيدهم فقال يا ايها الرسول لا يحزنك اي لا يغمك وقرئ لا يحزنك
ومعناهما واحد الذين يسارعون اي مسارعة الذين يسارعون في الكفر اي يبادرون فيه بالاصرار عليه
والتمسك به من المنافقين الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا اي من اليهود سماعون
للكذب قيل هو كناية عن اليهود والمنافقين وقيل هو عن اليهود خاصة والمعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك
سماعون كلامك لقوم آخرين لم ياتوك ليكذبوا عليك اذا رجعوا اليهم اي هم عيون عليك لانهم كانوا
رسل خيبر واهل خيبر لم يحضروا عن الحسن والزجاج واختاره ابو علي وقيل معنى سماعون اي قابلون للكذب
سماعون لقوم آخرين ارسلوهم في قضية زان محصن فقالوا لهم ان افتاكم محمد بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم
فلا تقبلوا لانهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التورية عن ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي
وقيل انما كان ذلك في قتيل منهم قالوا ان افتاكم بالدية فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال
ابو جعفر عليه السلم كان ذلك في امر بني النضير وبني قريظة يحرفون الكلم اي كلام الله تعالى من بعد مواضعه اي من بعد
ان وضعه الله تعالى مواضعه اي فرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه يعني بذلك ما غيروه من حكم الله في الزنا
ونقلوه من الرجم الى اربعين جلدة عن جماعة من المفسرين وقيل نقلوا حكم القتل من القود الى الدية حتى كثر
القتل فيهم عن قتادة وقيل المراد به تحريفهم التورية بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال منها وقيل معناه يحرفون
كلام النبي صلى الله عليه وآله بعد سماعه ويكذبون عليه عن الحسن وابي علي الجبائي وكانوا يكتبون بذلك الى خيبر
وكان اهل خيبر حربا لرسول الله صلى الله عليه وآله وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله يقول ان اليهود كيف يؤمنون
بك مع انهم يحرفون كلام الله في التورية ويحرفون كلامك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
اي يقول يهود خيبر ليهود المدينة ان اعطيتم هذا اي ان امركم محمد صلى الله عليه وآله بالجلد فاقبلوه وان
لم تعطوه يعني الجلد اي ان افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن وقيل معناه ان اوتيتم الدية فاقبلوه و
ان اوتيتم القود فلا تقبلوه ومن يرد الله فتنته قيل فيه اقوال احدها ان الفتنة العذاب اي من يرد الله
عذابه كقوله على النار يفتنون اي يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم اي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي
وابو مسلم وثانيها ان معناه من يرد الله اهلاكه عن السدي والضحاك وثالثها ان المراد به من يرد الله
خزيه وفضيحته باظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج ورابعها ان المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه به
عن القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والاصح الاول فلن تملك له من الله شيئا اي فلن تستطيع ان تدفع لاجله
امر الله الذي هو لمن العذاب او الفضيحة او الهلاك شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم معناه

الرجل وه

اولئك

اولئك اليهود لم يرد الله من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع ومن الضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها
بان كتب في قلوبهم الايمان وشرح صدورهم للاسلام عن الحسن والجبائي وقيل معناه لم يرد الله ان يطهرها
من الكفر بالحكم عليها بانها بريئة منها ممدوحة بالايمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على انه سبحانه لم يرد
منهم الا الايمان لان ذلك لا يعقل من تطهير القلب الا على جهة التوسع ولان قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم يقتضي
نفي كونه مريدا وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه والمراد بذلك انه لم يرد تطهير قلوبهم مما يحلها
من الغموم بالذم والاستخفاف والعقاب ولذلك قال عقيبه لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة
عذاب عظيم ولو كان اراد ما قاله المجبرة لم يجعل ذلك ذما فهم لا عقبه بالذم ولا جعله في حكم الجزاء على ما
لاجله عاقبهم وما اراد ذلك منهم والخزي الذي لهم في الدنيا وما لحقهم من الذل والصغار والفضيحة بالزام الجزية
والاظهار كذبهم وفي كتمان الرجم واجلاء بني النضير من ديارهم وخزي المنافقين باتباع النبي صلى الله عليه
وآله وعلى كفرهم قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله
يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد
ذلك وما اولئك بالمؤمنين آيتان **القراءة** السحت بضم السين والحاء مكي
وبصري وابو جعفر والكسائي وقرا الباقون السحت باسكان الحاء **الحجة** قال ابو علي السحت والسحت
لغتان ويستمر التخفيف والتثقيل في هذا النحو وهما اسم الشيء المسحوت كما اوقع الضرب على المضروب في قولهم
هذا الدرهم ضرب الامير والصيد على المصيد في قوله ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم **اللغة**
اصل السحت الاستيصال يقال سحته واسحته اذا استاصله ومن اسحت قول الفرزدق
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف ويقال للحالق اسحت اي استاصل وفلان
مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يشبع واسحت ماله افسده واذهبه والحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة فيما يفصل
به وقد يفصل بالبيان انه الحق وقد يفصل بالزام الحق والاخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة
ويبت القضية والتولي الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي اليه لانه الاقبال عليه
والتولي له هو صرف النصرة والمعونة اليه **المعنى** ثم وصفهم سبحانه فقال سماعون للكذب
قد مر تفسيره اعاده الله سبحانه ذمهم على سماع الكذب او قبوله تاكيدا وتشديدا ومبالغة في الزجر عنه اكالون
للسحت اي كثيرو الاكل للسحت وهو الحرام وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ان السحت هو الرشوة في الحكم وهو
المروي عن ابن مسعود والحسن وقيل السحت هو الرشوة في الحكم ومهر البغي وكسب الحجام وعسيب الفحل وثمن الكلب
وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستعجال في المعصية عن علي عليه السلم وروي عن ابي عبد الله عليه السلم ان
السحت انواع كثيرة فاما الرشا في الحكم فهو الكفر بالله وقيل في اشتقاق السحت اقوال احدها ان الحرام انما
سمي سحتا لانه يعقب عذاب الاستيصال والبوار عن الزجاج وثانيها انه انما سمي سحتا لانه لا بركة فيه
لاهله فيهلك هلاك الاستيصال عن الجبائي وثالثها انه انما سمي سحتا لانه القبيح الذي فيه العار يحوطه

فيهم ٢ د

الكلب والخمر فعلى هذا اسميت مرة الاسناد عن الخليل فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم امر واليهود الذين
تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وآله في حد الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل انه اراد بني قريظة والنضير
لما تحاكموا اليه قد خير الله تعالى بين ان يحكم بينهم وبين ان يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة وابن
زيد والظاهر في روايات اصحابنا ان هذا التخيير ثابت في الشرع للائمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء و
الشعبي وابرهيم وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله عن الحسن وعكرمة ومجاهد وان تعرض عنهم
اي عن الحكم بينهم فاحكم بينهم فلن يضروك شيئا اي لا يقدرون لك على ضرر في دين او دنيا فدع النظر بينهم ان شئت
وان حكمت اي وان اخترت ان تحكم بينهم فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل وقيل بما في القرآن وشريعة الاسلام ان الله يحب
المقسطين اي العادلين وكيف يحكمونك اي كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيرضوا بك حكما وعندهم التورية
التي انزلتها على موسى وهي التي يقرون بها انها كتابي الذي انزلته وانه حق وانه ما فيه حكمي يعلمونه ولا يتناكرونه
فيها حكم الله اي احكامه التي لم تنسخ عن ابي علي وقيل عنى به الحكم بالرجم عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود
عن قتادة ثم يتولون من بعد ذلك اي يتركون الحكم به جراءة علي وفي هذا التعجيب للنبي صلى الله عليه وآله وتقريع له
لليهود الذين نزلت الآية فيهم فكانه قال كيف تقرون ايها اليهود بحكم نبيي محمد صلى الله عليه وآله مع انكاركم
نبوته وتكذيبكم اياه وانتم تتركون حكمي الذي تقرون بوجوبه وتعترفون بانه حكم من عندي وقوله من بعد
ذلك اشارة الى حكم الله في التورية عن عبد الله بن كثير وقيل من بعد ذلك اي من بعد تحكيمك وحكمك بالرجم لانهم
عندهم ليسوا منه على ثقة وانما طلبوا به الرخصة وما اولئك بالمؤمنين اي وما هم بحكمك انه من عند الله
مع جحدهم نبوتك وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى عن اولئك اليهود انهم لا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله
ويحكم قوله تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس و
اخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
آية **القراءة** قرا اهل البصرة وابو جعفر واسمعيل عن نافع واخشوني بياء في الوصل ويعقوب
بالياء ايضا في الوقف والباقون واخشون بغير ياء في الوقف والوصل **الحجة** قال ابو علي الاثبات
حسن والوقف حسن لان الفواصل في انها اواخر الآي مثل القوافي في انها اواخر البيوت فمما حذف الياء
القوافي في قول الاعشى: فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان ياتين ومن شانئ كاسف وجهه
اذا ما انتسبت له انكرن **اللغة** الربانيون فسرناه فيما مضى وهم العلماء البصراء بسيا
سة الامور في تدبير الناس والاحبار جمع حبر وهو العالم مشتق من التحبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن و
يقبح القبيح قال الفراء اكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر **الاعراب**
الباء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالاحبار فكانه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون للتائبين
من الكفر بما استحفظوا **المعنى** لما بين سبحانه ان اليهود تولوا عن احكام التورية وصف التورية وما
انزل فيها فقال انا انزلنا التورية فيها هدى اي بيان للحق ودلالة على الاحكام ونور اي ضياء لكل ما تشابه

عليهم

عليهم واجلاء لما اظلم عليهم عن ابن عباس وقيل معناه فيها هدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه النبي صلى
الله عليه وآله ونور بيان ايضا ان امر النبي صلى الله عليه وآله حق عن الزجاج يحكم بها النبيون الذين اسلموا معناه يحكم بالتورية
النبيون الذين اذعنوا بحكم الله تعالى واقروا به ونبينا صلى الله عليه وآله داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة
والسدي والزهري وقال اكثرهم هو المعني بذلك لما حكم في رجم المحصن وهذا لا يدل على انه صلى الله عليه
وآله كان متعبدا بشرع موسى عليه السلام لان الله تعالى هو الذي اوجب ذلك بوحي انزله عليه لا بالرجوع الى التورية
فصار ذلك شرعا له وان وافق ما في التورية ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث اخبر عما في التورية
من غامض العلم الذي قد التبس على كثير منهم وقد عرفوا جميعا انه لم يقرا كتابهم ولم يرجع في ذلك الى علمائهم
فكان من دلائل صدقه صلى الله عليه وآله وقيل يريد بالنبيين الانبياء الذين كانوا بعد موسى وذلك انه كان في بني اسرائيل
الوف من الانبياء بعثهم الله سبحانه لاقامة التورية يحدون حدودها ويحلون حلالها ويحرمون حرامها
عن ابن عباس معناه يقضي بها النبيون الذين اسلموا من وقت موسى الى زمان عيسى ووصفهم بالاسلام لان
الاسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيا وقوله للذين هادوا اي تابوا من الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود
واللام فيه يتعلق بيحكم اي يحكمون بالتورية لهم وفيما بينهم قال الزجاج وجايز ان يكون المعنى على
التقديم والتاخير وتقديره انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين
الحبار ج ر اسلموا والربانيون الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعملون بما يعلمون والاحبار العلماء الكبار
عن الزجاج بما استحفظوا اي بما استودعوا من كتاب الله عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به
وترك تضييعه عن الجبائي وكانوا عليه شهداء اي وكانوا على حكم النبي صلعم في الرجم انه ثابت في التورية
شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على الكتاب انه من عند الله وحده لا شريك له عن عطا فلا تخشوا
الناس واخشون اي لا تخشوا يا علماء اليهود الناس في اظهار صفة محمد وامر الرجم واخشوني في
كتمان ذلك عن السدي والكلبي وقيل ان الخطاب للنبي صلعم وامته اي لا تخشوهم في اقامة الحدود
وامضائها على اهلها كائنا من كان واخشوني في ترك امري فان النفع والضر بيدي عن الحسن ولا
تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي لا تاخذوا بترك الحكم الذي انزلته على موسى ايها الاحبار عوضا خسيسا
وهو الثمن القليل نهاهم الله عن اسم لهذا عن اكل السحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه ومن لم
يحكم بما انزل الله معناه من كتم حكم الله الذي انزله في كتابه فاخفاه وحكم بغيره من رجم المحصنين والقود
فاولئك هم الكافرون اختلف في ذلك فمنهم من اجرى ظاهره على العموم عن ابن مسعود والحسن وابرهيم
ومنهم من خصصه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس ومنهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائي فانه قال
لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود واختار علي بن عيسى القول الاول ولكن نقول ان
من حكم بغير ما انزل الله مستحلا لذلك فهو كافر وروى البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله
ان قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وبعده فاولئك هم الظالمون وبعده فاولئك هم
الفاسقون كل ذلك في الكفار خاصة اورده مسلم في الصحيح وبه قال ابن مسعود وابي صالح والضحاك وعكرمة وقتادة

قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس

والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق
به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون آية **القراءة**
قرا الكسائي العين وما بعده كله بالرفع وقرا ابو جعفر وابن كثير وابن عامر وابو عمرو كلها بالنصب الا قوله والجروح فانه
بالرفع والباقون ينصبون جميع ذلك وكلهم ثقل الاذن الا نافعا فانه خففها في كل القرآن **الحجة**
قال ابو علي حجة من نصب العين بالعين وما بعده انه عطف ذلك كله على ان وجعل الواو للاشتراك في نصب ان نحمل ه
ولم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من رفع واما من رفع بعد النصب فقال ان النفس بالنفس والعين بالعين فانه
يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون الواو عاطفة جملة على جملة كما تعطف المفرد على المفرد والثاني انه حمل الكلام على المعنى
لانه اذا قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فمعناه قلنا لهم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما انه
لما كان المعنى في قوله يطاف عليهم بكاس من معين يمنحون كاسا من معين حمل حورا عينا على ذلك كانه يمنحون
كاسا ويمنحون حورا عينا ومن ذلك قال الشاعر   بادت وغير آيهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء
ومشجج اما سواء قذاله   فبدا وغير ساره المعزاء   لما كان المعنى في بادت وغير آيهن الا رواكد بهاء رواكد
حمل مشججا عليه فكانه قال هناك رواكد ومشجج ومثل هذا في الحمل على المعنى كثير واقوال من هذا القبيل
بيت الفرزدق الذي آخره الا مسحتا او مجلف وقد ذكرنا قبل لانه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مسحت حمل
مجلفا عليه والوجه الثالث ان يكون عطف قوله والعين بالعين على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو
الخبر وان لم يؤكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما اكد في نحو قوله انه يراكم هو وقبيله الا ترى انه قد جاء ولو
شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فلم يؤكد بالمنفصل كما اكد في الآي الاخرى قال فان قلت لا في قوله ولا آباؤنا
عوض من التاكيد لان الكلام قد طال به كما طال في حضر القاضي اليوم امراة قيل ان هذا انما يستقيم ان يكون عوضا
اذا وقع قبل حرف العطف فاما اذا وقع بعد حرف العطف فانه لم يسد ذلك المسد واما قوله والجروح قصاص فمن وقع ه
رفعه فانه يحتمل هذه الوجوه الثلثة التي ذكرناها ويجوز ان يستانف والجروح قصاص استينافا ايجاب
وابتداء شريعة لا على انه مكتوب عليهم في التورية ويقوي انه من المكتوب عليهم في التورية نصب من نصب فقال
والجروح اساس واما التخفيف في الاذن فلغة مثل السحت والسحت وقد تقدم القول في ذلك **المعنى**
ثم بين سبحانه حكم التورية في القصاص فقال وكتبنا اي فرضنا عليهم اي على اليهود الذين تقدم ذكرهم فيها
اي في التورية ان النفس بالنفس ومعناه اذا قتلت نفس نفسا اخرى عمدا فانه يستحق عليها القود اذا كان
القاتل عاقلا مميزا وكان المقتول مكافيا للقاتل اما بان يكونا مسلمين حرين او كافرين او مملوكين فاما
اذا كان القاتل حرا مسلما والمقتول كافرا او مملوكا ففي وجوب القصاص هناك اختلاف بين الفقهاء وعندنا
لا يجب القصاص وبه قال الشافعي وقال الضحاك لم يجعل في التورية دية في نفس ولا جرح انما كان العفو
او القصاص والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن قال العلماء كل شخصين
جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين والانف والاذن والسن وجميع الاطراف اذا تماثلا

في السلامة من الشلل واذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الاطراف والجروح قصاص هذا عام في كل ما يمكن
ان يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والانثيين واليدين والرجلين وغيرهما ويقتص الجراحات بمثلها
الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة الا المامومة والجائفة فانه لا قصاص فيهما وهي التي
تبلغ ام الراس والتي تبلغ الجوف في البدن لان في القصاص فيهما تغريرا في النفس واما ما لا يمكن القصاص فيه
من رضة لحم او فك عظم او جراحة يخاف منها التلف ففيه اروش مقدرة والقصاص ههنا مصدر
يراد به المفعول اي والجروح متقاصة بعضها ببعض واحكام الجراحات وتفاصيل الاروش في الجنايات
كثيرة وفروعها جمة وموضعها كتب الفقه فمن تصدق به اي بالقصاص الذي وجب له فتصدق به على صاحبه
بالعفو واسقاطه عنه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق الذي هو المجروح او ولي الدم هذا قول اكثر
المفسرين فقد قيل معناه فمن عفى فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم عن ابن عمرو وابن عباس في رواية عطا والحسن
والشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح او غيره وروى
عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وآله قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وقيل
ان الضمير في له يعود الى المتصدق عليه اي كفارة للمتصدق عليه لانه يقوم مقام اخذ الحق منه عن ابن عباس
في رواية سعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وزيد بن اسلم وعلى هذا فان الجاني اذا عفى عنه المجني عليه كان
العفو كفارة لذنوب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة والقول الاول اظهر لان العائد فيه يرجع الى مذكور
وهو من وفي القول الثاني يعود الى مدلول عليه وهو المتصدق عليه يدل عليه قوله فمن تصدق به ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الظالمون قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما انزل الله وقيل هو عام في كل من حكم بخلاف
ما انزل الله فيكون ظالما لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب وهذا الوجه يوجب ان يكون ما تقدم
من الاحكام يجب العمل به في شريعتنا وان كان مكتوبا في التورية قوله تعالى وقفينا على آثارهم بعيسى
بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من
التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون آيتان **القراءة** قرا حمزة وحده وليحكم
بكسر اللام ونصب الميم والباقون وليحكم بالجزم وسكون اللام على الامر **الحجة** حجة حمزة انه
جعل اللام متعلقة بقوله وآتيناه الانجيل فان معناه وانزلنا عليه الانجيل فصار بمنزلة وانزلنا عليه الكتاب
ليحكم وحجة من قرا بالجزم ان قوله وان احكم بينهم بما انزل الله فكما امر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكذلك امروا به في الانجيل
اللغة القفو اتباع الاثر يقال قفاه يقفوه والتقفية الاتباع يقال قفيته بكذا اي اتبعته
به وانما سميت قافية الشعر لانها تتبع الوزن والآثار جمع الاثر وهو العلم الذي يظهر للحس وآثار القوم ما
ابقوا من اعمالهم والمآثرة المكرمة التي يأثرها الخلف عن السلف لانها علم يظهر فضله للنفس والايثار الكرم على القوم
لانه يؤثرونه بالبر ومنه الايثار للاختيار فانه اظهار فضل احد العملين على الآخر وقد مر تفسير الانجيل
في اول آل عمران والوعظ والموعظة هو الزجر عما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه والتنبيه عليه

الاعراب قوله بعيسى بن مريم مصدقا نصب مصدقا على الحال وهدى رفع
بالابتداء وفيه خبره قدم عليه ونور عطف على هدى ومصدقا لما بين يديه من التورية نصب على الحال وليس
بتكرير لان الاول حال لعيسى وبيان انه يدعوا الى التصديق بالتورية والثاني حال من الانجيل وبيان ان فيه
ذكر التصديق بالتورية وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدى فانه نصب على الحال وتقديره اتيناه
الانجيل مستقرا فيه هدى ونور ومصدقا وهدى في موضع نصب بالعطف على مصدقا وموعظة عطف على
هدى وتقديره هاديا وواعظا **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر اليهود اتبعه بذكر النصارى
فقال وقفينا على اثارهم اى واتبعنا على اثار النبيين الذين اسلموا عن اكثر المفسرين واختاره على بن عيسى
والبلخي وقيل معناه على اثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والاول اوجه في الاية واوضح
في المعنى بعيسى بن مريم اى بعثناه رسولا بعدهم مصدقا لما بين يديه اى لما مضى من التورية التي نزلت على موسى صدق
بها وآمن بها وانما قال لما مضى قبله ما بين يديه لانه اذا كان ما ياتي بعده خلفه فالذي مضى قبله يكون
قدامه وبين يديه واتيناه اى واعطينا عيسى الكتاب المسمى بالانجيل والمعنى وانزلنا عليه الانجيل فيه يعني في
الانجيل هدى اى بيان وحجة ودلالة على الاحكام ونور سماه نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور ومصدقا
لما بين يديه من التورية يعني الانجيل يصدق بالتورية لان فيه ان التورية حق وقيل معناه انه يتضمن وجوب
العمل بالتورية وانه لم ينسخ وقيل معناه انه اتى على النحو الذي وصف في التورية وهدى اى ودلالة وارشاد
ومعناه وهاديا ومرشدا وموعظة اى وواعظا للمتقين يزجرهم عن المعاصي ويدعوهم الى الطاعة وانما خص
المتقين بالذكر لانهم اختصوا بالانتفاع به والا فانه هدى لجميع الخلق وليحكم اهل الانجيل هذا امرهم وقيل
في معناه قولان احدهما ان تقديره وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف
القول لدلالة ما قبله عليه من قوله وقفينا كما قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم اى يقولون والثاني انه سبحانه استانف امر اهل الانجيل على غير الحكاية لان احكامه كانت
موافقة لاحكام القرآن لم تنسخ بعد عن الجبائي والقول الاول اقوى وهو اختيار علي بن عيسى بما انزل الله
فيه اى في الانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قيل ان من ههنا بمعنى الذي وهو خبر
عن قوم معروفين وهم اليهود الذين تقدم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان من للجزاء اى من لم يحكم من المكلفين
بما انزل الله فهو فاسق لان هذا الاطلاق يدل على ان المراد من ذهب الى ان الحكم في خلاف ما امر الله به
فلذا قال فيما قبل فاولئك هم الكافرون فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين وجعلوا
الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل ان الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر
التارك قوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم
فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون آية

اللغة

اللغة اصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل في ارقت الماء هرقت وقد صرف
فقيل هيمن الرجل اذا ارتقب وحفظ وشهد يهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفيعل
مثل مسيطر ومبيطر وقال الازهري كان في الاصل ايمن يؤيمن كما ان الاصل في يفعل يؤفعل فعلى هذا
يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروى في الشواذ مهيمنا بفتح الميم عن مجاهد والشرعة والشريعة
واحد وهي الطريقة الظاهرة الذي يوصل منه الى الماء الذي فيه الحياة فقيل الشريعة في الدين للطريق
الذي يوصل منه الى الحياة في النعيم وهي الامور التي تعبد الله تعالى بها من جهة السمع قال الشاعر
اتنسونني يوم الشريعة والقنا بصفين في اكتافكم قد تكسرا يريد شريعة الفرات والاصل فيه الظهور
ويقول شرعت القنا اذا ظهرت وشرعت في الامر شروعا اذا دخلت فيه دخولا ظاهرا والناس فيه
شرع اى متساوون والمنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهج ومنهج اى بين قال الراجز
من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج قال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق
المستقيم قال وهذه الالفاظ اذا تكررت فلزيادة فائدة فيه ومنه قول الحطيئة
وهند اتى من دونها النأي والبعد قال فالنأي لما قل بعده والبعد لما كثر بعده وقد جاء ايضا بمعنى واحد
قال عنترة حييت من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم واقفر واقوى بمعنى واحد
ويقال نهجت لك الطريق وانهجته فهو منهوج ومنهج ونهج الطريق اذا وضح والاستباق يكون بين شيئين
فصاعدا يجتهد كل منهم ان يسبق غيره قال سبحانه واستبقا الباب يعني يوسف وصاحبته تبادرا الى
الباب **الاعراب** مصدقا حال من الكتاب
ومهيمنا كذلك وقيل انه حال من الكاف الذي هو خطاب للنبي صلعم والاول اقوى لاجل حرف العطف
لانه قال وانزلنا اليك الكتاب مصدقا ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف حال على حال لغير الاول لا يقال
ضربت هند زيدا قاعدا وقائمة ولو قلت قائمة بغير واو لجاز ويجوز ان يكون عطفا على مصدقا
ويكون مصدقا حالا للنبي والاول اظهر **المعنى** لما بين سبحانه نبوة موسى وعيسى
عليهما السلام عقب ذلك ببيان نبوة محمد صلعم احتجاجا على اليهود والنصارى بان طريقهم كطريقهم في الوحي
والمعجز فقال وانزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق اى بالعدل مصدقا لما بين يديه
من الكتاب يعني التورية والانجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوته والحكم بالرجم
والقود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الانبياء ومعنى الكتاب المكتوب كقولهم
هذه الدراهم ضرب الامير اى مضروبه عن ابي مسلم ومهيمنا عليه اى معينا امينا عليه شاهدا بانه الحق
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل مؤتمنا عن سعيد بن جبير وابي عبيدة وابن جريج وهو
قريب من الاول قال ابن جريج امانة القرآن ما اخبرنا الكتب ان كان موافقا للقرآن يجب التصديق
به والا فلا وقيل معناه حافظا رقيبا عليه عن الخليل وابي عبيدة قالوا وفيه دلالة على ان ما حكى الله
سبحانه انه كتب عليهم في التورية يلزمنا العمل به لانه جعل القرآن مصدقا لذلك وشاهدا به فاحكم بينهم

الطريق د

بما انزل الله يعني اليهود في القرآن في الرجم على الزانيين عن ابن عباس قال اذا ترافع اهل الكتاب الى الحكام يجب ان يحكم
بينهم بحكم القرآن وشريعة الاسلام لانه امر من الله تعالى ان يحكم بينهم والامر يقتضي الايجاب وبه قال الحسن ومسروق
قال الجبائي هذا ناسخ للتخيير في الحكم بين اهل الكتاب او الاعراض عنهم والترك ولا تتبع اهواءهم يريد فيما حرفوا
وبدلوا من امر الرجم عن ابن عباس اي عادلا عما جاءك من الحق ويجوز ان يكون عن صلة معنى لا تتبع اهواءهم لان معناه لا ترغ
فكانه قال لا ترغ عما جاءك من الحق باتباع اهواءهم ومتى قيل كيف يجوز ان يتبع النبي صلى الله عليه وآله اهواءهم مع
كونه معصوما فالجواب ان النبي صلعم يجوز ان يرد عما يعلم انه لا يفعله ويجوز ان يكون الخطاب له صلى الله عليه وآله و
المراد جميع الحكام لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب للامم الثلث امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله
عليه وآله ولا يعني به قوم كل نبي الا ترى انه ذكرهم لا قد تقدم في قوله انا انزلنا التورية الآية ثم قال وقفينا
على آثارهم بعيسى بن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فغلب
المخاطب على الغايب شرعة اي شريعة فللتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة وجماعة من المفسرين
وفي هذا دلالة على جواز النسخ وعلى ان نبينا صلعم كان متعبدا بشريعته فقط وكذلك امته وقيل الخطاب
لامة نبينا صلى الله عليه وآله عن مجاهد والاول اقوى لانه سبحانه بين ان لكل نبي شريعة ومنهاجا اي سبيلا واضحا
غير شريعة صاحبه وطريقته ويقوي ذلك قوله ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ومعناه لو شاء الله لجمعكم على
ملة واحدة في دعوة جميع الانبياء لا تبدل شريعة منها ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل اراد به مشية القدرة
اي لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها عن الحسن ولكن ليبلوكم اي ولكن
جعلكم على شرايع مختلفة ليمتحنكم فيما آتاكم اي فيما فرض عليكم وشرع لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب
وقال الحسين بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يبعث اليكم نبيا فتكونون متعبدين بما في العقل وتكونون
امة واحدة ولكن ليختبركم بما كلفكم من العبادات وهو عالم بما يؤول اليه امركم فاستبقوا الخيرات اي بادروا
فوت الحظ بالتقدم في الخير وقيل معناه بادروا الفوت بالموت او العجز وبادروا الى ما امرتكم به فاني لا آمر
الا بالصلاح عن الجبائي وقيل معناه سابقوا الامم الماضية الى الطاعات والاعمال الصالحة عن الكلبي و
في هذا دلالة على وجوب المبادرة الى الافعال الخيرات ويكون محمولا على الواجبات ومن قال ان الامر على
الندب حمله على جميع الطاعات الى الله مرجعكم اي مصيركم جميعا فينبئكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون اي امر
دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون آيتان **القراءة** قرا ابن عامر وحده تبغون بالتاء والباقون
بالياء وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر وابرهيم النخعي افحكم الجاهلية يبغون برفع الميم وقراءة الاعمش
افحكم الجاهلية بفتح الحاء والكاف والميم **الحجة** من قرا يبغون بالياء فلان قبله غيبة وان
كثيرا من الناس لفاسقون ومن قرا بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن قرا افحكم الجاهلية

معناه نحو ما جاء في الشعر قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع اي لم اصنعه فيكون التقدير
افحكم الجاهلية تبغونه فحذف العايد من الخبر كما يحذف من الصفة والحال في قولهم الناس رجلان رجل اكرمت
ورجل اهنت اي اكرمته واهنته ومررت بهند يضرب زيد اي يضربها زيد وقوله افحكم الجاهلية فيكون
بمعنى الشايع اي افحكام الجاهلية يبغون وجاز ان يقع المضاف جنسا كما جاء عنهم من قولهم منعت العراق
قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله افحكم الجاهلية لانه ليس المراد هنا نفس الحكم فهوا ذا على حذف المضاف
والمراد افحكم حكم الجاهلية يبغون **الاعراب** موضع ان احكم نصب بالعطف
على الكتاب والتقدير انزلنا اليك الكتاب وان احكم ويجوز ان يكون موضعه رفعا وتقديره ومن الواجب
ان احكم بينهم بما انزل الله ووصلت ان بالامر وان كان لا يجوز صلة الذي بالامر لان الذي اسم ناقص
يجري صلته عنده في البيان مجرى الصفة في بيان النكرة ولذلك لا بد لها من عايد يعود اليها كما ان الصفة
لا بد من عايد يعود منها الى الموصوف وليس كذلك ان لانها حرف وهي مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد
فلما كان في فعل الامر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره وحكما نصب لانه مفعول يبغون وحكما
نصب على التمييز **المعنى** وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم انما كرر سبحانه
الامر بالحكم بينهم لامرين احدهما انهما حكمان امر بهما جميعا لانهم احتكموا اليه في زنا المحصن ثم احتكموا اليه
في قتيل كان بينهم عن الجبائي وجماعة من المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم والثاني ان الامر الاول
مطلق والثاني يدل على انه منزل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قيل فيه قولان
احدهما ان معناه احذرهم ان يضلوك عن بعض ما انزل الله اليك الى ما يهوون من الاحكام بان
يطمعوك منهم في الاجابة الى الاسلام عن ابن عباس والثاني ان معناه احذرهم ان يكذبوا عليك
على التورية انه ليس كذلك الحكم فيها فاني قد بينت لك حكمها عن ابن زيد وفي هذه الآية دلالة على وجوب
مجانبة اهل البدع والضلال وذوي الاهواء وترك مخالطتهم فان تولوا اي فان اعرضوا عن حكمك بما
انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قيل فيه اقوال احدها ان معناه فاعلم يا محمد
انما يريد الله ان يعاقبهم ببعض اجرامهم وذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد به الخصوص عن الجبائي
والثاني انه ذكر البعض تغليظا للعقاب والمراد انه يكفي ان يوخذوا ببعض ذنوبهم في اهلاكهم والتدمير
عليهم والثالث انه اراد تعجيل بعض العقاب بما كان من التمرد في الاجرام لان عذاب الدنيا يختص
ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الآخرة يعم وقيل المراد بذلك اجلاء بني النضير لان علماءهم
لما كفروا وكتموا الحق عوقبوا بالجلاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريظة لما نقضوا العهد يوم الاحزاب عوقبوا
بالقتل وان كثيرا من الناس لفاسقون هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله عن امتناع القوم من الاقرار بنبوته
والاسراع بالاجابة بان اهل الايمان قليل واهل الفسق كثير فلا ينبغي ان يعظم ذلك عليك ثم انكر سبحانه عليهم فعلهم
فقال افحكم الجاهلية يبغون والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائي قال لانهم كانوا اذا وجب الحكم على
ضعفائهم الزموهم اياه فاذا وجب على اقويائهم واشرافهم لم يأخذوهم به فقيل لهم افحكم الجاهلية اي عبدة الاوثان

فحكم

كتاب ٢٢

تطلبون وانتم اهل الكتاب وقيل المراد به كل من طلب غير حكم الله فانما يخرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك خزيا ان يحكم
بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم ومن احسن من الله حكما اى لا احد حكمه احسن من حكم الله لقوم يوقنون اى
عند قوم امتيت اللام مقام عن الجبائى وهذا جائز اذا تقاربت المعانى وارتفع اللبس فاذا قيل الحكم لهم فاهم
يتحاكمون واذا قيل عندهم فلان عندهم العلم بصحته قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى
القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
فعسى الله ان ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين ويقول الذين
آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
ثلث آيات **القراءة** قرا ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلهم قرا والعنهم
اللام الا ابا عمرو فانه فتحها **الحجة** من حذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا فلان فى الجملة
المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها وذلك ان من وصف بقوله سبحانه يسارعون فيهم الى قوله نادمين هم الذين
قال فيهم الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم فلما صار فى كل واحدة من الجملتين ذكر
من الاخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو وكما ان قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
لما كان فى كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو ولانهما بالذكر وملابسة بعضهما ببعض قد ترتبط
احديهما بالاخرى كما ترتبط بحرف العطف ويدلك على حسن دخول الواو قوله وثامنهم كلبهم فحذف الواو من
ويقول كما حذفها فى هذه الآية والحاقها كالحاقها فيها والوجه فى قراءة ابى عمرو ويقول بالنصب على ان يحمله
على ان يكون ان ياتى بدلا من اسم الله تعالى كما كان ان اذكره بدلا من الهاء فى انسانيه من قوله وما انسانيه الا
الشيطان ان اذكره ثم يكون ويقول منصوبا عطفا على ذلك فكانه قال عسى ان ياتى بالفتح ويقول
الذين آمنوا ومن رفع فحجته ان يعطف جملة على جملة لا مفردا على مفرد **اللغة** الاتخاذ
هو الاعتماد على الشىء فى اعداده لامر وهو افتعال من الاخذ واصله ائتخاذ فابدلت الهمزة تاء وادغمتها
فى التاء التى بعدها ومثله الاتقاد من الوعد والاخذ يكون على وجوه يقول اخذ الكتاب اذا تناوله واخذ
القربان اذا تقبله واخذه الله من مامنه اذا اهلكه واصله حوز الشىء من جهة من الجهات والاولياء جمع ولى
وهو النصير لانه يلى بالنصر صاحبه والدائرة ههنا الدولة التى تتحول الى من كانت له عمن فى يديه قال حميد
الارقط كنت حسبت الخندق المحفورا يرد عنك القدر المقدورا ودائرات الدهر ان تدورا
يعنى دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم وعسى موضعه للشك وهى من الله تعالى يفيد الوجوب لان الكريم اذا
اطمع فى خير يفعله فهو بمنزلة الوعد به فى تعلق النفس به ورجائها له ولذلك حق لا يضيع ومنزلة لا يخيب والفتح
القضاء والفصل ويقال للحاكم الفتاح لانه يفتح الحكم ويفصل به الامر **النزول**
اختلف فى سبب نزوله وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال عطية بن سعد العوفى والزهرى لما انهزم
اهل بدر قال المسلمون لاوليائهم من اليهود آمنوا قبل ان يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن صيف

اغركم

بقتالنا

اغركم ان اصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال اما لو امررنا العزيمة ان نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان
بقتالنا فجاء عبادة بن الصامت الخزرجى الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ان لى اولياء
من اليهود كثير عددهم قوية انفسهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله
ورسوله فقال عبد الله بن ابى لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بد لى منهم فقال رسول الله
يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذا اقبل فانزل الله الآية وقال
السدى لما كانت وقعة احد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودى
واخذ منه امانا وقال آخر انا الحق بفلان النصرانى ببعض ارض الشام واخذ منه امانا فنزلت الآية وقال
عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر حين قال لبنى قريظة اذ رضوا بحكم سعد انه الذبح
المعنى لما تقدم ذكر اليهود والنصارى امر الله عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرؤ منهم
فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اى لا تعتمدوا على الاستنصار بهم
متوددين اليهم وخص اليهود والنصارى بالذكر مع ان ساير الكفار بمنزلتهما فى وجوب معاداتهم بعضهم
اولياء بعض هذا ابتداء كلام اخبر سبحانه ان بعض الكفار ولى بعض فى العون والنصرة ويدهم
واحدة على المسلمين وفى هذا دلالة على ان الكفر كله كالملة الواحدة فى احكام المواريث لعموم قوله بعضهم
اولياء بعض وقال الصادق عليه السلم لا يتوارث اهل ملتين ونحن نرثهم ولا يرثونا ومن يتولهم منكم اى من
استنصر بهم واتخذهم انصارا فانه منهم اى هو كافر مثلهم عن ابن عباس والمعنى انه محكوم له حكمهم فى وجوب
لعنه والبراءة منه وانه من اهل النار ان الله لا يهدى القوم الظالمين الى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم
العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار عن ابى على الجبائى وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى
المدح والثناء والنصرة على الاعداء فترى يا محمد الذين فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق يعنى عبد الله بن ابى
عن ابن عباس يسارعون فيهم اى فى موالاة اليهود ومناصحتهم وقيل فى معاونتهم على المسلمين وقيل فى
موالاة اليهود ونصارى نجران لانهم كانوا يميرونهم عن الكلبى يقولون اى قائلين وهو فى موضع الحال نخشى
اى نخاف ان تصيبنا دائرة اى دولة تدور لاعداء المسلمين على فنحتاج الى نصرتهم عن مجاهد والسدى وقتادة وقيل معناه
نخشى ان يدور الدهر علينا بمكروه يعنون الجدب فلا يميروننا عن الكلبى فعسى الله ان ياتى بالفتح يعنى
فتح مكة عن السدى وقيل فتح بلاد المشركين عن الجبائى وقيل المراد بالفتح القضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الاقوال
قول ابن عباس يريد يفتح الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله على جميع خلقه او امر من عنده فيه اعزاز المسلمين
واذلال المشركين واظهار الاسلام عن السدى وقيل هو اظهار نفاق المنافقين مع الامر بقتلهم عن الحسن و
الزجاج وقيل هو امر دون الفتح الاعظم او موت هذا المنافق عن الجبائى وقيل هو القتل وسبى الذرارى
لبنى قريظة والجلاء لبنى النضير عن مقاتل وهذا معنى قول ابن عباس او امر من عنده يريد فيه هلاكهم ويحتمل
هلاك اليهود وهلاك المنافقين فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين اى فيصبح اهل النفاق على ما
كان منهم من نفاقهم وولايتهم لليهود ودس الاخبار اليهم نادمين على ما فعلوا عن ابن عباس وقتادة

والمعنى اذا فتح الله على المومنين المنافقين والكفار على تقويتهم انفسهم ذلك وكذلك اذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوا في الدنيا من الكفر والنفاق ويقول الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من نفاق المنافقين واجترائهم على الله بالايمان الكاذبة اهولاء الذين اقسموا بالله يعني المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انتصب جهد لانه مصدر اى جهدوا اجهد ايمانهم قال عطا اى حلفوا باغلظ الايمان واوكدها انهم لمعكم اى انهم مومنون ومعكم في معاونتكم على اعدائكم ونصرتكم يريد حلفوا انهم لامثالكم في الايمان حبطت اعمالهم اى ضاعت اعمالهم التي عملوها لانهم اوقعوها على خلاف الوجه المامور به وبطل ما اظهروه من الايمان لانه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب فاصبحوا اى صاروا خاسرين اى خسروا الدنيا والآخرة واما الدنيا فليسوا من الانصار واما الاخرة فقد لهم الله ثواب الكفار عن ابن عباس وقيل مغبونين بانفسهم ومنازلهم في الجنة اذا صاروا الى النار وورثها المومنون عن الجبائي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم آية **القراءة** قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر يرتدد بدالين يرتد بدال واحدة مشددة **الحجة** حجة من ادغم انه لما اسكن الحرف الاول ليدغمه في الثاني وكان الثاني ساكنا حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم وحجة من اظهر ان الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا والمدغم فيه كذلك فالتقى ساكنان والتقاء الساكنين في هذا النحو ليس من كلامهم فاظهر الحرف الاول وحركه واسكن الثاني من المثلين وهذه لغة اهل الحجاز **اللغة** الذل بكسر الذال ضد الصعوبة وبضمها ضد العز يقال ذلول بين الذل من قوم اذلة وذليل بين الذل من قوم اذلاء فالاول من اللين والانقياد والثاني من الهوان والاستخفاف والعزة الشدة يقال عززت فلانا على امره اى غلبته عليه والعزاز الارض الصلبة وعز الشئ يعز اذا لم يقدر عليه واصل الباب الامتناع **المعنى** لما بين جل حال المنافقين وانهم يتربصون الدوائر بالمومنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعد وفاته اعلم ان ذلك كائن وانهم لا ينالون امانيهم وانه تعالى ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة يتميزوا بها من بين العالمين فقال يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه اى من يرجع منكم اى من جملتكم الى الكفر بعد اظهار الايمان فلن يضر دين الله شيئا فان الله لا يخلي دينه من انصار يحمونه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اى يحبهم الله ويحبون الله اذلة على المومنين اعزة على الكافرين اى رحماء على المومنين غلاظ شداد على الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين لا من الذل الذي هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمومنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون في سبيل الله تعالى بالقتال لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه ولا يخافون لومة لائم فيما ياتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الاوصاف منهم فقيل هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل هم الانصار عن السدي وقيل هم اهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا وارق

فيذة الايمان

افيدة الايمان يمان والحكمة يمانية وقال عياض بن غنم الاشعري لما نزلت هذه الآية اومى رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابي موسى الاشعري فقال هم قوم هذا وقيل انهم الفرس وروي ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن هذه الآية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم امير المومنين عليه السلام واصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين روي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ويؤيد هذا القول ان النبي صلى الله عليه وآله وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية فقال فيه وقد ندبه لفتح خيبر بعد ان رد عنها حامل الراية اليه مرة بعد اخرى وهو يجبن الناس ويجبنونه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ثم اعطاها اياه واما الوصف باللين على اهل الايمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع انه لا يخاف فيه لومة لائم فمما لا يمكن احدا دفع علي عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على اهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين والرافة بالمومنين ويؤكد ذلك ايضا انذار رسول الله صلى الله عليه وآله قريشا بقتال علي عليه السلام لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنتهن يا معشر قريش او ليبعثن الله عليكم رجلا يضربكم على تاويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال له بعض اصحابه من هو يا رسول الله ابو بكر فقال لا فقال عمر قال لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة وكان علي يخصف نعل رسول الله صلعم وروي عن علي عليه السلام انه قال يوم البصرة والله ما قوتل اهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية وروى ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بالاسناد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلؤون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل ان الآية عامة في كل من استجمع هذه الخصال الى يوم القيامة وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره انها نزلت في مهدي الامة واصحابه واولها خطاب لمن ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن ان ينصر هذا القول بان قوله سبحانه فسوف ياتي الله بقوم يوجب ان يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفة الى قيام الساعة ذلك فضل الله اى محبتهم لله سبحانه ولين جانبهم للمومنين وشدتهم على الكافرين تفضل من الله وتوفيق ولطف منه ومنة من جهته يؤتيه من يشاء اى يعطيه من يعلمه محلا له والله واسع اى جواد لا يخاف نفاد ما عنده عليم بموضع جوده وعطائه فلا يبذله الا لمن تقتضي الحكمة اعطاءه وقيل معناه واسع الرحمة عليم بمن يكون من اهلها قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون آيتان **اللغة** الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي الذي يلي تدبير الامر يقال فلان ولي المراة اذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان اليه المطالبة بالقود والسلطان ولي امر الرعية ويقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده ولي عهد المسلمين قال الكميت

ظلمهم

بلج عليا عليه السلم   ونعم ولى الامر بعد وليه   ومنتجع التقوى ونعم المؤدب   ويروى الهوى وانما اراد ولى الامر
والقائم بتدبيره قال المبرد فى كتاب العبارة عن صفات الله تعالى اصل الولى الذى هو اولى اى احق ومثله المولى والركوع
هو التطاطو المخصوص قال الخليل كل شىء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع
وانشد للبيد   اخبر اخبار القرون التى مضت   ادب كانى كلما قمت راكع   وقال ابن دريد الراكع الذى
يكبو على وجهه ومنه الركوع فى الصلوة قال الشاعر   واقلت حاجب فوق العوالى على شفا تركع فى التراب   فوق عوالى
وقد يوصف الخاضع بانه راكع على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من التطامن والتطاطو وعلى ذلك قول الشاعر
لا تهين الفقير علك ان   تركع يوما والدهر قد رفعه   والحزب الطائفة والجماعة واصله من قولهم حزبه الامر يحزبه
حزبا اذا نابه وكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب وتحزب القوم اذا اجتمعوا وحمار حزابية مجتمع الخلق
غليظ

الاعراب

لفظة انما مخصصة لما اثبت بعده نافية لما لم يثبت يقول
القائل لغيره انما لك عندى درهم فيكون مثل ان يقول له ليس لك عندى الا درهم وقالوا انما السخاء حاتم يريدون
نفى السخاء عن غيره والتقدير انما السخاء سخاء حاتم فحذف المضاف والمفهوم من قول القائل انما اكلت رغيفا وانما
لقيت اليوم زيدا نفى اكل اكثر من رغيف ونفى لقاء غير زيد وقال الاعشى   ولست بالاكثر منهم حصا
وانما العزة للكاثر   اراد نفى العزة عمن ليس بكاثر وقيل وهم راكعون جملة فى موضع النصب على الحال
من يؤتون اى يؤتون الزكوة وهم راكعون كما يقول الجواد من يجود بالره وهو ضاحك وموضع من رفع بالابتداء
وفى يتول ضمير يعود الى من وهو مجزوم بالشرط وموضع الفاء مع ما بعده جزم لما فى ذلك من معنى الجزاء لان تقديره
فهو غالب وفى من معنى ان فلهذا جزم الفعل المضارع ومعنى هذا الحرف الذى فيه من مع الشرط والجزاء فى موضع
رفع بكونه خبر المبتدا

النزول

حدثنا السيد ابو الحمد مهدى بن نزار الحسينى القائنى قال حدثنا الحاكم ابو القسم الحسكانى قال حدثنى
ابو الحسن محمد بن القسم الفقيه الصيدلانى قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعرانى قال حدثنا ابو
على احمد بن على بن رزين الباشانى قال حدثنا المظفر بن الحسن الانصارى قال حدثنى السدى بن
على الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن عباية بن ربعى قال بينما
عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله صلعم اذ اقبل رجل متعمم بعمامة فجعل
ابن عباس لا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله الا قال الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
ابن عباس سألتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى
فانا جندب بن جنادة البدرى ابو ذر الغفارى سمعت رسول الله صلعم بهاتين والا فصمتا ورايته بهاتين
والا فعميتا يقول على قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله اما انى صليت مع رسول الله
صلى الله عليه وآله يوما من الايام صلوة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء فقال
اللهم اشهد انى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى احد شيئا وكان على راكعا فاومى بخنصره اليمنى
اليه وكان يتختم فيها فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبى صلى الله عليه وآله فلما فرغ

النبى صلى الله عليه وآله من صلوته رفع راسه الى السماء وقال اللهم ان اخى موسى سألك فقال رب اشرح لى صدرى
ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى
امرى فانزلت عليه قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما اللهم وانا
محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لى صدرى ويسر لى امرى واجعل لى وزيرا من اهلى عليا اشدد به ظهرى قال
ابو ذر فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله تعالى فقال
يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية روى هذا الخبر ابو اسحق الثعلبى
فى تفسيره بهذا الاسناد بعينه وروى ابو بكر الرازى فى كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربى عنه والطبرى
والرمانى انها نزلت فى على عليه السلم حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو قول مجاهد والسدى وهو المروى
عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم وجميع علماء اهل البيت عليهم السلم وقال الكلبى نزلت فى عبد الله بن سلام
لما اسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الاية وفى رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله انا رأينا عليا
تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد ابو الحمد عن ابى القسم الحسكانى بالاسناد المتصل
المرفوع الى ابى صالح عن ابن عباس قال اقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبى صلعم
فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وان قومنا لما رأونا آمنا
بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على انفسهم ان لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال
لهم النبى صلى الله عليه وآله انما وليكم الله ورسوله الآية ثم ان النبى صلعم خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع
فبصر بسائل فقال النبى صلى الله عليه وآله هل اعطاك احد شيئا فقال نعم خاتم من فضة فقال النبى صلى الله عليه وآله من اعطاكه فقال
ذلك القائم واومى بيده الى على عليه السلم فقال النبى صلى الله عليه وآله على اى حال اعطاك قال اعطانى وهو راكع فكبر النبى
صلى الله عليه وآله ثم قرأ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فانشأ حسان بن ثابت
يقول فى ذلك   اباحسن تفديك نفسى ومهجتى   وكل بطئ فى الهدى ومسارع   اذهب مدحيك المحبر ضائعا
وما المدح فى جنب الاله بضائع   فانت الذى اعطيت اذ كنت راكعا   زكوة فدتك النفس يا خير راكع
فانزل فيك الله خير ولاية   وبينها فى محكمات الشرائع   وفى حديث ابرهيم بن الحكم بن ظهير
ان عبد الله بن سلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله مع رهط من قومه يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقوا
من قومهم فبيناهم يشكون اذ نزلت الآية واذن بلال فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى المسجد واذا مسكين
يسال فقال ماذا اعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاكه قال ذلك القائم فاذا هو على عليه السلم قال
على اى حال اعطاكه قال اعطانى وهو راكع فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ومن يتول الله ورسوله الآية

المعنى

ثم بين سبحانه من له الولاية على الخلق والقيام بامورهم وتجب طاعته عليهم فقال انما وليكم الله ورسوله
اى الذى يتولى مصالحكم ويتحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعله بامر الله والذين آمنوا ثم وصف الذين
آمنوا فقال يقيمون الصلوة بشرائطها ويؤتون اى يعطون الزكوة وهم راكعون اى فى حال الركوع وفى
هذه الاية من اوضح الدلائل على صحة امامة على عليه السلم بعد النبى صلى الله عليه وآله بلا فصل والوجه فيه انه اذا ثبت

ان لفظة وليكم في الآية يفيد من هو اولى بتدبير اموركم ويجب طاعته عليكم وثبت ان المراد بالذين آمنوا علي
عليه السلام ثبت النص عليه بالامامة ووضح والذي يدل على الاول هو الرجوع الى اللغة فمن تأملها علم ان القوم
نصّوا على ذلك وقد ذكرنا قول اهل اللغة فيه فلا وجه لاعادته ثم ان الذي يدل على انها في الآية يفيد
ذلك دون غيره ان لفظة انما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور كما يقولون انما الفصاحة للجاهلية
يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم واذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لانه لا تخصيص
في هذا المعنى لمؤمن دون آخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض واذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الآخر وهو التحقق بالامور وما يقتضي فرض الطاعة
على الجمهور لانه لا يحتمل اللفظة الا الوجهان فاذا بطل احدهما ثبت الآخر والذي يدل على ان المعني بالذين آمنوا
هو علي عليه السلام الرواية الواردة من طريق الخاصة والعامة بنزول الآية فيه لما تصدق بخاتمه في حال الركوع و
قد تقدم ذكرها وايضا فان كل من قال ان المراد بلفظة ولي ما يرجع الى فرض الطاعة والامامة ذهب الى انه هو المقصود
بالآية والمتفرد بمعناها ولا احد من الامة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي في الآية ما ذكرناه ويذهب الى
ان المعني بها سواه وليس لاحد ان يقول ان لفظة الذين لفظ جمع فلا يجوز ان يتوجه اليه على الانفراد وذلك
ان اهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى
الاستدلال عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه شيمتهم وعادتهم فلا يكون حالا
لايتاء الزكوة وذلك لان قوله يقيمون الصلوة قد دخل فيه الركوع وان لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من يؤتون
الزكوة وحملناه على ان من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد اولى من البعيد الذي
لا يفيد ووجه آخر في الدلالة على ان الولاية في الآية مختصة انه سبحانه قال انما وليكم الله فخاطب جميع المؤمنين
ودخل في الخطاب النبي صلى الله عليه وآله وغيره ثم قال ورسوله فاخرج النبي من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته ثم قال والذين
آمنوا فوجب ان يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية والا ادى الى ان يكون المضاف هو المضاف
اليه بعينه والى ان يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول
به الكتاب فمن اراده فليطلبه من مظانه قال الواحدي واستدل اهل العلم بهذه الآية على ان العمل القليل لا يقطع
الصلوة وان دفع الزكوة الى السائل في الصلوة جائز مع نية الزكوة ومن يتول الله بالقيام بطاعته ورسوله باتباعه
والذين آمنوا بالموالاة والنصرة فان حزب الله اي جند الله عن الحسن وقيل ايضا انصار الله هم الغالبون الظاهرون
على اعدائهم الظافرون بهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين
آية **القراءة** قرأ اهل البصرة والكسائي والكفار بالجر والباقون بالنصب **الحجة**
حجة من قرأ بالجر انه حمل الكلام على اقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل الناصب
فكانه قال لا تتخذوا الكفار اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا اربعة اوجه ان شئت قلت هزؤا بضم الزاي
وتحقيق الهمزة وهو الاصل والاجود والا ان شئت قلت هزوا ابدال الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وان شئت

قلت

قلت باسكان الزاي وتحقيق الهمزة وهذه الاوجه الثلثة جيدة يقرأ بهن ومنها وجه آخر لا يجوز القراءة به
وهو ان يقول هزا مثل هدى وذلك انه يجوز اذا اردت تخفيف همزة هزؤ ان تطرح حركتها على الزاي كما تقول
رأيت خبا تريد خبأ **اللغة** الهزؤ السخرية وهو اظهار ما يلي نقيضا مما يجري قال الله تعالى
ولقد استهزى برسل من قبلك قال الشاعر الا هزئت واعجبها المشيب فلا نكر لديك ولا عجيب
يقال هزئ به يهزأ هزءا وتهزأ واستهزأ واللعب الاخذ على غير طريق الحق ومثله العبث واصله من لعاب الصبي
يقال لعب يلعب لعبا اذا سال لعابه لانه يخرج الى غير جهته فكذلك اللاعب يمر الى غير جهة الصواب
النزول قيل كان رفاعة بن
زيد التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية عن
ابن عباس **المعنى** ثم اكد سبحانه النهي عن موالاة الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا اي اظهروا الايمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تلاعبهم بالدين من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى والكفار بالجر اي ومن الكفار اولياء اي بطانة واخلاء
فيكون الهزء من الكتابي ومن المشرك والمنافق ويدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه انا كفيناك المستهزئين
الذين يجعلون مع الله الها آخر ويدل على استهزاء المنافقين قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزؤن وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم الكافر ويدل
على ذلك قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين فاذا وقع على المستهزئين اسم الكافر حسن
ان يكون قوله والكفار تبيينا للاسم الموصول وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم تبيينا له ولو قال من الكفار مبينا به لعم الجميع ولكن الكفار كانه على المشركين
اغلب واهل الكتاب على من اذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية واقر على دينه اغلب فلذلك
فصل بينهما واما القراءة بالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من اهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار اولياء
واتقوا الله في موالاتهم بعد النهي عنه ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده اي ليس من صفات المؤمنين موالاة
من يطعن في الدين فمن كان مؤمنا غضب لايمانه على من طعن فيه وكافاه بما يستحقه من المقت والعداوة قوله
تعالى واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون آية **اللغة**
النداء الدعاء الذي تمد الصوت على طريقة يا فلان واصله بعد الصوت وهو بعد مذهبه وصحة جرمه
ومنه قولهم اناديك ولا اناجيك اي اعالنك النداء ولا اسرك النجوى قال ابو سهيل فابن هشام بطن
مكة بعد ما اصات المنادي بالصلوة فاعتما واصل الباب الندى وهو الاجتماع فقال ندى القوم يندون
ندوا اي اجتمعوا في النادي ومنه دار الندوة وندى الماء لانه يجتمع قليلا قليلا وندى الصوت منه لانه
عن جرم ندي **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن صفة الكفار الذين نهى المؤمنين عن موالاتهم فقال
واذا ناديتم ايها المؤمنون الى الصلوة اي دعوتم اليها اتخذوها اي اتخذوا الصلوة هزوا ولعبا وقيل
في معناه قولان احدهما انهم كانوا اذا اذن المؤذن للصلوة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف

والمجون تجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي اليها والآخر انهم كانوا يرون المنادي اليها بمنزلة اللاعب
والهازئ يفعلها جهلا منهم بمنزلتها ذلك بانهم قوم لا يعقلون قيل فيه قولان احدهما انهم لا يعقلون ما لهم
في اجابتهم لو اجابوا اليها من الثواب وما عليهم في استهزائهم بها من العقاب والثاني انهم بمنزلة من لا عقل
له يمنعه من القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدي كان رجل من الانصار بالمدينة فسمع المؤذن ينادي
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمته ليلة بنار
وهو نائم واهله فسقطت شرارة فاحترقت هو واهله واحترق البيت قوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون آية **اللغة**
يقال نقم الامر ينقم نقما ونقم ينقم اذا انكره والاول اكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات
ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل تنقمون
الاعراب وان اكثركم فاسقون في موضع نصب وكذلك قوله ان امنا بالله والتقدير هل
منا الا ايماننا وفسقكم **النزول** قيل ان نفرا من اليهود
اتوا رسول الله صلعم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين قط اخطأ في الدنيا
والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله الآية وما بعدها **المعنى** ثم امر سبحانه رسوله بحجاجهم
فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اي هل تنكرون منا وقيل هل تسخطون منا وقيل هل تكرهون منا
والمعنى متقاربة الا ان امنا بالله ووحدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه
في ذاته وصفاته وما انزل الينا من القرآن وما انزل من قبل على الانبياء وان اكثركم فاسقون قال
الزجاج معناه هل تكرهون الا ايماننا وفسقكم اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان
اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال هذا معنى قول الحسن وفسقكم نقمتم علينا قال بعض اهل التحقيق
وعلى هذا يجب ان يكون موضع ان في قوله وان اكثركم نصبا باضمار اللام على تاويل ولان اكثركم فاسقون
وقيل لما ذكر سبحانه ما نقم اليهود عليهم من الايمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم
ومثل هذا يجيء في الازدواج يقول القائل هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر والا اني غني وانك فقير فيجيء
ذلك لاتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون عن امر الله طلبا للرياسة وحسدا على منزلة النبوة
والمراد باكثرهم من لم يؤمن منهم لان قليلا من اهل الكتاب امن وقيل في قوله وان اكثركم فاسقون قول آخر
ذكره ابو علي الجرجاني صاحب النظم قال يجعل منظوما بقوله امنا بالله تاويل امنا بالله وان اكثركم فاسقون
فيكون موضع ان جرا بالباء وهذا وجه حسن قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر
مكانا واضل عن سواء السبيل آية **القراءة** قرا حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء
والباقون وعبد الطاغوت بفتح الباء ونصب التاء وروي في الشواذ قراءة الحسن وابن هرمز مثوبة ساكنة الثاء

مفتوحة

مفتوحة الواو وكذلك في سورة البقرة لمثوبة وقرا ابن عباس وابن مسعود وابرهيم النخعي والاعمش وابان بن
تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت وقراءة ابي بن كعب وعبدوا الطاغوت
ورواية عكرمة عن ابن عباس وعبد الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقراءة ابي واقد وعباد الطاغوت
وعباد الطاغوت وقراءة ابي جعفر الرواسي النحوي وعبد الطاغوت كقولك ضرب زيد على ما لم يسم فاعله
وقراءة عون العقيلي وابي بريدة وعابد الطاغوت ورواية علقمة عن ابن مسعود وعبد الطاغوت على
وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنتان منها في السبعة **الحجة** قال ابو علي حجة حمزة في
قراءة وعبد الطاغوت انه عطفه على ما عمل فيه جعل كانه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق
كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجها وليس عبد لفظ جمع لانه ليس من ابنية الجموع شيء
على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ
الافراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولان بناء فعل يراد به المبالغة والكثرة
نحو يقظ وندس فكان تقديره انه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب وتكرر منه ذلك واما من فتح
وعبد الطاغوت فانه عطفه على بناء الماضي الذي في الصلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير في عبد وان
كان المعنى فيه الكثرة لان الكلام محمول على لفظ دون معناه فاعل ضمير من كان فاعلا مثله المعطوف
عليها ضمير من فافرد ويحمل ذلك جميعا على اللفظ ولو حمل الكل على المعنى او البعض على اللفظ والبعض على المعنى
لكان مستقيما واما الوجه في مثوبة فانه قد خرج على الاصل شاذا قال ابو الفتح ومثله ما يحكى عنهم
الفكاهة مقودة الى الاذى وقياسهما مثابة ومقادة ومثله مزيد وقياسه مزاد الا ان مزيد اعلم والاعلام
قد يحتمل فيها ما يكره من الاحتمال نحو محبب ومكوزة ومريم ومدين ورجاء بن حيوة ومثوبة مفعلة و
مثوبة مفعلة ونظيرها المبطخة والمشرقة والمشرفة واصل مثوبة مثوبة فنقلت الضمة من الواو الى الثاء
ومثلها معونة وقيل هي مفعولة مثل مقولة ومصونة على معنى المصدر قال الشاعر
وكنت اذا جاري دعا لمضوفة اشمر حتى ينصف الساق مئزري قال واما قوله عبد الطاغوت
فهو جمع عبد واصله العبد الا انه اسود الحلف فم قوم عبد وهكذا قال ابو الحسن وقال احمد بن يحيى
عبد جمع عابد كبازل وبزل وشارف وشرف وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد ويجوز ان يكون
عباد جمع عابد واما عبد الطاغوت وعبد الطاغوت فظاهر واما عابد الطاغوت فهو واحد يؤدي عن
واما عبد الطاغوت وعبد الطاغوت لانه يحتمل ولبد كما ان عبده كحذر وقتل ومنيف **الاعراب**
مثوبة نصب على التفسير كقوله هو خير ثوابا موضع من يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب احدها الجر على البدل والتقدير هل
انبئكم بمن لعنه الله والثاني الرفع على خبر المبتدا المحذوف اي هم من لعنه الله والثالث النصب على البدل من موضع
الجار والمجرور والتقدير انبئكم من لعنه الله ومكانا نصب على التمييز **المعنى** ثم امر الله سبحانه نبيه
صلى الله عليه وآله ان يخاطبهم فقال قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين من اليهود والكفار هل انبئكم اي هل اخبركم بشر من ذلك
مثوبة عند الله اي بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اي جزاء المعنى ان كان ذلك عندكم شرا فانا اخبركم بشر منه عاقبة

عند الله فقيل معناه هل اخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وانما قال بشر من ذلك وان لم يكن في المومنين شر على الانصاف في المخاطبة والمظاهرة في الحجاج عليهم كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين من لعنه الله اي ابعده من رحمته وغضب عليهم لفسقهم وكفرهم وغضبه عليه ارادته العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه ان ضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية اينما كانوا من الارض وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخهم قردة وخنازير قال المفسرون يعني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير اي مسخهم قردة كفار مائدة عيسى عليه السلم وروى الوالبي عن ابن عباس ان الممسوخين من اصحاب السبت لان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت قال الزجاج هو نسق على لعنه الله والتقدير من لعنه الله ومن عبد الطاغوت قال الفراء تاويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت فعلى هذا يكون الموصول محذوفا وذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الاول والطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لانهم اطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذي عبده اليهود عن الجبائي لان الكلام كله في صفتهم فلا تعلق في هذه الآية للمجبرة لان اكثر ما تضمنته الاخبار بانه خلق من يعبد الطاغوت على قراءة حمزة وغيره ممن قرا عباد او عبادا او عبدا او غير ذلك ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر وان الخالق للكافر سواء غير ان ذلك لا يوجب ان يكون خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا انا نستفيد من قوله وجعل منهم من عبد الطاغوت وعبد الطاغوت انه خلق به ما كان عبادا كما نستفيد من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك لانا انما استفدنا ما ذكروه لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القردة او الخنازير خنزيرا لا يكون الا من فعل الله تعالى وليس كذلك ما به يكون الكافر كافرا فانه قد دل الدليل على انه سبحانه تعالى متعال عن فعله وخلقه فافترقا الامران اولئك شر مكانا اي هولاء الذين وصفهم الله بانه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبد الطاغوت شر مكانا لان مكانهم سقر ولا شر في مكان المومنين وقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل معناه انهم شر مكانا في عاجل الدنيا واجل الاخرة مما نقمتم له من المومنين اما في الدنيا فبالقتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة عليهم والزام الجزية واما في الاخرة فبعذاب الابد واضل عن سواء السبيل اي اجور عن الطريق المستقيم وابعد من النجاة قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون اهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا روسهم وافتضحوا قوله

تعالى واذا جاءكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون ۝ وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ۝ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ثلث آيات

اللغة

الفرق بين الاثم والعدوان ان الاثم الجرم كائنا ما كان والعدوان الظلم وقد مضى السحت قيل والصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما ان الصنع مضمن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعة فلان اذا استخلصه على غيره وصنع الله لفلان اي احسن اليه وكل ذلك كالفعل الجيد

الاعراب

قد يدخل في الكلام على وجهين اذا كان مع الماضي قربه من الحال واذا كان مع المستقبل دلت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب على الحال

لان المعنى

لان المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لانه لا يريد انهم دخلوا يحملون شيئا وهو كقولك خرج زيد بثيابه اي وثيابه عليه ويريد خرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر

ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمرود

اي في المرود يعني وهذه صفة الفرق بين قولك متى جاءكم واذا جاءكم ان متى يتضمن معنى الجزاء ويعمل فيه جاءكم ولا يجوز ان يعمل في اذا لانه اذا مضاف الى ما بعده والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه من تمامه لبئس اللام فيه لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانه لا تدخل على الفعل الا في باب ان خاصة لانها اجريت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وقوله لبئس ما كانوا يعملون يدل على ان الحمد والذم يكون بالافعال لانه بمنزلة لبئس العمل عملهم وما يحتمل امرين احدهما ان يكون كافة كما يكون في انما زيد منطلق وليتما عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع من الاعراب والثاني ان يكون نكرة موصوفة كانه قيل لبئس شيئا كانوا يعملون ولولا هنا بمعنى هلا قال علي بن عيسى واصلها التقرير بوجوب الشيء عن الاول فتقلب الى التحضيض على فعل الثاني من اجل الاول وان لم يذكر ولا بد معها من لا لانه دخلها معنى لم لا يفعل ومتى قيل كيف يدخل لولا على الماضي وهي للتحضيض وفي التحضيض معنى الامر قيل لانها تدخل للتحضيض والتوبيخ فاذا كانت مع الماضي فهي توبيخ كقوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهداء

المعنى

ثم اخبر الله تعالى عن هولاء المنافقين بقوله واذا جاءوكم ايها المومنون قالوا امنا اي صدقنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل فيه قولان احدهما انهم قد دخلوا به على النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا به من عنده اي دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتي حالتيهم عن الحسن وقتادة والثاني ان معناه قد دخلوا به في احوالهم وخرجوا به الى احوال آخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به اكد الكلام بالضمير تعيينا اياهم بالكفر وتمييزا لهم عن غيرهم بهذه الصفة والله اعلم بما كانوا يكتمون معناه بما يكتمونه من نفاقهم اذا اظهروا بالسنتهم ما اضمروا خلافه في قلوبهم ثم بين سبحانه انهم يبقون الى نفاقهم خصالا اخر ذميمة فقال وترى يا محمد كثيرا منهم قيل المراد بالكثير روساؤهم يسارعون يبادرون في الاثم والعدوان قيل الاثم الكفر عن السدي والعدوان مجاوزة حدود الله تعالى وتعديها وقيل ان الاثم كل معصية وهو الاولى والعدوان الظلم اي يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخسران واكلهم السحت اي الرشوة في الحكم عن الحسن وسماها سحتا لانه يودي الى الاستيصال ويقال لانها تذهب بالبركة من المال قال اهل المعاني اكثر ما يستعمل المسارعة في الخير كقوله تعالى يسارعون في الخيرات وفائدة لفظ المسارعة وان كان لفظ العجلة ادل على الذم انهم يعملونه كانهم محقون فيه ولذلك قال ابن عباس في تفسيره انهم يجترون على الخطاء لبئس ما كانوا يعملون اي بئس العمل عملهم لولا ينهاهم اي هلا ينهاهم والكناية فيهم يعود الى الكثير الربانيون العلماء بالدين الذين من قبل الرب على وجه تغيير الاثم كما قالوا روحاني الانجيل والاحبار علماء اهل التورية وقال غيرهم كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم عن قولهم الاثم اي عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل ما قالوا بخلاف الحق واكلهم السحت اي الحرام والرشوة ولبئس ما كانوا يصنعون اي بئس الصنيع صنعهم حيث اجتمعوا على معصية الله تعالى انزل الله سبحانه علماءهم بترك التنكير عليهم فيما صنعوا فذم هولاء بمثل اللفظ التي ذم بها اولئك وفي هذه الآية دلالة

على انه تبارك النهى عن المنكر بمنزلته ومرتبته وفيه وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قوله تعالى وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله ويسعون فى الارض فسادا والله لا يحب المفسدين آية

اللغة

اليد تذكر فى اللغة على خمسة اوجه الجارحة والنعمة والقوة والملك وتحقيق اضافة الفعل فالنعمة فى قولهم لفلان
عندى يد اشكرها اى نعمة قال عدى بن زيد   ولم اذكر النعمان الا بصالح . فان له عندى يديا وانعما
جمع يدا على يدى كالكليب فى الكلب وحسن التكرير لاختلاف اللفظين واليد للقوة فى نحو قوله تعالى اولى الايدى
والابصار اى ذوا القوى والعقول وانشد الاصمعى للعنوى   فاعمد لما تعلو فما لك بالذى لا تستطيع
من الامور يدان يريد ليس لك به قوة وعلى هذا ما ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك ومعنى هذه التثنية
المبالغة فى نفى الاقتدار والقوة على الشىء واليد بمعنى الملك نحو قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك
وهذه الضيعة فى يد فلان اى فى ملكه واليد بمعنى التولى للشىء واضافة الفعل فى نحو قوله تعالى لما خلقت بيدى اى
توليت خلقه تخصيصا لادم وتشريفا له وان كان جميع المخلوقات هو خالقها لا غيره ويقول يداك رهن
بالوفاء اذا ضمنت له شيئا وكان معناه اجتهادى وطاقتى ويستعمل ايضا حيث يراد النصرة وذلك مثل ما جاء
فى الحديث وهم يد على من سواهم اى نصرتهم واحدة وكلمتهم مجتمعة على من ناواهم قال احمد بن يحيى بن
ثعلب اليد الجماعة ومنه الحديث وهم يد على من سواهم وقد يستعار اليد للشىء الذى لا يد له تشبيها بمنزلة
اليد قال ابن الاعرابى يد الدهر كله قال لا اتيه يد الدهر ويد المسند قال ذو الرمة
الا طرقت مياما هيوما بذكرها   وايدى الثريا جنح فى المغارب   واصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صعير فى قوله
القت ذكاء يمينها فى كافر فجعل للشمس يدا فى المغيب لما اراد ان يصفها بالغروب ثم للبيد فى قوله
حتى اذا القت يدا فى كافر   واجن عورات الثغور ظلامها   وقد يستعار اليد فى مواضع كثيرة يطول ذكرها
ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك باليد اضافوا الانفاق والجود والبخل الى اليد فقالوا للجواد مبسوط اليد وسبط
البنان فياض الكف وللبخيل كز الاصابع مقبوض الكف جعد الانامل فى اشباه لهذا كثيرة معروفة فى اشعارهم وانكر
الزجاج على من ذهب على ان معنى اليد فى الاية النعمة بان قال هذا ينقضه قوله بل يداه فيكون المعنى بل نعمتاه
مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان تحصى قال ابو على الفارسى قوله نعمتاه مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمة وعلى
انه نعمتان ثنتان ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة فقد جاء التثنية ويراد بها الكثرة والمبالغة وتعدا الشىء
لا المعنى الذى يشفع الواحد الفرد الا ترى الى قولهم لبيك انما هو اقامة على طاعتك بعد اقامة وكذلك سعديك
انما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين ثنتين ولا مساعدتين ثنتين فكذلك المعنى فى
الاية ان نعمه ظاهرة متتابعة فهذا وجه وان شئت حملت المثنى على انه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد   متظاهرة
ويكون احد جنسى النعمة نعمة الدنيا والاخرى نعمة الاخرة او نعمة الدين ولا يكون التثنية على هذا مرادا بها اثنين
وقد جاء تثنية اسم الجنس فى كلامهم مجيئا واسعا قال الفرزدق   وكل رفيقى كل رحل وان هما

تعاطى القنا قوما

تعاطى القنا قوما هما اخوان   فتاويل الرفيقين فى البيت العموم والاشاعة الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقان
اثنان لكل رحل وبعده فاذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذى على بناء الكثرة كقوله
لاصبح القوم اوبادا ولم يجدوا   عند التفرق فى الهيجا جمالين   وقوله سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا
فكيف لو قد سعى عمرو عقالين   وكقول ابى النجم   بين رماحى حمل وعقيل   ونحو ما حكاه سيبويه من قولهم
لقاحان سوداوان فان يجوز تثنية اسم الجنس احدر لانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن لانه
اشبه بالفاظ الافراد

الاعراب

قال ابو على اعلم ان يدا كلمة نادرة ومما
يدل لك على ذلك قولهم ايد وجمعهم له على افعل كاكلب وافلس يدلك على انه فعل كما دل اباء ولحاء على انه فعل
اب واخ فعل واللام منه يا وهو من باب سلس وقلق ولا نعلم لذلك فى الكلام نظيرا والذى يدل على ذلك يد
يديت اليه يدا ولا نعلم فى الواو مثله الا ترى انه لم يجئ مثل دعوت وقد جاء فى الاسماء ذلك وهو قولهم واو واما
قولهم ذهبوا ايادى سبا اذا ارادوا الافتراق وقول ذى الرمة   فيا لك من دار تحمل اهلها
ايادى سبا بعدى وطال احتيالها   فهو فى موضع حال لانه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا يصلح
اضافته لان سبا معرفة فيكون المضاف اليه معرفة واذا كان معرفة وجب ان لا يكون حالا قال والوجه
فيها عندى ان لا يقدر فيها الاضافة ولكن يجعل الاسمان بمنزلة اسم واحد كحضرموت فهو لم يضف و
كان القياس اذا تحرك اللام من ايادى بالفتح فى موضع النصب الا انهم اسكنوه ولم يحركوه وشبهوه بالحالين
الاخرين وهذا الضرب قد اطرد فيه الاسكان فقالوا معديكرب وقالى قلا وبادى بدا فاسكنوا جميع ذلك

المعنى

ثم اخبر سبحانه بعظيم فريتهم فقال وقالت اليهود يد الله مغلولة اى مقبوضة   بعظيم
عن العطاء ممسكة عن الرزق فنسبوه الى البخل عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك قالوا ان الله كان
قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله فى محمد صلى الله عليه وآله وكذبوه
كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ولم يقل الى عنقه قال
اهل المعانى انما قاله فنحاص ولم ينهه الاخرون ورضوا بقوله فاشركهم الله فى ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة
عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبر به قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل عن الحسن وقيل انه استفهام وتقديره
ايد الله مغلولة عنا حيث قتر المعيشة علينا وقال ابو القسم البلخى يجوز ان يكون اليهود قالوا قولا واعتقدوا
مذهبا يؤدى معناه الى ان الله تعالى يبخل فى حال ويجود فى حال اخرى فحكى عنهم على وجه التعجب منهم والتكذيب
لهم ويجوز ان يكون قالوا ذلك على وجه الهزؤ من حيث لم يوسع على النبى صلى الله عليه وآله وعلى اصحابه وليس ينبغى ان يتعجب
من قوم يقولون لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة ويتخذون العجل الها ان يقولوا ان الله يبخل تارة ويجود
اخرى وقال الحسين بن على المغربى حدثنى بعض اليهود بمصر ان طائفة منهم قالت ذلك غلت ايديهم قيل فيه
اقوال احدها انه سبيل الاخبار اى غلت ايديهم فى جهنم عن الحسن واختاره الجبائى ومعناه شدت الى اعناقهم
وتاويله انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون فى الكلام ضمير الفاء والواو وتقديره فغلت ايديهم
او وغلت ايديهم لان كلامهم قد تم واستونف بعده كلام آخر ومن عادتهم ان يحذفوا فيما يجرى هذا المجرى ومن ذلك

قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والمراد فقالوا الان كلام موسى قدتم و
ثانيها ان يكون القول خرج مخرج الدعا كما يقال قاتله الله عن ابي مسلم وعلى هذا فيكون معناه تعليمنا وتوقيفنا
على الدعا عليهم كما علمنا الاستثنا في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين وثالثها
ان معناه جعلوا بخلا والزموا البخل فهم ابخل قوم فلا يلقى يهودي ابدا غير لئيم بخيل عن الزجاج ولعنوا بما قالوا
اي ابعدوا من رحمة الله وثوابه بسبب هذه المقالة وقيل عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الاخرة بالنار رد عليهم
ثم رد الله سبحانه عليهم بضد مقالتهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر كما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر
هنا معنى غير افادة معنى الجود وانما قال يداه على التثنية مبالغة في معنى الجود والانعام لان ذلك
ابلغ فيه من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان المراد باليد النعمة فيكون الوجه في تثنية النعمة انه اراد نعم الدنيا
ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل منهما بصفة تخالف صفة الاخرى صار كانهما
جنسين ويمكن ان يكون تثنية النعمة انه اريد بهما النعم الظاهرة والباطنة كما قال سبحانه واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة وقيل ان المراد باليدين القوة والقدرة عن الحسن ومعناه قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان
بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا ينفق كيف يشاء معناه يعطي كيف يشاء من يشاء من عباده ويمنع من يشاء منهم
لانه متفضل بذلك فيتفضل على حسب المصلحة وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي سيزدادون
عند انزال القرآن اليك طغيانا وكفرا يريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر وانما ازدادوا كفرا لانه كلما انزل الله سبحانه
حكما فاخبرهم به النبي صلعم جحدوه فازدادوا بذلك طغيانا وهو التمادي والمجاوزة عن الحد وكفرا انضم الى
كفرهم وهذا كما يقول القائل وعظتك فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك الا شرا على معنى انك ازددت عندها
شرا وذلك شهور في الاستعمال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اي بين اليهود والنصارى
عن الحسن ومجاهد وقيل يريد بين اليهود خاصة وقد مر تفسيره في ذا السورة عند قوله فاغرينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله لحرب محمد صلعم عن الحسن ومجاهد وفي
هذا دلالة ومعجزة لان الله سبحانه اخبره فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل الحجاز باسا وامنعهم
دارا حتى ان قريشا كانت تعتضد بهم والاوس والخزرج يستبق الى محالفتهم ويتكثر بنصرهم فاباد الله
خضراءهم واستاصل شافتهم واجتث اصلهم فاجلى النبي صلعم بني النضير وبني قينقاع وقتل بني قريظة وشرد
اهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل القرى بمجراتهم صاغرين وقال قتاده معناه ان الله سبحانه
اذلهم ذلا لا يعزون بعده ابدا وانما يطفئ نار حربهم بلطفه وبما يطلع نبيه صلى الله عليه وآله من اسرارهم وبما من عليه
من التاييد والنصر ويسعون في الارض فسادا والمعصية الله وتكذيب رسله ومخالفة امره ونهيه واجتهادهم
في محو ذكر النبي صلعم من كتبهم والله لا يحب المفسدين العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوريه والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ايات

اللغة

اصل التكفير التغطية ومنه يكفر في السلاح والاقتصاد الاستوا في العمل الذي يؤدي الغرض

المبالغة ل

نيغفل ر

شرده ر

واشتقاقه

واشتقاقه من القصد لان القاصد الى ما يعرف مكانه فانه يمر على الاستقامة اليه خلاف الطالب المتحير في طلبه

الاعراب

ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف

المعنى

ولو ان اهل الكتاب
يعني اليهود والنصارى امنوا بمحمد صلى الله عليه وآله واتقوا الكفر والفواحش لكفرنا عنهم سيآتهم اي سترناها
عليهم وغفرناها لهم ولادخلناهم جنات النعيم ظاهر المعنى ولو انهم اقاموا التوريه والانجيل اي عملوا بما
فيها على ما فيهما دون ان يحرفوا شيئا منهما او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون معناه
عملوا بما فيهما بان اقاموهما نصب اعينهم لئلا يزلوا في شي من حدودها وما انزل اليهم من ربهم يريد به القرآن
عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كل ما دل الله عليه من امور الدين لاكلوا من فوقهم بارسال السماء
عليهم مدرارا ومن تحت ارجلهم باعطاء الارض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتاده ومجاهد وقيل المراد لاكلوا
ثمار النخيل والاشجار من فوقهم والزرع من تحت ارجلهم والمعنى لتركوا في ديارهم ولم يجلوا عن بلادهم ولم
يقتلوا انكانوا يتمتعون باموالهم وزروعهم وثمارهم وما رزقهم الله من النعم وانما خص سبحانه الاكل لان ذلك
معظم الانتفاع وفي هذا تاسيف لليهود على ما فاتهم واعتداد بعظيم ما كانوا فيه من نعمة الله عليهم وهو جواب
بتخيلهم اياه في قولهم يد الله مغلولة وقيل ان المعنى في قوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم التوسعة كما يقال
فلان في الخير من قرنه الى قدمه اي ياتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها ونظير هذه الاية وان لو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جعل الله سبحانه التقوى من اسباب
التوسعة في الرزق منهم امة مقتصدة اي من هولاء قوم معتدلون في العمل من غلو ولا تقصير قال ابو علي
الجبائي وهم الذين اسلموا منهم وتابعوا النبي صلعم وبه قال مجاهد والسدي وابن زيد وهو المروي في تفسير اهل
البيت عليهم السلام وقيل يريد به النجاشي واصحابه وقيل انهم قوم لم يناصبوا النبي صلى الله عليه وآله مناصبة هولاء حكاه
الزجاج ويحتمل ان يكون اراد به من يقر منهم بان المسيح عليه السلام عبد الله ولا يدعي فيه الالهية وكثير منهم ساء ما
يعملون قبح عملهم اي اكثر هولاء اليهود والنصارى يعملون الاعمال السيئة وهم الذين يقيمون على الكفر والجحد
بالنبي صلى الله عليه وآله قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين اية

القراءة

قرا نافع وابن
عامر وابو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد

الحجة

قال ابو علي
حجة من جمع ان الرسل يرسلون بضروب من الرسايل كالتوحيد والشرايع فلما اختلفت الرسايل حسن ان يجمع كما حسن
ان يجمع اسماء الاجناس اذا اختلفت الا ترى انك تقول رايت تمورا كثيرة ونظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الاسماء
اذا اردت ضروبها كما تجمع غيرها من الاسماء وحجة من افرد ان هذه الاسماء الفاظ تدل على الكثرة وان لم تجمع كما تدل عليها
الالفاظ الموضوعة للجمع فمما يدل على ذلك قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فوقع الاسم الشايع
على الجميع كما يقع على الواحد فكذلك الرسالة

الاعراب

ارسل فعل يتعدى الى مفعولين
ويتعدى الى الثاني منهما بالجار كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويجوز الاقتصار

على احدهما دون الآخر كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وانا ارسلناك شاهدا قال فارسل الى هرون متعدى الى الثاني والاول مقدر في المعنى وقال

فارسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

المعنى خلى بين هذه الابل وبين شربها ولم يمنعها من ذلك وانشد ابو زيد

لعمري لقد جاءت رسالة مالك الى جسد بين العوايد مختبل

والرسالة هنا بمعنى الارسال والمصدر في تقدير الاضافة الى الفاعل والمفعول الاول في التقدير محذوف كما كان في قوله ارسل الى هرون محذوفا والتقدير رسالة مالك زيدا الى جسد والجار والمجرور في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا والمعنى الى ذي جسد لان الرسالة لم تات الجسد دون ساير المرسل اليه وهذا مثل قوله

وبعد عطائك المائة الرتاعا

في وضع الاعطاء موضع العطاء والرسول يكون بمعنى الرسالة ويكون بمعنى المرسل فاما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة وكونه بمعنى المرسل قوله وما محمد الا رسول ومثله في انه فعول بمعنى المفعول قوله

وما زلت خيرا منك مذ عض كارها بلحييك عادي الطريق ركوب

يريد انه طريق مركوب مسلوك والعصمة المنع من عصام القربة وهو وكاؤها الذي يشد به من سير او خيط قال الشاعر

وقلت عليكم مالكا ان مالكا سيعصمكم ان كان في الناس عاصم

اي يمنعكم واعتصم فلان بفلان اي امتنع به

المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال يا ايها الرسول وهذا نداء تشريف وتعظيم بلغ اي اوصل اليهم ما انزل اليك من ربك وان تفعل فما بلغت رسالته اكثر المفسرون فيه الاقاويل فقيل ان الله تعالى بعث النبي صلى الله عليه وآله برسالة ضاق بها ذرعا وكان يهاب قريشا فازال الله تعالى بهذه الآية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به ازالة التوهم من ان النبي صلعم كتم شيئا من الوحي للتقية عن عائشة وقيل غير ذلك وروى العياشي في تفسيره باسناده عن ابن ابي عمير عن ابن اذينة عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قال امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وآله ان ينصب عليا عليه السلام علما للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقولوا حابى ابن عمه وان يطعنوا في ذلك عليه فاوحى الله اليه هذه الآية فقام عليه السلام بولايته يوم غدير خم وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد ابو الحمد عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني باسناده عن ابن ابي عمير في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل وفيه ايضا بالاسناد المرفوع الى حيان بن علي العنزي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي عليه السلام فاخذ رسول الله صلعم بيده فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اورد هذا الخبر بعينه ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في تفسيره باسناده مرفوعا الى ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي عليه السلام امر النبي صلعم ان يبلغ فيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان الله تعالى اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله ان يستخلف عليا عليه السلام فكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من اصحابه فانزل الله هذه الآية تشجيعا له على القيام بما امره باداءه والمعنى ان تركت تبليغ ما انزل اليك وكتمته كنت كانك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة وقال ابن عباس معناه ان كتمت آية مما انزل اليك فما بلغت رسالته اي لم تكن ممتثلا بجميع الامر والله يعصمك من الناس اي يمنعك من ان ينالوك بسوء ان الله لا يهدي القوم الكافرين فيه قولان احدهما ان معنى الهداية هنا انه سبحانه لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف الى الكفر بل انما يهديهم

الى الايمان

الى الايمان لان من هداه الى غرضه فقد اعانه على بلوغه عن علي بن عيسى قال ولا يجوز ان يكون المراد لا يهديهم الى الايمان لانه تعالى هداهم الى الايمان بان دلهم عليه ورغبهم فيه وحذرهم من خلافه والآخر ان المراد به لا يهديهم الى الجنة والثواب عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وصحة نبوته من وجهين احدهما انه وقع مخبره على ما اخبر به فيه وفي نظائره فدل ذلك على انه من عند علام الغيوب والسرائر والثاني انه لا يقدم على الاخبار بذلك الا وهو يامن ان يكون مخبره على ما اخبر به لانه لا داعي له الى ذلك الا الصدق وروي ان النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال لحراس من اصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد وحذيفة الحقوا بملاحقكم فان الله سبحانه عصمني من الناس قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين آية

النزول قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا الست تقر بان التورية من عند الله قال بلى قالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية

المعنى ثم امر سبحانه النبي صلى الله عليه وآله ان يخاطب اليهود فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين الصحيح حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم حتى تقروا بالتورية والانجيل والقرآن المنزل الى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التورية والانجيل بالتصديق بما فيهما من البشارة للنبي صلى الله عليه وآله والعمل بما يوجب ذلك فيهما وقيل معناه الامر باقامة التورية والانجيل وما فيهما وانما كان قبل النسخ بهما عن الجبائي وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا مر تفسيره فلا تاس على القوم الكافرين اي لا تحزن عليهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله اي فلا تحزن فان تكذيب الانبياء عادتهم وديدنهم وقيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز الحد في الظلم منهم فان ضرر ذلك عايد عليهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم وذلك جزاؤهم بفعالهم قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية

الاعراب اختلف في وجه ارتفاع قوله والصابئون فقال الكسائي هو نسق على ما في هادوا قال الزجاج هذا خطأ من جهتين احدهما ان الصابئ على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية وليس كذلك فان الصابئ غير اليهودي وان جعل هادوا بمعنى تابوا من قوله انا هدنا اليك لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابئون فالتفسير جاء بغير ذلك لان معنى الذين آمنوا في هذه الآية انما هو الايمان بافواههم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من آمن منهم بالله فلهم كذا فجعلهم يهودا ونصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتج الى ان يقال من آمن منهم فلهم اجرهم وهذا قول الفراء والزجاج في الانكار عليه والجهة الاخرى ان العطف على المضمر المرفوع من غير توكيد قبيح وانما ياتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن ابي ربيعة

قلت اذ اقبلت وزهر تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا

وقال الفراء انه عطف على ما يتبين فيه الاعراب مع ضعف ان قال وهذا يجوز في مثل الذين والمضمر نحو اني وزيد قائمان ولا يجوز ان زيدا وعمرو قائمان قال الزجاج وهذا غلط لان ان تعمل النصب والرفع وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لان كل منصوب مشبه

بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل وكيف يكون نصب ان ضعيفا وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو ان فيها قوما جبارين ونصب ان من اقوى المنصوبات وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء والمعنى ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم الخ الآية والصابئون والنصارى كذلك ايضا اي من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم وانشدوا قول بشر بن ابي خازم

والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق

والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا وانتم ايضا كذلك وقول ضابئ البرجمي

فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب

اي فاني بها لغريب وقيار كذلك وزعم سيبويه ان قوما من العرب يغلطون فيقولون انهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد قائمان فجعل سيبويه هذا غلطا وجعله كقول الشاعر

بدا لي اني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان ماضيا

المعنى قد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة وقد ذكرنا هنا ان المعنى بالذين آمنوا في قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعده من آمن بالقلب وقيل ان من آمن محمول على اليهود والنصارى اي من آمن منهم والذين آمنوا في الابتداء محمول على ظاهره من حقيقة الايمان وقيل ان من آمن يرجع الى الجميع ويكون معناه من يستديم الايمان ويستمر عليه قوله تعالى

لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون آيتان

القراءة قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ان لا يكون بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة

الحجة من قرا ان لا يكون بالرفع جعل ان مخففة من الثقيلة واضمر الهاء وجعل حسبوا بمعنى علموا وعلى هذا الوجه يثبت النون في الخط واما النصب فلانه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه يسقط النون من الخط

اللغة الهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى يهوى هوى وهوى يهوي هويا اذا انحط من علو واهوى بيده اذا انحطها ليأخذ شيئا وهاوية جهنم لانه يهوي فيها وهم يتهاوون في المهواة اذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة احد النقيضين في النفس على الآخر واصله الحساب فالنقيض القوي يحتسب به دون الآخر اي هو مما يحتسب ومنه الحسب لانه مما يحتسب ولا يطرح لاجل الشرف ومنه قولهم حسبك اي يكفيك لانه بحساب الكفاية ومنه احتساب الاجر لانه مما يحتسب ولا يلقى والفتنة هاهنا العقوبة واصله الاختبار ومنه افتتن بفلانة اذا هويها لانه ظهر ما يهوي من خبره بها ومنه فتنت الذهب في النار اذا اخلصته ليظهر خبره في نفسه فيتميز مما شابه غيره

الاعراب اللام في لقد لام القسم ونصب فريقا في الموضعين بانه مفعول به قال ابو علي الافعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم واليقين والتبيين وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يجذب مرة الى هذا القبيل ومرة الى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده ان الثقيلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقيلة تدل

على ثبات الشيء

على ثبات الشيء واستقراره والعلم بانه كذلك ايضا واذا وقع عليه واستعمل معه كان وفقه وان الناصبة للفعل لا يقع على ما كان ثابتا مستقرا فمن استعمال الثقيلة بعد العلم قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين والم يعلم بان الله يرى لان الباري اثره واما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو الطمع واخاف وارجو واخشى ونحو ذلك ويستعمل بعد الخفيفة الناصبة للفعل قال تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وتخافون ان يتخطفكم الناس فخشينا ان يرهقهما واما ما يجذب مرة الى هذا الباب ومرة الى هذا الباب فنحو حسبت وظننت وزعمت وهذا النحو يجعل بمنزلة ارجو واطمع من حيث كان امرا غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث استعمل استعماله ومن حيث كان خلافه والشيء قد يجري مجرى الخلاف نحو عطشان وريان واما استعمالهم اياه استعمال العلم فهو انهم قد اجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت لتسبقني وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتأتين منيتي ولقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات وكلهم قرأ فتنة بالرفع لانهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب فقيل ان لا تكون فتنة على ان لا يكون قوله فتنة لكان جائزا في العربية وانما رفع لاتباع الاثر وانما حسن وقوع ان المخففة من الشديدة في قراءة من رفع وان كان بعده فعل لدخول لا ولكونها عوضا من حذف الضمير معه وايلائه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت ان يقول لم يحسن حتى يأتي بما يكون عوضا نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فان قلت فقد جاء وان ليس للانسان الا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شيء فانما جاء هذا لان ليس ليس بفعل على الحقيقة واما قوله كثير منهم فيرتفع من ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الواو في عموا وصموا والثاني ان يكون خبر مبتدأ محذوف كانه قال ذوو العمى والصمم كثير منهم والثالث ان يكون على لغة من قال اكلوني البراغيث وعلى قول الشاعر

يلومونني في اشتراء النخيل اهلي فكلهم يعذل وقال الفرزدق والفيتا عيناك عند القفا

اولى فاولى لك ذا واقيه وقال الهذلي ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه

المعنى ثم اقسم سبحانه بانه اخذ عليهم الميثاق فقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل يريد الايمان المؤكدة التي اخذها انبياؤهم عليهم السلام في الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله والاقرار به وقيل اخذ ميثاقهم على الاخلاص في التوحيد والعدل والعمل بما امر به والانتهاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد صلى الله عليه وآله ووجه الاحتجاج عليهم بذلك ان كان اخذ الميثاق على آبائهم انهم عرفوا ذلك في كتبهم واقروا به بصحته فالحجة لازمة لهم وعيب المخالفة يلحقهم كما لحق آباءهم وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي بما لا يوافق مرادهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون اي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فان قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل على ان ذلك من شأنهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون فاصلة يجب ان يكون موافقا لرؤوس الآي ويمكن ان يقال التقدير فيه فريقا كذبوا لم يقتلوه وفريقا كذبوا قتلوه ويكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الاول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لان التقدير كذبوا فريقا وقتلوا فريقا وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وحسبوا اي وظنوا

ان لا يكون فتنة اى عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس وقيل حسب القوم
ان لا يكون بلية عن قتادة والحسن والسدى وقيل فتنة اى شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل
وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدروا
ان لا يقع لهم فتنة فى الاصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موبقا لهم عن ابن الانبارى فعموا وصموا عن الحق على
التشبيه بالعمى والاصم لانه لا يهتدى الطريق الرشد فى الدين لاعراضه عن النظر كما لا يهتدى هذا الى طريق الرشد
فى الدنيا لاجل عماه وصممه ثم تاب الله عليهم يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا اى عادوا الى
ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون ونشأت قرون اخر تخلقوا باخلاق ابائهم فعموا عن الحق وصموا عن
استماعه وقيل معناه لما تابوا رفع الله عنهم البلاء ثم صار كثير منهم كما كانوا وقيل اراد بكثير منهم من كان فى عصر نبينا
عليه السلام والله بصير بما يعملون اى عليم باعمالهم وهذا كالوعيد لهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد
حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة
وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثلث ايات

اللغة

الشرك اصله الاجتماع فى الملك فاذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان وكذلك كل شئ بين نفسين ولا يلزم على ذلك
ما يضاف الى كل واحد منهما منفردا كالعبد يكون ملكا لله وهو ملك للانسان لانه لو بطل ملك الانسان
لكان ملكا لله كما كان لم يزد فى ملكه شئ لم يكن والمس معناه ههنا ما يكون معه احساس وهو حلوله فيه
لان العذاب لا يمس الحيوان الا احس به وقد يكون بمعنى اللمس

الاعراب

قال الفراء ثالث ثلثة لا يكون الا مضافا ولا يجوز التنوين فى ثالث فتنصب ثلثة وكذلك قوله ثانى اثنين
لا يكون الا مضافا لان المعنى مذهب اسم كانك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلثة ولو قلت انت ثالث
اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلثة لانه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا
بيانا فقال لا يجوز فى ثلثة الا الخفض لان المعنى احد ثلثة فان قلت ثالث اثنين او رابع ثلثة جاز
الخفض والنصب اما النصب فعلى قولك كان القوم ثلثة فربعتهم وانا رابعهم غدا ومن خفض فعلى حذف
التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغا الكعبة وقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن
فيه دلالة على اعتماد القسم فى مثل قوله ولئن جئتهم باية ليقولن على الفعل الثانى دون الاول الا ترى
انه لو كان اعتماد القسم على الاول لما حذفت اللام من قوله وان لم ينتهوا كما لم يحذف اللام الثانية
فى موضع ومثله فى الشعر قول عارق الطائى ... واقسمت لا احتل الا بصهوة حرام على رمله
وشقائقه ... فان لم يغير بعض ما قد صنعتم لانتحين للعظم ذو انا عارقه فان قيل لم لا يجوز ان يكون
اعتماد القسم على اللام الاولى الا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكاها فالجواب ان ذلك لا يجوز
لان اللام انما حذفت من قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم والمقسم عليه ولم يطل فى هذا الموضع

فسبحانه

فسبحانه حذفها وانما هذه اللام بمنزلة ان فى قولك والله ان لو قمت لفعلت تثبتها تارة وتحذفها اخرى
والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على ان هذه انشد سيبويه ... فاقسم ان لو لقينا وانتم
لكان لكم يوم من الشر مظلم ... فالذى اعتمد عليه القسم قوله لكان دون ان الا ترى انك تقول
اقسم لو جئت لجئت فتحذفان كما يحذف هذه اللام من الزيادات التى اذا دخلت اكدت واذا سقطت
لم يخل سقوطها بالكلام الا ان زيادتها فى القسم دون غيره كما ان تزاد فى قولهم ما ان فى النفى دون
غيره وعلى هذا فيكون للقعود بالقسم فى قولك لئن اتيتنى لاكرمنك انما هو لاكرمنك ولئن الشرط
يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كانك اردت ان تقسم على البتات ان تكرمه ثم بدا لك
اذا اردت ذلك ثم علقت اكرامك اياه باتيانه فصار التقدير والله لاكرمنك اتيتنى اكرمنك اى ان اتيتنى
لاكرمنك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدير تقديم ما يدل عليه كقولك لان اتيتنى متصل بما يدل
عليه لاكرمنك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ ابى على

المعنى

ثم عاد سبحانه الى ذكر النصارى فقال لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن عيسى وهذا مذهب اليعقوبية منهم لانهم قالوا ان الله تعالى اتحد بالمسيح اتحاد الذات
فصارا شيئا واحدا وصار الناسوت لاهوتا وذلك قولهم انه الاله وقال المسيح يا بنى اسرائيل
اعبدوا ربى وربكم اى خالقى وخالقكم ومالكى ومالككم وانى واياكم عبيد انه من يشرك بالله بان يزعم ان
غيره يستحق العبادة مع ما ثبت انه لا يقدر احد الا على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى فقد حرم الله
عليه الجنة والتحريم هنا تحريم منع لا تحريم عبادة ومعناه فان الله تعالى يمنعه الجنة و
ماواه اى مصيره النار وهذا كله اخبار من المسيح لقومه وما للظالمين من انصار
معناه لا ناصر لهم يخلصهم عما هم فيه من انواع العذاب ثم اقسم سبحانه قسما اخر
فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى
من الملكانية واليعقوبية والنسطورية لانهم يقولون ثلثة اقانيم جوهر واحد اب وابن
وروح القدس اله واحد ولا يقولون ثلثة الهة ويمنعون من هذه العبارة وان كانوا
يلزمهم ان يقولوا انهم ثلثة الهة فصح ان يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وانما قلنا انه يلزمهم ذلك
لانهم يقولون الابن اله والاب اله وروح القدس اله والابن ليس هو الاب وما من اله الا
اله واحد اى ليس اله الا اله واحد وانما دخلت من للتوكيد وان لم ينتهوا عما يقولون اى
وان لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولونه من القول بالتثليث اقسم ليمسن الذين كفروا منهم
عذاب اليم انما خص سبحانه منهم الذين يستمرون على كفرهم لانه علم ان بعضهم
يؤمن عن ابى على الجبائى والزجاج وقيل انه عنى بقوله الذين كفروا الفريقين اللذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم والذين هو قالوا هو ثالث ثلثة والضمير عائد الى اهل الكتاب وليس فى
هذا دلالة على ان فى افعال الخوارج ما هو كفر لانه انما يتضمن ان من قال

علي صح

انه ثالث ثلثة فهو كافر ولا خلوف فى ذلك فان من قال ان الكفر هو الجحود بالقلب قال فى ان افعال الجوارح ما يدل على الكفر الذى هو الجحود مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة فى الاية على ما قالوه افلا يتوبون الى الله قال الفرا هذا امر فى لفظ الاستفهام وتقديره الامر بلفظ الاستفهام كقوله فهل انتم منتهون وانما دخلت الى لان معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله لان التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها ويستغفرونه الفرق بين التوبة والاستغفار ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة وغيرهما من الطاعة والتوبة الندم على المعصية مع العزم على ان لا يعود الى مثلها فى القبح والاستغفار مع الاصرار على القبح لا يصح والله غفور رحيم يغفر الذنوب ويسترها رحمة منه لعباده وفى هذه الاية تحريض على التوبة وحث على الاستغفار قوله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ثلث آيات

اللغة

الصديقة المبالغة فى الصدق والصديق فعيل من ابنية المبالغة كما يقال رجل سكيت اى مبالغ فى السكوت يقال افكه يافكه افكا اذا صرفه والافك الكذب لانه صرف عن الحق وكل مصروف عن الشى مافوك عنه وانشد ابن السكيت ان تك عن احسن المروة مافوكا ففى اخرين قد افكوا وقد افكت الارض اذا صرف عنها المطر وارض مافوكة لم يصبها مطر والموتفكات المنقلبات من الرياح وغيرها لانها صرفت عن وجهها والملك القدرة على تصريف ما للقادر عليه ان يصرفه فملك الضر والنفع اخص من القدرة عليهما لان القادر قد يقدر من ذلك على ما قد له ان يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له ان يفعله والنفع هو فعل اللذة والسرور وما ادى اليهما او الى احدهما مثل اللذات التى تحصل فى الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فان جميع ذلك نفع لانه يؤدى الى اللذة والضر هو فعل الالم والغم او ما ادى اليهما او الى واحد منهما كالآلام التى توجد فى الحيوان وكالقذف والسب لان جميع ذلك يؤدى الى الالم والاهواء جمع هوى النفس مقصور لانه مثل فعل وفعل جمعه افعال

الاعراب

انتصاب غير الحق على وجهين احدهما ان يكون على الحال من دينكم فكانه قال لا تغلوا فى دينكم مخالفين للحق والثانى ان يكون منصوبا على الاستثناء يعنى لا تغلوا فى دينكم الا الحق فيكون الحق مستثنى من المنهى عن الغلو فيه بان يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم والحجاج لهم فقال ما المسيح بن مريم الا رسول اى ليس هو باله قد خلت من قبله الرسل اى كما ان الرسل الذى مضوا قبله ليسوا بالهة وان اتوا بالمعجزات الباهرة فكذلك المسيح فمن ادعى له الالهية فهو كمن ادعى لهم الالهية لتساويهم فى المنزلة وامه صديقة لانها تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها وتصدقه فيما اخبرها به بدلالة قوله وصدقت بكلمات ربها عن الحسن والجبائى وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من امرها كانا ياكلان الطعام قيل فيه قولان احدهما انه احتجاج على النصارى بان من ولده النسا وهو ياكل الطعام لا يكون الها للعباد لان سبيله سبيلهم فى الحاجة الى الصانع المدبر والمعنى انهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش ساير الخلق فكيف يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام وهذا معنى ابن عباس والثانى ان ذلك

كناية عن قضاء الحاجة لان من اكل الطعام لا بد له من ان يحدث فلما ذكر الاكل صار كانه اخبر عن عاقبته انظر كيف نبين لهم الآيات امر الله سبحانه النبى صلى الله عليه وآله وامته بان تفكروا فيما بين الله سبحانه من الآيات اى الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح ثم انظر امر بان ينظر انى يؤفكون اى كيف يصرفون عن الحق الذى يؤدى اليه تدبر الايات فالنظر الاول انما هو الى فعله سبحانه الجميل فى نصب الآيات وازاحة العلل والنظر الثانى الى افعالهم القبيحة وتركهم التدبر للآيات ثم زاد سبحانه فى الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اى توجهون عبادتكم الى من لا يقدر لكم النفع والضر لان القادر عليهما هو الله سبحانه او من مكنه الله تعالى من ذلك والمستحق للعبادة انما هو القادر على اصول النعم والنفع والضر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواه والله هو السميع باقوالكم العليم بضمايركم وفى هذا تحذير من الجزاء واستدعاء الى التوبة ثم دعاهم سبحانه الى ترك الغلو فقال قل يا محمد للنصارى فانهم هم المخاطبون هنا وقال قوم انه خطاب لليهود والنصارى لان اليهود غلوا ايضا فى تكذيب عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم اى لا تتجاوزوا الحد الذى حده الله تعالى لكم الى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد الى النقصان والزيادة فى الحد والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله سبحانه الذى امر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصاد غير الحق اى مجاوزين للحق الى الغلو او الى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال ان الخطاب لليهود والنصارى فغلو النصارى فى عيسى ادعاؤهم له الالهية وغلو اليهود فيه فى تكذيبهم له ونسبتهم اياه الى انه لغير رشدة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قال ابن عباس كل هوى ضلالة ويعنى بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقى اليهود والنصارى والاية خطاب للذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وآله نهوا ان يتبعوا اسلافهم فيما ابتدعوه باهوائهم وان يقلدوهم فيما هووا والاهواء هنا المذاهب التى تدعو اليها الشهوة دون الحجة لان الانسان قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه الى المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك فيه والاتباع هو سلوك الثانى طريقة الاول على وجه الاقتداء به وقد يتبع الثانى الاول فى الحق وقد يتبعه فى الباطل وانما يعلم احدهما بدليل واضلوا كثيرا يعنى به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق ضلوا واضلوا كثيرا يعنى به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق اضلوا كثيرا عن الخلق ايضا ونسب الاضلال اليهم من حيث كان بدعائهم واغوائهم وضلوا عن سواء السبيل قيل فى معناه قولان احدهما انهم ضلوا باضلالهم غيرهم عن الزجاج والثانى انهم ضلوا من قبل بكفرهم بعيسى واضلوا غيرهم من بعد بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله فلذلك كرر ومعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل له سواء لاستمراره على استواء وقيل لانه يستقيم بصاحبه الى الجنة والخلود فى النعيم قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ثلث آيات

اللغة

التناهى هنا معنيان احدهما انه تفاعل من النهى اى كانوا لا ينهى بعضهم بعضا والثانى انه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عنه اذا كف

تدبرا ود

الاعراب

لبئس ما يجوز ان يكون ما ههنا كافة لبئس كما كفت في انما وكانما وبعدما وربما واللام فيه للقسم ويجوز ان يكون اسما نكرة فكانه قال لبئس شيئا فعلوه كما تقول بئس رجلا كان عندك ومحل ان سخط الله عليهم رفع كرفع زيد في قولك بئس رجلا زيد فيكون مبتدأ وبئس وما عملت فيه خبره او يكون خبر مبتدأ محذوف كانه لما قال بئس رجلا قيل من هو فقال زيد اي هو زيد ويجوز ان يكون محله نصبا على تاويل بئس الشيء ذلك لان سخط الله عليهم

المعنى

ثم اخبر سبحانه عما جرى على اسلافهم فقال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم قيل في معناه اقوال احدها ان معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير وانما ذكر عيسى وداود لانهما ابنا الانبياء المبعوثين بعد موسى عليه السلم ولما ذكر داود اغنى عن ذكر سليمان لان قولهما واحد عن الحسن ومجاهد وقتادة وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم اما داود فانه لعن اهل ايلة لما اعتدوا في سبتهم فكان اعتداؤهم في زمانه فقال اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة واما عيسى فانه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك وثانيها ما قاله ابن عباس انه يريد في الزبور وفي الانجيل ومعنى هذا ان الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني اسرائيل وفي الانجيل فلذلك قيل على لسان داود وعيسى وثالثها ان يكون داود وعيسى علما ان محمدا صلى الله عليه وآله نبي مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والاول اصح والمراد ان الله سبحانه ايسهم من المغفرة مع الاقامة على الكفر لدعاء الانبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وانما ذكر اللعن على لسانهما ازالة للابهام لان لهم منزلة لولادة الانبياء تنجيهم من العقوبة وذلك اشارة الى اللعن المتقدم ذكره بما عصوا وكانوا يعتدون اي بمعصيتهم واعتدائهم ثم بين سبحانه حالهم فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لم يكن ينهى بعضهم بعضا ولا ينتهون اي يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو اسرائيل ثلث فرق فرقة اعتدوا في السبت وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مواكلتهم وفرقة لما راوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وانما سمي القبيح منكرا لانه ينكره العقل من حيث ان العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو الباطل وما يقر به فهو الحق وقيل ان المراد بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو اخذهم الرشى في الاحكام وقيل اكلهم الربا واثمان الشحوم ثم اقسم سبحانه فقال لبئس ما كانوا يفعلون اي بئس شيئا فعلهم ترى كثيرا منهم اي من اليهود يتولون الذين كفروا اي يريد كفار مكة يعني بذلك كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وذكرنا ذلك عند قوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وقال ابو جعفر عليه السلم يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم اهواءهم ليصيبوا من دنياهم وفي هذا توبيخ لاولئك القوم وتنبيه على سوء فعالهم وخبث عقائدهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي بئس ما كانوا قدموا من العمل لمعادهم في الاخرة ان سخط الله عليهم اي سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن الى ان هذه

الآية في المنافقين من اليهود والكناية في قوله منهم عائدة اليهم يؤكده ما بعد هذه الآية قوله تعالى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون آية

المعنى

ولو كانوا يؤمنون بالله اي لو كانوا يصدقون بالله والنبي محمد وما انزل اليه اي القرآن ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرونه ما اتخذوهم يعني الكافرين اولياء عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل المراد بالنبي موسى عليه السلم وبما انزل اليه التورية فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله والتولي للمشركين فيكون معنى الموالاة التناصر والمعاونة على محاربة النبي صلى الله عليه وآله ومعاداته ويجوز ان يكون يريد الموالاة على الحقيقة ولكن كثيرا منهم فاسقون وصفهم بالفسق وان كان الكفر ابلغ في باب الذم لامرين احدهما انهم خارجون عن امر الله وهذا المعنى لا يظهر بان يصفهم بالكفر والآخر ان الفاسق في كفره هو المتمرد فيه والكلام يدل على انهم فاسقون في كفرهم اي خارجون الى التمرد فيه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ثلث آيات

اللغة

قال الزجاج القس والقسيس من رؤساء النصارى واما القس في اللغة فهو النميمة ونشر الحديث يقال قس فلان الحديث قسا قال الفراء ويجمع القسيس قساوسة جمعوه على مثال مهالبة وكانت قساسة فكثرت السينات فابدلوا احديهن واوا والقسوسة مصدر القس والقسيس وقد تكلمت العرب بهما انشد المازني

لو عرضت لابيلي قس   اشعث في هيكل مندس   حن اليها كحنين الطس

قال امية

لو كان منقلب كانت قساوسة   يحييهم الله في ايديهم الزبر

والرهبان جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان والرهبانية مصدر والترهب التعبد في صومعة واصله من الرهبة المخافة قال جرير

رهبان مدين لو راوك تنزلوا   والعصم من شعف الجبال الفادر

قال بعضهم الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جعله بناء على فعلان وانشد

لو عاينت رهبان دير في القلل   لانحدر الرهبان يمشي ونزل

وفيض العين من الدموع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه عن شدة امتلائه وفاض صدر فلان بسره وافاض القوم من عرفات الى منى اذا دفعوا وافاضوا في الحديث اذا اندفعوا فيه والدمع الماء الجاري من العين ويشبه به الصافي فيقال كانه دمعة والمدامع مجاري الدمع وشجة دامعة تسيل دما والطمع تعلق النفس بما يقوى ان يكون من معنى المحبوب ونظيره الامل والرجاء والطمع ان يكون معه الخوف ان لا يكون والصالح هو الذي يعمل الصلاح في نفسه فان عمل في غيره فهو مصلح وكذلك يوصف الله سبحانه بانه مصلح ولم يوصف بانه صالح

الاعراب

اللام في لتجدن لام القسم والنون دخلت لتفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز يقولون ربنا في موضع نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا ولا نؤمن في موضع نصب على الحال

وتقديره قائلين ربنا ولا نؤمن في موضع نصب على الحال وتقديره اي شيء لنا تاركين الايمان اي في حال تركنا الايمان ومن الحق يعني من تبيين الاضافة التي تقوم مقام الصفة كانه قيل والجائي لنا الذي هو الحق وقيل انها للتبعيض لانهم آمنوا بالذي جاءهم على التفصيل

النزول والقصة

نزلت في النجاشي واصحابه قال المفسرون ائتمرت قريش ان يفتنوا عن دينهم ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله سبحانه منهم قريشا ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله تعالى للمسلمين فرجا ومخرجا واراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشة عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه هي الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا الى النجاشي والى بطارقته ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شابا حسن الوجه واخرج عمرو بن العاص اهله فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لاهلك تقبلني فابى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشبت عمرو في صدر السفينة واخرج من الماء والقى الله العداوة بينهما في مسيرهما قبل ان يقدما الى النجاشي ثم وردا على النجاشي فقال عمرو بن العاص ايها الملك ان قوما خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا اليكم فردهم الينا فبعث النجاشي الى جعفر رضي الله عنه فجاءه فقال ايها الملك سلهم اعبيد نحن لهم فقال لا بل احرار قال فسلهم الهم علينا ديون يطالبوننا بها قال ما لنا عليكم ديون قال فلكم في اعناقنا دماء فتطالبوننا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا اذيتمونا فخرجنا من بلادكم ايها الملك بعث الله فينا نبيا امرنا بخلع الانداد وترك الاستقسام بالازلام وامرنا بالصلوة والزكوة والعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي فقال النجاشي بهذا بعث عيسى عليه السلام ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرا سورة مريم فلما بلغ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط الاية قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف لنا فرده الينا فرفع النجاشي يده وضرب به وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بسوء لافعلن بك وقال ارجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه امكثوا فانكم سيوم والسيوم الامنون وامر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو واقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلا امره وهادن قريشا وفتح خيبر فوافى جعفر الى رسول الله صلى الله عليه وآله بجميع من كان معه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ادري انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر ووافى جعفر واصحابه

رسول الله صلى الله عليه وآله في سبعين رجلا منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فيهم بحيراء الراهب فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فانزل فيهم هذه الآيات وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام

المعنى

ثم ذكر سبحانه معاداة اليهود للمسلمين فقال لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا وصف اليهود والمشركين بانهم اشد الناس عداوة للمؤمنين لان اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين آمنوا بنبوة موسى والتوراة التي اتى بها فكان ينبغي ان يكونوا الى من وافقهم في الايمان بنبيهم وكتابهم اقرب وانما فعلوا ذلك حسدا للنبي صلى الله عليه وآله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني الذين قدمنا ذكرهم من النجاشي ملك الحبشة واصحابه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي والذين جاؤا مع جعفر مسلمين عن مجاهد ذلك بان منهم اي من النصارى قسيسين اي عبادا عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل ان النصارى ضيعت الانجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وبقي من علمائهم واحد على الحق والاستقامة وهو قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس ورهبانا اي اصحاب الصوامع وانهم لا يستكبرون معناه ان هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق والانقياد له كما استكبر اليهود وعباد الاوثان وانفوا عن قبول الحق اخبر الله سبحانه في هذه الآية عن عداوة مجاوري النبي صلى الله عليه وآله من اليهود ومودة النجاشي واصحابه الذين اسلموا معه من الحبشة لان الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النجاشي واصحابه ثم وصفهم فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القرآن ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق اي يعرفهم بان المتلو عليهم كلام الله تعالى وانه حق يقولون ربنا آمنا اي صدقنا بانه كلامك انزلته على نبيك فاكتبنا اي فاجعلنا بمنزلة ما قد كتب ودون وقيل فاكتبنا في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وآله وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون بالايمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك عن الجبائي وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق معناه لاي عذر لا نؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لم آمنتم عن الزجاج وقيل انهم قدروا في انفسهم كان سائلا سألهم عنه فاجابوا بذلك والحق هو القرآن والاسلام ووصفه بالمجيء مجاز كما يقال نزل وانما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك وقيل ان جاء بمعنى حدث نحو قوله جاءت سكرة الموت بالحق ونطمع اي نرجوا ونؤمل ان يدخلنا ربنا يعني في الجنة لايماننا بالحق فحذف لدلالة الكلام عليه مع القوم الصالحين المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وآله قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم آيات

اللغة

اثابهم اي جازاهم واصل الثواب الرجوع والاحسان ايصال النفع الحسن الى الغير وضده الاساءة وهو ايصال الضرر القبيح اليه وليس كل من كان من جهته احسان فهو محسن مطلقا

فالمحسن فاعل الاحسان بشرطان يكون خالصا من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة الاتقاد وهو هنا اسم
من اسماء جهنم وجحم فلان النار اذا شدد ايقادها ويقال لعين الاسد جحمة لشدة ايقادها قال
والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح

المعنى

فاثابهم الله اى جازاهم الله بما قالوا اى بالتوحيد
عن الكلبى وعلى هذا فانما علق الثواب بمجرد القول لانه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة
فى قوله مما عرفوا من الحق والبكاء المؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب معرفته والقول اذا اقترن به المعرفة
والاخلاص فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه الثواب وقيل ان المراد بما قالوا ما سالوه يعنى قوله فاكتبنا مع الشاهدين
ونطمع ان يدخلنا الاية عن عطاء عن ابن عباس وعلى هذا فيكون القول معناه المسئلة للجنة جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها مر تفسيره وذلك جزاء المحسنين اى المومنين عن الكلبى والموحدين عن ابن عباس والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر سبحانه الوعد لمومنيهم ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب واطلق
اللفظ به ليكون لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر وانما شرط فى الوعيد على الكفر التكذيب بالايات وان كان كل واحد
منهما يستحق به العقاب لان صفة الكفار من اهل الكتاب انهم يكذبون بالايات فلم يصلح ههنا وكذبوا لانهم
جمعوا الامرين وليس من شرط المكذب بان يكون عالما بان ما كذب به صحيح بل اذا اعتقد ان الخبر كذب يسمى
مكذبا وان لم يعلم انه كذب ايضا ويستحق به الذم لانه جعل له طريق الى ان يعلم صحة ما كذب به قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مومنون ايتان

النزول

قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فذكر الناس ووصف القيمة فرق الناس وبكوا واجتمع
عشرة من الصحابة فى بيت عثمن بن مظعون الجمحى وهم على عليه السلم وابو بكر وعبد الله بن مسعود وابو
ذر الغفارى وسالم مولى ابى حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن
مقرن واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض وهم بعضهم ان يجب مذاكيره
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاتى دار عثمن فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم بنت ابى امية
واسمها حولاء وكانت عطارة احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب رسول الله
صلى الله عليه وآله وكرهت ان تبدى على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمن فقد صدقك فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وآله فلما دخل عثمان فاخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله هو واصحابه فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وآله الم انبئكم انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال
رسول الله صلى الله عليه وآله انى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا
فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء ومن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع
الناس وخطبهم وقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما
انى لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى

انتفقتم

الصوم ورهبانيتهم

الصوم ورهبانيتهم الجهاد واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا
رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك
بقاياهم فى الديارات والصوامع وانزل الله سبحانه الاية وروى عن ابى عبد الله انه قال نزلت فى على عليه السلم
وبلال وعثمان بن مظعون فاما على عليه السلم فانه حلف ان لا ينام بالليل ابدا الا ما شاء الله واما بلال فانه حلف انه
لا يفطر بالنهار ابدا واما عثمان بن مظعون فانه حلف ان لا ينكح ابدا

المعنى

لما تقدم ذكر الرهبان
وكانوا قد حرموا على انفسهم الطيبات نهى الله سبحانه المومنين عن ذلك فقال يا ايها الذين امنوا اى يا ايها المومنون
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وهو يحتمل وجوها منها ان يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد لا تظهروا
تحريمها ومنها ان يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى والحكم ومنها ان يريد لا تجروها مجرى المحرمات فى شدة
الاجتناب ومنها ان يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر او عهد او يمين فوجب حمل الاية على جميع الوجوه والطيبات
اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وقد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال يطيب له
كذا اى يحل له كذا ولا يليق ذلك بهذا الموضع ولا تعتدوا اى لا تتعدوا حدود الله واحكامه وقيل معناه لا تجبوا
انفسكم فسمى الخصاء اعتداء عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والاول اعم فائدة ان الله لا يحب المعتدين معناه
يبغضهم ويريد الانتقام منهم وكلوا مما رزقكم الله لفظه لفظ الامر والمراد به الاباحة حلالا طيبا اى
مباحا لذيذا وسيان ههنا فيقال اذا كان الرزق كله حلالا فما فائدة ههنا فقال حلالا والجواب انه انما ذكر
حلالا على وجه التاكيد كما قال وكلم الله موسى تكليما وقد اطلق سبحانه فى موضع اخر على وجه المدح وهو قوله مما
رزقناهم ينفقون قال ابن عباس ويريد من طيبات الرزق اللحم وغيره واتقوا الله الذى انتم به مومنون وهذا
استدعاء الى التقوى بالطف الوجوه وتقديره ايها المومنون بالله لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير فى التقوى فيكون
عليكم الحسرة العظيمة واتقوا فى التحريم ما احل الله لكم وفى جميع معاصيه من به تومنون وهو الله سبحانه
وفى هاتين الايتين دلالة على كراهة التخلى والتفرد والتوحش والخروج مما عليه الجمهور فى التاهل وطلب
الولد وعمارة الارض وقد روى ان النبى صلى الله عليه وآله كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلوا والعسل
وقال ان المومن حلو يحب الحلاوة وقال فى بطن المومن زاوية لا يملوها الا الحلوا وروى ان الحسن
ياكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخى فقال يا فرقد ما تقول فى هذا فقال فرقد لا اكله ولا احب اكله فاقبل
الحسن على غيره كالمتعجب وقال لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم قوله تعالى لا يواخذكم
الله باللغو فى ايمانكم ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون اية

القراءة

قرا ابن عامر وحده عاقدتم برواية ابن ذكوان وقرا اهل الكوفة غير حفص عقدتم بالتخفيف والباقون عقدتم
بالتشديد وروى ان قراءة جعفر بن محمد يطعمون اهاليكم

الحجة

قال ابو على من قرا عقدتم
مشددة القاف احتمل امرين احدهما ان يكون لتكثير الفعل والاخر ان يراد به التكثير كما ان ضاعف

الفالوذج

لا يراد به فعل من اثنين ومن قرا عقدتم خفيفة جاز ان يراد به التكثير من الفعل والقليل الا ان فعل يختص بالتكثير كما ان الركبة تختص بالحال التي يكون عليها الركوب ومن قرا عاقدتم احتمل امرين احدهما ان يكون يراد به عقدتم كما ان عافاه وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءة من خفف و يحتمل ان يراد به عاقدتم فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعدا كانه قال يواخذكم بما عاقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد في المعنى قريبا من عاهد عداه بعلي كما يعدي عاهد بها قال ومن اوفى بما عاهد عليه الله واتسع فحذف الجار فوصل الفعل الى المفعول ثم حذف من الصلة الضمير الذي كان يعود الى الموصول كما حذف من قوله فاصدع بما تؤمر ومثله قول الشاعر كانه واضح الاقراب في لقح اسمى بهن وعزته الاناصل انما هو عزت عليه فاتسع والتقدير يواخذكم بالذي عاقدتم عليه الايمان ثم عاقدتموه الايمان فحذف الراجع ويجوز ان يجعل ما التي مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرا عقدتم وعقدتم فلا يقتضي راجعا كما لا يقتضيه في قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون فاما قوله اهاليكم فان اهالي كليالي كان واحدها اهلاة وليلاة انشد ابن الاعرابي في كل يوم ما وكل ليلاه يا ويحه من جمل ما اشقاه ومن قال اهالي جمع اهلون فقد ابعد لان هذا الجمع لا يكسر

اللغة

اللغو في اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر او مائة تجعل اولادها لغوا وعرض المائة الجلمد اي الذي يعارضها في قوة الجلمد يعني بالمائة نوقا اي لا يعتد باولادها ولغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله ويقال عقدت الحبل والعهد واليمين فانعقد قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم البيت وقال في بيت آخر وان عاهدوا اوفوا وان عاقدوا اشدوا واعقدت العسل فهو معقد وعقيد والتحرير من الحرية قال الفرزدق ابني غدانة انني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال يريد اعتقتكم من ذل الهجا ولزوم العار

النزول

قيل لما نزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فاخرت زوجته عشاه فحلف لا ياكل من الطعام وحلفت المراة لا تاكل ان لم ياكل وحلف الضيف لا ياكل ان لم ياكلا فاكل عبد الله بن رواحة فاكلوا معه فاخبر النبي صلى الله عليه واله بذلك فقال له احسنت عن ابن زيد

المعنى

لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم معنى الكلام في لغو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة عند اكثر المفسرين والفقهاء الا ما روي عن ابرهيم النخعي انه قال فيها الكفارة ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان ان جعلت ما موصولة فمعناه بالذي عقدت عليه الايمان وان جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم او بتعقيدكم الايمان او بعاقدتكم الايمان وتفسيره ان يضمر الامر ثم يحلف بالله فينعقد عليه اليمين عن عطا وقيل هو ما عقدت عليه قلبك وتعمدته عن مجاهد فكفارته اي كفارة ما عقدتم اذا احنثتم واستغنى من ذكره لانه مدلول عليه لان الامة قد اجمعت على ان الكفارة لم يجب الا بعد الحنث اطعام عشرة مساكين واختلف في مقدار ما يعطى كل مسكين فقال الشافعي مد وهو ثلثا من وقال ابو حنيفة نصف صاع من حنطة او صاع من شعير او تمر وكذلك ساير الكفارات وقال اصحابنا يعطى كل واحد مدين او مدا والمد

رطلان

رطلان وربع ويجوز ان يجمعهم على ما هذا قدره لياكلوه ولا يجوز ان يعطي خمسة ما يكفي عشرة فان كان المساكين ذكورا واناثا جاز ذلك ولكن وقع بلفظ التذكير لان يغلب في كلام العرب من اوسط ما تطعمون اهليكم قيل فيه قولان احدهما الخبز والادم لان افضله الخبز واللحم وادونه الملح واوسطه الخبز والسمن والزيت والآخر انه الاوسط في المقدار اي تطعمهم كما تطعم اهلك في العسر واليسر عن ابن عباس او كسوتهم قيل لكل واحد منهم ثوب ثوب عن الحسن ومجاهد وعطا وطاوس وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوة والذي رواه اصحابنا ان لكل واحد ثوبين مئزرا وقميصا وعند الضرورة يجزي قميص واحد او تحرير رقبة معناه عتق رقبة عبد او امة والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو رقبة سليمة من العاهات صغيرة كانت او كبيرة مؤمنة كانت او كافرة لان اللفظ مطلقة مبهمة الا ان المؤمن افضل وهذه الثلثة واجبة على التخيير وقيل ان الواجب فيها واحد لا بعينه وفائدة هذا الخلاف والكلام في شرحها وفي الادلة على صحة المذهب الاول مذكور في اصول الفقه فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام فيكون صيام مرفوعا بانه خبر المبتدا اي فعليه صيام ثلثة ايام فيكون صيام مرفوعا بالابتدا او بالظرف وحد من ليس بواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال الشافعي ويجب التتابع في صوم هذه الثلثة وبه قال ابي بن عباس ومجاهد وقتادة واكثر الفقهاء وفي قراءة ابن مسعود وابي ثلثة ايام متتابعات واليمين على ثلثة اقسام احدها ما يكون عقدها طاعة وحلها معصية فهذه يتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كما لو قال والله لا شربت خمرا والثاني ان يكون عقدها معصية وحلها طاعة كما يقال والله لا صليت ولا كفارة في حنثه عند اصحابنا وخالف ساير الفقهاء في ذلك والثالث ان يكون عقدها مباحا وحلها مباحا كما يقال والله لا لبست هذا الثوب فهذه يتعلق بحنثه الكفارة بلا خلاف ايضا ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الكفارة كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني اذا حلفتم وحنثتم لان الكفارة لا تجب بنفس اليمين وانما تجب باليمين والحنث وقيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفر بعد اليمين قبل الحنث فقال ابو حنيفة لا تجزي وقال الشافعي تجزي واحفظوا ايمانكم قيل في معناه قولان قال ابن عباس يريد لا تحلفوا وقال غيره واحفظوا ايمانكم عن الحنث فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الاقوى لان الحلف مباح الا في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وفيه دلالة على ان اليمين في المعصية لا تنعقد لانها لو انعقدت للزم حفظها واذا كان لا تنعقد فلا يلزم فيها الكفارة كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون معناه كما بين امر الكفارة وجميع الاحكام يبين الله لكم اياته فرضه لتشكروه على تبيينه لكم اموركم ونعمه عليكم

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون ايتان

اللغة

الخمر عصير العنب المشتد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي خمرا لانها بالسكر تغطي على العقل واصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته ودخل في خمار الناس اذا اخفى فيما بينهم والميسر القمار كله من تيسير امر الجزور

بالاجتماع على القمار فيه واصله من اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى تفألا بتيسير العمل بها وقيل بانها تعين
اليد اليمنى فيكون العمل ايسر والانصاب الاصنام واحدها نصب وسمي بذلك لانها كانت تنصب للعبادة
لها والانتصاب القيام ومنه النصب التعب عن العمل الذي ينتصب له ونصبا بالسكين لانه ينصب فيه
مناصب العدو لانتصاب لعداوته قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد
الشيطان والله فاعبدا والازلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا ما قيل فيها في
اول السورة والرجز بالزاء هو العذاب واصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء اذا كانت ترتعد
قوايمها ونا حية قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل يقال رجس يرجس ورجس
يرجس اذا عمل عملا قبيحا والرجس بفتح الراء وشدة الصوت ورعد رجاس شديد الصوت فكان الرجس
الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما بين من الاحكام بالنهي عن افعال اهل
الجاهلية والنقل عنها الى شريعة الاسلام فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر وقد ذكرنا معناهما في سورة
البقرة قال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله صلعم الخمر من تسع من البتع
وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر ومن الحنطة ومن الذرة والشعير والسلت وقال في الميسر
يريد القمار وهي في اشياء كثيرة انتهى كلامه والانصاب والازلام ذكرناهما في اول السورة رجس من
عمل الشيطان لا بد من ان يكون في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر وتناولها والتصرف فيه وعبادة الانصاب
والاستقسام بالازلام رجس اي خبيث من عمل الشيطان وانما نسبها الى الشيطان وهي اجسام من فعل
الله تعالى لما يأمر الشيطان به فيها من الفساد فيأمر بشرب المسكر ليزيل العقل ويأمر بالقمار ليستعمل فيها الاخلاق
الدنية ويأمر بعبادة الاصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالازلام لما فيها من ضعف الرأي والاتكال
على الاتفاق وقال الباقر عليه السلام يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والنرد وغير ذلك من انواع القمار حتى
ان لعب الصبيان بالجوز من القمار فاجتنبوه اي كونوا على جانب منه في ناحية لعلكم تفلحون معناه
كي تفوزوا بالثواب في هذه الاية دلالة على تحريم الخمر وتحريم هذه الاشياء من اربعة اوجه احدها الاشياء
انه سبحانه وصفها بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف والثاني انه نسبها الى عمل الشيطان وذلك
يوجب تحريمها والثالث انه امر باجتنابها والامر يقتضي الايجاب والرابع انه جعل الفوز والفلاح
في اجتنابها والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة الى عمل الشيطان وتقديره اجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد
من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الانصاب والازلام من عمل الشيطان ويجوز ان يكون الهاء عائدة
الى الرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها قد قرن الله سبحانه الخمر بعبادة الاوثان تغليظا في تحريمها فلذلك
قال عليه السلام مدمن الخمر كعابد الوثن وفي هذا دلالة على تحريم ساير التصرفات في الخمر من الشرب والبيع والشراء
والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين سبحانه انه انما نهى عن الخمر لما يعلم في اجتنابها من الصلاح وخير الدارين
فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر قال ابن عباس يريد سعد بن ابي
وقاص ورجلا من الانصار كان مواخيا لسعد فدعاه الى طعام فاكلوا وشربوا نبيذا مسكرا فوقع بين الانصاري

وسعد مراء ومفاخرة فاخذ الانصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر انفه فانزل الله ذلك فيهما والمعنى يريد الشيطان
ايقاع العداوة بينكم بالاغواء المزين لكم حتى اذا سكرتم زالت عقولكم واقدمتم من القبائح على ما كان يمنعه منه يوقع
عقولكم قال قتادة ان الرجل كان يقامر في ماله واهله فيقمر ويبقى حزينا سليبا فتكسبه ذلك العداوة والبغضاء
ويصدكم عن ذكر الله اي يمنعكم من الذكر لله بالتعظيم والشكر على الايه وعن الصلوة التي هي قوام دينكم فهل انتم منتهون
صيغته الاستفهام ومعناه النهي وانما جاء في صيغة الاستفهام ان يكون معنى النهي لان الله تعالى ذم هذه
الافعال واظهر قبحها واذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه الا الاقرار بالترك فكانه قيل له اتفعله
بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنهي بقوله فهل انتم منتهون في محل من عقد عليه ذلك باقراره وكان هذا
ابلغ في باب النهي من ان يقال انتهوا ولا تشربوا قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا
فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اية **المعنى** لما امر سبحانه باجتناب
الخمر وما بعدها عقبه بالامر بالطاعة له فيه وفي غيره فقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول والطاعة هي
امتثال الامر والانتهاء عن المنهي عنه ولذلك يصح ان يكون الطاعة طاعة لاثنين بان يوافق امرهما و
ارادتهما واحذروا وهذا امر منه تعالى بالحذر عن المحارم والمناهي قال عطا يريد واحذروا سخطي
والحذر هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر فان توليتم اي اعرضتم ولم تعملوا بما امرتكم به فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين معناه الوعيد والتهديد كانه قال فاعلموا انكم قد استحققتم العقاب
لتوليكم عما ادى رسولنا اليكم من البلاغ المبين يعني الاداء الظاهر الواضح فوضع كلاما موضع كلام للايجاز ولو
كان الكلام على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح لان عليهم ان يعلموا ذلك تولوا ولم يتولوا وما في قوله انما كافة
لان عن عملها قوله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا
وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين اية **النزول**
لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله صلعم ما نقول في اخواننا الذين مضوا وهم يشربون
الخمر وياكلون الميسر فانزل الله هذه الاية عن ابن عباس وانس بن مالك والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة
والضحاك وقيل انها نزلت في القوم الذين حرموا على انفسهم اللحوم وسلكوا طريق الترهب كعثمان بن
مظعون وغيره فبين الله سبحانه لهم انه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات فقال **المعنى**
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفي تفسير
اهل البيت عليهم السلام فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للاكل والشرب جميعا اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم
وامنوا بالله وعملوا الصالحات اي الطاعات ثم اتقوا اي داموا على الاتقاء وامنوا اي داموا على الايمان ثم اتقوا
بفعل الفرايض واحسنوا بفعل النوافل فعلى هذا يكون الاتقاء الاول اتقاء الشرب بعد التحريم والاتقاء الثاني
هو الدوام على ذلك والاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصي وضم الاحسان اليه وقيل ان الاتقاء الاول هو اتقاء
المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والايمان الاول الايمان بالله تعالى وبما اوجب الايمان به والايمان
بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والايمان بقبحها ووجوب
اجتنابها

تجنبها والاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد وبما يتعدى الى الغير من الظلم والفساد وقال ابو علي الجبائي ان الشرط
الاول يتعلق بالزمان الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص
بمظالم العباد واستدل على ان هذا الاتقاء يختص بالمظالم بقوله واحسنوا فان الاحسان اذا كان متعديا
وجب ان يكون المعاصي التي امروا باتقائها قبلها ايضا متعدية وهذا ضعيف لانه لا تصريح في الاية بان المراد
به الاحسان المتعدي ولا يمتنع ان يريد بالاحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص بالفاعل
ولا يتعداه كما يقولون لمن بالغ في فعل الحسن احسنت واجملت ثم لو سلم ان المراد به الاحسان المتعدي فلم
لا يجوز ان يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح سبحانه فقال اتقوا القبائح كلها واحسنوا الى غيرهم
لم يمتنع ولعل ابا علي انما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن في الاول والثاني
وهذا ممكن غير ممتنع بان يحمل الشرط الاول على الماضي والشرط الثاني على الحال والثالث على النظر في المستقبل
ومتى قيل ان المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضي والمستقبل فان الفعل اما ان يكون موجودا فيكون
ماضيا واما ان يكون معدوما فيكون مستقبلا وانما ذكر الاحوال الثلث النحويون فجوابه ان الصحيح لا
واسطة بين العدم والوجود كما ذكرت غير ان الموجود في اقرب الزمان لا يمتنع ان نسميه حالا ونفرق
بينه وبين الغابر السالف والغابر المنتظر ووجدت السيد الاجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي قدس
الله روحه ذكر في بعض مسائله ان المفسرين تشاغلوا بايضاح الوجه في التكرار الذي تضمنته هذه الاية
وظنوا انه المشكل فيها وتركوا ما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والايمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفي الجناح فان المباح اذا وقع
عن الكافر فلا اثم عليه ولا وزر قال ولنا في حل هذه الشبهة طريقان احدهما ان يضم الى الشرط المصرح
بذكره غيره حتى يظهر تاثير ما شرط فيكون تقدير الاية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما يطعمون
وغيره اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات لان الشرط في نفي الجناح لا بد ان يكون له تاثير حتى يكون متى
انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه ولما ولي
ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تاثير لهما في نفي الجناح علمنا انه اضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط و
يطابق المشروط لان من اتقى الحرام فيما يطعم لا جناح عليه فيما يطعم لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما اخل
به من واجب وضيعه من فرض فاذا شرطنا انه وقع اتقاء القبيح ممن آمن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه
من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب ان يحذفوا ما يجري هذا المجرى ويكون
قوة الدلالة عليه مغنية عن النطق به ومنه قول الشاعر ~~~ تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه
بات له وفر ~~~ لما كان الجدع لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الانف الذي يليق الجدع به اضمر ما يليق بالعين
من البخص وما يجري مجراه والطريق الثاني هو ان يجعل الايمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وان كان
معطوفا على الشرط فكانه تعالى لما اراد ان يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم
لاشتراكهما في الوجوب وان لم يشتركا في كونهما شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا توسع في البلاغة يحار فيه

فيما احل

العقل

العقل استحسانا واستقباحا انتهى كلامه رضي الله عنه وقد قيل ايضا في الجواب عن ذلك ان المؤمن يصح ان يطلق عليه بانه
لا جناح عليه والكافر مستحق للعقاب مغمور فلا يطلق عليه هذا اللفظ وايضا فان الكافر قد سد على نفسه
طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك خص المؤمن بالذكر وقوله والله يحب المحسنين اي يريد ثوابهم واجلالهم
واكرامهم وتبجيلهم وروي ان قدامة بن مظعون شرب الخمر في ايام عمر بن الخطاب فاراد ان يقيم عليه الحد فقال
ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية فاراد عمر ان يدرا عنه الحد فقال علي عليه السلام ادره
على الصحابة فان لم يسمع احد منهم قرا عليه آية التحريم فادروا عنه الحد وان كان قد سمع فاستتيبوه وان تاب والا فاقيموا
عليه الحد فان لم يتب وجب عليه القتل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم
ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين
او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام
ايتان

القراءة

قرا اهل الكوفة ويعقوب فجزاء بالتنوين مثل بالرفع والباقون فجزاء مثل ما قتل
بالاضافة وقرا اهل المدينة وابن عامر او كفارة بغير تنوين طعام بالاضافة والباقون او كفارة بالتنوين
طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين انه جمع وروي في الشواذ قراءة ابي عبد الرحمن فجزاء منون مثل بالنصب
وقرا محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يحكم به ذو عدل

الحجة

قال ابو علي حجة من
رفع المثل انه صفة للجزاء والمعنى فعليه جزاء اي فاللازم له او فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد
وقوله من النعم على هذه القراءة صفة للنكرة التي هي جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغي اضافة جزاء الى المثل لان عليه جزاء
المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز ان يكون قوله من النعم على هذه القراءة
متعلقا بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقا به في قوله جزاء سيئة بمثلها لانك قد وصفت الموصول
واذا وصفته لم يجز ان يتعلق به بعد الوصف شيئا كما انك اذا عطفت عليه او اكدته لم يجز ان يتعلق به شيء بعد
العطف عليه والتاكيد له فاما في قراءة من اضاف الجزاء الى مثل فان قوله من النعم يكون صفة للجزاء كما كان في
قول من نون ولم يضف صفة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز في قول من نون ووصف وهو ان يقدره متعلقا
بالمصدر ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وانما جاز تعلقه بالمصدر
على قول من اضاف لانك لم تصف الموصول كما وصفته في قول من نون فيمتنع تعلقه به واما من اضاف الجزاء
الى مثل فانه وان كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فانهم قد يقولون انا اكرم مثلك يريدون انا اكرمك فكذلك
اذا قال فجزاء مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل واذا كان كذلك كانت الاضافة في المعنى كغير الاضافة
ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فاضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان جائزا في قول
من جره على الاتساع الذي ذكرنا الا ترى ان المعنى فجزاء مثل ما قتل على ما قراءة ابو عبد الرحمن او يجازي
مثل ما قتل منه قول الشاعر ~~~ بضرب بالسيوف رؤوس قوم ازلنا هامهن عن المقيل ~~~ لما نون المصدر
اعمله واما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين انه جعله على الكفارة عطف بيان لان الطعام هو الكفارة

ذووا امير له

ولم يضف الكفارة الى الطعام ومن اضاف الكفارة الى الطعام فلانه لما خير المكلف بين ثلثة اشياء الهدى والطعام والصيام استجاز الاضافة لذلك فكانه قال كفارة طعام لا كفارة هدى او صيام فاستقامت الاضافة واما ذو عدل فقد قال ابو الفتح فيه انه لم يوحّد ولان الواحد يكفي لكنه اراد معنى من اي يحكم به من يعدل ومن يكون للاثنين كما يكون للواحد كقوله يكن مثل من يا ذيب يصطحبان واقول ان هذا الوجه الذي ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم وقد وجدت في تفسير اهل البيت عليهم السلم منقولا عن السيدين عليهما السلام ان المراد بذي العدل رسول الله صلى الله عليه وآله او الى الامر من بعده وكفى بصاحب القراءة خبيرا بمعنى قراءته

اللغة البلاء الاختبار والامتحان واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لانه يظهر باطن حال المنعم عليه في الشكر او الكفر والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه الغيب ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو الذكر بظهر الغيب بالقبيح وحرم جمع حرام ورجل حرام ومحرم بمعنى وحلال ومحل كذلك واحرم الرجل دخل في الشهر الحرام واحرم ايضا دخل الحرم واحرم اهل بالحج والحرم الاحرام ومنه الحديث كنت اطيب النبي صلى الله عليه وآله لحرمه واصل الباب المنع وسميت النساء حرما لانها تمنع والمحروم الممنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد والنعم في اللغة هي الابل والبقر والغنم وان انفردت الابل قيل لها نعم وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعما ذكره الزجاج قال الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك او شاتك اذا كانت شاة تعدل شاة او غلام تعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت فقلت عدل وقال البصريون العدل والعدل في معنى المثل كان من الجنس او غير الجنس والوبال ثقل الشيء في المكروه ومنه قولهم طعام وبيل وماء وبيل اذا كانا ثقيلين غير ناميين في المال ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا ويقال لخشبة القصار وبيل من هذا قال طرفة

عبد مرت كهات ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد

الاعراب ليبلونكم هذه اللام لام القسم ومن في قوله من الصيد للتبعيض ويحتمل وجهين احدهما ان يكون عنى صيد البر دون البحر والآخر ان يكون لما عنى الصيد ما داموا في الاحرام كان ذلك بعض الصيد ويجوز ان يكون من لتبيين الجنس كما يقول لامتحننك بشيء من الورق اي لامتحننك بالجنس الذي هو ورق كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والاوثان كلها رجس فالمعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثن والمراد بالصيد المصيد بدلالة قوله تناله ايديكم ورماحكم ولو كان الصيد مصدرا يكون حدثا فلا يوصف بنيل اليد والرمح وانما يوصف بذلك ما كان عينا وقوله بالغيب في محل النصب على الحال والمعنى من يخافه غائبا كما في قوله من خشي الرحمن بالغيب وتخوفه بهم بالغيب وقوله وانتم حرم في موضع النصب على الحال هديا بالغ الكعبة منصوبا على الحال والمعنى مقدرا ان اهدى قال الزجاج قال وبالغ الكعبة لفظه لفظ معرفة ومعناه النكرة اي بالغا الكعبة وحذف التنوين استخفافا واقول يعني بذلك ان هذه الاضافة لفظية غير محضة فيكون في تقدير الانفصال والمضاف اليه وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى لكن لما حذف التنوين في الاول طلبا للخفة انجر الثاني في اللفظ وقوله صياما منصوب على التمييز والمعنى ومثل ذلك من الصيام وقوله فينتقم الله ومن فيه اضمار مقدر كانه

المكفرج اح

او ل
تعش فان عاهدتني لا تخونني

انفردت ح ل

انفردت ح ل

قال ومن عاد

قال ومن عاد فهو ينتقم الله منه لان الفاء لا تدخل في جواب الشرط على الفعل اذ كان مستغنى عنه مع الفعل ويكون موضع الفاء مع ما بعده جزما

المعنى لما تقدم في اول السورة تحريم الصيد على المحرم مجملا بين سبحانه ذلك ههنا فقال يا ايها الذين آمنوا خص المؤمنين بالذكر وان كان الكفار ايضا مخاطبين بالشرائع لانهم القابلون لذلك المنتفعون به وقيل لانه لم يعتد بالكفار ليبلونكم الله اي ليختبرن الله طاعتكم من معصيتكم بشيء من الصيد اي بتحريم شيء من الصيد وانما بعض لانه عنى صيد البر خاصة عن الكلبي وقد ذكرناه قبل عشرا ومعنى الاختبار من الله تعالى ان يامر وينهى ليظهر المعلوم ويصح الجزاء وقال اصحاب المعاني امتحن الله امة محمد صلى الله عليه وآله بصيد البر كما امتحن امة موسى عليه السلم بصيد البحر تناله ايديكم ورماحكم فيه اقوال احدها ان المراد بتحريم صيد البر والذي تناله الايدي فراخ الطير وصغار الوحش والبيض والذي تناله الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وثانيها ان المراد به صيد الحرم تناله بالايدي والرماح لانه يانس بالناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل وذلك آية من آيات الله عن ابي علي الجبائي وثالثها ان المراد به ما قرب من الصيد وما بعد ليعلم الله من يخافه بالغيب معناه ليعاملكم معاملة من يطلب منكم ان يعلم مظاهرة في العدل ووجه آخر ليظهر المعلوم وهو ان يخاف بظهر الغيب فينتهي عن صيد الحرم طاعة له سبحانه وقيل ليعلم وجود من يخافه بالوجود لانه لم يزل عالما بانه سيخاف فاذا وجد الخوف علم ذلك موجودا وهما معلوم واحد وان اختلف العبارة عنه فالحدوث انما يدخل على الخوف لا على العلم وقوله بالغيب معناه في حالة الخلوة والتفرد وقيل معناه ان يخشى عقابه اذا تواري بحيث لا يقع عليه الحس عن الحسن وقال ابو القسم البلخي ان الله تعالى وان كان عالما بما يفعلونه فيما لم يزل فانه لا يجوز ان يثيبهم ولا يعاقبهم على ما يعلمه منهم وانما يستحقون ذلك اذا علموا وافعالهم على الوجه الذي كلفهم عليه فان الايمن التكليف والابتلاء فمن اعتدى بعد ذلك اي من تجاوز حد الله وخالف امره بالصيد في الحرم وفي حال الاحرام فله عذاب اليم اي مولم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على هذا المعتدي من الجزاء فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد اختلف في المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش اكل او لم يوكل وهو قول اهل العراق واستدلوا بقول علي عليه السلم صيد الملوك ثعالب وارانب واذا ركبت فصيدي الابطال وهو مذهب اصحابنا رضي الله عنهم وقيل كل ما يوكل لحمه وهو قول الشافعي وانتم حرم اي وانتم محرمون بحج او عمرة وقيل معناه وانتم في الحرم قال الجبائي الآية تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معا وهو الصحيح قال علي بن عيسى يدل على الاحرام بالحج والعمرة فقط ومن قتله منكم متعمدا قيل هو ان يتعمد القتل ناسيا لاحرامه عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج وابرهيم قالوا فاما اذا تعمد القتل ذاكرا لاحرامه فلا جزاء فيه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقيل هو ان يتعمد القتل وان كان ذاكرا لاحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهري وهو قول اكثر الفقهاء فاما اذا قتل الصيد خطاء او ناسيا فهو كالمتعمد في وجوب الجزاء عليه وهو عامة اهل التفسير والعلم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطاء فجزاء مثل ما قتل من النعم قد ذكرنا معناه في القراءتين قال الزجاج ويجوز ان يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل يكون جزاء مبتدا ومثل خبره واختلف في هذه المماثلة اهي في القيمة او الخلقة فالذي

عليه معظم اهل العلم ان المماثلة معتبرة في الخلقة ففي النعامة بدنة وفي حمار الوحش وشبهه بقرة وفي الظبي والارنب
شاة وهو المروي عن اهل البيت عليهم السلام وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وعطا والضحاك وغيرهم
وقال ابرهيم النخعي يقوم الصيد قيمة ثم تشترى بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثلة بالقيمة والصحيح القول
الاول يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم اي من اهل
ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران الى اشبه الاشيا به من النعم فيحكمان به هديا بالغ الكعبة اي يهديه هديا يبلغ
الكعبة قال ابن عباس يريد اذا اتى مكة ذبحه وتصدق به وقال اصحابنا ان كان اصاب الصيد وهو محرم
بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمكة قبالة الكعبة وان كان محرما بالحج ذبحه او نحره بمنى او كفارة طعام مساكين قيل
في معناه قولان احدهما ان يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما ويتصدق به عن عطا وهو الصحيح والاخر
ان يقوم الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما عن قتادة او عدل ذلك صياما وفيه ايضا قولان احدهما ان يصوم
عن كل مدين يوما وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وهو مذهب ابي حنيفة واختلفوا في هذه الكفارات الثلث
فقيل انها مرتبة عن ابن عباس والشعبي والسدي قالوا وانما دخلت او لانه لا يخرج حكمه عن احدى الثلث وقيل
انها على التخيير عن ابن عباس في رواية اخرى وعطا والحسن وابرهيم وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي وكلا القولين
رواه اصحابنا ليذوق وبال امره اي عقوبة ما فعله في الآخرة ان لم يتب وقيل معناه ليذوق وخامة عاقبة
امره وثقله بما يلزمه من الجزاء وان سال سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا وانما هي عبادة واذا كانت عبادة ففي
نعمة ومصلحة فالجواب ان الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد ان فثقل عليه ذلك كما حرم الشحم على بني اسرائيل
لما اعتدوا في السبت فثقل ذلك عليهم وان كانت مصلحة لهم عفا الله عما سلف من امر الجاهلية عن الحسن وعطاء
وقيل عفا الله عما سلف من الدفعة الاولى في الاسلام اي قبل التحريم ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى قتل الصيد
محرما فان الله سبحانه يكافيه عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل انه لا جزاء عليه عن ابن عباس
والحسن وهو الظاهر في روايات اصحابنا وقيل انه يلزمه الجزاء عن عطا وسعيد بن جبير وابرهيم وبه قال
بعض اصحابنا والله عزيز ذو انتقام معناه قادر لا يغالب ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى امره ويرتكب نهيه
قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
واتقوا الله الذي اليه تحشرون آية **اللغة** يعني بالبحر جميع المياه والعرب تسمي النهر بحرا ومنه
قوله ظهر الفساد في البر والبحر والاغلب على البحر ان يكون ماؤه ملحا ولكن اذا اطلق دخل فيه الانهار والسيارة
المسافرون **الاعراب** متاعا نصب على المصدر لان قوله احل لكم يدل على انه
قد متعهم به كما انه لما قال حرمت عليكم امهاتكم كان دليلا على انه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم
المعنى ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد وما لا يحل فقال احل لكم صيد البحر اي ابيح لكم صيد الماء
وانما احل بهذه الآية الطري من صيد البحر لان العتيق لا خلاف في كونه حلالا عن ابن عباس وزيد بن ثابت و
سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وطعامه يعني طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما
قذفه البحر ميتا عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس في رواية اخرى وسعيد بن المسيب

وسعيد بن جبير

وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذي يليق بمذهبنا وانما سمي طعاما لانه يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الاغذية
فيكون المراد بصيد البحر الطري وبطعامه المملوح لان عندنا لا يجوز اكل ما يقذف به البحر ميتا للمحرم ولغير المحرم
وقيل المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزرع والثمار متاعا لكم وللسيارة قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن
قتادة والحسن وابن عباس وقيل لاهل الامصار واهل القرى وقيل للمحل والمحرم وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الاحرام وتحريم كل ما صاده الغير وبه قال علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر وسعيد بن
جبير وقيل ان لحم الصيد لا يحرم على المحرم اذا صاده غيره عن عمر وعثمان والحسن والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد
فيكون مصدرا ويكون عبارة عن المصيد فيكون اسما ويجب حمل الآية على الامرين وتحريم الجميع واتقوا الله الذي اليه تحشرون
هذا امر منه تعالى بان يتقي جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه لان عليه اليه الرجوع في الوقت الذي لا يملك احد فيه
الضر والنفع سواه وهو يوم القيمة فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قوله تعالى جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
وان الله بكل شيء عليم آية **القراءة** قرا ابن عامر وحده قيما للناس بلا الف **الحجة**
القيام مصدر كالصيام والعياذ واما القيم فيجوز ان يكون مصدرا كالشبع ويجوز ان يكون حذف الالف
من القيام كما يقصر الممدود وهذا انما يجوز في الشعر دون حال السعة واذا كان مصدرا فانما اعل ولم يصح كما
صح العوض والحول لان المصدر يعل اذا اعتل فعله لان المصدر يجري على فعله فاذا صح حرف العلة في الفعل
صح في مصدره نحو اللواذ والجوار واذا اعتل في الفعل اعتل في مصدره نحو الصيام والقيام **اللغة**
سميت الكعبة كعبة لتربيعها وانما قيل للمربع كعبة لنتوء زواياه الاربع والكعوبة النتو ومنه كعب الانسان
لنتوه وكعبت المراة اذا نتا ثديها وكعبت بمعناه والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها
من البنيان وهذا ايضا يرجع الى الاول لان المنفرد من البنيان كعبة لنتوه من الارض قال الرماني والبيت
الحرام سمي بذلك لان الله حرم ان يصاد عنده وان يعضد شجره وان يختلى خلاه ولانه عظم حرمته وفي
الحديث مكتوب في اسفل المقام اني انا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والارض ويوم وضعت
هذين الجبلين وحففتهما بسبعة املاك حنفا من جاءني زائرا لهذا البيت عارفا بحقه مذعنا لي بالربوبية
حرمت جسده على النار **المعنى** لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقبه بذكر البيت الحرام والشهر
الحرام فقال جعل الله الكعبة البيت الحرام اي جعل الله حج الكعبة او نصب الكعبة قياما للناس اي لمعاش الناس ومكاسبهم
لانه مصدر قاموا كان المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستتبت معايشهم بذلك واستقامت احوالهم به
لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وانواع البركة ولهذا قال سعيد بن جبير من اتى هذا البيت يريد شيئا
للدنيا والآخرة اصابه وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقال ابن عباس معناه جعل الله الكعبة امنا للناس بها
يقومون اي يامنون ولولاها لفنوا وهلكوا او ما قاموا وكان اهل الجاهلية يامنون به فلو لقي الرجل قاتل ابيه
وابنه في الحرم ما قتله وقيل ان معنى قوله قياما للناس انهم لو تركوا عاما واحدا لا يحجونه ما نوظروا ان يهلكوا
عن عطا ورواه علي بن ابرهيم عنهم عليهم السلام قال ما دامت الكعبة يحج الناس اليها لم يهلكوا فاذا هدمت وتركوا الحج هلكوا

خففتهما د ر

ظ
نوظروا

والشهر الحرام يعني الاشهر الحرم الاربعة واحد فرد وثلثة سرد فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وانما خرج مخرج الواحد لانه ذهب به مذهب الجنس وهو عطف على المفعول الاول لجعل كما يقال ظننت زيدا
منطلقا وعمرا والهدي والقلائد قد ذكرهما في اول السورة وانما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لاهتمام اسباب
حج البيت منحصر في جملته وذكرت معروكان اهل الجاهلية لا يغيرون في الاشهر الحرم وكانوا يشعلون فيها الاسنة
ويدع الناس فيها الى معايشهم وكان الرجل يقلد بعيره او نفسه قلادة من لحا شجر الحرم فلا يخاف وكان ذلك قد توارثوه
من دين اسمعيل عليه السلم فيقول عليه رحمة من استخلفه الى ان قام الاسلام فحجزهم عن البغي والظلم قال ابو بكر فقد
حصل في الاية طريقان احدهما ان الله تعالى امتن على المسلمين بان جعل الكعبة صلاحا لدينهم ودنياهم وقياما لهما
والثاني انه اخبر عما فعل من امر الكعبة في الجاهلية ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء
قد اعترض على هذا فقيل اي تعلق لهذا بقوله جعل الله الكعبة الاية والجواب عنه من وجوه احدها ان في ما جعله
تعالى في البلد الحرام والشهر الحرام من الايات والاعاجيب دلالة على انه تعالى لا يخفى عليه شيء وذكر انه جعل الحرام امنا
سكن فيه كل شيء فالظبي يانس فيه بالسبع والذئب ما دام في الحرم واذا خرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب
منه الظبي حتى يرجع الى الحرم فاذا رجع اليه كف عنه السبع وكذلك الطير والحمام يانس بالانسان فاذا خرج من
الحرم خافه مع امور كثيرة وعجايب شهيرة ذكرنا بعضها في آل عمران عند قوله فيه ايات بينات فيكون ما دبره
الله سبحانه من ذلك دالا على انه عالم بمصالح الخلق وبكل شيء وثانيها انه سبحانه علم ان العرب يكونون
اصحاب عداوات وطوايل وانهم يكونون حوالي الكعبة فلما خلق السموات والارض جعل الكعبة موضع امن وعظم
حرمتها في القلوب وبقيت تلك الحرمة الى يومنا هذا فلولا كونه سبحانه عالما بالاشيا قبل كونها لما كان هذا التدبير
وفقا للصلاح وثالثها انه تعالى اخبر في هذه السورة بقصة موسى وعيسى والتورية والانجيل وما فيهما
والاحكام والاخبار وذلك كله مما لم يشاهده نبينا صلى الله عليه واله ولا احد في عصره قال فيما بعد ذلك لتعلموا
ان الله يعلم ومعناه لولا انه سبحانه بكل شيء عليم لما جاز ان يخبركم عنه فهو بذلك اشارة ذلك الى ما انباكم
به من علم الغيب والعلم بالكائنات قوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما
على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ايتان

اللغة

العلم ما
اقتضى سكون النفس وان شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع سكون النفس الى ما اعتقده الاول اوجز
ولا يجوز ان يحد العلم بالمعرفة لان المعرفة يتناول الشيء على ما هو به وكذلك الرؤية والفرق بينهما ان العلم
يتعلق بالمعلوم على وجوه والرؤية لا تتعلق بالمرئي الا على وجه واحد والعلم معنى يحل القلب والرؤية ليست
معنى على الحقيقة لكن الراي صفة بكونه رائيا والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والاهانة
ولو اقتصرت على ان يقول هو الضرر المستحق لكان كافيا وكذلك لو قلت هو الضرر الذي يقارنه استخفاف
واهانة لكفى وانما سمي عقابا لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه والمغفرة هو ستر الخطيئة برفع عقابها
واصل الرسول من الارسال وهو الاطلاق يقال ارسل الطير اذا اطلقه وترسل في القراءة اذا تثبت فيها واسترسل
الشيء اذا تسلس والرسل اللبن لاسترساله من الضرع والفرق بين الارسال والانبا عن الشيء ان الانبا قد يكون

لا يغيرون ج ٤

من غير تخيل

من غير تحميل النبا والارسال لا يكون الا بتحميل الرسالة والبلاغ وصول المعنى الى غيره وهو ههنا وصول الانذار
الى نفوس المكلفين واصل البلاغ البلوغ ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى الى النفس في حسن صورة من اللفظ والبلاغ
الكفاية لانه يبلغ مقدار الحاجة

المعنى

لما تقدم بيان الاحكام عقبه سبحانه بذكر الوعيد
والوعد فقال اعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه وان الله غفور رحيم لمن تاب واناب واطاع وجمع
بين المغفرة والرحمة لانه تعالى الرحيم انه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه بفضله فلما انذر وبشر في هذه الاية
عقبهما بقوله ما على الرسول الا البلاغ اي ليس على الرسول الا اداء الرسالة وبيان الشريعة فاما القبول والامتثال
فانه يتعلق بالمكلفين المبعوث اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي لا يخفى عليه شيء من احوالكم التي تظهرونها
وتخفونها وفيها غاية الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه اعلموا ان الله شديد العقاب دلالة على وجوب معرفة
العقاب والثواب لكونهما لطفا في باب التكليف قوله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث
فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون اية

اللغة

الاستواء على اربعة اقسام استواء
في المقدار واستواء في المكان واستواء في الذهاب واستواء في الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء
في المكان لانه تمكن واقتدار والخبيث اصله الردي ماخوذ من خبث الحديد وهو رديه بعد ما تخلص بالنار
جيده ففي الحديد امتزاج جيد بردي والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب من اصل
واحد والعجب مذموم لانه كبر يدخل على النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب اصله وعجوب الرمل آخره
لانفراده عن جملته كانفراد ما يتعجب منه

المعنى

لما بين سبحانه الحلال والحرام بين انهما لا
يستويان فقال سبحانه قل يا محمد لا يستوي اي لا يتساوى الخبيث والطيب اي الحلال والحرام عن الحسن
والجبائي وقيل الكافر والمؤمن عن السدي ولو اعجبك ايها السامع او ايها الانسان كثرة الخبيث اي كثرة
ما تراه من الحرام لانه لا يكون في الكثير من الحرام بركة ويكون في القليل من الحلال بركة وقيل ان الخطاب
للنبي صلى الله عليه واله وسلم والمراد امته فاتقوا الله فاجتنبوا ما حرم الله عليكم يا اولي الالباب يا ذوي العقول لعلكم
تفلحون اي لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن
اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور
حليم اية

اللغة

ابدى الشيء اذا اظهره وبدى يبدو وبدوا اذا ظهر وبدا له راي بدا
اي تغير رايه لانه ظهر له والبادية خلاف الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور ومنه قوله تعالى وبدا لهم سيات
ما عملوا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ولم يجئ في اقوال العرب البدا بمعنى الندامة وتغير الراي واذا
كان لفظ البدا يطلق على الله سبحانه فالمراد به الارادة والظهور دون ما يظنه قوم من الجهال وعليه يشهد اقوال
العرب واشعارهم في ذلك قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي اصم واذني غير صماء وامثال ذلك والله اعلم

الاعراب

اشياء في موضع جر الا انها فتحت لانها لا تنصرف قال الكسائي اشبه اخرها آخر
حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف وقد اجمع البصريون على ان قوله هذا خطاء والزموه ان لا يصرف واسما وقال الخليل ان
اشياء اسم للجمع كان اصله شيئا فقلب مثل الطرفاء والقصباء والحلفاء في انها على لفظ الاحاد والمراد الجمع فاستثقل

الهمزتان بينهما الف وليس بحاجز قوي لاجل انه ساكن ومن جنس الهمزة الا تراه يعود اليها اذا تحركت فقدموا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فقالوا اشياء ووزنها لفعاء كما قالوا انوق وانيق وفي قوس قسي وهو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين قالوا والدليل على ان اشياء اسم مفرد ما روي عن تكسيرها على اشاوي كما كسر صحراء على صحاري حيث كانت مثلها في الافراد وقال الاخفش ابو الحسن وسعيد بن مسعدة والفراء اصل اشياء اشيئاء على افعلاء فحذفت الهمزة التي هي لام كما حذفت من قولهم سواسية حيث قالوا اسواية وانما حذفوها في افعلاء لامرين احدهما تقارب الهمزة واذا كانوا قد حذفوا الهمزة مفردة فاذا تكررت لزم الحذف والآخر ان الكلمة جمع وقد يستثقل في الجمع ما لا يستثقل في الآحاد فوزن اشياء على هذا القول افعاء وذكروا ان المازني ناظر الاخفش في هذا الباب وسأله كيف تصغر اشياء فقال اشيياء فقال له لو كانت افعلاء لردت في التصغير الى واحدها فقيل شييئات كما قالوا في تصغير اصدقاء صديقات فقطع الاخفش واجاب عنه ابو علي الفارسي فقال ان افعلاء في هذا الموضع لانها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة العدد القليل اليها كما اضيف الى افعال ويدل على كونها بدلا من افعال تذكيرهم العدد المضاف اليها نحو ثلثة اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال وقوله ان تبد لكم تسؤكم جملة شرطية في موضع جر لكونها صفة لاشياء **النزول**

اختلف في نزولها فقيل سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وآله حتى احفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء الا بينته لكم فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي قال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار فقام عمر بن الخطاب وقبل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه فقال اما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر عن الزهري وقتادة وعن انس وقيل كان قوم يسألون رسول الله صلعم استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول له بعضهم من ابي ويقول الآخر اين ابي ويقول الآخر اذا ضلت ناقته اين ناقتي فانزل الله عز وجل هذه الآية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن مالك افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه عن علي عليه السلم وابي امامة الباهلي وقيل نزلت حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام عن مجاهد **المعنى**

يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن المسألة عن اشياء لا يحتاجون اليها في الدين اذا ابديت واظهرت ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذي سأل عن ابيه واشباه ذلك من امور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسألوا عن اشياء عفى الله عنها ان تبد لكم تسؤكم فقدم واخر فعلى هذا يكون قوله عفى الله عنها صفة لاشياء ايضا ومعناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكما وكلام الزجاج يدل على هذا

لانه قال اعلم الله عز وجل ان السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي ان يقع فانه اذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك وخاصة في وقت سؤال النبي صلى الله عليه وآله على جهة تبيين الآيات فنهى الله عز وجل عن ذلك واعلم انه قد عفا عنها ولا وجه لمسألة ما عفا الله عنه ونعل فيه فضيحة عن السائل ان ظهر والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين علي عليه السلم في قوله ان الله تعالى افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها وقال مجاهد كان ابن عباس اذا سئل عن الشيء لم يجئ فيه اثر يقول هو من العفو ثم يقرأ هذه الآية وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه وان الحجيم وسألتم عنها عند نزول القرآن اظهر لكم جوابها اذا لم تقصدوا التعنت على محمد فلا تتكلفوا السؤال عنها في الحال وقيل معناه وان تسألوا عن اشياء حين ينزل القرآن تحتاجون اليها في الدين من بيان مجمل ونحو ذلك يكشف لكم وهذه الاشياء غير الاشياء الاولى الا انه قال وان تسألوا عنها لانه كان قد جرى ذكر الاشياء وقيل ان الهاء راجعة الى الاشياء الاولى فبين لكم انكم ان سألتم عنها عند نزول القرآن في الوقت الذي يأتي الملك بالقرآن يظهر لكم ما يسوؤكم عند ذلك الوقت فلا تسألوا وعفوا مستورا ثم قال عفى الله عنها اي عفى الله عن تبعة سؤالكم ويكون تقديره عفى الله من مسألتكم التي سلفت منكم مما كرهها النبي صلى الله عليه وآله لانه غفور حليم فلا تعودوا الى مثلها وهذا قول ابن عباس في رواية عطا واما على ما ذكرنا من ان قوله عفى الله عنها على التقديم فيكون تقدير الآية لا تسألوا عن اشياء ترك الله ذكرها وبيانها لانكم لا تحتاجون اليها في التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتغمكم وقال بعضهم انها نزلت فيما سألت الامم انبياءها من الآيات ويؤيد الآية التي بعدها **النظم** قيل في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه احدها انه متصل بقوله تفلحون لان من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج اليه وثانيها انه متصل بقوله ما على الرسول الا البلاغ المبين فانه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوا عما لا يعنيكم وثالثها انه متصل بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي لا تسألوا فتظهر سرائركم قوله تعالى قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون آيتان **اللغة**

البحر الشق وبحرت اذن الناقة ابحرها بحرا اذا شققتها شقا واسعا والناقة بحيرة وهي فعيلة بمعنى المفعول مثل النطيحة والذبيحة واصل الباب السعة وسمي البحر بحرا لسعته وفرس بحر واسع الجري وفي الحديث انه قال عليه السلم لفرس له وجدته بحرا والسائبة فاعلة من ساب الماء اذا جرى على وجه الارض ويقال سيبت الدابة اي تركتها تسيب حيث شاءت ويقال للعبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لانه يضع ماله حيث شاء واصله المخلاة وهي المسيبة اخذت من قولهم ساب الحية والسائب اذا امضت مستمرة والوصل نقيض الوصل ولعن رسول الله صلى الله عليه وآله الواصلة وهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها وهذا اظهر في الآية وانشد اهل اللغة في البحيرة محرمة لا يأكل الناس لحمها ولا نحن في شيء كذاك البحائر وانشدوا في السائبة وسائبة لله مالي تشكرا ان الله عافى عامرا ومجاشعا وانشدوا في الوصيلة لئن تجشرا احبك ما كنت في الناس ناعقا تراعي باعلا ذي المجاز الوصائلا وانشدوا في الحام حماها ابو قابوس في غير كنهه كما قد حمى اولاد اولاده الحلاد **المعنى** ثم اخبر سبحانه ان قوما سألوا مثل سؤالهم

فلا تتكلفوها

فلما اجيبوا الى ما سألوا كفروا فقال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وفيه اقوال احدها انهم قوم عيسى سألوا
انزال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس وثانيها انهم قوم صالح عليه السلام سألوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها وثالثها
انهم قريش حين سألوا النبي صلى الله عليه وآله ان يحول الصفا ذهبا عن السدي ورابعها انهم كانوا سألوا النبي صلى الله عليه وآله
عن مثل هذه الاشياء يعني من ابي ونحوه فلما اخبرهم بذلك قالوا ليس الامر كذلك فكفروا به فيكون على هذا نهيا عن
سؤال النبي صلى الله عليه وآله عن انساب الجاهلية لانهم لو سألوا عنها ربما ظهر الامر فيها على خلاف حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه
عن ابي علي الجبائي فان قيل ما الذي يجوز ان يسأل عنه وما الذي لا يجوز فالجواب ان الذي يجوز السؤال عنه
هو ما يجوز العمل عليه في الامور الدينية والدنيوية وما لا يجوز العمل عليه في امور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه
فعلى هذا لا يجوز ان يسأل الانسان من ابي لان المصلحة قد اقتضت ان يحكم على كل من ولد على فراش انسان بانه ولده
وان لم يكن مخلوقا من مائه فالمسألة بخلاف ذلك سفه لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سألوا عنه وقيل انه لما تقدم ذكر
الحلال والحرام بين حال ما يعتقده اهل الجاهلية من ذلك فقال ما جعل الله من بحيرة بين ما حرمها على ما حرمها اهل
الجاهلية ولا امر بها والبحيرة هي الناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا
من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم كانوا
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن نظروا في البطن الخامس فان كان ذكرا نحروه فاكلته الرجال والنساء جميعا
وان كانت انثى شقوا اذنها فتلك البحيرة لا يجز لها وبر ولا يذكر عليها اسم الله ان ركبت ولا حمل عليها
وحرم على النساء ان يذقن من لبنها شيئا ولا ان ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون
النساء حتى تموت فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء في اكلها عن ابن عباس وقيل ان البحيرة بنت السائبة عن محمد
بن اسحق والسائبة هي ما كانوا يسيبونه فان الرجل اذا نذر لقدوم من سفر او لبرء من علة وما اشبه ذلك
قال ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في ان لا ينتفع بها وان لا تخلى عن ماء ولا تمنع من مرعى عن الزجاج وهو قول
علقمة وقيل هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم
خدم الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان السائبة هي الناقة
اذا تابعت بين عشر اناث ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت
بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم خلي سبيلها مع امها وهي البحيرة عن محمد بن اسحق والوصيلة وهي من الغنم كانت الشاة اذا
ولدت انثى فهي لهم واذا ولدت ذكرا جعلوه لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر
لالهتهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن فان كان السابع جديا ذبحوه لالهتهم ولحمه للرجال
دون النساء وان كان عناقا استحيوها وكانت من عرض الغنم وان ولدت في البطن السابع جديا وعناقا قالوا ان
الاخت وصلت اخاها فحرمته علينا فحرما جميعا فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل
وقيل الوصيلة الشاة اذا اتأمت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان
ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث عن محمد بن اسحق والحام وهو الذكر من الابل كانت العرب اذا نتجت من
صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول ابي عبيدة

والزجاج وقيل

والزجاج وقيل انه الفحل اذا لقح ولد ولده قيل حمي ظهره فلا يركب عن الفراء اعلم ان الله لم يحرم من هذه الاشياء شيئا
قال المفسرون روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله ان عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكة وكان اول
من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي
قال رسول الله صلى الله عليه وآله فلقد رايته في النار يؤذي اهل النار ريح قصبه ويروى يجر قصبه في النار ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب هذا اخبار منه سبحانه ان الكفار يكذبون على الله بادعائهم ان هذه
الاشياء من فعل الله وامره واكثرهم لا يعقلون خص الاكثر بانهم لا يعقلون لانهم اتباعهم لا يعقلون ان ذلك كذب
وافتراء كما يعقله الرؤساء عن قتادة والشعبي وقيل معناه ان اكثرهم لا يعقل ما حرم عليهم وما حلل لهم يعني ان المعاند
هو الاقل منهم عن ابي علي الجبائي وفي هذه الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه نفى ان يكون جعل
البحيرة وغيرها وعندهم انه سبحانه هو الجاعل لذلك والخالق له ثم بين ان هؤلاء قد كفروا بهذا القول
وافتروا على الله الكذب بان اضافوا اليه ما ليس بفعله وهذا واضح قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما
انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون اية **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيرة وغيرها ويفترون
على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال واذا قيل لهم تعالوا اي هلموا الى ما انزل الله من القرآن واتباع
ما فيه والاقرار بصحته والى الرسول وتصديقه والاقتداء به وبافعاله قالوا في الجواب عن ذلك حسبنا اي كفانا
ما وجدنا عليه اباءنا يعني مذاهب اباءنا ثم اخبر سبحانه منكرا عليهم اولو كان اباؤهم اي انهم يتبعون اباءهم
فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان وان كان اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون اليه وقيل
في معنى لا يهتدون قولان احدهما انه يدل على انهم ضلال والاخر انهم عمي عن الطريق فلا يهتدون العلم
في هذه الاية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل في شيء من امور الدين الا بحجة وفي هذه الاية دلالة
ايضا على وجوب المعرفة وانها ليست ضرورية على ما قاله اصحاب المعارف لانه سبحانه بين الحجاج عليهم
فيها ليعرفوا صحة ما دعاهم الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لابائهم ونفى سبحانه
عنهم الاهتداء والعلم معا لان بينهما فرقا فان الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن
ضرورة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون اية **القراءة** وقرا في الشواذ عن الحسن لا يضيركم
عن ابرهيم لا يضركم **الحجة** وفي ذلك اربع لغات ضاره يضيره وضاره يضوره وضره يضره
وهي عربية اعني يفعل في المضاعف متعدية وانما جزم يضركم لانه جواب الامر وهو قوله عليكم انفسكم ويجوز
ان يكون لا هاهنا بمعنى النهي ويكون يضركم مجزوما به **الاعراب** قال الزجاج
عليكم انفسكم اجريت مجرى الفعل فاذا قلت عليك زيدا فتاويله الزم زيدا وعليكم انفسكم معناه الزموا امر
انفسكم وقال غيره العرب تامر من الصفات بعليك وعندك ودونك تعديها الى المفعول وتقيمها مقام
الفعل فتنصب بها على الاغراء تقول عليك زيدا كانه قال خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك

زيدا اى حضرك فخذه ودونك اى قرب منك فخذه وقد تضع العرب غير هذه من الاحرف مقام الفعل لكن لا تعديها الى مفعول وذلك نحو قولهم اليك عنى اى تاخر وراءك بمعناه قالوا ولا يجوز ذلك الا فى الخطاب لو قلت عليه زيدا لم يجز وقوله لا يضركم الاجود ان يكون اعرابه رفعا ويكون على جهة الخبر ويجوز ان يكون موضعه جزما ويكون الاصل لا يضرركم الا ان الراء الاولى ادغمت فى الثانية وضمت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز فى العربية لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم بكسرها فالضم لاتباع الضم الضم والفتح للخفة والكسر لان اصل الالتقاء الساكنين الكسرة وهذا اللفظ غايب يراد به المخاطبون اذا قلت لا يضررك كفر الكافر فمعناه لا تعدن انت كفره ضررا كما انك اذا قلت لا ارينك ههنا فالنهى فى اللفظ لنفسك ومعناه لمخاطبك ومعنا لا تكونن هنا **المعنى** لما بين الله سبحانه حكم الكفار الذين قلدوا اباءهم واسلافهم وركنوا الى دنياهم عقبه بالامر القاعد وبيان ان المطيع لا يواخذ بذنب العاصى فقال يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم معناه احفظوا انفسكم من ملابسة المعاصى والاصرار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه الزموا امر انفسكم فانما الزمكم الله امرها عن الزجاج وهذا موافق لما روى عن ابن عباس ان معناه اطيعوا امرى واحفظوا وصيتى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اى لا يضركم ضلال من ضل من اباكم وغيرهم اذا كنتم مهتدين ويقال هل تدل هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجوابه ان فى هذا وجوها احدها ان الاية لا تدل على ذلك بل يوجب ان المطيع لغيره لا يواخذ بذنوب العاصى وثانيها ان الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله انما يجوز فى حال التقية او حال لا يجوز تاثير انكاره فيها او يتعلق بانكاره مفسدة وروى ان ابا ثعلبة سال رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الاية فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت دنيا موثرة وشحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم وثالثها ان هذه الاية اوكد اية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله سبحانه خاطب بها المومنين فقال عليكم انفسكم يعنى عليكم اهل دينكم كما قال لا تقتلوا انفسكم لا يضركم من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس فى رواية عطا عنه قال يريد يعظ بعضكم بعضا وينهى بعضكم بعضا ويعلم بعضكم بعضا ما يقربه الى الله ويبعده من الشيطان ولا يضركم من ضل من المشركين والمنافقين واهل الكتاب الى الله مرجعكم جميعا اى مصيركم ومصير من خالفكم فينبئكم بما كنتم تعملون اى يجازيكم باعمالكم وفى هذا غاية الزجر والتهديد وفى الاية دلالة على فساد قول من قال ان الله سبحانه يعذب الاطفال ويعذب الميت ببكاء الحى عليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين اية **القراءة** روى فى الشواذ عن الحسن والشعبى والاعرج شهادة بينكم وعن الاعرج ايضا شهادة بينكم وروى عن على عليه السلم والشعبى ومجاهد ونعيم بن ميسرة انهم قرءوا شهادة الله بنصب شهادة والمد فى الله وقراءة يعقوب برواية روح وزيد وروى شهادة الله مقصورة عن الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير والكلبى والشعبى **الحجة** اما قوله شهادة بالرفع بينكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة بينكم الا انه حذف التنوين فاجر الاسم ويجوز ان يكون

للمضاف محذوفا واخر الكلام اى شهادة بينكم شهادة اثنين اى ينبغى ان يكون الشهادة المعتمدة هكذا واما قوله شهادة بينكم بالنصب والتنوين فعلى اضمار فعل اى ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فهى اعم من قراءة الجماعة المشهورة شهادة الله بالاضافة واما المد فى الله فعلى ان همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم ووقرهمزة الله عن الحذف الذى كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بالالف كما فى قوله الذكرين حرم ام الانثيين واما الله مقصورة بالجر فعلى ما حكاه سيبويه انهم يحذفون حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال واما تقديرا الكلام فعلى انه يقول اقسم بالله الذى اقدم على هذا اليمين وهذا انما يكون على وجه الاعظام لليمين والتهيب لها **الاعراب** قال الزجاج بينكم يرتفع من وجهين احدهما ان يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فيحذف شهادة ويقام اثنان مقامها والاخر ان يكون التقدير وفيما فرض عليكم فى شهادتكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو على الفارسى القول الاول قال واتسع فى بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال ان الظرف يستعمل اسما فى غير الشعر الا ترى انه قد جاء ذلك فى التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء فى الشعر نحو قوله فصادف بين عينيه الجبوبا واما قوله اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا يجوز ان يتعلق بالوصية لامرين احدهما ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف اليه على المضاف لانه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه فى موضعه فاذا قدر ذلك لزم تقديم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يجز القتال زيدا حين الوصية والاخر ان الوصية مصدر فلا يتعلق به ما تقدم عليه واما قوله حين الوصية فلا يجوز حمله على الشهادة لانها اذا عملت فى ظرف من الزمان لم تعمل فى ظرف اخر منه ولكنه تحمله على احد ثلثة اوجه احدها ان يتعلق بالموت كانه يموت فى ذلك الحين وهذا انما يكون على ما قرب منه كقوله حتى اذا حضر احدهم الموت انى تبت الان وهذا القول انما يكون قبل الموت ولما ان يتعلق بحضر اى اذا حضر فى هذا الحين واما ان يكون محمولا على البدل من اذا لان ذلك الزمان فى المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشى من الشى اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة لهما وفى الظرف ضميرهما وقوله او اخران من غيركم تقديره او شهادة اخرين ومن غيركم صفة لاخرين كما كان صفة لاثنين ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم ان شهادة الاخرين اللذين هما من غير اهل ملتنا انما تجوز فى السفر فاستغنى عن جواب اى بما تقدم من ... او اخران من غيركم لانه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الامر كان المعنى ينبغى ان يشهدوا اذا ضربتم فى الارض اخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ايضا ان يستغنى عن جواب اذا فى قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدمها [illegible] شهادة فى قوله شهادة

بينكم فان جعلت اذا ظرفا لحين فلم تجعل له جوابا كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة بينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة بينكم يدل عليه ويكون موضع اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لان المعنى ينبغي ان تشهدوا وقوله تحبسونهما من بعد الصلوة صفة ثانية لقوله او آخران وقوله بعد الصلوة يتعلق بتحبسونهما فيقسمان بالله الفاء لعطف جملة على جملة وان شئت جعلت الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة

وانسان عيني يحسر الماء مرة فيبدو وتارات يجم فيغرق

تقديره عندهم اذا حسر بدا فكذلك اذا حبستموهما اقسما وقوله لا نشتري به ثمنا جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان بالله لان اقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان والتقدير لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا اي ذا ثمن فحذف المضاف في الموضعين وانما ذكر الشهادة لان الشهادة قول كما قال واذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى ان القسمة التي افراد الانصباء لا يرزق منه وانما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قربى التقدير ولو كان المشهود له ذا قربى واضاف الشهادة الى الله لامره باقامتها ونهيه عن كتمانها في قوله واقيموا الشهادة لله وقوله فيكتمها فانه آثم قلبه هذا كله ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي وناهيك به فارسا في هذا الميدان نقابا يخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان

النزول سبب نزول هذه الآية ان ثلثة نفر خرجوا تجارا من المدينة الى الشام تميم بن اوس الداري واخوه عدي وهما نصرانيان وابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي كان مسلما حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابي مارية فكتب وصية ودسها في متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلي فلما مات فتحا المتاع واخذا ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم ونظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاما فكلموا تميما وصاحبه فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وآله فنزلت الآية عن الواقدي عن اسامة بن زيد عن ابيه وعن جماعة من المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام

المعنى لما قدم سبحانه الامر بالرجوع الى ما انزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال يا ايها الذين آمنوا اي يا ايها المؤمنون شهادة بينكم قيل في معنى الشهادة هنا اقوال احدها انها الشهادة التي يقام بها الحقوق عند الحكام وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الآية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس وثانيها انها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت فيكون تقديره ليشهدكم في سفركم اذا حضركم الموت واردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اي وصيان من اهل العدالة جعلهما اثنين تاكيد الامر في الوصية عن ابن الانباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد والثالث انها شهادة ايمان بالله اذا ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والاول اقوى واليق بالآية وقال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل ورضى ورجال عدل ورضى ثم قد حذف المضاف فيكون المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحج اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر وقال ابن جني ويجوز ان يكون التقدير مقيم شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدا وعلى قول الزجاج وابي علي من الخبر اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اي حضر اسباب الموت من مرض وغيره وقال الزجاج معناه ان الشهادة في وقت

الوصية

الوصية هي للموت ليس ان الموت حاضر وهو يوصي ان ما يقول الموصي صحيحا كان او غير صحيح اذا حضر في الموت او اذا مات فاعلوا ما صنعوا اثنان ذوا عدل منكم اي من اهل دينكم وملتكم او آخران من غيركم اي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابرهيم وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام فيكون معنى او هاهنا للتفصيل لا للتخيير لان المعنى او آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم او آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري وعكرمة والاصم قالوا لان عشيرة الموصي اعلم باحوالهم من غيرهم واجدر ان لا ينسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى ان الآية كانت في شهادة اهل الذمة ثم نسخت وقد بين ابو عبيد هذه الاقاويل ثم قال حمل العلماء آرائهم وتوقفهم في اهل الذمة ورعوها محكمة ويقوي هذا القول تتابع الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخرها نزولا ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت ومعنى فاصابتكم الموت فعلم الله سبحانه ان من الناس من يسافر فيصحبه في سفره اهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضرهم الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال او آخران من غيركم اي من غير دينكم ان انتم سافرتم فاصابتكم مصيبة الموت فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر ان امكن اشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة اذا لم يوجد غيرهما قال ثم تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم المعنى تحبسونهما من بعد الصلوة العصر لان الناس كانوا يحلفون بالحجاز بعد صلوة العصر لاجتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم وقيل هي صلوة العصر او الظهر عن الحسن وقيل بعد صلوة اهل دينهما يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تحبسونهما تقفونهما ويقيمونهما كما يقال مر بي فلان على فرس وحبس على دابته اي وقف وقيل معناه تصبرونهما على اليمين وهو ان يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها ان ارتبتم في شهادتهما وشككتم وخشيتم ان يكونا قد غيرا او بدلا او كتما وخانا والكتاب وتحبسونهما للورثة ويجوز ان يكون خطابا للقضاة ويكون بمعنى الامر اي فاحبسوهما ذكره ابن الانباري وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويبتدي بقوله تحبسونهما ويحتمل ان يكون اراد به وصي الموت اذا ارتاب بهما الورثة وادعوا انهما استبدلا شيئا من التركة فيصير ان ادعي عليهما فيحلفان بالله لا نشتري به ثمنا اي لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنا والتقدير لا نشتري به ذا ثمن الا ترى ان الثمن لا يشترى وانما يشترى المبيع دون ثمنه وقيل ان الهاء في به يعود الى القسم بالله وقيل معناه لا نعتاض عرضا من الدنيا لان من باع شيئا فقد اشترى ولا ثمنه ولا نريد لا نحابي في شهادتنا احدا ولو كان المشهود له ذا قربى وخص ذا القربى بالذكر لميل الناس الى قراباتهم ومن يناصبونه ولا نكتم شهادة الله اي شهادة لزمنا اداؤها بامر الله تعالى انا اذا لمن الآثمين اي انا ان فعلنا ذلك كنا من الآثمين قوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين آيتان

القراءة قرا ابو بكر عن عاصم وحمزة وخلف ويعقوب استحق

بضم التاء الاولين جمع وقرا حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء الاوليان بالالف التثنية الاولى وقرا الباقون استحق بضم التاء الاوليان بالالف

الحجة والاعراب

قال الزجاج هذا الموضع من اصعب ما في القرآن في الاعراب والاوليان في قول اكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يقومان المعنى فليقم الاوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما فاذا ارتفعا الاوليان على البدل فالذي و استحق من الضمير بمعنى الوصية المعنى فليقم الاوليان من الذين استحقت الوصية او الايصاء عليهم وجائز ان يرتفعا باستحق ويكون معناهما الاوليان باليمين اي بان يحلفا من شهد بعضهما فان جاز شهادة النصرانيين كان الاوليان على هذا القول بالنصرانيين والاخران من غير اهل بيت الميت وقال ابو علي لا يخ ارتفاع من ان يكون على الابتداء وقد اخر كانه في التقدير فالاوليان بامر الميت آخران من اهله او من اهل دينه يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتهما كقولهم تميمي انا او يكون خبر مبتدا محذوف كانه قال او آخران يقومان مقامهما هما الاوليان او يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحق وقد اجاز ابو الحسن فيه شيئا آخر وهو ان يكون الاوليان صفة لقوله فآخران من غيركم لانه وصف آخران اختص بوصف لاجل الاختصاص الذي صار له ما يوصف به المعارف ومعنى الاوليان بالشهادة على وصية الميت وانهما كانا اولى به ممن اتهم بالخيانة لانهما اعرف باحوال الميت واموره ولانهما من المسلمين الا ترى ان وصفهم بانه استحق عليهم يدل على انهم مسلمون لان الخطاب من اول الآية مصروف اليهم فاما ما اسند اليه استحق فلا يخ من ان يكون الايصاء او الوصية او الاثم او الجار والمجرور وانما جاز استحق الاثم لان آخذه بآخذه آثم فسمي اثما كما سمي ما يوخذ منه بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما اخذ منك فلذلك سمي هذا الماخوذ باسم المصدر فاما قوله عليهم فيحتمل ثلثة ضروب احدها ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على زيد مال بالشهادة اي لزمه ووجب عليه الخروج منه لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليها الخروج مما وجب عليه هذا كلام ابي علي واقول ان النظم ان الذين استحق عليهم في الآية هم ورثة الميت والمفهوم من كلام ابي علي هذا لان الشاهدين اللذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قدره والذي يصح في نفسي ان التقدير من الذين استحقت عليهم الوصية او استحق عليهم الايصاء وهم ورثة الميت والآخران يكون على هذا بمنزلة من كان من الذين استحق منهم الاثم ومثل هذا قوله اذا اكتالوا على الناس اي من الناس والثالث ان يكون على فيه بمنزلة في كانه استحق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام على في قوله لاصلبنكم في جذوع النخل والمعنى والذين استحق عليهم بالشهادة الاخرين اللذين هما من غيرنا واقول ان هذا المعنى ايضا انما يلائم الضرب الاول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال المعنى من الذين استحق فيهم الاثم اي بسببهم استحق الآخران من غيرنا اللذان خانا في الوصية فيهم الاثم بخيانتهما فيهما الكاذبة ثم قال ابو علي فان قيل هل يجوز ان يسند استحق الى الاوليان فالقول في ذلك انه لا يجوز لان المستحق انما يكون الوصية او شيئا منها ولا يجوز ان يستحق فيسند استحق اليهما فاما من قرا من الذين استحق عليهم الاولين على الجمع فهو نعت لجميع الورثة المذكورين في قوله من الذين استحق عليهم وتقديره من الاولين الذين استحق عليهم الايصاء او الاثم وانما قيل لهم

الاولين

الاولين من حيث كانوا اولين في الذكر الا ترى انه قد تقدم يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكرا في اللفظ قبل قوله او آخران من غيركم واحتج من قرا الاولين على من قرا الاوليان بان قال ارايت ان كان الاوليان صغيرين اراد انهما اذا كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لصغرهما اولى بالميت وان كانا كبيرين كانا اولى به فيقسمان بالله اي يحلف الآخران اللذان يقومان مقام الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا وقوله لشهادتنا احق من شهادتهما متعلق به فيقسمان بالله ومن قرا استحق عليهم الاوليان فاستحق هاهنا بمعنى حق اي وجب فالمعنى فآخران من الذين وجب عليهم الايصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته وقال ابو علي تقديره من الذين استحق الاوليان بالميت وصيته التي اوصى بها الى غير اهل دينه والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير وقال الامام محمود الزمخشري معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهذا احسن الاقوال

اللغة

عثر الرجل على الشيء يعثر عثورا اذا اطلع عليه غيره واعثرت فلانا على امري اطلعته عليه ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم واصله الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثارا اذا وقعت اصبعه بشيء صدمته وعثر الفرس عثارا قال الاعشى

بذات لوث عفرناة اذا عثرت … فالتعس اولى لها من ان يقال لعا

والعثير الغبار لانه يقع على ما وغيره والعاثور حفرة تحفر ليعثر به الاسد فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كانه صعه ملك عليه حق وحققت عليه القضاء حقا واحققته اذا اوجبته ويكون حق بمعنى استحق

النزول

قالوا لما نزلت الآية الاولى صلى رسول الله صلى الله عليه وآله العصر ودعا بتميم وعدي فاستحلفهما عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه وخلى رسول الله صلى الله عليه وآله سبيلهما ثم اطلعا على اناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله سبيلهما ثم اطلعا على اناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت قوله فان عثر على انهما استحقا اثما الخ فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والآخر المطلب بن ابي وداعة السهمي فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفع الاناء اليهما والى اولياء الميت فكان تميم الداري بعدما اسلم يقول صدق الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره

المعنى

ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين او الشاهدين فقال فان عثر اي اطلع وظهر على انهما يعني الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد بن جبير استحقا اثما اي استوجبا اثما اي ذنبا بايمانهما الكاذبة وبخيانتهما وقصدهما في شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقا عقوبة اثم من قوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي بعقوبة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي فآخران يقومان مقامهما اي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاوليان والمعنى ليقم الاوليان بالميت من الذين استحقت عليهم الوصية ان يكون التقدير فالاوليان بامر الميت آخران من اهله يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتهما وقد بينا ما قيل فيه وفي القراءتين الاخريين فيما قبل ويجوز ان يكون الاوليان بدلا من قوله آخران فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الاوليين هو الاقربان الى الميت ويجوز ان يكون معناهما الاوليان باليمين

وانما كان اوليين باليمين لان الوصيين ادعيا ان الميت باع الاناء فانتقل اليمين الى الوليين لانهما صارا مدعى عليهما
ان مورثهما باع الاناء وهذا كما لو اقر انسان لاخر بدين وادعى قضاءه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين لانه صار
مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح فيقسمان بالله لشهادتنا احق
من شهادتهما قيل انه على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما
وقولهما وقيل يريد فيقولان والله ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس وسمّيت اليمين ههنا شهادة لان اليمين
كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك وما اعتدينا اي ما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن
ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين تقديره انا ان
اعتدينا لمن جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الاية مع التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعرابا
ومعنى وحكما ولست تجدهما في شيء من مظانهما اوفر فائدة واعذب عائدة واجمع علما ومعنى ملخصة
لك وسقته اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة في استحلاف الشهود فقال ذلك ادنى
اي ذلك الاحلاف والاقسام وذلك الحكم اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي بحقها وصدقها
لا يكتمون شيئا ولا يزيدون شيئا لان اليمين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين
او يخافوا اي واقرب ان يخافوا ان ترد ايمان على اولياء الميت بعد ايمانهم فيحلفوا على خيانتهم فكذبهم
فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليمين والشهادة الى المستحق
عليهم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا الموعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين
الى ثوابه وجنته قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام
الغيوب آية **الاعراب** يوم ينتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله
واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل
يتعلق بمحذوف على تقدير واحذروا او اذكروا ذلك اليوم **المعنى** يوم يجمع الله الرسل هو
كقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وانتصب يوما على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لانهم
لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله الرسل لان اليوم لا يتقى ولا يحذر
وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويقول لهم ماذا اجبتم اي ما الذي اجابكم قومكم فيما دعوتموهم
اليه وهذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم على رؤوس
الاشهاد قالوا لا علم لنا قيل فيه اقوال احدها ان للقيامة اهوالا حتى تزول القلوب من مواضعها فاذا رجعت
القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم وعلى من كذبهم يريد انه عزب عنهم افهامهم من هول يوم
يوم القيمة فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبي وهو اختيار الفراء
وثانيها ان المراد لا علم لنا الا ما علمتنا لانك تعلم غيبهم وباطنهم وهذا هو الذي يقع عليه الحسن في رواية
اخرى واختاره الجبائي وانكر القول الاول وقال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيمة مع قوله لا يحزنهم
الفزع الاكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن ان يجاب عن ذلك بان الفزع الاكبر دخول النار وقوله

لاخوف عليهم

لا خوف عليهم انما هو كالبشارة لهم بالنجاة من اهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض ما بأس عليك ولا خوف عليك وثالثها
ان معناه لا حقيقة لعلمنا اذ كنا نعلم جوابهم وما كان من افعالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وانما الجزاء و
الثواب يستحق بما يقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الانباري ورابعها ان المراد لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لدلالة
الكلام عليه عن ابن عباس في رواية اخرى وخامسها ان المراد تحقيق فضيحتهم اي انت اعلم بحالهم منا ولا تحتاج في
ذلك الى شهادتنا انك انت علام الغيوب انما قال علام للمبالغة لا للتكثير وقيل اراد به تكثير المعلوم والمراد انك تعلم ما
غاب وما بطن ونحن انما نعلم ما نشاهد وفي هذه الاية دلالة على اثبات المعاد والحشر والنشر وذكر الحاكم ابو سعيد
في تفسيره انها تدل على فساد قول الامامية ان الائمة يعلمون الغيب واقول ان هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فانا لا نعلم
احدا من اهل الاسلام يصف احدا من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين والشيعة الامامية
براء من هذا القول فمن نسبهم الى ذلك فالله سبحانه فيما بينه وبينهم قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر
نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين آية **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالالف وكذلك في
سورة يونس وهود والصف وقرأ ابن كثير وعاصم في يونس لساحر بالالف فقط وقرأ اهل المدينة والبصرة والشام سحر مبين بغير
الف في ذلك **الحجة** من قرأ الا سحر جعله اشارة الى ما جاء به كانه قال ما هذا الذي جئتهم به الا سحر ومن
قرأ الا ساحر اشار الى الشخص لا الى الحدث الذي اتى به وكلاهما حسن لاستواء كل واحد منهما في ان ذكره قد تقدم
غير ان الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص اما وقوعه على الحدث فظاهر واما وقوعه على الشخص فهو ان يراد به
ذو سحر كما جاء ولكن البر من اتقى اي ذا البر وقالوا انما انت سير واني هي اقبال وادبار وقد جاء الضيف فاعل يراد
به الكثرة في حروف ليست بالكثيرة نحو عائذا بالله من شرها اي عياذا او عوفي العافية ولم تكثر هذه الحروف من الكثرة بحيث
يقاس عليها **الاعراب** العامل في اذ يحتمل امرين احدهما الابتداء عطفا على قوله
يوم يجمع الله الرسل ثم قال واذكر اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقال القائل كان كذا وكذا وقد ولدنا لبلد كذا وصنعنا
فيه وفعلنا اذ صاح بك صائح فاجبته وتركتني والثاني اذكر اذ قال الله فيكون موضعه نصبا يا عيسى بن مريم
يجوز ان يكون عيسى مضموما في التقدير لانه منادى مفرد فيكون نداءين وتقديره يا عيسى يا ابن مريم او يكون
وصفت المضموم بمضاف فتنصب المضاف كقول الشاعر يا زبرقان اخا بني خلف ويجوز ان يكون عيسى
مبنيا مع الابن على الفتح في التقدير لو وقع الابن بين علمين وهذا كما انشده النحويون من قول الشاعر
يا حكم بن المنذر بن الجارود انت الجواد بن الجواد بن الجود روي في الحكم الضم والفتح تكلم الناس في موضع نصب
على الحال وكهلا عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من تكلم فالمعنى وتكلم الناس صغيرا او
كبيرا **المعنى** لما عرف الله سبحانه يوم القيمة بما وصفه من جمع الرسل فيه عطف عليه بذكر المسيح فقال
اذ قال الله معناه اذ يقول الله في الآخرة وذكر لفظ الماضي تقريبا للقيمة لان ما هو آت وكان قريب يا عيسى بن مريم وهذا

اشارة الى بطلان قول النصارى لان من لزام لا يكون الهاً اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اي ذكر ما انعمت به عليك و
على امك واشكره افرد النعمة في اللفظ ويريد به الجمع كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانما جاز ذلك لانه مضاف
يصلح للجنس ثم فسر نعمته بان قال اذ ايدتك بروح القدس وهو جبرئيل عليه السلام وقد مضى تفسيره في سورة البقرة عند
قوله وايدناه بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً اي في حال ما كنت صبياً في المهد وفي حال ما كنت كهلاً و
قال الحسن المهد حجر امه واذ علمتك الكتاب قيل الكتابة يعني الخط والحكمة يعني العلم والشريعة وقيل اراد الكتب
فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني اي واذكر ذلك
ايضاً اذ تصور من الطين كهيئة الطير الذي تريد اي كخلقته وصورته وسماه خلقاً لانه كان يقدره وقوله
باذني اي تفعل ذلك باذني وامري فتنفخ فيها اي تنفخ فيها الروح لان الروح جسم يجوز ان ينفخه المسيح بامر الله
فيكون طيراً باذني والطير يونث ويذكر فمن انث فعلى الجمع ومن ذكر فعلى اللفظ وواحد الطير طاير فيكون مثل صاحب
وصحب وراكب وركب ومن لقوله فيكون طيراً باذني انه اذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحماً ودماً وخلق
فيها الحيوة فصارت طيراً باذن الله اي بامره وارادته لا بفعل المسيح وتبرئ الاكمه اي تصحح الاكمه الذي ولد
اعمى والابرص من برص تصححهم باذني اي بامري ومعناه انك تدعوني حتى ابرئ الاكمه والابرص ونسب ذلك
الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله واذ تخرج الموتى باذني اي واذكر اذ تدعوني فاحيي الموتى عند دعائك ولتخرجهم
من القبور حتى يشاهدهم الناس احياء ونسب ذلك الى المسيح ايضاً لما كان بدعائه واذ كففت بني اسرائيل عنك
اي عن قتلك واذاك اذ جئتهم اي حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون تعالى كفهم عنه بالالطاف اذ تيد عد
التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من اراد قتل نبينا صلى الله عليه واله ومعنى
جئتهم بالبينات اي اتيتهم بالحجج والمعجزات فقال الذين كفروا وجحدوا نبوتك ان هذا الا سحر مبين يعنون
به عيسى عليه السلام وسحر مبين يعني به ان ما جاء به سحر ظاهر واضح وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الاية اذ
قال الله يا عيسى اذكر نعمتي احدثها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه اله ثم عدد
النعمة نعمة نعمة على ما بيناه قوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد
باننا مسلمون اية **اللغة** الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه خفي ثم ينقسم فيكون بارسال
الملك ويكون بمعنى الالهام قال الشاعر الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت اوحى لها القرار فاستقرت
اي القى اليها ويروى وحى لها القرار والفرق بين اوحى ووحى من وجهين احدهما ان اوحى بمعنى جعلها على صفة
ووحى بمعنى جعل فيها معنى الصفة لان افعل اصله التعدية وقيل انهما لغتان والحواري خالصة الرجل وخلصاؤه
من الحبر الحواري لانه اخلص بياضه من كل شي يشوبه واصله الخلوص ومنه حار يحور اذا رجع الى حال الخلوص
ثم كثر حتى قيل لكل ناصح **المعنى** ثم بين سبحانه تمام نعمته على عيسى عليه السلام فقال واذ اوحيت اي
واذكر اذ اوحيت الى الحواريين اي الهمتهم وقيل القيت اليهم بالايات التي اريتهم اياها ومعنى الكلام في الحواريين
في سورة آل عمران وهم وزراء عيسى عليه السلام عن قتادة وانصاره عن الفراء ان امنوا بي وبرسولي اي صدقوا بي
وبصفاتي وبعيسى عليه السلام انه عبدي ونبيي قالوا اي قال الحواريون امنا اي صدقنا فاشهد باننا مسلمون

وقدقا

قوله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع

ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها
وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ايتان **القراءة**
قرا الكسائي وحده هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب والباقون هل يستطيع بالياء ربك مرفوع وادغم الكسائي اللام
في التاء **الحجة** وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سؤال ربك وذكر الاستطاعة في سؤالهم لا انهم
شكوا في استطاعته ولكن كانهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كانهم قالوا انك تستطيع فما يمنعك ومثل ذلك
قولك لصاحبك اتستطيع ان تذهب عني فاني مشغول اي اذهب لانك غير عاجز عن ذلك وان ينزل على هذه
القراءة متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام الا على تقدير ذلك الا ترى انه لا يصح ان يقول هل تستطيع
ان يفعل غيرك وان ينزل في موضع نصب بانه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسال ربك انزال مائدة
من السماء علينا وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ما يقارب هذا التفسير قال يعني هل تستطيع ان تدعو ربك و
اما ادغام اللام في التاء فانه حسن لان ابا عمرو ادغم اللام في الثاء في هل ثوب الكفار والتاء اقرب الى اللام
من الثاء انما حسن في المتقاربين وانشد سيبويه   فذر ذا ولكن هتعين متيما على ضوء برق اخر الليل ناصب
اللغة الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباع الجوارح للفعل والقدرة
هي ما اوجبت كون القادر عليه قادراً ولذلك لا يوصف الله تعالى بانه مستطيع ويوصف بانه قادر والمائدة الخوان
قال الازهري في تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة لانها من العطاء وقد ماد زيد عمراً اذا
اعطاه وقيل هي من ماد يميد اذا تحرك فهي فاعلة ويقال مائدة وميدة قال الشاعر
وميدة كثيرة الالوان تصنع للاخوان والجيران   وماد به البحر يميد ميدا اي تحرك به وماد يميد
اذا تبختر وماد اهله اذا مارهم الحركة **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن الحواريين وسؤالهم فقال
اذ قال الحواريون والعامل في اذ قوله اوحيت ويحتمل ان تكون معناه واذكر اذ قال الحواريون يا عيسى بن
مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قيل فيه اقوال احدها هل يفعل ذلك ربك بمسالتك
اياه ليكون علماً على صدقك ولا يجوز ان يكونوا شكوا في قدرة الله سبحانه على ذلك لانهم كانوا عارفين مؤمنين
وكانهم سالوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحة امره من حيث لا يعترض عليه فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن
قلوبنا كما قال ابرهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي وثانيها معناه هل يقدر ربك وكان هذا في
ابتداء امرهم قبل ان يستحكم معرفتهم بالله تعالى ولذلك انكر عليهم عيسى فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانه لم يستكمل
نعطيك ح ر ايمانهم في ذلك الوقت وثالثها ان معناه هل يستجيب لك ربك واليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيعك
ربك ان سالته وهذا على ان يكون استطاع بمعنى اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل
مسالة الحواريين عيسى المائدة ضربين احدهما ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تثبيتاً كما قال ابرهيم عليه السلام
رب ارني كيف تحيي الموتى وجاز ان يكون سالتهم المائدة قبل علمهم انه ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى
قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين معناه اتقوا الله ان تسالوا اشياء لم يسالها الامم قبلكم وقيل ان معناه الامر

بالتقوى مطلقا كما امر الله سبحانه المؤمنين بها في قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل امرهم ان
لا يقترحوا الآيات وان لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله لان الله تعالى قد اراهم البراهين والمعجزات باحياء الموتى
وغيره مما سالوه وطلبوه عن الزجاج قالوا اي قال الحواريون نريد ان ناكل منها قيل في معناه قولان احدهما ان
يكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير نريد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا والآخر ان
يكون الارادة هنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع اي نحب ذلك وتطمئن قلوبنا يجوز ان يكونوا قالوه وهم
مستبصرون في دينهم ومعناه نزداد من ذلك يقينا وذلك ان الدلائل كلما كثرت تمكنت المعرفة في النفس عن
عطا ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله وهذا يقوي قول من قال ان هذا كان في ابتداء امرهم والصحيح
انهم طلبوا المعاينة والعلم الضروري والتاكيد في الاعجاز ونكون عليها من الشاهدين لله بالتوحيد ولك
بالنبوة وقيل من الشاهدين لك عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم قوله تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا
انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين
قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين آيتان

القراءة قرا اهل المدينة والشام وعاصم منزلها بالتشديد والباقون منزلها بالتخفيف

الحجة يقوي التخفيف قوله انزل علينا مائدة والاولى ان يكون الجواب موافق السؤال والوجه
في التشديد ان نزل وانزل بمعنى واحد **اللغة** العيد اسم لما عاد اليك من شيء في وقت
معلوم حتى قالوا للخيال عيد ولما يعود اليك من الحزن عيد قال الاعشى فوا كبدي من لاعج الهم والهوى
اذا اعتاد قلبي من اميمة عيدها وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج كما يعود العيد نصراني قال المفضل
عادني اي عاودني وانشد عاد قلبي من الطويلة عيد واما قول تابط شرا يا عيد مالك من شوق وايراق
فانه اراد الخيال الذي يعتاده **الاعراب** يكون لنا في موضع النصب صفة لمائدة ولنا
في موضع الحال لان تقديره يكون عيدا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدم انتصب على الحال وقوله لاولنا
وآخرنا بدل من قوله لنا **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن سؤال عيسى اياه فقال قال عيسى ابن مريم عن قومه
لما التمسوا منه وقيل انه لما سال ربه ذلك حين اذن له في السؤال اللهم ربنا انزل علينا مائدة اي خوانا عليه
طعام من السماء تكون لنا عيدا قال قيل في معناه قولان احدهما نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا نعظمه نحن
ومن ياتي من بعدنا عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول ابي علي الجبائي والثاني ان معناه يكون عائدة
فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والاول هو الوجه لاولنا وآخرنا اي لاهل زماننا ومن يجيء بعدنا وقيل
معناه ياكل منها آخر الناس كما ياكل اولهم عن ابن عباس وآية منك اي دلالة منك عظيمة الشان في ازعاج
قلوب العباد الى الاقرار بمدلولها والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها تدل على توحيدك وصحة نبوة
نبيك وارزقنا اي واجعل ذلك رزقا لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي وانت خير الرازقين
وفي هذا دلالة على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضا لانها لو لم يكن كذلك لم يصح ان يقال له سبحانه وانت
خير الرازقين كما لا يجوز ان يقال انت خير الآلهة لما لم يكن غيره سبحانه الها قال الله سبحانه اجابة الى ما التمسه

انى منزلها

انى منزلها يعني المائدة عليكم فمن يكفر بعد منكم اي بعد انزالها عليكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قيل
في معناه اقوال احدها انه اراد عالمي زمانه فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير عن قتادة و
روي عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام انهم مسخوا خنازير وثانيها انه اراد عذاب الاستيصال وثالثها انه اراد
جنسا من العذاب لا يعذب به احدا غيرهم وانما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لانهم كفروا بعد ما راوا
الآية التي هي من ازجر الآيات عن الكفر بعد سؤالهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب العظيم الموقع كما اختصت
آيتهم بفن من الزجر العظيم الموقع **القصة** اختلف العلماء في المائدة هل نزلت ام لا فقال الحسن و
مجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استعفوا من نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل و
الصحيح انها نزلت لقوله سبحانه اني منزلها عليكم فلا يجوز ان يقع في خبره الخلف ولان الاخبار قد استفاضت عن النبي صلى
الله عليه وآله والصحابة والتابعين في انها نزلت قال كعب انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا و
اختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزلت المائدة وعليها خبز ولحم وذلك
انهم سالوا عيسى طعاما لا ينفد ياكلون منها قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا فان فعلتم ذلك
عذبتكم قال فما مضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا وقال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل صوموا ثلثين يوما
ثم اسألوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد من الناس فقضينا عمله لاطعمنا طعاما
وانا صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة
وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وروى عطاء بن
السائب عن زاذان وميسرة قالا كانت اذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلفت عليهم الايدي من السماء بكل طعام
الا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال عطاء نزل كل الطعام الا
السمك واللحم وقال عطية العوفي نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال
قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال يمان بن رئاب كانوا ياكلون منها
ما شاؤوا وروى عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى عليه السلام شيئا من المساوي قط ولا انتهر
شيئا ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا اخذ على انفه من نتن شيء قط ولما سأله الحواريون ان ينزل عليهم
المائدة لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها و
هي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا
تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقام عيسى فتوضأ
وصلى صلوة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية وليس عليها فلوسها يسيل
سيلا من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله ام من طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه
شيء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية

آية اخرى فقال عيسى عليه السلام يا سمكة احي باذن الله تعالى فاضطربت السمكة وعادت عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى
ما لكم تسألون اشياء ان اعطيتموها كرهتموها ما اخوفني عليكم ان تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله تعالى فعادت
السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان اكل منها ولكن ياكل اذا جا
منها من سألها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها عيسى عليه السلام اهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها ولكم
المهنا ولغيركم البلاء فاكل منها الف وثلثمائة رجل وامراة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشا ثم نظر عيسى عليه السلام
الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم ياكل
منها يومئذ زمن الا صح ولا مريض الا برأ ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم ياكل منها
وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما راى ذلك عيسى عليه السلام جعلها
نوبة بينهم فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون
في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا فاوحى الله الى عيسى اجعل مائدتي للفقراء دون الاغنياء فعظم
ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فاوحى الله تعالى الى عيسى اني شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد
نزولها اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا وبكى على
الممسوخين اهلوهم فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها
وياكلون منها ثم ترفع فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا ياكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم ومسخوا قردة
وخنازير قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم ثلث آيات **اللغة** النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الانسان و
غيره من الحيوان وهي التي اذا فارقها خرج عن كونه حيا ومنه قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس ايضا ذات الشيء الذي
يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس ايضا الارادة كما في قول الشاعر فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل
تجد من جام كل عم هابها ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها وقال النمر بن تولب
اما خليلي فاني لست معجله تؤامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما
يريد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل كما يقال لئيم راضع والنفس العين
التي تصيب الانسان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك
من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالنفس وذكر رجلا نفث نافث ح ل
فقال كان حسودا نفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم

وقال مضرس

وقال مضرس واذا ما مواضعنا فليس عليهم منا الخيال ولا النفوس الحسد والنفس الغيب يقال اني
لا اعلم ما نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تاويل الاية ويقال النفس ايضا العقوبة وعليه حمل بعضهم
قوله سبحانه ويحذركم الله نفسه والرقيب والترقب وهو الانتظار ومعناه الحافظ ورقيب
القوم حارسهم والشهيد المشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم **الإعراب**
حقيقة اذ ان يكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
وذلك اذ يقول يا عيسى وقيل انه سبحانه انما قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا على
البلخي وهو قول السدي والصحيح الاول لان الله تعالى عقب هذه الاية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين
واراد به يوم القيمة وانما اخرج هذا مخرج الماضي وهو المستقبل تحقيقا لوقوعه كقوله سبحانه ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ومثل قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ يفزعون
وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقال ابو النجم ثم جزاه الله عني اذ جزى جنات عدن
في العلالي العلا من دون الله من زائدة مؤكدة للمعنى وقوله ان كنت قلته المعنى ان اكن الآن قلته فيما مضى وليس كان فيه
على المعنى لان الشرط والجزاء لا يقعان الا فيما يستقبل وحرف الجزاء يصير معنى الماضي الى الاستقبال هذا قول المحققين
وقوله ان اعبدوا الله ذكر في محله وجوه احدها النصب بدلا من ما امرتني به والثاني ان يكون مجرور الموضع بدلا من
الهاء في به والثالث ان يكون مفسرة لما امرتني به اي وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب **المعنى**
ثم عطف سبحانه على ما تقدم من امر المسيح عليه السلام فقال واذ قال الله والمعنى اذ يقول الله يوم القيمة لعيسى يا عيسى ابن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله هذا قول خرج مخرج الاستفهام وهو تقريع وتهديد لمن ادعى
ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس ان من ادعى على غيره قولا فيقال لذلك الغير بين يدي المدعي
عليه ذلك القول انت قلت هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول وتكذيبا لقائله وذكر فيه وجه آخر
وهو ان يكون تعالى اراد بذلك القول تعريف عيسى عليه السلام انه لم يعرف ذلك الا في تلك الحال عن البلخي والاول اصح وقد
اعترض على قوله الهين فقيل لا نعلم في النصارى من اتخذ مريم الها والجواب عنه من وجوه احدها انهم لما جعلوا
المسيح الها لزمهم ان يجعلوا والدته ايضا الها لان الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق الالزام لهم والثاني
انهم لما عظموها تعظيم الالهة اطلق اسم الالهة عليهما كما اطلق اسم الرب على الاحبار والرهبان في قوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب والثالث انه يحتمل ان يكون فيهم من قال بذلك
ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه عن بعض النصارى انه قد كان فيما مضى قوم يقال
لهم المريمية يعتقدون في مريم انها الهة فعلى هذا يكون القول فيه كالقول في الحكاية عن اليهود في قولهم عزير ابن الله
قال يعني عيسى سبحانك يريد جل جلالك وتعظمت وتعاليت عن هذا وقيل معناه تنزيها لك وبراءة مما لا يجوز
عليك وقيل تنزيها لك من ان يبعث رسولا يدعي الالهية لنفسه ويكفر بنعمتك فجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من
قول النصارى فقال ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي لا يجوز ان اقول لنفسي ما لا يحق لي فامر الناس بعبادتي
وانا عبد مثلهم وانما تحق العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد سبحانه على براءته من ذلك القول فقال ان كنت

ان قوما قد اعتقدوا فيه وفي امه انهما الهان لانه يمكن انه

قلته فقد علمته يريد اني لم اقله لاني لو كنت قلته لما خفي عليك لانك علام الغيوب تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك اي تعلم غيبي وسري ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وانما ذكر النفس لمزاوجة الكلام و
العادة جارية بان الانسان يسر في نفسه فصار قوله ما في نفسي عبارة عن الاخفاء ثم قال ما في نفسك
على جهة المقابلة والا فالله سبحانه منزه عن ان يكون له نفس او قلب تحل فيه المعاني ويقوي هذا التاويل قوله
سبحانه انك انت علام الغيوب لانه علل علمه بما في نفس عيسى بانه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم
ما يختص الله تعالى بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى عليه السلام في جواب ما قرره سبحانه عليه ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا
الله ربي وربكم اي لم اقل للناس الا ما امرتني به من الاقرار لك بالعبودية وانك ربي وربهم والهي والههم وامرتهم
ان يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة وكنت عليهم شهيدا اي شاهدا ما دمت حيا فيهم لما شاهدته
منهم وعلمته وبما ابلغتهم من رسالتك التي حملتنيها وامرتني باداءها اليهم فلما توفيتني اي قبضتني اليك وامتني
عن الجبائي وقيل معناه وفاة الرفع الى السماء عن الحسن كنت انت الرقيب عليهم اي الحفيظ عليهم عن السدي وقتادة
وانت على كل شيء شهيد اي انت عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شيء قال الجبائي وفي
هذه الاية دلالة على انه سبحانه امات عيسى وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم
فلما توفاه الله سبحانه كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف لان التوفي لا يستفاد من اطلاقه الموت الا ترى الى قوله
سبحانه الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فبين الله سبحانه توفي الانفس التي لم تمت ان
تعذبهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع شيء واهنتهم وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم في هذا تسليم الامر
الى مالكه وتفويض الى مدبره وتبرؤ من ان يكون اليه شيء من امور قومه كما يقال الواحد منا اذا تبرا من تدبير
امر من الامور ويريد تفويضه الى غيره هذا الامر لا مدخل لي فيه فان شئت فافعله وان شئت فاتركه مع علمه
وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان المعنى تعذبهم فبا قامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة عنهم
عن الحسن فكانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط ظاهرا في الكلام وانما لم يقل فانك انت العزيز الرحيم لان الكلام
لم يخرج مخرج السؤال فلو قال ذلك لاوهم الدعاء بالمغفرة لهم على ان قوله العزيز الحكيم ابلغ في المعنى وذلك
ان المغفرة قد يكون حكمة وقد لا يكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة اذا كانا
صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لان العزيز هو المنيع القادر الذي لا يضام والقاهر الذي
لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذي يضع الاشياء في مواضعها ولا يفعل الا الحسن الجميل
فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصف الحكمة
في سائر افعاله تعالى قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو
على كل شيء قدير آيتان **القراءة** قرا نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع **الحجة**
قال ابو علي من رفع يوما جعله خبر المبتدا الذي هو هذا واضاف يوما الى ينفع والجملة التي من المبتدا والخبر في موضع
نصب بانه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو اخوك ومن قال هذا يوم ينفع احتمل امرين احدهما ان يكون مفعول

قال تقديره

قال تقديره قال الله هذا القصص وهذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهو اشارة الى ما تقدم
ذكره من قوله اذ قال الله يا عيسى ابن مريم وجاء على لفظ المضي وان كان للمراد به الاتي كما قال ونادى اصحاب الجنة
ونحو ذلك وليس ما بعد قال حكاية في هذا الوجه كما كان اياها في الوجه الاخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية
بتقدير قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين اي هذا الذي اقتصصنا يقع او يحدث يوم ينفع او خبر المبتدا
الذي هو هذا الظرف لانه اشارة الى حدث وظروف الزمان يكون اخبارا عن الاحداث والجملة في موضع نصب
بانها في موضع مفعول قال ولا يجوز ان يكون في موضع رفع وقد فتح لان المضاف اليه معرب وانما يكتسي البناء من
المضاف اليه اذا كان المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك في هذا الضرب من الاسماء اذا اضيف الى ما
كان مبنيا نحو ومن خزي يومئذ ومن عذاب يومئذ وصار في المضاف البناء للاضافة الى المبني كما صار فيه
الاستفهام للاضافة الى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من يضرب اضرب وليس المضارع
في هذا كالماضي في نحو قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الما اصح والشيب وازع لان الماضي مبني
والمضارع معرب فاذا كان معربا لم يكن شيء يحدث من اجله البناء في المضاف والاضافة الى الفعل نفسه في الحقيقة
لا الى مصدره ولو كانت الاضافة الى المصدر لم يبن المضاف لبناء المضاف اليه **المعنى** لما بين عيسى بطلان
ما عليه النصارى قال الله سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يعني ما صدقوا به في دار التكليف لان يوم القيمة
لا تكليف فيه على احد ولا يخبر احد فيه الا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيمة اذا اقروا على انفسهم
بسوء اعمالهم ويحتمل المراد بصدقهم تصديقهم لرسل الله تعالى وكتبه وقيل انه الصدق في الاخرة وانه ينفعهم لقيامهم
فيه بحق الله تعالى فعلى هذا يكون المراد صدقهم في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا اي دائمين فيها في نعيم مقيم لا يزول رضي الله عنهم بما فعلوه ورضوا عنه بما اعطاهم و
الجزاء والثواب ذلك الفوز العظيم ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين سبحانه
عظيم قدرته واتساع مملكته فقال لله ملك السموات والارض وما فيهن نزه سبحانه نفسه عما قالت النصارى
ان معه الها فقال لله ملك السموات والارض دون كل ما سواه لقدرته عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال
تضمنه في الكلام كانه كما قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السموات والارض وجمع السموات
ووحد الارض تفخيما لشان السموات وهو على كل شيء قدير فهو قادر على المعدومات بان يوجدها وعلى الموجودات
بان يعدمها وعلى كثير منها بان يعيدها بعد الافناء وعلى مقدورات غيره بان يقدر عليها ويمنع منها وقيل
معناه انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له
كقوله خالق كل شيء عن ابي علي الجبائي اتفق الفراغ من تسويد
هذا الجزء الثالث في يوم الاحد من شهر ربيع الثاني
سنة تسع وستين والف من الهجرة النبوية
المصطفوية صلى الله عليه وآله الى يوم الدين
على يد اقل خلق الله ابن شيخ عمر الشهرزادي كاظمين

بسم الله الرحمن الرحيم و

سورة الانعام هي مكية عن ابن عباس غير ست ايات وما قدروا الله حق قدره الى
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى ثلث ايات فانهن نزلن بالمدينة وفي رواية اخرى عنه غير ثلث قل تعالوا الى آخر
وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروى عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا و
سبعون الف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وآله سبحان الله
ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور عدد آيها
هي مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي سبع حجازي اختلافها اربع ايات وجعل الظلمات والنور حجازي
لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفي **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال انزلت
على الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه اولئك السبعون
الف ملك بعدد كل آية من الانعام يوما وليلة جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ ثلث آيات
من اول سورة الانعام الى ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة
وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس او يوحي في قلبه شيئا ضربه بها
ضربة الى آخر الخبر وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان سورة الانعام نزلت جملة و
شيعها سبعون الف ملك فعظموها وبجلوها فان اسم الله تعالى فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما في قراءتها من
الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلام من كانت له الى الله حاجة يريد قضاءها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام
وليقل ثم قال عليه السلام وليقل في صلوته اذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا
سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالي والايام صل على محمد وآل محمد وارحم ضعفي وفقري وفاقتي ومسكنتي يا من رحم
الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يا من رحم ايوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا ومن اليتم اواه
اواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث يقول ذلك مرارا فوالذي نفسي
بيده لو دعوت بها ثم سألت الله جميع حوائجك لاعطاك وروى علي بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد
عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال نزلت الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك لهم زجل
بالتسبيح والتكبير فمن قرأها سبحوا له الى يوم القيمة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الانعام
في كل ليلة كان من الآمنين ولم ير النار بعينيه ابدا تفسيرها لما ختم الله سورة المائدة بانه على كل شيء قدير
افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيره فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي
خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده
ثم انتم تمترون ايتان عراقي

عنده ثم انتم تمترون آيتان عراقي شامي وثلث ايات حجازي **اللغة** العدل خلاف الجور وعدلت
به غيره اي سويته به وعدلت عنه اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل اي قومته فاستقام والاجل الوقت المضروب
لانقضاء الامد فاجل الانسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التاخير واصله التاخير
يقال اجله تاجيلا وعجله تعجيلا والاجل نقيض العاجل والامتراء الشك واصله من مري الناقة اذا مسحت ضرعها
لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مراء ومماراة اذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبه المشكلة
من غير حل **المعنى** بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بانه المستحق لجميع المحامد لان اصل
النعم وفروعها منه تعالى ولان له الصفات العلى فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض يعني اخترعهما بما اشتمل
عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل انه في لفظ الخبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر
وان كان فيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة
ما فيه كفاية انشاء الله وجعل الظلمات والنور يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة وقيل الجنة والنار عن
قتادة وانما قدم ذكر الظلمات لانه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض ثم عجب تعالى ممن جعل له
شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال ثم الذين كفروا اي جحدوا الحق بربهم يعدلون اي يسوون
به غيره بان جعلوا له اندادا وما خوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا اي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه ثم
على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجب انه
هؤلاء الكفار مع اعترافهم بان اصول النعم منه وانه هو الخالق الرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به
وايضا فالهتهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات هو الذي خلقكم من طين يعني به آدم والمعنى انشأ
اباكم واخترعه من طين وانتم من ذريته فلما كان آدم عليه السلام اصلنا ونحن من نسله جاز ان يقول لنا خلقكم
من طين ثم قضى اجلا اي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الامر وبمعنى الخلق وبمعنى الاتمام والاكمال
واجل مسمى عنده قيل فيه اقوال احدها انه يعني بالاجلين اجل الحيوة الى الموت واجل الموت الى البعث وقيام
الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروي ايضا عطاء عن ابن عباس
قال قضى اجلا من مولده الى مماته واجل مسمى عنده من الممات الى البعث لا يعلم ميقاته احد سواه فاذا كان
الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله في اجل الحيوة من اجل الممات الى البعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه
الله من اجل الحيوة وزاد في اجل البعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب مبين و
ثانيها انه الاجل الذي يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا واجل مسمى عنده يعني الآخرة لانه اجل دائم ممدود
لا آخر له وانما قال مسمى عنده لانه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على
الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وثالثها ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق واجل
مسمى عنده يعني به اجال الباقين عن ابي مسلم ورابعها ان قوله قضى اجلا عنى به النوم يقبض الروح فيه
ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الانسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله

وقيل معنى يعدلون

ما اعترفوا

ويرسل الاخرى الى اجل مسمّى والاصل في الاجل هو الوقت فاجل الحيوة هو الوقت الذي يكون فيه الحيوة واجل الموت
او القتل هو الذي يحدث فيه الموت او القتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمّى اجلاً حقيقة
يجوز ان يسمّى ذلك مجازاً وما جاء في الاخبار ان صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الاجل وان الله زاد
في اجال قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين شكّوا في البعث والنشور
احتجاج عليهم بانه تعالى خلقهم ونقلهم من حال الى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرّون بانه لا
محيص عنه ثم بعد هذا يشكّون ويكذّبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه لا يصح منه
اعادتهم وبعثهم قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سرّكم وجهركم ويعلم ما تكسبون آية الاعراب
هو الابتداء يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم في السموات وفي الارض سرّكم وجهركم فالله مبتدأ
ويعلم خبره وفي السموات وفي الارض في موضع النصب بيعلم وسرّكم مفعوله ايضاً ولا يكون الظرف الذي هو الجار و
المجرور منصوب الموضع بالمصدر وان جعلت الظرف متعلقاً باسم الله جاز في قول من قال ان اصل الله
الاله فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض يعلم وتقديره الامر المعبود في السموات وفي الارض يعلم سرّكم و
جهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اسماء الاعلام فلا يجوز ان تعلّق الظرف به الا ان يقدّر فيه ضرباً من معنى الفعل
ويجوز ان يكون هو مبتداء والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الارض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان
يكون خبراً بعد خبر المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم فقال وهو الله في السموات وفي الارض
يعلم سرّكم وجهركم وفيه وجوه على ما ذكرناه في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الارض
سرّكم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلائق لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة وهم في السماء او بشراً وجنّاً وهم في الارض
فهو تعالى عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه شيء منها ويقوّيه قوله ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع
ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني يكون معناه ان المعبود في السموات
وفي الارض او المتفرد بالتدبير في السموات وفي الارض يعلم سرّكم وجهركم فلا يخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب
لبني آدم وان جعلت اسم الله علماً على هذا التقدير ثم علقت به قوله في السموات وفي الارض لم يجز ان تعلّقه
بمحذوف يكون خبراً او حالاً عنه او هم بان يكون البارئ سبحانه في مكان تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقال ابو بكر
السراج ان الله تعالى وان كان اسماً علماً ففيه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب بها من الفعل فيجوز ان يوصل
لذلك بالمحل وتأويله هو المعظم او المعبود في السموات وفي الارض ثم قال يعلم سرّكم وجهركم ومثل ذلك قوله تعالى وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله قال الزجاج ولو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز الا ان يكون في الكلام
دليل على ان زيداً يدبّر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبّر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد الخليفة في
الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقاً بما دلّ عليه اسم الله تعالى ويكون هو الله
مبتدأ وخبراً والمعنى هو المتفرد بالالهية في السموات وفي الارض لا اله فيهما غيره ولا مدبّر لهما سواه وان جعلت في
السموات خبراً بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السموات وفي الارض يعني انه في كل مكان فلا يكون الى مكان
اقرب منه الى مكان ثم اخبر تعالى عن هذا المعنى مبيناً لذلك مؤكداً له بقوله يعلم سرّكم وجهركم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف

آدم

يدبّر

ذلك

منكم ويعلم

١٣٤

منكم ويعلم ما تكسبون والمعنى يعلم نياتكم واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي
استنبطتها من وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامته ومطابقته اصوله الذي يحصوله كما تراه
لا غبار عليه وفيها دلالة على فساد قول من قال ان الله تعالى في مكان دون مكان تعالى الله عن ذلك وتقدّس وفي
قوله يعلم سرّكم وجهركم دلالة على انه تعالى عالم لنفسه لان من كان عالماً بعلم لا يصح ذلك منه قوله تعالى وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذّبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزؤن آيتان الاعراب من الاولى مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق
الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض المعنى ثم اخبر تعالى عن الكفار المذكورين في اول
الآية فقال وما تأتيهم من آية اي لا تأتيهم حجة من الحجج من حجج ربهم اي من حجّة وبيّنة كانشقاق القمر وآيات القرآن
وغير ذلك من المعجزات الا كانوا عنها معرضين لا يقبلونها ولا يستدلّون بها على ما دلّهم الله عليه من توحيده وصدق
رسوله فقد كذّبوا بالحق الذي اتاهم به محمد صلى الله عليه وآله من القرآن وسائر امور الدين فسوف
يأتيهم انباء اي اخبار ما كانوا به يستهزؤن والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الآخرة وقيل
معناه سيعلمون ما يؤول اليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء ايهام
التفخيم في معنى التحقير قوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الارض ما لم
نمكّن لكم وارسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشأنا
من بعدهم قرناً آخرين آية اللغة القرن اهل كل عصر مأخوذ من اقترانهم في العصر قال
الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل مدة كان فيها
نبي صلى الله عليه او كان فيها طبقة من اهل العلم قلّت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله خيركم
قرني ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما يصح به الفعل كائناً ما كان من آلة وغيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة
ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيراً داراً وهذا كقولهم امرأة مذكار اذا كانت
كثيرة الولادة للذكور وكذلك مئناث في الاناث واصل الادرار من درّ اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء
كثير ودرّت السماء اذا امطرت والله درّه اللبن ويقال لله درّه اي عمله وفي الذم لا درّ درّه اي لا كثر خيره
الاعراب كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما
قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر الى
الخطاب في قوله ما لم نمكّن لكم اتساعاً في الكلام وقد قال مكّنّاهم في الارض وانما لم يقل ما لم نمكّنكم لان
العرب يقول مكّنته ومكّنت له كما تقول نصحته ونصحت له المعنى ثم حذّرهم تعالى ما نزل بالامم
قبلهم فقال الم يروا اي الم يعلموا هؤلاء الكفار كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من امة وكل طبقة مقترنين
في وقت قرن مكّنّاهم في الارض ما لم نمكّن لكم معناه جعلناهم ملوكاً واغنياء كانه تعالى اخبر النبي صلى الله عليه
وآله عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسّعنا عليهم
في كثرة العبيد والاموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم وترون

لما جاءهم

ديارهم وآثارهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا قال ابن عباس يريد به الغيث والبركة والسماء معناه المطر هاهنا وجعلنا الأنهار أي ماء الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم ولم يغن عنهم ذلك شيئا لما طغوا واجترؤا علينا وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين أي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة أخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على منكري البعث من أهلك من قبلهم وأنشأ قوما آخرين قادر على أن يفني العالم وينشئ عالما آخر ويعيد الخلق بعد الإفناء **قوله تعالى** ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين آية **النزول** نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله عن الكلبي **المعنى** ثم أخبر الله تعالى عن عنادهم فقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس أي كتابة في صحيفة وأراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء إلى الأرض عن ابن عباس فلمسوه بأيديهم أي فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا واللمس باليد أبلغ في الإحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بأيديهم دون أن يقول فعاينوه لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أخبر تعالى أنهم يدفعون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك إلى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله أهل العدل في اللطف لأنه تعالى بين أنه إنما لم يفعل ما سألوه من حيث علم أنهم لا يؤمنون عنده **قوله تعالى** وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ثلاث آيات **اللغة** قال الزجاج قضي في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون يقال لبست الأمر على القوم ألبسه لبسا إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من إدراك الشيء بما هو كالستر له وأصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لأنه يستر النفس لبست الثوب ألبسه لبسا ولباسا والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء **المعنى** ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا لولا أي هلا أنزل عليه أي على محمد ملك نشاهده فنصدقه ثم أخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال ولو أنزلنا ملكا على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استئصالهم وأن لا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله لقضي الأمر ثم لا ينظرون أي لأهلكوا بعذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو أنزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة أو وجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال ولو جعلناه ملكا أي لو جعلنا الرسول ملكا أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس وكان جبرئيل يأتي النبي صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي

يا محمد

يقال له

وكذلك

وكذلك تسور الخصم إذ تسوروا المحراب وأتيا ثم إبراهيم ولوطا في صورة الضيفان من الآدميين وللبسنا عليهم ما يلبسون قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وآله فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أنزلنا ملكا فرأوا الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم أي فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه لا يزيدهم بيانا بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو أنزلنا ملكا لما عرفوه إلا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبقون في اللبس الذي كانوا فيه وأضاف اللبس إلى نفسه لأنه يقع عند إنزاله الملائكة ثم قال تعالى على سبيل التسلية لنبيه صلى الله عليه وآله من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسلها كما استهزأ بك قومك فلست بأول رسول استهزئ به ولا هم أول أمة استهزأت برسولها فحاق بالذين سخروا منهم أي فحل بالساخرين منهم ما كانوا به يستهزؤن من وعيد أنبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم أحاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج أي أحاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف إذا جعلت ما في قوله ما كانوا به يستهزؤن عبارة عن القرآن والشريعة وإن جعلت ما عبارة عن العذاب الذي كان توعدهم به النبي صلى الله عليه وآله إن لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه **قوله تعالى** قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ثلاث آيات **الإعراب** قال الأخفش الذين خسروا أنفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق على الذين خسروا أنفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة ليتوبوا **المعنى** ثم خاطب سبحانه تعالى نبيه صلعم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا في الأرض أي سافروا فيها ثم انظروا والنظر طلب الإدراك بالبصر والفكر والاستدلال ومعناه هنا فانظروا بأبصاركم وتفكروا بقلوبكم كيف كان عاقبة المكذبين المستهزئين وإنما أمرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقية وأخبارهم في الخسف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هؤلاء في الأرض وسمعوا أخبارهم وعاينوا آثارهم دعاهم ذلك إلى الإيمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لمن ما في السماوات والأرض لله الذي خلقهما أم للأصنام فإن أجابوك فقالوا لله وإلا فقل أنت لله أي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له كتب على نفسه الرحمة أي أوجب على نفسه الإنعام على خلقه وقيل معناه أوجب على نفسه الثواب لمن أطاعه وقيل أوجب على نفسه الرحمة بإنظاره عباده وإمهاله إياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا من معاصيهم وقيل أوجب على نفسه

الرحمة لامة محمد صلى الله عليه وآله بان لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الامم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيمة عن الكلبي ليجمعنكم الى يوم القيمة اى ليؤخرن جمعكم الى يوم القيمة فيكون تفسير الرحمة على ما ذكرنا ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور يقول ليجمعنكم الى يوم القيمة الذى انكرتموه كما يقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اى ضممت بينهم في الجمع يريد يجمع آخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة وهو الذى لا ريب فيه وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذى يجحدونه و يكفرون به عن الاخفش ويسال عن هذا فيقال كيف يعذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا فانه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفي الريب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فان الدلايل تزيل الشك والريب فان نعم الدنيا يعم المحسن والمسيء فلا بد من دار يتميز فيها المحسن من المسيء وايضا فقد صح ان التكليف تعريض للثواب واذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لان من شانه ان يكون صافيا من الشوايب فلا يكون مقترنا بالتكليف لان التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فان التمكين من الظلم من غير انتصاف في العاجل وازال الامراض من غير استحقاق ولا ايفاء عوض في العاجل يوجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى يوفي فيها الاعواض وينتصف للمظلوم من الظالم الذين خسروا انفسهم اى اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد فهم لا يؤمنون اى لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقيبه بذكر ما فيهما فقال وله ما سكن اى له كل متمكن ساكن في الليل والنهار خلقا و ملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لان الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكانه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الآية ما هو خلاف الحركة بل المراد الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اى يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر ولان عاقبة التحرك السكون ولان النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الآخر لان المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد الحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر الحركة والسكون من بين ساير المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لان كل جسم لا ينفك عن الحوادث التي هي الحركة والسكون فاذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفاته فقال وهو السميع العليم والسميع هو الذى على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به ولذلك يوصف به سبحانه فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتملا عليه لانه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الاشياء هذا الليل القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركي ... وان خلت ان المنتاى عنك واسع

فجعل الليل مدركا له اذا كان مشتملا عليه **قوله تعالى** قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون

ومنا

اللفظ

اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم آيتان **القراءة** روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعم بفتح الياء ومعناه ولا ياكل **اللغة** الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدات حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اى انشقت قال الزجاج فان قال قايل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق وقيل انهما يرجعان الى شيء واحد لان معنى فطرهما خلقهما خلقا قاطعا **الاعراب** غير نصب لانه مفعول اتخذ ووليا مفعول ثان وقوله اني اخاف ان عصيت ربي فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا موضع له من الاعراب و الآخر انه في موضع نصب على الحال فكانه قيل اني اخاف عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين جميعا **النزول** قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يحملك على ذلك الا الفقر فانا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية **المعنى** قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم اغير الله اتخذ وليا اى مالكا ومولى وولي الشيء مالكه الذى هو اولى به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا انه اخرجه على لفظ الاستفهام لانه ابلغ من ساير الفاظ النفي فاطر السموات والارض اى خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق ولا يرزق و المراد يرزق الخلق ولا يرزقه احد وقيل انما ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه عن الله اول نفي شبهه بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا يجوز الا على الاجسام واحتج بهذا على الكفار لان من خلق السموات والارض وانشا ما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم انه الذى ليس كمثله شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره قل يا محمد اني امرت اى امرني ربي ان اكون اول من اسلم اى من استسلم لامر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العبادة من اهل هذا الزمان عن الكلبي وقيل اول من اسلم من امتي وآمن بعد الفترة عن الحسن وانما كان اول لانه خص بالوحي وقيل معناه ان اكون اول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين اى بانك لا ترى ممن سالك ان تريه نفسك وقول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بان هذا ليس بسحر وانه الحق اى اول المؤمنين من السحرة ولا تكونن من المشركين المعنى امرت بالامرين جميعا اى امرت بالايمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله فالمعنى قل يا محمد اني اخاف قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف ان عصيت ربي اى تركت امره وتركت نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا عذاب يوم عظيم يعني يوم القيمة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم **قوله تعالى** من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين آية **القراءة** قرا حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء وقرا الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء **الحجة** قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العايد الى الله تعالى والعذاب زايد الى ربي وينبغي ان يكون

حذف الضمير العايد الى العذاب والمعنى من يصرف عنه وكذلك هو في قراءة ابي في ما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لان من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير انما يحذف من
الصلة اذا عاد الى الموصول نحو اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اى بعثه واصطفاهم
ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء فانما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم و
ليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لان هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الاول منهما الى المفعول
فعلم بتعديته الاول ان الثاني بمنزلته واما قراءة من قرأ يُصرَف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب
المتقدم ذكره والذكر العايد الى المبتدأ الذي هو في القراءتين جميعا الضمير الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرأ
يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الاسناد الى هذا
الضمير ومما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في انه لا يتسلط
على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في انه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من
الصلة **المعنى** من يصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه الله يريد من غفر له فانه يثيبه الله لا محالة وذكر
تعالى الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط وذلك الفوز اى الظفر بالبغية
المبين الظاهر البين ويحتمل ان يكون معنى الآية انه لا يصرف العذاب عن احد الا برحمة الله كما روي ان النبي صلى
الله عليه وآله قال والذي نفسي بيده ما من الناس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله صلى الله عليه وآله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره
قوله تعالى وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آيتان **المعنى** ثم بين تعالى انه لا يملك النفع والضر الا هو فقال
وان يمسسك الله بضر اى ان يصبك بفقر او مرض ومكروه فلا كاشف له الا هو اى لا مزيل له ولا مفرج له عنه الا هو ولا
يملك كشفه سواه مما يعبده المشركون وان يمسسك بخير اى وان يصبك بغنى او سعة في الرزق او صحة في
البدن او شيء من محاب الدنيا فهو على كل شيء من الخير والضر قدير ولا يقدر احد على دفع ما يريده بعباده من
مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسسك الله قلنا الباء للتعدية والمراد
ان امسك الله ضرا اى جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر اسم جامع
لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به وهو القاهر ومعناه القادر على ان يقهر غيره فوق
عباده معنى فوق هنا انه قهرهم واستعلى عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه
احد ومثله قوله تعالى يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم وهو الحكيم الخبير معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا
ما يقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله انه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشيء تقول لي به خبر
اى علم واصله من الخبر لانه طريق من طرق العلم فاذا كان القاهر على ما ذكرنا بمعنى القادر صح وصفه تعالى فيما لم يزل
بانه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه
فيما لم يزل به **قوله تعالى** قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ

قرئ

هذا القرآن

والضر

هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ آيتان **الاعراب** شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالانذار والعايد الى الموصول
محذوف وائنكم كتب بالياء لان الهمزة التي بعدها همزة تخفيف بان تجعل بين بين فاذا كانت مكسورة جعل بين الهمزة
والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم رفع يكون نعتا
للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره **النزول**
قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما
تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فارنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل
الله تعالى **المعنى** قل يا محمد لهؤلاء الكفار اى شيء اكبر اى اعظم شهادة واصدق حتى آتيكم به وادلكم بذلك
على اني صادق وقيل معناه اى شيء اكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل معناه اى
شيء اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فان قالوا الله والا فقل لهم الله شهيد بيني وبينكم يشهد لي بالرسالة
والنبوة وقيل يشهد لي بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياي واوحي الي هذا القرآن اى انزل الي حجة وشهادة على صدقي
لانذركم به اى لاخوفكم به من عذاب الله تعالى ومن بلغ اى ولاخوف به من بلغه القرآن الى يوم القيامة وروى
الحسن في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وآله قال من بلغه اني ادعو الى ان لا اله الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة
وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا وسمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن
فهو داع ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام من بلغ معناه من بلغ ان يكون
اماما من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما انذر به رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ
في موضع رفع عطفا على الضمير في انذر وفي الآية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا لان قوله قل اى شيء اكبر
شهادة جار جوابه قل الله ومعنى الشيء انه ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله تعالى شيء لا كالاشياء بمعنى انه معلوم
لا كالمعلومات التي هي الجواهر والاعراض والاشتراك في الاسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على انه صلى الله عليه وآله
خاتم الانبياء ومبعوث الى الناس كافة ثم قال تعالى موبخا لهم قل يا محمد لهم ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة
اخرى هذا استفهام معناه الجحد والانكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله آلهة اخرى بعد وضوح الادلة
وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى ولم يقل آخر لان الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله ولله الاسماء
الحسنى وقوله فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله قل انت يا محمد لا اشهد بمثل ذلك
وان شهدتم باثبات الشريك لله تعالى بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي
ثم قال قل يا محمد لمن شهد ان معه آلهة اخرى انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون به وعبادته من
الاوثان وغيرها ولهذا قال اهل العلم يستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين
سوى الاسلام ثم ذكر تعالى ان الكفار بين جاهل ومعاند فقال الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وهذا مفسر في سورة البقرة الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون مفسر في هذه السورة فاحلته

الناس كافة

على انه صفة للذين الاولى فالمعنى به اهل الكتاب وان حملته على الابتداء فانه يتناول جميع الكفار وقال ابو حمزة الثمالي لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه صلى الله عليه وآله ان اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله اذا رأيناه فيكم عرفناه كما يعرف احدنا ابنه اذا رآه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لانا بمحمد صلى الله عليه وآله اشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فاشهد انه هو فاما ابني فاني لا ادري ما احدثت امه فقال قد وفقت وصدقت واصبت **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون آيتان **القراءة** ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبا وقرأ في ساير القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي ساير القرآن بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي ساير القرآن بالنون وقرأ الباقون بالنون في جميع القرآن **الحجة** من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذبا ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون **الاعراب** ويوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل انه معطوف على محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون ابدا ويوم نحشرهم والعائد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحال السؤال عليه **المعنى** ثم بين تعالى ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالاشراك فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان اشرك به الالهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد اي لا احد اظلم منه لان جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب باياته اي بالقرآن وبمحمد صلعم ومعجزاته انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله المكذب باياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوته ويوم نحشرهم جميعا يعني بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لانه تعالى يحشرهم يوم القيمة من قبورهم الى موضع الحساب ثم يقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين اشركوا كنتم تزعمون اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا رأوا تجاوز الله عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سألتم فقولوا انا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم اين شركاؤكم ليعلموا ان الله تعالى يعرف انهم اشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون ان الهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيمة اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه عن اكثر المفسرين وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها لانفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس كل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الاية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلائق **قوله تعالى** ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون آيتان **القراءة** قرأ اهل المدينة وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء ايضا فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف

معناه ومن الكفر ممن اختلق على الله كذبا ح

كالكافر

السوآل ر

والله ربنا

١٣٨

والله ربنا بالنصب وقرأ الباقون ربنا بالجر **الحجة** من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فانه انث ان قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث الامثال لما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد

تمضي فتقدمها وكانت عادة ... منه اذا هي عردت اقدامها

فانث الاقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز ان يكون تاويل الا ان قالوا الا مقالتهم ومن قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالرفع اثبت علامة التانيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله ان قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرأ لم يكن بالياء فتنتهم نصبا فعلى ان قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى ان يكون فتنتهم نصبا وان قالوا الاسم لان ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان تكون الاسم اولى واما من قرأ والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب القسم ومن قرأ ربنا بالنصب فصل الاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر

ذاك الذي وابيك يعرف مالك ... والحق يدفع ترهات الباطل

ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر ربنا **اللغة** قال الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان ماخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا اذبتهما بالنار واحرقتهما وقد فتن الرجل المرأة وافتتن وقد فتنته المرأة وافتتنته قال الشاعر

لئن فتنتني لهي بالامس افتنت ... عقيلا فامسى قد قلى كل مسلم

الاعراب العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله **المعنى** ثم بين تعالى جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال ثم لم تكن فتنتهم اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه احدها ان معناه ثم لم يكن جوابهم لانهم حين سألوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار الا هذا القول وثانيها ان المراد لم تكن معذرتهم الا ان قالوا عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وهذا راجع الى معنى الجواب ايضا وثالثها ما قاله الزجاج ان تاويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله تعالى ذكر في هذه الاية اقاصيص التي جرت من امر المشركين وانهم مفتونون بشركهم ثم اعلم انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرؤا منه وانتفوا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرأ منه فيقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان انتفيت منه فالفتنة ههنا بمعنى الشرك والافتتان بالاوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطا عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التاويل يرجع الى حذف المضاف لان المعنى لم تكن عاقبة فتنتهم الا البراءة منها بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويسأل فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والآخرة ليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها الى ترك القبيح لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبهة والشكوك ولمعرفتهم بالله تعالى ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون

جاءا ر

على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون قولهم وحلفهم يقعان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم انما يحلفون على ذلك لزوال
عقولهم لما يلحقهم من الدهشة من اهوال يوم القيمة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز ان ينسوا شركهم
في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاهوال انظر المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر يا محمد كيف
كذبوا على انفسهم هذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه انظر الى اخبارى
عن افتراهم كيف هو فانه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله تعالى في قولهم وان كانوا صادقين عند
انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين
كذبا في الحقيقة جاز ان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا الا انهم كذبوا
في الآخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي وضل عنهم ما كانوا يفترون اى
ضل عنهم او تاههم الذي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غدا فذهبت عنهم في
الآخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل انه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى انها تضل عن عابديها يوم القيمة
ولا تغني عنهم شيئا واختلف اهل العدل في ان اهل الآخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالاصح انه لا يجوز على ما
قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيمة فاذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فح
لا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابو بكر بن الاخشيد واصحابه وقال
بعضهم انه يجوز وقوعه منهم على جميع الاحوال **قوله تعالى** ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة
ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان
هذا الا اساطير الاولين آية **اللغة** الاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره مثل عنان واعنة
قال الليث كل شيء وقى شيئا فهو كنانه وكنه والفعل منه كننت واكننت والكنة امراة الاب او الاخ لانها في كنه
واستكن الرجل من الحر واكتن استتر والوقر الثقل في الاذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت اذنه توقر
وقرا وقال الكسائي وقرت اذنه فهي موقورة قال الشاعر وكلام سيئ قد وقرت اذني منه وما بي من صمم واساطير
واحدتها اسطورة واسطارة ماخوذة من سطر الكتاب وسطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطار ومن قال
سطر جمعه في القليل اسطر وفي الكثير سطور قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصرا نصرا وجمع
اسطار اساطير قال الزجاج وتاويل السطر في اللغة ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا قال الاخفش اساطير جمع لا واحد له
نحو ابابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الابابيل ابيل بالتشديد وكسر الالف والجدال الخصومة سمي بذلك لشدته وقيل
انه مشتق من الجدالة وهي الارض لان احدهما يلقي صاحبه على الارض **الاعراب** ان يفقهوه موضعه نصب
على انه مفعول له المعنى لكراهة ان يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان قاله الزجاج
يريد انه حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويجادلونك في موضع نصب على الحال **النزول**
قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحرث وابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وغيرهم
جلسوا الى رسول الله صلى الله عليه واله وهو يقرا القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن
القرون الماضية فانزل الله هذه الآية **المعنى** ثم وصف الله تعالى حالهم عند استماع القرآن فقال ومنهم اى من الكفار الذين

تقدم ذكرهم

تقدم ذكرهم من يستمع اليك يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا وقد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي ابو عاصم العامري
اصح الاقوال فيه ما روي ان النبي صلى الله عليه واله كان يصلي بالليل ويقرا القرآن في الصلوة جهرا رجاء ان يستمع
الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به وكان المشركون اذا سمعوه اذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان
الله تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم اكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وينقطع به المعذرة
وبعد ما علم الله تعالى انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم
وبوقر اذانهم لان ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى واذا قرات القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وهو قول ابي علي الجبائي ويحتمل فذلك وجها آخر وهو انه تعالى عاقب
هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم يكون موانع من ان يفقهوا ما يسمعونه ويحتمل
ايضا ان يكون سمى الكفر الذي في قلوبهم كنا تشبيها ومجازا واعراضهم عن تفهم القرآن وقرا توسعا لان مع الكفر
والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن والوقر ونسب ذلك الى نفسه لانه الذي شبه احدهما
بالآخر كما يقول احدنا لغيره اذا اثنى على انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا وبالضد اذا ذكر مقابحه وفسقه
يقول جعلته فاسقا وكما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وكل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والابانة عن حاله كما قال
الشاعر جعلتني باخلا كلا ورب منى اني لاسمح كفا منك في الكرب ومعناه سميتني باخلا وان يروا
كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجري معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى
معنى لان من لا يمكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بانهم كذبوا باياته وغفلوا
عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذي يزيل الاشكال انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه اياتنا
ولى مستكبرا كان لم يسمعها الآية ولو كان في اذنيه وقر مانع عن السماع من قبل الله تعالى لكان لا معنى لقوله كان في
اذنيه وقرا ولكان لا يستحق المذمة لانه لو يعط آلة السمع فكيف يذم على ترك السمع حتى اذا جاؤك يجادلونك
عليك قولك يجادلونك يعني انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مخاصمين مجادلين رادين عليك قولك
ولم يجيئوا مجي من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه صلى الله عليه واله يقول
الذين كفروا ان هذا اى ما هذا القرآن الا اساطير الاولين اى احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها عن
الضحاك وقيل معنى الاساطير الترهات والبسابس مثل حديث رستم واسفنديار مما لا فائدة فيه ولا طائل
تحته وقال بعضهم ان جدالهم هذا القول منهم وقيل هو مثل قولهم اتاكلون ما تقتلون بايديكم ولا تاكلون ما
قتل الله **قوله تعالى** وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون آية **اللغة**
النأي البعد يقال نايت عنه انأى نأيا ومنه اخذ النؤى وهو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء **المعنى**
ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وهم ينهون عنه وينأون عنه اى ينهون الناس عن اتباع النبي صلعم ويتباعدون
عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع في
قلوبهم صحته ويتباعدون عن استماعه عن قتادة ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عني به ابا طالب بن عبد المطلب

ومعناه ينهون الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وآله ولا يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لان هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تاخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار المعاندين للنبي صلى الله عليه وآله هذا وقد ثبت اجماع اهل البيت عليهم السلام على ايمان ابي طالب واجماعهم حجة لانهم احد الثقلين اللذين امر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما بقوله ان تمسكتم بهما لن تضلوا ويدل على ذلك ايضا ما رواه ابن عمر ان ابا بكر جاء بابيه ابي قحافة يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلم فقال صلى الله عليه وآله الا تركت الشيخ فاتاه وكان اعمى فقال ابو بكر اردت ان ياجره الله والذي بعثك بالحق لانا كنت باسلام ابي طالب اشد فرحا مني باسلام ابي التمس بذلك قرة عينك فقال صلى الله عليه وآله صدقت وروى الطبري باسناده ان رؤساء قريش لما راوا ذب ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله اجتمعوا اليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالا وجودا وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه اليك وتدفع الينا ابن اخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله فقال ابو طالب ما انصفتموني تعطونني ابنكم فاغذوه واعطيكم ابني تقتلونه فليات كل امرئ منكم بولده فاقتله وقال

منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروق اذود واحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق

واقواله واشعاره المنبئة عن اسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله

الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في اول الكتب

اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالحرب

وقوله من قصيدة

وقالوا لاحمد انت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب

الا ان احمد قد جاءهم بحق ولم ياتهم بالكذب

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي صلى الله عليه وآله

وقد كان في امر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غايب القوم يعجب

محى الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب

وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب

وقوله في قصيدة يحض اخاه حمزة على اتباع النبي صلى الله عليه وآله والصبر في طاعته

فصبرا ابا يعلى على دين احمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا

فقد سرني اذ قلت انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا

وقوله من قصيدة

اقيم على نصر النبي محمد اقاتل عنه بالقنا والقبايل

وقوله يحض النجاشي على نصر النبي

تعلم مليك الحبش ان محمدا وزير لموسى والمسيح بن مريم

اتى بهدى مثل الذي اتيا به وكل بامر الله يهدي ويعصم

وانكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم

فلا تجعلوا لله ندا واسلموا وان طريق الحق ليس بمظلم

وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة

اوصي بنصر النبي الخير مشهده عليا ابني وشيخ القوم عباسا

وحمزة الاسد الحامي حقيقته وجعفرا ان يذودوا دونه الناسا

كونوا فدا لكم امي وما ولدت في نصر احمد دون الناس اتراسا

في امثال هذه الابيات مما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان ابا طالب لم يناعن النبي قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اي وما يعلمون اهلاكهم اياها بذلك

قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون آيتان

القراءة قرأ ولا نكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ الباقون بالرفع فيهما

الحجة قال ابو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلا في التمني حول نرد فيه ويكون هذا تمني الرد وان لا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجها آخر وهو ان نقطعه من الاول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب ونكون

لا نكذب ونكون وقال سيبويه وهو على قولك فانا لا نكذب كما يقول القايل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا يعود فانما يسالك الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ولم يرد ان يسالك ان يجمع له الترك لا يعود ومن نصب فقال ولا نكذب ونكون ادخل ذلك في التمني لان التمني غير موجب وهو كالاستفهام والامر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء او الواو وعلى تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول كانه في التقدير يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا نكذب ونصب ونكون فان الفعل الذي هو لا نكذب احتمل وجهين احدهما ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب والآخر ان يخبر على البتات ان لا نكذب رد او لم يرد ومن نصبهما جميعا جعلهما داخلين في التمني

اللغة يقال وقفت الدابة وقفا ووقف غيره يقفه وقفا وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بدا له الراي بعد الراي وبدا لي في هذا الامر بدا والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال

الاعراب ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرايت امرا هائلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الامر وتفخيمه ومثله قول امرئ القيس

وجدك لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وتقديره لو اتانا رسول غيرك لما اجبنا وسيان فيقال لو جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هي للماضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به بمنزلة ما وقع

المعنى ثم بين تعالى ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتمني الرجعة فقال ولو ترى يا محمد او ايها السامع اذ وقفوا على النار وهذا يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون المعنى عاينوا النار وجايز ان يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والاجود ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته هذا وان كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لان كل ما هو كاين يوما ما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان واستشهد في مثله

ستندم اذ ياتي عليك رعيلنا باروع جرار كثير صواهله

فوضع اذ موضع اذا وقد توضع اذا موضع اذ ايضا كما في قول الشاعر

وندمان يزيد الكاس طيبا سقيت اذا تغورت النجوم

فقالوا اي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا اي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده ونكون من المؤمنين يعني من جملة المؤمنين بآيات الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم وثانيها ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم عن ابي روق وثالثها ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لان المتصل بهذا قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا الآية عن الزجاج وهو قول الحسن ورابعها ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال يعني ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت استارهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اي لو ردوا الى الدنيا والى حال التكليف كما طلبوا لعادوا

الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون وسئل على هذا فقيل ان التمني كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الامر الذي تمنوه وقال ان معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير كذب الحقيقي بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لا يدرك وقال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها ... بني شاب قرناها تصر وتحلب

وقال الآخر

كذبتم وبيت الله لا تاخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

والمراد ما ذكرناه من الخيبة في الامل والتمني فان قال كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه احدها انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله تعالى معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي وثانيها ان التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون وهذا قد يقع التمني على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله ويقضي وقته وثالثها انه لا مانع من ان يقع منهم التمني للرد ولان لا يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا او علق تكذيبهم بالخبر دون التمني وهذا انما يتاتى في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فكيف يكونون قد اخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلاء استدل لقراءته بالرفع في الجميع بان قوله انهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولم يتمنوه لان التمني لا يقع فيه الكذب **قوله تعالى** وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون آيتان **المعنى** ثم اخبر الله تعالى عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال وقالوا ان هي اي ما هي الا حياتنا الدنيا عنوا بذلك انه لا حيوة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا وما نحن بمبعوثين اي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب تعالى نبيه صلى الله عليه وآله فقال ولو ترى يا محمد اذ وقفوا على ربهم ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلامه اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعل بالكفار والثواب الذي يفعل بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يامر به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والافصاح بالمعنى والتنبيه على عظم الامر قال اي يقول الله لهم وجاء على لفظ الماضي لانه لتحققه كانه واقع وقيل معناه يقول الملائكة لهم بامر الله تعالى اليس هذا بالحق كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اي فيقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له بلى هو حق وربنا قسم ذكروه واكدوا اعترافهم

وقوفا

ثم قال استئنافا

ثم قال استئنافا او الملك بامره فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق في شدة الاحساس من غير ان يصيروا الى حال من يشتم بالطعام في نقصان الادراك **قوله تعالى** قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون آيتان **القراءة** قرا ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الاضافة والباقون بلامين ورفع الآخرة وقرا اهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف ويوسف ويس ووافقهم حفص الا في يس وحماد ويحيى عن ابي بكر في يوسف وقرا الباقون جميع ذلك بالياء **الحجة** من قرا وللدار الآخرة فان الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن اضاف دار الى الآخرة فانه لم يجعل الآخرة صفة للدار فان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكانه قال ولدار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لان الآخرة قد صارت كالابطح والابرق الا ترى انه قد جاء وللآخرة خير لك من الاولى واستعملت استعمال الاسماء ولم تكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال

فانها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله

في سعي دنيا طال ما قد مدت

واما وجه القراءة بالياء في افلا يعقلون فهو انه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء انه يصلح ان يكون خطابا متوجها اليهم ويصلح ان يراد الغيب والمخاطبون فغلب الخطاب **اللغة** كل شيء اتى فجاة فقد بغت فيقال بغته الامر يبغته بغتة قال الشاعر

ولكنهم باتوا ولم ادر بغتة ... وافظع شيء حين يفجاك البغت

والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقديم فالافراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كانه يعتصم الملك به ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا ويزرون يحملون من وزر يزر وزرا اذا اثم وقيل وزر فهو موزور وزرا اذا فعل ذلك به ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة فقيل لهن ارجعن موزورات غير ماجورات والعامة تقول مازورات والعقل والنهى والحجى متقاربة المعنى فالعقل الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبراء يقال لها معقلة قال وتراها انما سميت معقلة لانها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهى لا يخلو اما ان يكون مصدرا كالهدى او جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهي والنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الارض والحجى اصله من الحجو وهو احتباس وتمكث قال

فهن يعكفن به اذا حجى

وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الازهري قال ابو علي فكان الحجى

يعتصم

مصدر كالشبع ومن هذا الباب المحيا اللغز لتمكث الذى يلتوى عليه حتى يستخرجه **الاعراب**

يقال ما معنى الغاية فى قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان معناها منتهى تكذيبهم

الحسرة يوم القيمة والعامل فيها كذبوا اى كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة

ويقال ما معنى الحسرة وهى مما لا يعقل والجواب ان العرب اذا اجتهدت فى المبالغة فى الاخبار عن امر عظيم

تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتا على ما

فرطت فى جنب الله ويا ويلتا أألد وهذا ابلغ من ان يقول انا حسرة على التفريط قال الزجاج وقال سيبويه

انك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت احضر وتعال يا عجب فانه من ازمانك وتاويل يا حسرتا انتهوا على انا

قد حسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شانها وقيل انه بمنزلة الاستغاثة

فكانه قيل يا حسرتنا تعالى هذا وانك كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بئس الشئ شيئا يزرون (تعالى)

وقد ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى **المعنى** ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار فقال قد خسر الذين كذبوا

بلقاء الله يعنى بلقاء ما وعد الله تعالى به من الثواب والعقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس

والحسن وقيل المراد بلقاء الله جزاء الله كما يقال للميت لقى فلان عمله اى لقى جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونه بما

اخلفوا الله ما وعدوه حتى اذا جاءتهم الساعة اى القيمة بغتة اى فجاة من غير ان علموا وقتها قالوا

عند معاينة ذلك اليوم وما هو الا وتباين احوال اهل الثواب والعقاب يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اى على

ما تركنا فيها وضيعنا فى الدنيا من تقديم امر الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن ومعناه (اعمالهم)

على ما فرطنا فى العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء يعود الى الجنة اى طلبها والعمل لها عن السدى و

يدل عليه ما رواه الاعمش عن ابى صالح عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله فى هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم

من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء تعود الى الصفقة لانه لما ذكر الخسران دل على الصفقة

ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى ما فى قوله ما فرطنا اى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التى فرطنا فيها

فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذى وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على

تفريطنا وهم يحملون اوزارهم اى اثقال ذنوبهم على ظهورهم وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال

قتادة والسدى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شئ صورة واطيبه ريحا ويقول انا عملك الصالح

طال ما ركبتك فى الدنيا فاركبنى انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا وان الكافر

اذا خرج من قبره استقبله اقبح شئ صورة واخبثه ريحا ويقول انا عملك السيئ وطال ما ركبتنى فى الدنيا

فانا اليوم اركبك وذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج وهذا مثل جائز ان يكون

جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يحمل لان الثقل كما يستعمل فى الوزن يستعمل فى الحال ايضا كما تقول ثقل على

خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت على فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم (مقاساة)

مقاساة ثقيل عليهم ولا يزايلهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين على عليه السلام فى قوله تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم

اخركم الا ساء ما يزرون اى بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم

السيئة اذا كان ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هى الا حيوتنا الدنيا وبين تعالى ان ما يتمتع به فى الدنيا

يزول ويبيد فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى باطل وغرور اذا لم يجعل ذلك طريقا الى الآخرة وانما (ويبيد)

عنى بالحيوة الدنيا اعمال الدنيا لان نفس الدنيا لا توصف باللعب وما فيه رضى الله من عمل الآخرة لا يوصف

ايضا لان اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور فى المعاصى وقيل المراد

باللعب واللهو ان الحيوة تنقضى وتفنى ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قريب كاللهو واللعب وللدار الآخرة

وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصى الله لانها دائمة باقية لا يزول عنهم نعيمها

ولا يذهب عنهم سرورها افلا تعقلون ان ذلك كما وصفناهم فيزهدوا فى شهوات الدنيا ويرغبوا فى نعيم الآخرة

ويعملوا ما يؤديهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفى هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا وتقريع

للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها ولم يعملوا لغيرها **قوله تعالى** قد نعلم انه ليحزنك الذين يقولون

فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على

ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين آيات ن

القراءة قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاء والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاء وقرأ نافع

والكسائى والاعشى عن ابى بكر لا يكذبونك خفيفة وهو قراءة على عليه السلام والمروى عن جعفر الصادق عليه السلام

والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد **الحجة** قال ابو على قال سيبويه احزن الرجل

وحزنته وزعم الخليل انك حيث تقول حزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت ادخلته

اردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته

جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته هنا تعدى قوله حزن ولو اردت ذلك لقلت احزنته ويحتج نافع انه (حزنه)

اراد ان يعدى فنقله بالهمزة والاستعمال فى حزنته اكثر منه فى احزنته فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة

القراء واما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته

الى الزنا والفسق وقد جاء فى هذا المعنى افعلته قالوا اسقيته اى قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمنى احجاره وملاعبه فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا

ويجوز ان يكون لا يكذبونك اى لا يصادفونك كاذبا تقول احمدته اذا اصبته محمودا ويدل على الاول قول

الكميت فطائفة قد اكفرتنى بحبكم وطائفة قالت مسئ ومذنب اى نسبتنى الى الكفر قال احمد بن يحيى

كان الكسائى يحكى عن العرب اكذبت الرجل اذا اخبرت انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه كذاب

المعنى ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله على تكذيبهم اياه بعد ما قامت الحجة عليهم فقال قد نعلم يا محمد انه

ليحزنك الذين يقولون اى ما يقولون انك شاعر او مجنون واشباه ذلك فانهم لا يكذبونك دخلت الفاء فى

انهم لان الكلام الاول يقتضيه كانه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف فى معناه

على وجوه احدها ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب عنادا وهو

قول اكثر المفسرين ابى صالح وقتادة والسدى وغيرهم قالوا يريد انهم يعلمون انك رسول الله ولكن يجحدون

بعد المعرفة ويشهد بهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقي أبا جهل فصافحه
أبو جهل فقيل له في ذلك فقال والله إني لأعلم أنه صادق ولكنا متى كنا تبعاً لعبد مناف فأنزل الله تعالى الآية وقال
السدي التقى أخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد صادق هو أم كاذب فإنه
ليس ههنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب
بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وثانيها أن المعنى لا يكذبونك بحجة
ولا يتمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي عليه السلم أنه كان يقرأ لا يكذبونك ويقول إن المراد
بها أنهم لا يأتون بحق هو أحق من حقك وثالثها أن المراد لا يصادفونك كاذباً كما تقول العرب قاتلناكم فما أجبناكم
أي ما أصبناكم جبناء وقال الأعشى أثوى وقصر ليله ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا أراد صادف
ما خلفا للوعد وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس أفتق ثم زالا أي وجد فتقا
من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفعلت وفعلت يجوزان في ذلك هذا
الموضع وأفعلت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت إلا أن التخفيف
أشبه بهذا الوجه ورابعها أن المراد لا ينسبونك إلى الكذب فيما أتيت به لأنك كنت عندهم صادقاً أميناً
وإنما يدفعون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوي هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون وقوله وكذب به قومك ولم يقل وكذبك قومك وما روي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وآله ما نتهمك و
لا نكذبك ولكنا نتهم الذي جئت به ونكذبه وخامسها أن المراد أنهم لا يكذبونك بل يكذبونني فإن تكذيبك
راجع إلي ولست مختصاً به لأنك رسولي فمن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسلية منه
تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ولكن الظالمين بآيات الله أي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفهاً وجهلاً وعناداً
ودخلت الباء في بآيات الله والجحد يتعدى بغير الجار لأن معناه هنا التكذيب أي يكذبون بآيات الله
وقال أبو علي الباء تتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد آيات الله وإنكار آيات الله يجحدون ما عرفوه
من صدقك وأمانتك ومثله قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها أي ظلموا بردها أو الكفر بها ثم زاد تعالى
في تسلية نبيه صلى الله عليه وآله بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا أي صبروا على ما نالهم منهم
من التكذيب والأذى في أداء الرسالة حتى جاءهم نصرنا إياهم على المكذبين وهذا أمر منه تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله
بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيهم النصر كما صبرت الأنبياء ولا مبدل لكلمات الله معناه لا يقدر أحد على تكذيب
خبر الله على الحقيقة ولا على إخلاف وعده وإنما أخبر الله تعالى به أن يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك
به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في أخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات
الله تعالى الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقوله إنهم لهم المنصورون
ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الأخفش من ههنا صلة
كما يقول أصابنا من مطر أي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لأن من لا تزاد في الواجب وإنما تزاد في النفي وهي
ههنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ فيكون المعنى أنه جاءه

صلى الله عليه وآله

صلى الله عليه وآله بعض أخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك **قوله تعالى**
وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه
يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم
لا يعلمون ثلث آيات **اللغة** النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وأصله الخروج ومنه
المنافق لخروجه من الإيمان إلى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو مأخوذ من السلامة
قال الزجاج لأنه الذي يسلمك إلى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة خبر أي
تجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب أن يستجيب فيه قبول لما دعي إليه وليس كذلك يجيب لأنه يجوز
أن يجيب بالمخالفة كما أن السائل يقول أتوافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن علي بن عيسى
وقيل إن أجاب واستجاب بمعنى **الإعراب** جواب إن محذوف وتقديره إن استطعت
ذلك فافعل قال الفراء وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب ألا ترى أنك تقول للرجل إن استطعت
أن تتصدق إن رأيت أن تقوم معنا فيترك الجواب للمعرفة فإذا قلت إن تقم تصب خيراً فلا بد من الجواب لأن
معناه لا يعرف إذا طرح الجواب **المعنى** ثم بين تعالى أن هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطباً لنبيه
صلى الله عليه وآله وإن كان كبر أي عظم واشتد عليك إعراضهم وانصرافهم عن الإيمان بك وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك
وتصديقك فإن استطعت أي قدرت وتهيأ لك أن تبتغي أي تطلب وتتخذ نفقاً في الأرض أي سرباً أو مسلكاً في
جوف الأرض أو سلماً أو مصعداً في السماء ودرجاً فتأتيهم بآية أي بحجة تلجئهم إلى الإيمان وتجمعهم على ترك
الكفر فافعل ذلك وقيل فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس ويريد لا آية أفضل وأظهر من ذلك
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بالإلجاء وإنما أخبر عز اسمه عن كمال قدرته وأنه لو شاء لألجأهم إلى الإيمان
ولم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية أنه
تعالى لا يشاء منهم أن يؤمنوا مختارين أو لا يشاء أن يفعل ما يؤمنوا عنده مختارين وإنما نفى المشية لما
يلجئهم إلى الإيمان ليتبين أن الكفار لن يغلبوا بكفرهم فإنه لو أراد أن يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه
يريد أن يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف فلا تكونن من الجاهلين قيل
معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل إن
هذا نفي للجهل عنه أي لا تكن جاهلاً بعد أن أتاك العلم بأحوالهم وأنهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا
تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الإيمان وغلظ الخطاب تبعيداً وزجراً عن هذه الحال ثم بين تعالى الوجه
الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الإيمان فقال إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى ومعناه إنما يستجيب
إلى الإيمان بالله وما أنزل إليك من يسمع كلامك ويصغي إليك وإلى ما تقرأه عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فإن
من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
وقال الشاعر أصم عما ساءه سميع والموتى يبعثهم الله يريد أن الذين لا يصغون إليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما

الذين هم

تقرأ عليهم وتبينه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما يأست ان يسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك
فايئس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب المؤمن السامع للحق فاما الكافر فهو بمنزلة الميت لا يجيب
الا ان يبعثه الله يوم القيمة فيلجئه الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فاما من كان قلبه
ميتا فلا ثم وصف الموتى بانه يبعثهم ويحكم فيهم ثم اليه اى الى حكمه يرجعون وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم
يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد تعالى الى حكاية اقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم وقالوا لولا نزل عليه
آية من ربه هذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا عن معارضته فيما اتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات
الاولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال تعالى في موضع آخر اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال ههنا
قل يا محمد ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية اى آية يجمعهم على الهدى عن الزجاج وقيل آية كما سألوها و
لكن اكثرهم لا يعلمون ان في ما انزلناه وجوب الاستيصال لهم اذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار
بهم على ما اوتوه من الآيات مقنعا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا انها
تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية ولو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين اياها فقال لهم قد بينا انهم
التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها لان المصلحة منعت من ايتائهم وقد انزل الايات الدالة على نبوته من
القرآن وانا هم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها او في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه
وصحة نبوته وقد بين في آية اخرى انه لو انزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وفي موضع آخر وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله يعني في قدرة الله
ينزل منها ما يشاء فسقط ما اعترضوا به **قوله تعالى** وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا باياتنا صم وبكم
في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اياه **اللغة** الدابة كل
ما يدب من الحيوان واصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو والدبوب والديبوب
النمام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع الديبوب النمام لانه يدب بالنميمة والقلاع الواشي
بالرجل ليقتلعه قال الازهري تصغير الدابة دويبة الياء مخففة وفيها اشمام الكسر وفي الحديث انكن
صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب اراد الادب فاظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دبب يدبب دببا
والجناح احد جانبي الطائر اللذين يتمكن بهما من الطيران في الهواء واصله الميل الى ناحية **الاعراب**
من مزيدة وتاويله وما دابة ويجوز في القرآن ولا طائر بالرفع عطفا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة
ايضا ويفيد التعميم اى ما فرطنا شيئا ما صم وبكم كلاهما خبر الذين كذبوا كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا
يمنع من ذلك فانه بمنزلة قولك صم بكم **المعنى** لما بين تعالى انه قادر على ان ينزل آية عقبه بذكر ما
يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال وما من دابة في الارض اى ما من حيوان يمشي على وجه الارض
ولا طائر يطير او يدب وانما سال عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم ان الطائر لا يطير الا بالجناح
والجواب ان هذا انما جاء للتوكيد ورفع اللبس لان القائل قد يقول طر في حاجتي اى اسرع فيها وقال الشاعر

من المصلحة وقيل معناه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فيما انزلنا من الايات م

احد ناحيتي الطير اللتين

بجناحيه جمع بين اللفظين في الحيوانات لانها لا تخلو اما ان يكون مما يطير بجناحيه م

قوم اذا الشر

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا واستشهد سيبويه وظرف منفصل في نعامة
دوام الايد يخبطن السريحا وقيل انما قال بجناحيه لان السمك يطير في الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك
عن الطائر لانه من دواب البحر وانما اراد تعالى ما في الارض وما في الجو الا امم اى اصناف مصنفة تعرف باسمائها
يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد امثالكم قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله تعالى اياها وخلقه لها و
دلالتها على ان لها صانعا وقيل انما مثلت الامم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم و
اكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون
ويحشرون وبين بهذا انه لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها فان الله تعالى خالقها والمنتصف لها ما فرطنا
في الكتاب من شيء اى ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على اقوال احدها انه يريد بالكتاب
القرآن لانه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه من امور الدين والدنيا اما مجملا او مفصلا والمجمل ما قد بينه على لسان نبيه
صلى الله عليه وآله وامرنا باتباعه في قوله وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما لي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة
والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم اتته وقالت يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما بين
الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وان مما اتانا الرسول صلى الله عليه وآله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول اكثر المفسرين وهذا
القول اختيار البلخي وثانيها ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله المشتمل على
ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وارزاقها وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى بالاحصاء
والاستقصاء عن الحسن وثالثها ان المراد بالكتاب الاجل اى ما تركنا شيئا الا وقد اوجبنا له اجلا ثم يحشرون
جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد ثم الى ربهم يحشرون معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة كما
يحشر العباد فيعوض الله ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها من بعض وفيما رووه عن ابي هريرة انه قال
يحشر الله الخلق يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء
ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذا
انتطحت عنزان فقال النبي صلى الله عليه وآله اتدرون فيما انتطحتا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وعلى
هذا فانما جعلت امثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يبعثون ويؤيده قوله
واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا يملك النفع والضر الا الله تعالى اذ لم يمكن منه كما مكن في الدنيا واستدلت
جماعة من اهل التناسخ بهذه الآية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله تعالى امم امثالكم وهذا باطل لانا قد بينا انها
من اى وجه تكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان يكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهيئتنا
وخلقنا واخلاقنا فكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل والذين كذبوا باياتنا
اى بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبينات صم وبكم قد بينا معناهما في سورة البقرة في الظلمات اى في ظلمات الكفر والجهل
لا يهتدون الى شيء من منافع الدين وقيل اراد صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لانه ذكرهم

عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي من يشاء الله يضلله وهذا الجمل قد بيّنه في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام والمعنى من يشاء الله يخذله بان يمنعه الطافه وفوايده وذلك اذا اصر على الادلة واوضح له الحجج فاعرض عنها ولم يمعن النظر فيها ويجوز ان يريد من يشاء اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم اي من يشاء يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون الى الجنة **قوله تعالى** قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

القراءة قرا اهل المدينة ارايتكم ارايتم وارايت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القران وقرا الكسائي وحده ارايتكم وارايت وارايتم كل القران بترك الهمزة وقرا الباقون بالهمزة في الجميع كل القران **الحجة** قال ابو علي من خفف الهمزة فوجه قراءته بيّن لانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن قرا بالالف في كل القران من غير همز على مقدار ذوق الهمز فانه يجعل الهمزة بين بين اي بين الالف والهمزة واما الكسائي فانه حذف الهمزة حذفا الا ان التخفيف القياسي فيها ان يجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا ويلمه وكما انشد احمد بن يحيى

ان لم اقاتل فالبسوني برقعا ، وكقول ابي الاسود ، يا با المغيرة رب امر معضل ، ومما جاء على ذلك قول الاخر ،
ارايت ان جئت به املودا ، مرجلا ويلبس البرودا ، ومما يقوي ذلك قول الشاعر ، ومن راى مثل معدان بن يحيى ،
اذا ما النسع طال على المطية ، **الاعراب** ارايتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع منه لانه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذي بعده في قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وارايتك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لان رايت يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا انه ليس الكاف في المعنى ولكنه لما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء في انت واذا ثبت انه للخطاب فالتاء في ارايت لا يجوز ان يكون للخطاب لانه لا يجوز ان يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتانيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الاحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الاحوال على لفظ واحد لان ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعل فتخصص التانيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التانيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي الى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام ابي علي الفارسي وجواب ان من قوله ان اتاكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان اتاك زيد اتكرمه وموضع ان وجوابه نصب لانه في موضع مفعولي رايت وقوله ان كنتم صادقين جوابه محذوف يدل عليه قوله ارايتم لانه في معنى اخبروا فكانه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم **المعنى** ثم امر تعالى نبيه صلى الله عليه واله بمحاجة الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء ارايتكم ان اتاكم عذاب الله في الدنيا كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود او اتتكم الساعة اي القيمة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى او اتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لان قبل البعث يموت الخلق كلهم اغير الله تدعون اي تدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تنفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو خالقكم و

وما لكم

وما لكم لكشف ذلك عنكم ان كنتم صادقين في ان هذه الاوثان الهة لكم احتج تعالى عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسّهم الضر دعوا الله ثم قال بل اياه تدعون وبل استدراك وايجاب بعد نفي اعلمهم الله تعالى انهم اذا لحقتهم الشدايد في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اي يكشف الضر الذي من اجله دعوتم ان شاء ان يكشفه وتنسون ما تشركون اي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لانه ليس عندهم ضر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العايد الى الموصول محذوفا والعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه انكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانه قال تعرضون عنه اعراض الناسي اي لليأس في النجاة من مثله ويجوز ان يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم **قوله تعالى** ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ٩

اربع آيات **القراءة** قرا ابو جعفر فتّحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فانه خففهما ووافقهما يعقوب في القمر وقرا الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الا مواضع قد اختلفوا فيها سنذكرها ان شاء الله تعالى اذا بلغنا مواضعها **الحجة** من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك **اللغة** الباساء من الباس والخوف والضراء من الضر وقد يكون الباساء من البؤس والتضرع التذلل يقال ضرع فلان لفلان اذا بخع له وسأله ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة قال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال رؤبة ، وحضرت يوم الخميس الاخماس ، وفي الوجوه صفرة وابلاس ، دابر القوم الذين يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وانشد ، آل المهلب جز الله دابرهم ، اضحوا رمادا فلا اصل ولا طرف ، وقال الاصمعي الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد ، فدى لكما رجلي ورحلي وناقتي ، غداة الكلاب اذ تجز الدوابر ، اي يقتل القوم فتذهب صولهم فلا تبقى لهم اثر وقال غيره دابر الامر اخره وروي عن عبد الله انه قال من الناس من لا ياتي الصلوة الا دُبُريّا بضم الدال يعني في اخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث وقال ابو زيد الصواب دَبْريّا بفتح الدال والباء **الاعراب** لولا للتحضيض ولا تدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تاويل الكلام الاول فان في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي اخذناهم مباغتين **المعنى** ثم اعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه واله حال الامم الماضية في مخالفة رسله وبيّن ان حال هؤلاء اذا سلكوا طريق الخلاف كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ولقد ارسلنا وهاهنا محذوف وتقديره رسلا الى امم من قبلك فخالفوهم فاخذناهم وحسن الحذف للايجاز والاختصار من غير اخلال لدلالة مفهوم الكلام عليه بالباساء والضراء يريد بالفقر والبؤس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن لعلهم يتضرعون معناه لكي يتضرعون قال الزجاج لعل ترجٍّ وهذا الترجي للعباد والمعنى فاخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله

خوم

الكفار

القران

لكما

والباء

يتذكر او يخشى قال سيبويه المعنى اذهبا انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك اخبر الله تعالى انه ارسل الرسل
الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة فى انفسهم واموالهم ليخضعوا ويذلوا لامر الله تعالى فلم يخضعوا ولم يتضرعوا
وهذا كالتسلية للنبى صلى الله عليه وآله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه فهلا تضرعوا اذ جاءهم باسنا
ولكن قست قلوبهم واقاموا على كفرهم فلم ينجع فيهم العظة وزين لهم الشيطان بالوسوسة والاغراء بالمعصية
لما فيها من عاجل اللذة ما كانوا يعملون يعنى اعمالهم وفى هذه حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافر الايمان لانه
تعالى بين انه انما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذى زين الكفر للكافر بخلاف ما قالت المجبرة
من انه سبحانه هو المزين لهم ذلك فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتاويله تركوا العمل بذلك
وقيل تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل فتحنا عليهم ابواب كل شىء اى كل نعمة وبركة من السماء والارض عن ابن
عباس وقيل ابواب كل شىء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى انه تعالى امتحنهم بالشدائد لكى يتضرعوا
ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة فى الرزق ليرغبوا بذلك فى نعيم الآخرة وانما فعل ذلك بهم
وان كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والانعام ليدعوهم ذلك الى الطاعة فان الدعاء الى
الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف او لتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعيم الى العذاب الاليم حتى اذا
فرحوا بما اوتوا من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا السرور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه اخذناهم
اى احللنا بهم العقوبة بغتة مفاجاة من حيث لا يشعرون فاذا هم مبلسون اى آيسون من النجاة والرحمة عن
ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخى وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعانى متقاربة والمراد بقوله ابواب
كل شىء التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت كل شىء والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة
واتيناهم خيرا كثيرا وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال اذا رايت الله تعالى يعطى على المعاصى فان ذلك استدراج
منه ثم تلا هذه الآية ونحوه ما روى عن امير المؤمنين على عليه السلام انه قال يا ابن آدم اذا رايت ربك يتابع عليك
نعمه فاحذره فقطع دابر القوم الذين ظلموا معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب
ولا نسل والحمد لله رب العالمين على اهلاك اعدائه واعلاء كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بان استاصل شافتهم
وقطع دابرهم لانه تعالى ارسل اليهم الرسل وانظرهم بعد كفرهم واخذهم بالباساء والضراء واختبرهم بالمحنة والبلية
ثم بالنعمة والرخاء وبالغ فى الانذار والامهال والانظار فهو المحمود على كل حال وفى هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله على
كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى على بن ابرهيم عن ابيه
عن القسم بن محمد عن سليمن بن داود المنقرى عن فضيل بن عياض عن ابى عبد الله عليه السلام قال سالته عن الورع فقال
الورع الذى يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء واذا لم يتق الشبهات وقع فى الحرام وهو لا يعرفه واذا راى المنكر
ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله ومن احب ان يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء
الظالمين فقد احب ان يعصى الله وان الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين **قوله تعالى** قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به
انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون

وما نرسل

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون اربع آيات **اللغة** صدف عن الشىء صدوفا اذا مال عنه والصدف
والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفى الحديث كان صلى الله عليه وآله اذا مر بصدف مائل اسرع المشى
الاعراب من اله مبتدا وخبره غير صفة اله وهذه الجملة فى موضع مفعولى ارايتم ومن استفهام
علق الفعل الذى هو ارايتم فلم يعمل فى مفعوليه لفظا وقوله ان اخذ الله سمعكم جوابه محذوف وتقديره من ياتيكم
به الا انه اغنى عنه قوله من اله غير الله ياتيكم به الذى هو مفعول ارايتم فى المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب الحال
كما تقول لاضربنه ان ذهب او مكث اى وقع موقع ذاهبا او ماكثا وتقديره مقدرا ذهابه او مكثه ويدل على
انه فى موضع الحال مشابهته المفرد لانه لا يستقل بنفسه كما يستقل الجمل وانه وان كان جملة فى المعنى فانه بدخول
حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد فى الحاجة الى ما يستند اليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته
الى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه الى ما قبله وليس شىء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه فى موضع
نصب هو حال فان قيل الجزاء مقدر والشرط المذكور فى اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وانما كان هذا الاستدلال
يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قبل الجزاء وان كان مقدرا لا حكم له لانه لا يجوز اظهاره وانما هو شىء ثبت من جهة
التقدير فضعف امره ولو جاز اظهاره لكان فى موضع الحال وهذا ماخوذ من كلام ابى على الفارسى ذكره فى
القصريات مع كلام كثير فى معناه قد دقق فيه ولم يسبق اليه وقوله ياتيكم به فى موضع رفع على انه صفة آله
المعنى ثم زاد تعالى فى الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
اى ذهب بهما وصرتم صما وعميا وختم على قلوبكم اى طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفقهون
شيئا وانما خص هذه الاشياء بالذكر لان بها تتم النعم دنيا ودينا من اله غير الله ياتيكم بما اخذ منكم ويعود ان تكون
الى معنى الفعل المعنى من اله غير الله ياتيكم بما اخذ منكم ويجوز ان يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع
داخلا فى القصة معه اذا كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون ان يجعلوا
لكم اسماعا وابصارا وقلوبا تعقلون بها وتفهمون اى ان اخذها الله منكم لم يرد ها عليكم بين سبحانه بهذا انه
كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب ان لا يعبد سواه انظر كيف نصرف الآيات اى نبين لهم فى القرآن
الآيات عن الكلبى وقيل تصريف الآيات توجيهها فى الجهات التى يظهر بها تمام الاظهار مرة فى جهة النعمة ومرة
فى جهة الشدة وقيل تصريف الآيات احداثها دالة على وجوه كما ان الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته
وعلمه وعلى نبوة النبى صلى الله عليه وآله وصدقه ثم هم يعنى الكفار يصدفون اى يعرضون عن تامل الآيات والفكر فيها
وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها وانما قال انظر لانه تعالى عجب اولا من تتابع نعمه عليهم وضروب دلالاته فى تصريف
الآيات واسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم عنها ثم زاد سبحانه فى الحجاج فقال قل ارايتم اى اعلمتم
ان اتاكم عذاب الله اى عذبكم الله بعذابه الاليم وارساله الرسل بغتة اى مفاجاة او جهرة اى علانية
وانما قابل البغتة بالجهرة لان البغتة تتضمن معنى الخفية لانهم ياتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة ان ياتيهم
ليلا والجهرة ان ياتيهم نهارا عن الحسن هل يهلك اى لا يهلك بهذا العذاب الا القوم الظالمون اى الكافرون

الذين يكفرون بالله ويفسدون في الارض وقيل انهم كانوا يستعجلون العذاب فبين انه اذا نزل لا يهلك
الا الكافرون فان هلك فيه مؤمن او طفل فانما يهلك محنة ويعوضهم الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك
في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون
على كل شيء فيسألون عنه من الآيات وانما يرسلهم لما يعلم من المصلحة فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
ثم ذكر ثواب من صدقهم في باقي الآية وعقاب من كذبهم في الآية الثانية فقال فمن آمن اي صدق الرسل واصلح
اي عمل صالحا في الدنيا فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون كما يحزن اهل النار وقيل لا يحزنون على ما
خلفوا وراءهم في الدنيا والذين كذبوا بآياتنا اي دلتنا وحججنا وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله ومعجزاته يمسهم العذاب
اي يصيبهم العذاب يوم القيمة بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وخروجهم عن الايمان **قوله تعالى** قل
لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي
الاعمى والبصير افلا تتفكرون آية **اللغة** الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن
فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا يناله الايدي ومنه خزن اللحم يخزن خزنا اذا تغير لانه يخبأ حتى ينتن
المعنى ثم امر النبي صلى الله عليه وآله ان يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه انه لا يدعي الربوبية وانما ادعى النبوة فقال
قل يا محمد لا اقول لكم ايها الناس عندي خزائن الله يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته
عن الجبائي وقيل ارزاق الخلق حتى يؤيسوا طمعا في المال ولا اعلم الغيب الذي يختص الله تعالى بعلمه وانما اعلم قدر ما
ما يعلمني الله من امر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما يصيرون اليه عن ابن عباس
ولا اقول لكم اني ملك لاني انسان تعرفون نسبي يريد لا اقدر على ما لا يقدر عليه الملك وقد استدل بهذا
على ان الملائكة افضل من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وانما المراد
لا اقول اني ملك فاشاهد من امر الله وغيبه عن العباد ما تشاهده الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي يريد
لا اخبركم الا بما انزله الله الي عن ابن عباس وقال الزجاج اي ما انبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي
من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال قل لهم يا محمد هل يستوي الاعمى والبصير اي هل يستوي العارف
بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله وبنبيه
صلى الله عليه وآله وهذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير اهل البيت عليهم السلم هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل
معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب
عن البيان وعمي عن الحق عن البلخي افلا تتفكرون فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بالتوحيد
ونفي التشبيه وهذا استفهام يريد به الاخبار يعني انهما لا يستويان **قوله تعالى** وانذر به الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون آية **الاعراب**
الهاء في به تعود الى ما في قوله ما يوحى الي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كانه قيل
متخلين من ولي ولا شفيع **المعنى** ثم امر سبحانه بعد تقديم البينات بالانذار فقال وانذر اي عظ
وخوف به اي بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم يريد المؤمنين

يخافون يوم القيمة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون
ان يحشروا ويعلموا انه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون يعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف
بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو صلى الله عليه وآله نذير جميع الخلق لان الذين
يخافون الحشر الحجة عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق عليه السلم انذر بالقرآن من يرجون الوصول
الى ربهم ترغبهم فيما عنده فان القرآن شافع مشفع ليس لهم من دونه اي غير الله ولي ولا شفيع عن الضحاك
وقال الزجاج ان اليهود والنصارى ذكرت انها ابناء الله واحباؤه فاعلم الله عز اسمه ان اهل الكفر ليس لهم
من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في اهل الكفر والمفسرون على ان الآية في المؤمنين ويكون
معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على ان شفاعة الانبياء وغيرهم للمؤمنين انما يكون معنى باذن
الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فذلك راجع الى الله تعالى لعلهم يتقون كي يخافوا في الدنيا
وينتهوا عما نهيتهم عنه عن ابن عباس **قوله تعالى** ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي
يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من
الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين
آيتان **القراءة** قرا ابن عامر بالغدوة والعشي في كل القرآن بواو والباقون بالغداة بالالف
الحجة قال ابو علي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام واما غدوة فمعرفة لم تتنكر
هو علم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حبين لدابة معروفة و
قال وزعم يونس عن ابي عمرو وهو القياس انك اذا قلت لقيته يوما من الايام غدوة او بكرة وانت
تريد المعرفة لم تنون وهذا يقوي قراءة من قرا بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال
زعم الخليل انه يجوز ان يقول اتيتكم اليوم غدوة وبكرة فجعلها بمنزلة ضحوة ومن حجته ان بعض اسماء
الزمان جاء معرفة بغير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد من قولهم لقيته فينة غير مصروف والفينة
بعد الفينة فالحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه
ذلك اذا ثني وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا
يوم اثنين مباركا واتيتك يوم اثنين مباركا فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام نكرة و
من ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل اما ان يكون جعل عرسا نكرة وان كان علما
واما ان يكون اخبر عنه بخبرين **الاعراب** فتطردهم جواب للنفي في قوله ما عليك من
حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لانه جواب النهي وهو قوله ولا تطرد اي
لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع **النزول**
روى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده صهيب
وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك افنحن نكون
تبعا لهم اهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى ولا تطرد

الى آخر الآية وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري
وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس
من ضعفاء المؤمنين فحقروهم فقالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فان وفود العرب تأتيك
فنستحيي ان يرونا مع هؤلاء الاعبد ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبي صلى الله عليه وآله
الى ذلك فقالا له اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفة واحضر عليا عليه السلام ليكتب قال ونحن قعود
في ناحية اذ نزل جبرئيل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين
فنحى رسول الله صلعم الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد
معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية قال فكان
رسول الله يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا و
تركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات **المعنى** ثم نهى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله عن اجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد
المؤمنين فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريد يعبدون ربهم بالصلوة المكتوبة
يعني صلوة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ان المراد بالدعاء ههنا الذكر اي
يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابراهيم وروي عنه ايضا ان هذا في الصلوة الخمس يريدون وجهه يعني
يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضات الله ولا يعدلون بالله شيئا عن عطا قال الزجاج شهد
الله لهم بصدق النيات وانهم مخلصون في ذلك اي يقصدون الطريق الذي امرهم ما حسابك عليهم
امرهم بقصده فكأنه ذهب في معنى الوجه الى الجهة والطريق ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء يريد ما عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء اي انما الله الذي يثيب
اولياءه ويهلك اعداءه عن ابن عباس في رواية عطا واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون
ربهم وهو الاشبه وذكروا فيه وجهين احدهما ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شيء اي لا يلزمك
عار لعملهم فتطردهم ثم قال ومن حسابك عليهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله سبحانه في قصة
نوح ان حسابهم الا على ربي وهذا لان المشركين عليهم ازدروهم لفقرهم وحاجتهم الى الاعمال
الدنية وهم عليه السلام برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شيء تأكيد لطائفة
الكلام وان كان مستغنى عنه بالاول والوجه الثاني ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم و
تطردهم اي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وانما يرزقك واياهم الله الرازق فدعهم يدنون منك
ولا تطردهم فتكون من الظالمين لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية
عن ابن عباس وقال ابن الانباري عظم الامر في هذا على النبي صلى الله عليه وآله وخوف الدخول في
جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم الرؤساء واولي الاموال على الضعفاء مقدرا انه يستخرج باسلامهم اسلام
قومهم ومن لف لفهم وكان صلى الله عليه وآله لم يقصد في ذلك الا قصد الخير ولم ينو به ازدراء بالفقراء فاعلمه
يقصد

اي لا يلزمك عار بعملهم فتطردهم ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء ص

يستخرج

الله تعالى ان ذلك غير جائز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء فقال وكذلك فتنا بعضهم
ببعض اي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فاذا نظر الشريف
الى الوضيع قد آمن قبله حمي انفا ان يسلم ويقول سبقني هذا بالاسلام فلا يسلم وانما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج
الى الاختبار لانه عاملهم معاملة المختبر ليقولوا هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل امرهم
الى هذه العاقبة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا والاستفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة
او خصوا بنعمة وقال ابو علي الجبائي المعنى في فتنا شددنا التكليف على اشراف العرب بان امرناهم بالايمان
وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الايمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه الله فتنة وقوله
ليقولوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم بالايمان
اذا راوا النبي يقدم هؤلاء ويرضوا بذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكليف
ليقولوا ذلك على وجه الانكار لان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه
ولانه لو اراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله اليس الله باعلم بالشاكرين
هذا استفهام تقرير اي انه كذلك كقول جرير   الستم خير من ركب المطايا   وهذا دليل واضح على ان
فقراء المؤمنين وضعفاءهم اولى بالتقديم والتقريب والتعظيم من اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين عليه السلام من
اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه **قوله تعالى** واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل
سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور
رحيم آية **القراءة** قرأ اهل المدينة انه من عمل بالفتح فانه بالكسر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب
فانه بفتح الالف فيهما وقرأ الباقون انه فانه بالكسر فيهما **الحجة** قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله
تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد واما من كسر فانه غفور رحيم فلان ما بعد الفاء
حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله فينتقم الله منه على ارادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان في قوله
انه فانه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كانه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل واما فتحها بعد الفاء
فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره فله انه غفور رحيم اي فله غفرانه او اضمر مبتدأ يكون انه خبره اي فامره انه
غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
تقديره فله ان له نار جهنم الا ان اضماره هنا احسن لان ذكره قد جرى في قوله ان له وان شئت قدرت
فامره ان له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر واما قراءة كتب ربكم انه فانه فالقول فيها انه ابدل
من الرحمة ثم استأنف ما بعد الفاء **اللغة** قال المبرد السلام في اللغة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاما
وجمع سلامة واسم من اسماء الله عز وجل وشجر في قوله الا سلام وحرمل ومعنى السلام الذي هو مصدر انه دعا
للانسان بان يسلم من الآفات والسلام اسم الله تاويله السلام الذي ملك السلام الذي هو التخلص من
المكروه واما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سميت بذلك لسلامتها
من الرخاوة والصلح يسمى السلم والسلام لان معناه السلامة من الشر والسلام الدلو التي لها عروة واحدة لانها اسلم

احسنه
وانذر العالمين طوبى راح

اللا من الآفات **النزول** اختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية فقيل نزلت في الذين نهى الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وآله عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وآله اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطا وقيل ان جماعة اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا انا اصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية عن انس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام

المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بتعظيم المؤمنين فقال واذا جاءك يا محمد الذين يؤمنون اي يصدقون بآياتنا اي بحججنا وبراهيننا فقل سلام عليكم ذكر فيه وجوه احدها انه امره صلى الله عليه وآله ان يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله عن الحسن وثانيها ان الله امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يسلم عليهم تكرمة لهم عن الجبائي وثالثها ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس كتب ربكم على نفسه الرحمة ايجابا مؤكدا عن الزجاج قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في اول السورة انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال الزجاج يحتمل الجهالة هنا وجهين احدهما انه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروها والآخر انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه آثر العاجل فجعل جاهلا بانه آثر النفع القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة وهذا اقوى ومثله قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية وقد ذكرنا ما فيه هناك ثم تاب من بعده واصلح اي رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح فانه غفور رحيم

قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين آية **القراءة** قرأ اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ زيد عن يعقوب وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرأ الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع **الحجة** من قرأ ولتستبين بالتاء سبيل رفعا جعل السبيل فاعلا وانثه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشيء واستبنته ومن قرأ ولتستبين بالتاء سبيل نصبا ففي الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قولك استبنت الشيء ومن قرأ بالياء سبيل رفعا فالفعل مسند الا انه ذكر كما في قوله يتخذوه سبيلا والمعنى ولتستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين فحذف لان ذكر احد السبيلين يدل على الآخر ومثله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرأ بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين السائل سبيل المجرمين **الاعراب** كذلك الكاف في موضع نصب بانه مفعول نفصل وذلك مجرور الموضع باضافة الكاف اليه وسيال ما المشبه به في قوله وكذلك وفيه جوابان احدهما التفصيل الذي تقدم في ذكر المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق والثاني ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم نفصل لغيركم **المعنى** ثم عطف سبحانه على الآيات التي احتج بها على مشركي العرب وغيرهم فقال وكذلك اي كما قدمنا تفصيل الآيات وهي الحجج والدلالات اي ميزناها وبيناها ونشرناها على صحة قولكم و بطلان ما يقوله هؤلاء الكفار ولتستبين سبيل المجرمين بالرفع اي ليظهر طريق من عاند بعد البيان او ذهب

يقدر له

الى السبيل

عن فهم ذلك

عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المؤمنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها وبالنصب ليعرف السامع او السائل ولتعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر والعناد والاقدام على المعاصي والجرائم المؤدية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الاذلال واللعن والبراءة منهم والامر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير ليتفهموا ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لان فيما ابقى دليلا على ما القى **قوله تعالى** قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين آية **القراءة** روي في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها **الحجة** وهما لغتان ضللت تضل وضللت تضل قال ابو عبيد واللغة العالية الفتح **الاعراب** معنى من في قوله من دون الله ابتداء الغاية ومعنى اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها **المعنى** ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بان يظهر البراءة مما يعبدونه فقال قل يا محمد اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام التي تعبدونها وتدعونها آلهة وقل يا محمد لا اتبع اهواءكم في عبادتها اي انما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع اهواءكم في طرد المؤمنين قد ضللت اذا ان اذا فعلت ذلك عن ابن عباس وما انا من المهتدين الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما انا من السالكين الذين سلكوا طريق الهدى **قوله تعالى** قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين آيتان **القراءة** اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقضي الحق **الحجة** حجة من قرأ يقضي قوله ويحكى عن ابي عمرو انه ابي عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين في ان الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرأ يقص قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول ايضا في نحو قوله انه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء الحق او يقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع **اللغة** البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشيء في غير وقته والحكم فصل الامر على التمام **الاعراب** يقال لم قال كذبتم به والبينة مؤنثة قيل لان البينة بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتم قد مضمر معه لانه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي الا ومعه قد اما مظهرة او مضمرة **المعنى** لما امر النبي صلى الله عليه وآله بان يتبرأ مما يعبد ثم عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبينة وانه لا بينة لهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار اني على بينة من ربي اي على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة اي على نبوة من ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس وكذبتم به اي ما اتيتكم به من البيان يعني القرآن اي ليس عندي ما تستعجلون به قيل